الشيخ مصطفى بن محمد بن مصطفى



عون الرحمن

في أشراط الساعة وفتن آخر الزمان



الألوكة
www.alukah.net
00201136800204

عون الرحمن
في
أشراط الساعة وفتن آخر الزمان

تأليف

فضيلة الشيخ / مصطفى بن محمد بن مصطفى

غفر الله له ولجميع المسلمين

حققه ورتبه

أبو عبد الله أحمد بن سعد السماحي

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فبين يديك أخى الحبيب كتاب "**عون الرحمن فى أشراط الساعة وفتن آخر الزمان**" جمع فيها شيخنا أبو أحمد مصطفى بن محمد بن مصطفى -حفظه الله- ما تيسر له مما يتعلق بمسائل الفتن وأنواعها وخطرها وكانت هذه المادة عبارة عن محاضرات ألقاها فضيلته فى سنة 1424 من هجرة المصطفى ع.

وقد كُلفتُ من قبل شيخنا بأن أقوم بترتيب هذه المادة، والتعليق عليها، وتحقيقها تحقيقاً علمياً، فاجتهدتُ فى أن تخرج هذه المادة بصورةٍ تليق بموضوعه، ومضمونه.

وقد بدأ العمل فيه فى 7 ربيع ثان 1424هـ وانتهى العمل فيه فى شعبان 1431هـ، وتمت مراجعته وإعداده للطبع فى 17 جماد أول 1432هـ.

والله أسأل أن يتقبل منا هذا العمل، وأن يجعله لوجهه خالصا، وألا يجعل لأحد غيره فيه شيئا.

أبو عبد الله أحمد بن سعد السماحي



مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ε.

[يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] (آل عمران: 102). **[يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا]** (النساء: 1). **[يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا]** (الأحزاب: 70-71)(1).

إن خير الحديث كتاب الله؛ وخيرُ الهُدَى هُدَى محمد ε؛ وشرُّ الأمور

---

(1) أخرجه الشافعى فى مسنده (67/1)، والطيالسى فى مسنده (338)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (17508)، وفى مسنده (340)، وأحمد (3720 و4115)، وأبو داود (1097 و2118)، وابن ماجه (1892)، والترمذى (1105)، وابن أبى عاصم فى السنة (255)، والنسائى فى الكبرى (1709 و5527) وفى المجتبى (1404 و3277)، وأبو يعلى فى مسنده (5233)، والطبرانى فى الكبير (10079 و104499) وفى الأوسط (2530) كلهم من حديث ابن مسعود τ قال: "علمنا رسول الله ε خطبة الحاجة" بسند صححه الألبانى فى تعليقه على أبى داود والترمذى وابن ماجة، ولفضيلته رسالة مستقلة بعنوان "خطبة الحاجة التى كان رسول الله ε يعلمها أصحابه" ط: المكتب الإسلامى.

وهذه هى خطبة الحاجة التى يبدأ بها النبى ε كلامه أحياناً، وقلنا أحياناً؛ لأنه قد ورد عن النبى ε صيغ أخر من المقدمات؛ وأحياناً قد يتكلم بلا مقدمات كما فى قصة الواهبة حيث قال لمبتغيها: **(زوجتكها بما معك من القرآن)** هذا وقد قال ابن قدامة فى المغنى: والخطبة غير واجبة عند أى أحد من أهل العلم علمناه إلا داود فإنه أوجبها ... ولنا: أن رجلا قال للنبى ε زوجنيها، فقال رسول الله ε: **(زوجتكها بما معك من القرآن)** متفق عليه. ولم يذكر خطبة (المغنى 537/6).

قلت: قال المباركفورى: ولم يشترط فى صحة العقد (عقد النكاح) تقدم الخطبة ... وخالف فى ذلك الظاهرية فجعلوها واجبة ووافقهم من الشافعية أبو عوانة فترجم فى صحيحه باب وجوب الخطبة عند العقد (تحفة الأحوذى 566/3).



محدثاتها؛ وكلُّ بدعة ضلالة[1].

أما بعد ...

فموضوع الفتن موضوع هام قد حظى بمكانة واسعة فى آيات القرآن[2]، والسنة النبوية[3].

وتشتد أهمية هذا الموضوع خصوصاً فى الزمان الذى أصبح الحليمُ فيه حيران يقلبُ وجهه فى السماء يبحث عن نجم يضيء له الطريق، ويعيّنُ له الهدفَ، ويحدِّدُ له الاتجاه فى هذا الزمان الذى أصبح المسلمُ فيه بين أقوام متصارعةٌ أرآؤهم، متدابرةٌ قلوبُهم، وقد جعل الله بأسهم بينهم.

فدراسةُ هذا الموضوع بعناية من الأهمية بمكان حيث يُعين المرءَ على معرفة طريقه.

فالمرء فى هذه الدار مفتونٌ بالسراء والضراء، والغنى والفقر، والعافية والمرض، والمسلم مبتلى بالكافر، والكافر مبتلى بالمسلم، وكل واحد مبتلى بالآخر قال تعالى: **[وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ]** (الفرقان: 20).

ولقد حرص الإسلام على تنبيه المسلم إلى الفتن، ومقدماتها، وأزمانها، وأماكنها، وأناسيها، وأحوالها، وأهدافها[4]؛ ليكون المسلم على بينة مما يظهر أمامه على ساحة

---

(1) أخرج مسلم فى صحيحه فى كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (867) عن جابر بن عبد الله قال: كان الرسول ε إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، يقول صبحكم ومساكم ... ويقول: أما بعد: **(فإن خيرَ الحديث كتاب الله، وخيرُ الهُدى هُدى محمدٍ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ بدعة ضلالة ...)** الحديث.

(2) وردت مادة "فتن" فى القرآن الكريم ستين مرة بتصرفاتها المختلفة. [راجع المعجم المفهرس مادة "فتن"].

(3) اهتمت السنة النبوية المطهرة بذكر الفتن، وتعظيمها، وبيانها، وكيف تتقى فى غير ما حديث كما سيأتى إن شاء الله فى موضعه من هذا المصنف وأعظم دليل على ذلك ما شحذت به مصنفات أهل العلم قديماً وحديثاً فترى فى الصحاح والسنن دائما كلمة: "باب الفتن" بل إن بعضهم صنف فيها مصنفات مستقلة كما سيأتى.

(4) من ذلك ما رواه الشيخان البخارى (7119)، ومسلم (2894) عن أبى هريرة τ قال: قال ε: **(لا**



الحياة فهو لا يفاجأ بما أمامه؛ لأنه قد علم أمر هذه الفتن.

والفتن مهمة فى حياة الأمة، فلولاها ما عُرف الرجالُ من أشباههم، وما عرف المنافقون ممن سواهم، والصادقون فى إيمانهم من الكاذبين كما قال تعالى: **[الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ]** (العنكبوت: 1-3).

ولهذا كان اهتمام النبيε بها بالغا، وتعظيمه لشأنها عظيماً فى غير ما حديث فهو يصفها تارة بقطع الليل المظلم يصبح المرء فيها مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى كافراً ويصبح مؤمنا [(1)]، ويصفها تارة بتموجها موج البحر[(2)] وأخبر النبى ε أن الفتن من شدة هولها، وعظيم شأنها، تعرج فيها عقول الرجال وتذهب، فقال ε: **(تكون فتنة تعرج فيها عقول الرجال حتى ما تكاد ترى رجلاً عاقلاً)**[(3)].

=

تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيُقتل من كل مائةٍ تسعةٌ وتسعون ويقول كل رجل منهم: لعلى أكون أنا الذى أنجو). وفى رواية: **(فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً)**.

فترى النبى ε قد أخبرك بالفتنة (جبل الذهب) ومكانها (الفرات)، وأحداثها (القتال الشديد على الذهب)، وحال الناس فيها، وكيف النجاة منها بألا تأخذ من هذا الجبلِ الذهبَ.

(1) أخرج مسلم (118) من حديث أبى هريرة τ أن رسول الله ε قال: **(بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، أو يمسى مؤمنا ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا)**.

قال النووى فى شرحه لهذا الحديث: معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام اللَيل المظلم، لا المقمر، ووصف ε نوعاً من شدائد تلك الفتن وهو أن يمسى مؤمنا ثم يصبح كافراً أو عكسه ... وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان فى اليوم الواحد هذا الانقلاب، والله أعلم. أهـ

(2) متفق عليه، أخرجه البخارى (525 و1435 1895 و3586 و7096)، ومسلم (144) وفى الفتن (144) (26).

(3) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (107) من حديث حذيفة τ مرفوعًا، وقال السيوطى فى جامع الأحاديث (10964): صحيح، ووافقه المتقى الهندى فى كنز العمال (31126). وفى رواية عند

وأخبر ε أن فيها تموت قلوب الرجال كما تموت أبدانهم، فقال ε: **(إن بين يد الساعة فتناً كقطع الدخان، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه)**[1].

كل هذا وذاك يدل على بالغ أهمية موضوع الفتن، وبشاعة وقعها، وعظم شدتها، وشدة هولها، ولذا كانت عناية السلف بمعرفتها واضحةً، واهتمامهم بذكرها ودراستها جليًا، وعلى رأسهم الصحابة رضوان الله عليهم.

فمن اهتمام الصحابة ψ ما رواه الشيخان عن حذيفة بن اليمان τ قال: "كان الناس يسألون رسول الله ε عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى..."[2] الحديث، فبين حذيفة السبب الذى دفعه لسؤال النبى ε عن الشر وهو خوفه من أن يدركه ذلك الشر كما قال الشاعر[3]:

عَرفتُ الشرَّ لا للشـ ـر ولكن لتوقيـهِ

فمنْ لا يعرفُ الشر منَ النـاسِ يقعْ فيـهِ

لذا كان حذيفة τ أمين سر رسول الله ε وخبيراً بالمنافقين، وأحوالهم، وأوصافهم، وأسمائهم، وكان العالم بالفتن، وكان يقول: "أنا أعلم الناس بكل فتنة هى كائنة فيما بينى

= نعيم بن حماد فى الفتن :"تعوج فيها عقول ...".

(1) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (410/7)، وابن أبى شيبة فى مسنده (650)، وأحمد (15791)، والطبرانى (8135) والحاكم (6234) من حديث الضحاك بن قيس τ، وأورده الهيثمى فى المجمع (308/7) وقال: فيه على بن زيد وهو سيىء الحفظ وقد وثق، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، والحديث ضعفه محققوا المسند ط. الرسالة (17753) لأن الحسن لم يذكروا له سماعًا من الضحاك.

(2) أخرجه البخارى (3606 و7084) ومسلم (1847) عن أبى إدريس الخولانى عن حذيفة بن اليمان τ. وكان حذيفة τ يقول: تعلَّمَ أصحابى الخيرَ، وتعلمتُ الشرَّ. أخرجه البخارى (3607) عن حذيفة τ.

(3) البيت من الهزج وهو لأبى فراس الحمدانى فى ديوانه (387/1) ومعناه: أننى تعرفت على الشر، لكن لا لأجل الشر بل لأجل أن أتقى هذا الشر؛ لأن الذى لا يعرف كيف يميز الخير من الشر؛ فإنه يَقع فى الشر. واستشهد به الشيخ هاهنا؛ لأنه يوافق المعنى الذى من أجله سأل حذيفةُ τ عن الشر: فهو سأل عن الشر مخافة أن يقع فيه، لا لأجل أن يفعله.

وبين الساعة"[1].

ولذلك جاء فى الصحيحين أيضاً أن عمر بن الخطاب τ قال يوماً لبعض الصحابة: أيكم يذكر حديث رسول الله ε فى الفتنة ؟ فقال حذيفة τ: أنا أحفظه، قال: إنك عليها لجريء؛ هات.

فقال حذيفة τ: "فتنة الرجل فى أهله وماله تكفرها الصلاة والصوم والحج والصدقة".

فقال عمر τ: ليس عن هذا أسألك إنما أسألك عن الفتنة التى تموج موج البحر. فقال: مالك ولها يا أمير المؤمنين ؟ إن بينك وبينها باباً مغلقاً.

فقال عمر: أيُفتحُ ذلك البابُ المغلق أم يكسر ؟ قال حذيفة بل يكسر، قال عمر: هذا حَرى أن لا يغلق أبداً.

قال بعض الرواة: فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب؛ فأمرنا مسروق بن الأجدع فجاء إلى حذيفة وسأله من الباب ؟ قال: عمر τ، فقال: هل كان عمر يدرى أنه هو الباب ؟ قال حذيفة: نعم يدرى إنى حدثته حديثاً ليس بالأغاليط[2].

---

(1) أخرجه مسلم (2891) عن أبى أدريس الخولانى عن حذيفة τ قال: "والله إنى لأعلم الناس بكل فتنة هى كائنة، فيما بينى وبين الساعة، وما بى إلا أن يكون رسول الله ε أسر إلى فى ذلك شيئاً، لم يحدثه غيرى، ولكن رسول الله ε قال وهو يُحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن فقال رسول الله ε وهو يعُد الفتن: **(منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار)** قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى.وقال حذيفة أيضاً: أخبرنى رسول الله ε بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا قد سألته، إلا أنى لم أسأله ما يخرج أهلَ المدينة من المدينة".

(2) تقدم تخرجه قريباً قبل أربعة أحاديث وهو فى الصحيحين. وقوله: هات، أى اذكر لنا، ومسروق بن الأجدع هو أحد التابعين.

والأغاليط: جمع أغلوطة وهى التى يغالط بها، ومعناه: حدثته حديثاً صدقاً محققاً ليس هو من صحف الكتابيين، ولا من اجتهاد ذى رأى، بل من حديث النبى ε. أهـ كلام النووى فى شرح الحديث (144 الإيمان).

وقوله: "**تموج كموج البحر**" معناه: تضطرب اضطراب البحر عندهيجانه وكنى بذلك عن شدة

ثم جاء بعد ذلك الأئمة فصنفوا الكتب كما فعل البخارى، ومسلم، وأبو داود،

= ______________________

المخاصمة، وكثرة المنازعة، وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة (ابن حجر شرح حديث رقم 3586).

قال النووى: والحاصل: أن الحائل بين الفتن والإسلام عمر τ وهو الباب، فما دام حياً لا تدخل الفتن، فإذا مات دخلت الفتن وكان كذا وكذا ... أهـ كلامه فى شرح حديث رقم 144 الإيمان.

والسؤال الآن: كيف علم عمر أنه الباب ؟

قال ابن بطال: إنما علم عمر أنه الباب؛ لأنه كان مع النبى ε على [أحد] وأبو بكر وعثمان فرجف فقال ε: **(اثبت؛ فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان)**. أهـ أخرجه البخارى فى صحيحه عن أنس τ فى عدة مواضع فى كتاب فضائل الصحابة (3675، 3686، 3699).

أو فهم ذلك من قول حذيفة بل يكسر، أ هـ كلام ابن بطال (702/6 فتح/السلفية).

قال ابن حجر: والذى يظهر أن عمر علم الباب بالنص عن أبى ذر وعثمان بن مظعون. أ هـ (702/6 فتح/السلفية).

قلت: يقصد بالنص:

1. ما ورد عن أبى ذر τ: (أنه لقى عمر فأخذ بيده فغمزها، فقال له أبو ذر: أرسل يدى يا قُفل الفتنة) قال ابن حجر: رواه الطبرانى بإسناد رجاله ثقات (701/6 فتح).
2. وقال أبو ذر أيضاً: "لا يصيبكم فتنة ما دام فيكم" وأشار إلى عمر. (ذكره ابن حجر فى فتح البارى 701/6).
3. ما ورد عن قدامه بن مظعون عن أخيه عثمان أنه قال لعمر: (يا غلق الفتنة! فسأله عن ذلك فقال: مررتَ ونحن جلوس عند النبى ε فقال: هذا غلق الفتنة، لا يزال بينكم وبين الفتنة بابٌ شديد الغلق ما عاش). قال ابن حجر (701/6 فتح الباري): رواه البزار.
4. ما ورد عن كعب الأحبار، قال ابن حجر: أخرج الخطيب فى الرواة عن مالك أن عمر بن الخطاب دخل على أم كلثوم بنت على فوجدها تبكى فقال: ما يبكيك ؟ قالت: هذا اليهودى –لكعب الأحبار– يقول: إنك باب من أبواب جهنم، فقال عمر: ما شاء الله، ثم خرج فأرسل إلى كعب فجاءه فقال: يا أمير المؤمنين ! والذى نفسى بيده لا ينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة فقال: ما هذا ؟ مرة فى الجنة ومرة فى النار ؟ فقال: إنا لنجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقتحموا فيها، فإذا مت اقتحموا. (فتح البارى 54/13 السلفية).

وهنا سؤال: إذا كان عمر عالماً بالفتنة وبأنه غلقها فلماذا سأل عنها ؟

والجواب: قال ابن حجر: إن ذلك يقع مثله عند شدة الخوف، أو لعله خشى أن يكون نسى فسأل من يذكره وهذا الجواب [الثاني] هو المعتمد. أهـ كلامه (702/6 فتح الباري).



والترمذى، والنسائى، وابن ماجة، وغيرهم فكانوا إذا أَلَّفوا جمعوا أحاديث النبى ε فى هذا الموضوع كما قال البخارى والترمذى –عليهما رحمة الله–: كتاب الفتن، وقال مسلم –رحمه الله–: كتاب الفتن وأشراط الساعة، وقال أبو داود –رحمه الله–: كتاب الفتن والملاحم. ثم جاء علماء ألفوا كتبا مستقلة فى الفتن.

فمن أهم المصنفات فى ذلك:

1. كتاب الفتن، لنُعيم بن حمَّاد المروزى أبى عبد الله الخزاعى (ت 228 هـ) وهو أشهر مصنف فى هذا الباب إلا أنه ملىء بالأحاديث الضعيفة؛ لذا فهو يحتاج إلى تحقيق وتنقيح[1].

2. كتاب السنن الواردة فى الفتن، لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى (ت 444هـ) ويعد مرجعاً رئيساً فى الفتن؛ إلا أنه أيضاً كالذى قبله لم يسلم من الضعيف والموضوع.

3. النهاية فى الفتن والملاحم، لأبى الفداء إسماعيل بن عمرو القرشى المعروف بابن كثير(ت 774 هـ) ويحتاج أيضاً إلى تنقيح.

4. الحصر والإشاعة فى أشراط الساعة، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت911 هـ) وهو كتاب قيم إلا أنه لم يسلم من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

5. إتحاف الجماعة بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة، للشيخ محمود بن عبد الله التويجرى –رحمه الله تعالى– وهو أيضاً لم يسلم كسابقه.

6. الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، للشيخ مصطفى العدوى وهو كتاب عظيم الفائدة؛ لأنه التزم الصحة إلا أنه يحتاج إلى ترتيب للأحاديث وشرح لها.

7. أشراط الساعة، للدكتور يوسف الوابل وهو رسالة ماجستير 1404هـ بقسم العقيدة جامعة أم القرى.

---

(1) ينظر الكلام على نعيم بن حماد صـ 33 من هذا المصنف.



8. **الإذاعة لما كان وما يكون بين يدى الساعة**، للسيد محمد صديق حسن.

وأخيرا وليس آخراً، فبين يديك أخى فى الله! ما تيسر جمعه حول فتن وملاحم وأشراط وأمارات آخر الزمان، ولما كان كل ما فى الكون لا يحدث إلا بمعونة رب العالمين **[إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ]** أحببت أن أعرف الحق لأهله فسميت هذا الكتاب "**عون الرحمن فى أشراط الساعة وفتن آخر الزمان**".

والله أسأل أن يتقبل منا هذا العمل، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

أبو أحمد

مصطفى بن محمد بن مصطفى



فصل تمهيدي

للتعريف بالفتن
وبعض التنبيهات الهامة التى تتعلق بها





تمهيد:

أولاً – المعنى اللغوى للفتن والملاحم والأمارات:

1. معنى الفتن:

قال العينى: الفتن: جمع فتنة، وهى المحنة، والفضيحة، والعذاب، ويقال: أصل الفتنة: الاختبار، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آئل إليه؛ كالكفر، والإثم، والفضيحة، والفجور، وغير ذلك[1] أهـ.

وقال الراغب: أصل الفتنة: إدخال الذهب فى النار لتظهر جودتهُ من رداءته[2] أهـ.

2. معنى الملاحم:

الملاحم: جمع ملحمة وهى الوقعة العظيمة القتل، وقيل: موضع القتال، والملحمة: الحرب ذات القتل الشديد، والوقعة العظيمة فى الفتنة.

وهى مأخوذةٌ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسُّدى، أومن اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها[3]، والمعنى الثانى أنسب وأقرب.

3. معنى الأمارات:

الأمارات: جمع أمارة، كعلامة وزنا ومعنى، تقول: أمارات القيامة: أى علامات القيامة[4].

4. معنى الأشراط:

---

(1) انظر كلامه فى عون المعبود شرح سنن أبى داود (303/11). وانظر لسان العرب مادة (فتن) ففى معناها فوائد جمَّة فراجعها.

(2) معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهانى صـ 385.

(3) لسان العرب مادة (لحم).

(4) عون المعبود (424/1).

الأشراط: جمع شرط، والشرَط: العلامة، وأشراط الساعة أعلامها ومنه قوله تعالى: **[فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا]** (محمد: 18)، وأشراط الشيء أوائله ومنه أشراط الساعة، والاشتقاقان متقاربان؛ لأن علامة الشيء أوله وقال البعض: أشراط الساعة: ما تكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة[1].

ثانياً – تنبيهات هامة[2]:

وقبل أن ندخل فى موضوع الكتاب لابد من سرد بعض التنبيهات الهامة كى تكون نبراساً ينير طريقنا فى رحلتنا مع الفتن والملاحم وأشراط الساعة، وهذه التنبيهات هى:

الأول: اعلم –رحمك الله– أن الملة المحمدية تنقسم إلى اعتقاديات وعمليات.

فالاعتقاديات[3] هى علم التوحيد، والصفات، وأصول الدين، وعمل القلب فيها التصديق وتسمى (أصلية). أما العمليات[4] فهى ما تعلق بكيفية العمل من الشرائع والأحكام، وتسمى (فرعية).

وعلم التوحيد هو: (العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية)؛ وعليه فمسائل الاعتقاد هى صلب الإسلام وأصله الأصيل، وبها يمتاز المؤمن من الكافر، وأصحاب الجنة من أصحاب الجحيم، إذا علمت هذا فلا تغتر بقول من خالف أهل السنة والجماعة فى عقائدهم وشذ عن إجماعهم مدعياً أن هذه مسائل نظرية لا يترتب عليها عمل ولا تهم المسلم فى قليل أو كثير[5].

---

(1) لسان العرب مادة شرط.

(2) هذه التنبيهات من التنبيه الأول إلى السابع مستفاد من كتاب: "المهدي" لفضيلة الشيخ الدكتور محمد إسماعيل المقدم –حفظه الله– صـ 17–25.

(3) من الاعتقاديات: إخبار النبى ε عن الغيوب المستقبلية؛ لقد أخبر النبى ε عما يكون إلى قيام الساعة، وذلك مما أطلعه الله عليه. والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جداً حتى بلغت حد التواتر المعنوى (انظر الشفا بتعريف أحوال المصطفى للقاضى عياض 650/1).

(4) من العمليات: الصلاة وكيفية أدائها، والصيام وأحكامه، والحج ومناسكه.

(5) انظر معجم المناهى اللفظية للشيخ بكر أبو زيد صـ 49.

الثانى: إن المسائل العلمية الخبرية مما ابتلى الله -تبارك وتعالى- به عباده ليمتحن إيمانهم، ويميز الخبيث من الطيب، والمصدق من المكذب.

فإن قيل: (بل لا تدخلوا هذه المداخل؛ فإن صحابة رسول الله ε لم يدخلوا فى شيء من هذه الأمور، وقد يسعكم ما وسعهم).

فالجواب: نعم كان يسعنا ما وسعهم ψ ما لم نُبتل بمن يثير الشبهات، ويشكك العوام فى دينهم ... ويسعنا ما وسعهم ψ لكن ليس بحضرتنا مثل الذى كان بحضرتهم، وقد ابتلينا بمن يطعن علينا، فلا يسعنا أن لا نعلم من المخطىء منا والمصيب[1].

الثالث: تنازع السلفُ فى كثير من مسائل الأحكام[2]، ولم يتنازعوا -بحمد الله- فى أصول التوحيد؛ بل أثبتوها، وصدَّقوا بها، بغير تأويل ولا تبديل، ولا تكذيب، فسُمُّوا أهل السنة والجماعة؛ خلافاً لأهل البدع والافتراق.

---

(1) نجد أن السلف تكلموا بعد عصر الصحابة فى أمور لم يتكلم فيها الصحابة، وكان هذا من باب التبيين والتوضيح والتعريف؛ لأنه لما ظهر أهل الأهواء والبدع وبدأوا يلقون الشبه على المسلمين برز لهم أهل السنة فتكلموا ووضحوا وبينوا أموراً كان الصحابة رضوان الله عليهم بمنأىً عنها؛ لأن هذه الأهواء والفتن والشبه لم تظهر فى عهدهم.

فلا يصح أن يقال فى هذه الأمور: يسعنا ما وسع الصحابة؛ لأن هذه الأمور لم تظهر فى عهد الصحابة فمثلاً: لما ظهرت فتنة القول بخلق القرآن وكان قبلها أهل السنة يقولون: "القرآن كلام الله" قال أهل السنة وقتها: "**القرآن كلام الله غير مخلوق**" فتجد أن أهل السنة زادوا لفظة غير مخلوق؛ ليميزوا عقيدة أهل السنة. لذا لما جاء رجل وقال للإمام أحمد: أيسعنى أن أقول: القرآن كلام الله وأسكت قال: أما بعد أن تكلم الناس فلا.

وهذا النص من الإمام أحمد يؤكد لنا أنه مع تزاحم الفتن وكثرة أهل الباطل وجب على المرء أن يتكلم بما يوضح اعتقاده، فلعل المرء يقول كلاماً مجملاً ويحمل فى صدره كفراً بواحاً؛ لذا كان حتماً على المرء أن يتكلم بما يوضح مكنون صدره.

(2) كاختلافهم فى كثير من مسائل الميراث؛ كاختلاف أبى بكر وعمر وعلى وزيد فى الجد مع الأم، وقول عمر وعلى فى أمهات الأولاد، وخلافهم فى الفريضة المشتركة، وكاختلافهم فى بعض مسائل النكاح والطهارة والبيوع.

ذلك أن الخلاف فى الفروع دائر بين الخطأ والصواب، وصاحبه المجتهد دائر بين الأجر مع العذر، وبين الأجرين مع الشكر[1]؛ أما الخلاف فى أصول الدين فدائر بين الحق والضلال، وصاحبه دائر بين الكفر والإيمان، وبين الهلاك والنجاة، ولا سبيل إليها إلا باتباع مذهب السلف؛ والمراد بمذهب السلف فى العقائد ما كان عليه الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأئمة الدين ممن شهدت لهم الأمة الوسط بالإمامة، وعُرف عِظم شأنهم فى الدين، وتلقى الناسُ كلامهم خَلَفٌ عن سلف، دون من رُمِى ببدعة، أو اشْتُهِرَ بلقب غير مَرْضِى؛ مثل الخوارج[2]، والشيعة[3]، والقدرية[4]، والمرجئة[5].

---

(1) إشارة إلى حديث: **(إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجرٌ)** متفق عليه؛ أخرجه البخارى (7352)، ومسلم (1716) من حديث عمرو بن العاص وأبى هريرة وأبى سلمة ψ.

(2) الخوارج: فرقة خرجت على على τ ويلقبون بالحرورية نسبة إلى حروراء قريه قريبة من الكوفة بالعراق ويلقبون أيضا بالنواصب المارقة والشراة والبغاة، وهم الذين يكفرون أصحاب الكبائر ويقولون: إنهم مخلدون فى النار، ويكفرون عثمان وعلياً وطلحة والزبير ψ (انظر: الفصل فى الملل والأهواء والنحل (132/2)، والمقالات (86/1)، وفرق معاصرة (63/1–123)، وأصول وتاريخ الفرق الإسلامية للمؤلف (83–152).

(3) الشيعة: أصل نشأتهم: أنهم يقدمون عليا على عثمان رضى الله عنهما ويفضلون أبا بكر وعمر على من سواهم، ثم بعد ذلك تفرقوا وتشيعوا وكفروا أبا بكرٍ وعمر وابنتيهما والعباس وابن العباس وجمهور الصحابة إلا سبعة ψ أجمعين. ولهم عقائد تخالف أهل السنة؛ منهم من يقول بالعصمة، والإمامة، والوصية، والرجعة، والغيبة، والبداء، وكان مؤسس هذه العقائد الباطلة هو عبد الله بن سبأ اليهودى ذلك الرجل الذى أضمر فى قلبه كل حقد للإسلام والمسلمين.

ومن فرقهم: الاثنا عشرية، والإسماعيلية، والزيدية.

ومن ألقابهم: الروافض، الاثنا عشرية، الجعفرية، القطعية، الإمامية وهذه الفرقة هى أخطر الفرق على الإسلام والمسلمين (انظر أصول وتاريخ الفرق الإسلامية صـ153–410).

(4) القدرية: اسم من أسماء المعتزلة أطلقه عليهم المسلمون؛ لأنهم زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم وأنه ليس لله عز وجل فى أكسابهم وفى أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير (انظر الفرق بين الفرق صـ94، وأول الفرق الإسلامية صـ286).

(5) المرجئة: من أوائل الفرق التى تنتسب إلى الإسلام فى الظهور، من أخطر مخالفاتهم لأهل السنة



الرابع: ومنشأ فساد الأمم والأديان إنما هو تقديم الرأى على الوحى، والهوى على الشرع، والعقل على النقل، وما استحكمت فى أمة إلا تم خرابها.

فأصل ضلال الفرق أنهم يبتدعون أصولاً توافق أهواءهم، ثم يقدمونها على النصوص الصريحة، فيتحكمون بها فى الأدلة النقلية، وقد أُمِروا أن يتحاكموا إليها، أما الأحاديث فيكذِّبونها، وأما الآيات فيؤوِّلونها، ويحرفونها عن مواضعها.

الخامس: من لم يُسَلِّمْ للمنقول، وقابله بالرد المعقول، فهو ضالٌ مخبول.

قال الطحاوى –رحمه الله–: "ما سَلِمَ فى دينه إلا من سَلَّمَ لله –عَزَّ وَجَلَّ–، ولرسوله ε، ورَدَّ علم ما اشتبه عليه إلى عالِمِهِ"[1]، وهذا هو ما سلكه السلف الصالح ψ، ومن لا يسلكْ سبيلهم فإنما يتكلم برأيه، ومن يتكلمْ برأيه، وما يظنُّه دينَ الله –عَزَّ وَجَلَّ–، ولم يتَلَقَّ ذلك من الكتاب والسنة؛ فهو مأثوم، وإن أصاب الحق؛ ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور، وإن أخطأ، لكن إن أصاب يضاعف أجره، [2] وقال الطحاوى أيضًا: "ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حُظِر عنه عِلْمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مَرامه عن خالص التوحيد، وصافى المعرفة، وصحيح الإيمان"[3]. أهـ.

= ________________________

قولهم فى حقيقة الإيمان وأنه مجرد ما فى القلب، ولا يضر مع الإيمان ذنب، وقولهم باعتقادات أخرى كالقول بأن الإنسان يخلق فعله، وأن الله لايرى فى الآخرة، والإمامة ليست واجبة، والكفر بالله هو الجهل به (انظر فرق معاصرة للعواجي2/743- 792، وأصول الفرق الإسلامية صـ525-625).

(1) متن العقيدة الطحاوية ص21.

(2) يشير إلى حديث: **(إذا أجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر)** تقدم تخريجه.

(3) تتمة كلام الطحاوى –رحمه الله–: فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوساً تائهاً شاكاً زائغاً، لا مؤمناً مصدقا، ولا جاحداً مكذباً (متن الطحاوية صـ 21).

وقال العلامة محمد حبيب الله الشنقيطى –رحمه الله–: هذه السمعيات التى صحت الأحاديث فيها ليس للمسلم السليم العقيدة إلا تصديقها، دون تزلزل فى العقيدة؛ إذ لا مجال للعقل عند أهل السنة إلا بقدر ماثبت من النقل، كما أشار إليه ابن عاصم فى (مرتقى الوصول إلى علم الأصول) بقوله: إذ

السادس: والفرقة الناجية هى التى تتبع مذهب السلف، وهى باقية إلى قيام الساعة.

لقوله ε وقد سئل عن صفتها: **(هى ما أنا عليه وأصحابي)**[1] وقوله ε: **(لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة)**[2]، وعن ابن مسعود τ قال: "الجماعة ما =

ليس للعقل مجال فى النظر إلا بقدر ما من النقل ظهر أهـ (فتح المنعم 174/2).

(1) أخرج هذه اللفظة من حديث عبد الله بن عمرو: الترمذى (2641)، والخطيب فى المشكاة (171)، وابن الجزرى فى جامع الأصول (7491)، والسيوطى فى جامعه (19233)، وفى جمع الجوامع (1041) قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه.

قلت وطرف الحديث: **(ليأتين على امتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل ... وإن بنى إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملَّة، وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين ملَّة كلهم فى النار إلا ملة واحدة** قالوا: ومن هى يا رسول الله ؟ قال: **ما أنا عليه وأصحابي)**. والحديث بهذا اللفظ ضعفه بعض أهل العلم؛ لأجل عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى وهو ضعيف من جهة حفظه. ووثقه بعض أهل العلم. والحديث حسنه الألبانى فى تعليقه على الترمذى، وفى الصحيحة (1348) وفى تعليقه على المشكاة (171) التحقيق الثانى. أهـ.

قال الكتانى فى نظم المتناثر (47/1) فى تعليقه على حديث ابن عمرو وغيره: " فهذا حديث كما ترى وارد من عدة طرق بألفاظ مختلفة وله ألفاظ أخر، وقد أخرجه الحاكم من عدة طرق وقال: هذه أسانيد تقوم بها الحجة، وقال الزين العراقى: أسانيده جياد، وفى فيض القدير أن السيوطى عده من المتواتر، ولم أره فى الأزهار، وفى شرح عقيدة السفارينى ما نصه: " وأما الحديث الذى أخبر النبى ε **(أن أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، واحدة فى الجنة، واثنتان وسبعون فى النار)** فروى من حديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وسعد بن أبى وقاص، وابن عمر، وأبى الدرداء، ومعاوية، وابن عباس، وجابر، وأبى أمامة، وواثلة، وعوف بن مالك، وعمرو بن عوف المزنى ... أهـ.

قلت: وورد أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو، وأبى هريرة، وأنس بن مالك ψ جميعاً. وقد أفرد شيخنا خالد بن عبد الكريم حفظه الله بحثاً أسماه "شحذ الهمة بتخريج حديث افتراق الأمة" جمع فيه ما تيسر له جمعه من طرق الحديث وهو مطبوع فى ذيل كتاب "أصول وتاريخ الفرق الإسلامية" الطبعة الأولى.

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (7311 و3640) عن المغيرة بن شعبة، (3641) عن معاوية، وأخرجه مسلم (1920) عن ثوبان، (1921) عن المغيرة ψ جميعاً. وهو حديث صحيح مستفيض عن

وافق الحق، وإن كنت وحدك" قال نعيم بن حماد: يعنى إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك؛ فإنك أنت الجماعة حينئذٍ[1].

وعن سفيان الثورى قال: "لو أن فقيها على رأس جبل، لكان هو الجماعة"[2].

والفرقة الناجية فى هذه الأزمان ليست هى السواد الأعظم؛ لأن كثرة العدد لا تأثير لها فى ميزان الحق؛ قال تعالى: **[وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ]** (يوسف: 103)، وقال تعالى: **[وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ]** (الأنعام: 116).

وقال ε: **(وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون فى النار، وواحدة فى الجنة)**[3].

ولا تقتصر الفرقة الناجية على الصحابة ψ؛ وإن كانوا خير أمة أخرجت للناس، وهم الأسوة لمن بعدهم، وهم أفضل القرون، وهم الفرقة الناجية فى عصرهم، أما بعدهم، فهى موجودة فى طائفة غيرهم؛ لقوله ε: **(لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة)**[4].

وقد رجح كثير من الأئمة تعريف الفرقة الناجية بأنهم: أهل الحديث، وأصحاب الأثر؛ وما ذاك إلا لأنهم أقرب الناس إلى تحقيق ما كان عليه السلف؛ واتّباعهم لهم ψ.

= جماعة من الصحابة ψ، رواه الإمام أحمد، والشيخان من طريق معاوية، والمغيرة بن شعبة، ومسلم، والترمذى، وابن ماجة، وأحمد وأبو داود والحاكم من طريق ثوبان، ومسلم من طريق عقبة بن نافع، وعن أبى أمامة فى المسند، وفيه وفى أبى داود والحاكم من طريق عمران بن حصين، وفى المستدرك – أيضاً – من طريق عمر بن الخطاب τ.

(1) أخرج أثر ابن مسعود وكلام نعيم بن حماد ابن عساكر فى تاريخه (409/46)، والمزى فى تهذيب الكمال (264/22) وذكره أبو شامة فى الباعث على إنكار البدع والحوادث (صـ 21) وعزاه للبيهقى فى المدخل.

(2) شرح السنة (279/1).

(3) تقدم تخريجه قبل ثلاثة أحاديث.

(4) تقدم تخريجه.

قال عبد الله بن المبارك فى حديث: "لاتزال طائفة": "هم عندى أصحاب الحديث". وقال على بن المدينى: "هم أصحاب الحديث". وقال أحمد بن حنبل: "إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث، فلا أدرى من هم". وقال الإمام محمد بن إسماعيل البخارى فى نفس الحديث: "يعنى أصحاب الحديث". وقال أحمد بن سنان: "هم أهل العلم وأصحاب الأثر"[1].

وقال الأمام أبو المظفر منصور بن محمد السمعانى -رحمه الله-: لما سئل النبى ε عن الفرقة الناجية قال: **(ما أنا عليه وأصحابي)**[2]، فلا بد من تعرف ما كان عليه الرسول ε وأصحابه، وليس طريق معرفته إلا النقل، فيجب الرجوع إلى ذلك، وقد قال النبى ε: **(لاتنازعوا الأمر أهله)**[3] فكما يرجع فى مذاهب الفقهاء الذين صاروا قدوة فى هذة الأمة إلى أهل الفقه، ويرجع فى معرفة اللغة إلى أهل اللغة، وفى النحو إلى أهل النحو، كذا يرجع فى معرفة ما كان عليه رسول الله ε، وأصحابه إلى أهل الرواية والنقل؛ لأنهم عُنُوا بهذا الشأن، واشتغلوا بحفظه، والفحص عنه ونقله ولولاهم لاندرس علم سنة النبى ε، ولم يقف أحد على هديه وطريقته ε. فإن قيل: فقد كثرت الآثار فى أيدى الناس، واختلطت عليهم. فالجواب أن نقول: ما اختلطت إلا على الجاهلين بها، فأما العلماء بها فإنهم ينتقدونها انتقاد الجهابذة الدراهمَ والدنانيرَ، فيميزون زيوفها، ويأخذون خيارها، ولئن دخل فى أغمار الرواة من وسم بالغلط فى الأحاديث، فلا يروج ذلك على جهابذة أصحاب الحديث، وورثة العلماء، حتى إنهم عدوا أغاليط من غلط فى الإسناد والمتون، بل تراهم يعدون على كل واحد منهم فى كم حديث غلط؟ وفى كم حرف حَرَّف؟ وماذا صحَّف ؟ أهـ[4].

---

(1) انظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى صـ 25-27.

(2) تقدم تخريجه.

(3) متفق عليه؛ وأصل الحديث، رواه البخارى (7055 و7056 و7199 و7200)، ومسلم (1709) من حديث عبادة بن الصامت τ قال: بايعنا رسول الله ε على السمع والطاعة فى العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله.

(4) نقله عنه ابن القيم -رحمه الله- فى مختصر الصواعق المرسلة (410/2) بتصرف يسير.



السابع: كل حديث صح إسناده إلى النبى ε فالإيمان به واجب على كل مسلم.

وذلك من تحقيق الشهادة بأن محمداً ε رسول الله، وقد قال النبى ε: **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بى وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم، وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله)**[1].

وقال الموفق أبو محمد المقدسى فى لمعة الاعتقاد: "ويجب الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ε، وصح به النقل عنه فيما شهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء فى ذلك ما عقلناه، وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه؛ مثل حديث الإسراء والمعراج، ومن ذلك أشراط الساعة؛ مثل خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم –عليه السلام–، فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل"[2] أهـ.

الثامن: ليس التواتر فى الإخبار عن المغيبات شرطاً لوجوب الإيمان بها كما قد زعم أهل البدع ومن تبعهم.

بل كل ما صح سنده إلى النبى ε فالإيمان به واجب سواء كان متواتراً أو أحاداً وهذا قول أهل السنة والجماعة.

فالذين لا يأخذون بخبر الواحد فى العقيدة يلزمهم أن يردوا كثيراً من العقائد التى ثبتت بأحاديث الآحاد ومنها[3]:

1. أفضلية نبينا محمد ε على جميع الأنبياء والمرسلين.
2. شفاعته العظمى فى الموقف.

---

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (392 و1399 و6924)، ومسلم (20) عن أبى هريرة τ.

(2) شرح لمعة الاعتقاد (صـ 74) شرح العثيمين ط دار البصيرة. وسيأتى –إن شاء الله– بيان أشراط الساعة بعد.

(3) انظر رسالة وجوب الأخذ بحديث الآحاد فى العقيدة للألبانى (صـ 36–39) وكتاب العقيدة فى الله لعمر الأشقر (صـ 45– 55).



3. شفاعته لأهل الكبائر من أمته.

4. معجزاته كلها ماعدا القرآن.

5. كيفية بدأ الخلق، وصفة الملائكة والجن، وصفة الجنة والنار مما لم يذكر فى القرآن.

6. سؤال منكر ونكير فى القبر، وضغطة القبر.

7. الصراط، والحوض، والميزان ذو الكفتين.

8. الإيمان بمجموع أشراط الساعة كخروج المهدى، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج الدجال، وخروج النار، وطلوع الشمس من مغربها، والدابة، وغير ذلك.

ثم إنه ليست أدلة جميع هذه العقائد التى قالوا هى ثابتة بخبر الآحاد، ليست أدلتها أحاديث آحاد، بل منها ما دليله أحاديث متواترة، ولكن قلة علم هؤلاء المنكرين لحجية خبر الآحاد جعلهم يردون كل هذه العقائد وغيرها التى جاءت بها الأحاديث الصحيحة[1].

---

(1) هذه المسألة لها صلة وثيقة بموضوع أشراط الساعة ذلك أن أكثر الأشراط جاء ذكرها فى أحاديث آحاد.

واعلم أن الخبر ينقسم باعتبار وصوله إلينا إلى متواتر وآحاد:

فالمتواتر: هو ما رواه جمع عن جمع يستحيل فى العادة تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى آخره.

والآحاد: هو ما سوى المتواتر. انظر: تيسير مصطلح الحديث للطحان صـ 17.

وقد ذهب بعض أهل الكلام والأصوليين إلى أن خبر الأحاد لا تثبت به عقيدة وإنما يثبت بالدليل القطعى آيةً أو حديثاً متواتراً عن رسول الله ε. انظر: "الحديث حجة بنفسه فى العقائد والأحكام"، وكتاب "وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد فى العقيدة" كلاهما للألبانى –رحمه الله–.

يقول الشيخ محمود شلتوت فى الفتاوى صـ 62: "وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن المغيبات !!"، وانظر كتاب الإسلام عقيدة وشريعة.

وهذا القول مردود على قائله؛ فإن الحديث إذا ثبتت صحته برواية الثقات ووصل إلينا بطريق صحيح؛ فإنه يجب الإيمان به وتصديقه سواء كان متواتراً أو آحاداً، وأنه يوجب العلم اليقينى وهذا هو مذهب علماء سلفنا الصالح.



ودل على قبول خبر الآحاد الكتابُ، والسنةُ، وعملُ الصحابة، وأقوال أهل العلم.

أولاً – أدلة القرآن:

1. قال تعالى: **[يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ...]** (الحجرات: 6).

دلالة الآية: الآية دلت على قبول خبر الواحد العدل من غير توقف.

2. قال تعالى: **[وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ]** (التوبة: 122).

دلالة الآية: دل منطوق الآية على قبول خبر الواحد؛ لأن طائفة تقع على الواحد فصاعداً.

3. قال تعالى: **[إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ]** (البقرة: 159).

دلالة الآية: قال القرطبى فى تفسيره فيه دليل على وجوب العمل بقول الواحد؛ لأنه لا يجب عليه البيان، ألا وقد وجب قبول قوله وقال: **[إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ]** فحكم بوقوع البيان بخبرهم أهـ (انظر تفسير القرطبى).

4. قال تعالى: **[وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا]** (الأحزاب: 34).

دلالة الآية: قال القرطبى: وهذا يدل على قبول خبر الواحد من الرجال والنساء فى الدين.

ثانيًا– أدلة السنة:

1. حديث ابن عباس –رضى الله عنهما– أن رسول الله ε لما بعث معاذاً τ على اليمن فقال: **(ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله؛ فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة؛ فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم)** متفق عليه. أخرجه البخارى (1395 و1458 و1496 و7372) وأخرجه مسلم (19) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

دلالة الحديث: أن رسول الله ε أمره أن يبلغهم عقيدة التوحيد، وأن يعرفهم بالله عز وجل وما يجب له وما ينزه عنه فإن أجابوا أمرهم بالصلاة ... ثم الزكاة. يفعل ذلك كله وهو واحد فدل هذا على قبول خبر الواحد العدل.

2. حديث إرسال النبى ε أبا عبيدة إلى أهل نجران كما عند البخارى (7254 و4380 و4381) عن حذيفة τ.

دلالة الحديث: أن النبى ε أرسل مع أهل نجران أبا عبيدة ليعلمهم الإسلام وقد كان وحده، وغير هذا من الأحاديث الثابتة التى تدل على قبول خبر الواحد وانظر صحيح البخارى كتاب أخبار الآحاد (244/13–260 فتح ط السلفية).



التاسع: عامة أحاديث الفتن ضعيفة[1].

يقول الخطيب البغدادى ... أحاديث الملاحم وما يكون من الحوادث، فإن أكثرها موضوعٌ وجُلها مصنوعٌ ...

= ــ

ثالثًا – عمل الصحابة ψ:

لما حولت القبلة إلى الكعبة خرج رجل ممن صلى مع النبى ε فمر على أهل قباء وهم يصلون، فقال: "إن رسول الله ε قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة ألا فاستقبلوها فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة" أخرجه البخارى (4493 و4494 و7252) ومسلم (526) عن ابن عمر رضى الله عنهما وأخرجه مسلم فى نفس الباب عن البراء (525)، وعن أنس (527).

قال النووى: فيه قبول خبر الواحد [شرح النووى لمسلم (525)].

قال الخطابى: فيه دليل على وجوب قبول أخبار الآحاد [انظر إتحاف الجماعة بما جاء فى الفتن والملاحم، وأشراط الساعة للتويجرى (207/1)].

رابعًا – كلام أهل العلم:

قال ابن حجر: قد شاع فاشياً عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد من غير نكير، فاقتضى الاتفاق منهم على القبول أ.هـ (فتح البارى 13/ 247 ط السلفية) وانظر كلام ابن حجر فى شرح أحاديث كتاب أخبار الآحاد من صحيح البخارى (244/13–258).

قال ابن أبى العز: خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقينى عند جماهير الأمة وهو أحد قسمى المتواتر ولم يكن بين سلف الأمة فى ذلك نزاع. أهـ (انظر الطحاوية صـ 355 بتخريج الأحاديث للألباني).

وقال العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى –عليه رحمة الله–: اعلم أن التحقيق الذى لا يجوز العدول عنه أن أخبار الآحاد الصحيحة كما تقبل فى الفروع تقبل فى الأصول، فما ثبت عن النبى ε بأسانيد صحيحة من صفات الله يجب إثباته واعتقاده على الوجه اللائق بكمال الله وجلاله على نحو: **[لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ]** (الشورى: 11).

وبهذا تعلم أن ما أطبق عليه أهل الكلام ومن تبعهم من أن أخبار الآحاد لا تقبل فى العقائد، ولا يثبت بها شيء من صفات الله زاعمين أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين، وأن العقائد لابد فيها من اليقين؛ باطل لا يعول عليه ويكفى من ظهور بطلانه أنه يستلزم رد الروايات الصحيحة الثابتة عن النبى ε بمجرد تحكيم العقل أهـ (مذكرة أصول الفقه على روضه الناظر صـ 183 ط. دار اليقين).

(1) انظر كشف المكنون فى الرد على كتاب (هرمجدون) لأبى عبد الله مازن بن محمد السرساوى صـ 18–19.



وأسند عن الإمام أحمد قوله: "ثلاثة كتب ليس لها أصول؛ المغازى، والملاحم، والتفسير".

قال الخطيب: هذا الكلام محمول على وجه، وهو أن المراد به كتب مخصوصة فى المعانى الثلاثة غير معتمد عليها، ولا موثوق بصحتها، لسوء أحوال مصنفيها، وعدم عدالة ناقليها، وزيادات القصاص فيها. أهـ[1]

قال ابن حجر: بعد إيراده كلمة الإمام أحمد: "قلت: وينبغى أن يضاف إليها الفضائل فهذه أودية الأحاديث الضعيفة والموضوعة". أهـ[2]

العاشر: احذر من العابثين بأشراط الساعة!

فكثير من هؤلاء يستخفون بعقول الجماهير المسلمة التى أحسنت الظن بهم واغترت بدراسات بعضهم العليا فى الدعوة –كما يَدَّعُون– ولم يقع يوماً فى خَلَدها أن هؤلاء يتاجرون بعواطفهم ومعتقداتهم؛ شأنهم فى ذلك شأن القصاص الذين ابتلى الله بهم الإسلام وأهله.

قال الخطيب البغدادى: وباعث القصاص على ذلك معرفتهم نقص العوام وجهلهم، ولو صدقوا الله فيما يلقونه إليهم لكان خيراً لهم[3].

---

(1) انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (159/2).

(2) لسان الميزان (92/1).

(3) انظر كلامه فى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (167/2).

وقال الخطيب: وقد نطق بلسانهم [القصاص] وأبان عن مذهبهم ذلك الرجل المسمى بالعتَّابى وما أدراك ما العتَّابى ؟! إن له حديثاً عجباً.

عن علاَّن الوراق قال: رأيت العتَّابى يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام؛ فقلت له: ويحك! أما تستحي؟! فقال لى: لو كنا فى دار فيها بقر أكنت تحتشم أن تأكل وهى تراك؟ فقلت: لا، قال فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر، ثم قام فوعظ، وقص ودعا حتى كثُر الزحام عليه ثم قال لهم: روى لنا من غير وجه: "أن من بلغ لسانُه أرنبةَ أنفه لم يدخل النار".

قال: "فما بقى منهم أحدٌ إلا أخرج لسانه، يومئ به نحو أرنبته ويقدُره هل يبلُغُها ؟ فلما تفرقوا؛ قال



بعض مظاهر العبث بأشراط الساعة[1]:

يتخذ العبث بأشراط الساعة مظاهر عدة، ويتجلى فى عدة مجالات منها:

1. **تكذيب النصوص الصحيحة**، وزعم أنها موضوعة.

2. **إبطال معانى الأحاديث الصحيحة بالتأويل الفاسد.**

3. **الخوض بغير علم فى قضية تحديد عمر الأمة[2].**

4. **الغلو فى محاولة مطابقة ما ورد فى النصوص على وقائع، وأحداث معينة، أو على أشخاص معينين رجماً بالغيب.**

5. **محاولة توظيف النصوص لخدمة مآربهم، والتعسف فى تفسيرها بما يتوافق مع أغراضهم.**

6. **الاستدلال بما لا يصلح أن يكون دليلاً**، كالإسرائيليات القديمة والحديثة، والأحاديث الضعيفة والموضوعة، ومرويات الرافضة وغلاة الصوفية، وحساب الجمل وما يسمى علم الحروف.

وهذا الأمر يحتاج إلى مزيد بيان وتفصيل:

فبالنسبة للاستدلال بالإسرائيليات[3]:

=

لى العتَّابى: ألم أخبرك أنهم بقرٌ" أ هـ. [الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (2/167-168)].

فهؤلاء الذين يستخفون بعقول العامة من المسلمين وإن لم يُصرحوا بما صرح به العتابى؛ فإن لسان حالهم يقول أشد مما قاله العتَّابى.

(1) هذه المظاهر منقولة من كتاب فقه أشراط الساعة لمحمد بن إسماعيل المقدم (صـ 115-219) بتصرف واختصار شديدين.

(2) كما فعل صاحب كتاب هرمجدون وآخر بيان يا أمة الإسلام.

(3) الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بنى إسرائيل، والنسبة فى مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافى، لا لصدره، وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام، أى: عبد الله، وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب عليه السلام، ومن تناسلوا منهم فيما بعد إلى عهد موسى عليه السلام، ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد عيسى عليه السلام، وحتى عهد نبينا محمد ε. (وانظر: الإسرائيليات، والموضوعات فى



تمتلئ كتب **العابثين بأشراط الساعة** بعشرات الأخبار الإسرائيلية المنقولة عن كتب اليهود والنصارى، وقد فصل العلماء الموقف من هذه الإسرائيليات، وبينوا أنها على ثلاثة أقسام[1]:

القسم الأول: ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن والسنة، والقرآن هو الكتاب المهيمن، والشاهد على الكتب السماوية قبله، فما وافقه فهو حق وصدق، وما خالفه فهو باطل وكذب.

وهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غُنيَةٌ عنه، ولكن يجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم[2].

القسم الثانى: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه، وذلك مثل ما ذكروه فى قصص الأنبياء، من أخبار تطعن فى عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كقصة يوسف، وداود، وسليمان، ومثل ما ذكروه فى توراتهم: من أن الذبيح إسحاق، لا إسماعيل.

فهذا القسم لا تجوز روايته ولا ذكره إلا مقترناً ببيان كذبه، وأنه مما حرفوه، وبدلوه،

= كتب التفسير صـ 21).

(1) انظر: التفسير والمفسرون (1/165-183)، والإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير (صـ 150-156).

(2) وذلك مثل ما ذكر فى صاحب موسى عليه السلام، وأنه الخِضرُ فقد ورد ذكره فى الحديث الصحيح من قوله ε: **(إن الغلام الذى قتله الخضر طبع كافراً)** أخرجه مسلم (2661)، ومثل ما يتعلق بالبشارة بالنبى ε، وبرسالته، وأن التوحيد هو دين جميع الأنبياء، مما غفلوا عن تحريفه، أو حرفوه ولكن بقى شعاع منه يدل على الحق.

وفى هذا القسم: ورد قوله ε: **(بلغوا عنى ولو آية، وحدثوا عنى بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)**، أخرجه البخارى (3461) عن عبد الله بن عمرو τ.

قال الحافظ ابن حجر: "أى: لا ضيق عليكم فى الحديث عنه؛ لأنه كان تقدم منه ε الزجرُ من الأخذ عنهم، والنظر فى كتبهم، ثم حصل التوسع فى ذلك، وكان النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية، والقواعد الدينية، خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن فى ذلك لما فى سماع الأخبار التى كانت فى زمنهم من الاعتبار" (فتح البارى 6/575 ط السلفية).

قال تعالى: **[يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ]** (المائدة: 41)[1].

---

(1) وفى هذا القسم: ورد النهى عن النبى ε للصحابة عن روايته، والزجر عن أخذه عنهم، وسؤالهم عنه، قال: الإمام مالك –رحمه الله– فى حديث: **(حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج)**: المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن: أما ما عُلم كذبه فلا". (ذكره ابن حجر فى فتح البارى 575/6 ط السلفية).

ولعل هذا هو المراد من قول ابن عباس –رضى الله عنهما–: يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذى أُنزل على رسول الله ε أحدث الأخبار بالله، تقرءونه محضا لم يُشب ؟ وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله، وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: **[هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً]** (البقرة: 79)، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذى أُنزل عليكم. [أخرجه البخارى (2685 و7363)].

وقوله: أحدثُ الكتب: آخر الكتب السماوية نزولاً من عند الله –تعالي–، وفى رواية: "أحدث الأخبار بالله".

وقوله: لم يُشب: لم يُخلط بغيره قط؛ لأنه محفوظ من التبديل، والزيادة وفى رواية: "تقرءونه محضا لم يُشب".

عن خالد ابن عرفطة، قال: كنت جالساً عند عمر، إذ أتى برجل من عبد القيس، مسكنه بالسوس، فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدى ؟ قال: نعم، قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم، فضربه بقناة معه، فقال الرجل: ما لى يا أمير المؤمنين ؟! فقال له عمر: اجلس، فجلس، فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم **[الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ]** (يوسف: 1–3)، فقرأها عليه ثلاثاً، وضربه ثلاثاً، فقال الرجل: ما لى يا أمير المؤمنين؟! قال: أنت الذى نسخت كتاب دانيال ؟ قال مُرنى بأمرك أتبعه، قال: انطلق فامحه بالحميم، والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه، ولا تُقرئه أحداً من الناس، فلئن بلغنى عنك أنك قرأته، أو أقرأته أحداً من الناس، لأُنهكنك عقوبة، ثم قال: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت به فى أديم، فقال لى رسول الله ε: **(ما هذا فى يدك يا عمر ؟)**. قلت: يا رسول الله، كتابٌ نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا، فغضب رسول الله ε حتى أحمرت وجنتاه، ثم نُودى بـ (الصلاةُ جامعة)، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم ؟ السلاحَ السلاحَ، فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ε، فقال: **(يأيها الناس إنى قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختصر لى اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية، فلا تهوكوا، ولا يغرنكم المتهوكون)** قال عمر: فقمت، فقلت: (رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبك

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا ولا من ذاك، فلا نؤمن به، ولا نكذبه، لاحتمال أن يكون حقاً فنكذبه أو باطلاً فنصدقه، ويجوز حكايته لما تقدم من الإذن فى الرواية عنهم(1).

= رسولاً)، ثم نزل رسول الله ε. أخرجه ابن أبى حاتم (11324)، والخطيب البغدادى فى تقييد العلم، والضياء فى المختارة (215/1) (رقم 115)، وابن حجر فى المطالب العالية (614/12) (رقم 3034). قال ابن كثير فى تفسيره (2/ 2468): فيه عبد الرحمن بن إسحاق وقد ضعفوه، وشيخه. قال البخارى: لا يصح حديثه وقد روى له شاهد من وجه أخر، فروى الحافظ أبو بكر الإسماعيلى بسنده عن جبير بن نفير: أن رجلين كانا بحمص فى خلافة عمر τ، فأرسل إليهما فيمن أرسل من أهل حمص، وكانا قد اكتتبا من اليهود شيئاً فى صحيفة، فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين عمر، فلما قدما عليه قالا إنا بأرض أهل الكتاب، وإنا نسمع منهم كلاماً تقشعر منه جلودنا، أفنأخذ منه ونترك ؟ فقال سأحدثكما ... ثم ذكره قصته لما كتب شيئاً أعجبه من كلام اليهود، وقرأه عليه، فغضب الرسول ε، وصار يمحوه بريقه، ويقول: **(لا تتبعوا هؤلاء، فإنهم قد هوكوا، وتهوكوا)**، حتى محا آخره، حرفاً حرفاً، ثم قال عمر: (فلو علمت أنكما كتبتما منه شيئاً جعلتكما نكالاً لهذه الأمة) قالا: والله ما نكتب منه شيئاً، ثم خرجا بصحيفتيهما، فحفرا لها، وعمقا فى الحفر، ودفناها، فكان آخر العهد منها. أخرجه الطبرانى فى مسند الشاميين (1844)، وينظر تفسير ابن كثير (469/2).

ودانيال: هو آخر أنبياء بنى إسرائيل، والحميم: الماء الحار، الأديم: الجلد، المتهوكون: جمع المتهوك وهو الشاك، هوكوا وتهوكوا: شكوا وشككوا غيرهم.

(1) هذا القسم أكثر ما ورد فيه لا يترتب عليه فى شرعنا أثر أو عمل، ولا يترتب عليه فائدة تعين المسلم على أمر دينه. (وانظر كلام ابن تيميه فى كتابه مقدمة فى أصول التفسير ص17–20، وانظر نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعى 272/1–27).

ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة τ، قال "كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسر بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ε: **(لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم وقولوا: [آمَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ] ... الآية** (العنكبوت: 46))، أخرجه البخارى (7362).

ومع هذا: فالأولى عدم ذكره، وأن لا نضيع الوقت فى الاشتغال به. قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– ورد حديث أخرجه الإمام أحمد، وابن أبى شيبة والبزار من حديث جابر: أن عمر أتى النبى ε بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه، فغضب، وقال: **(لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذى نفسى بيده، لو أن**

أما الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة:

وهذه الآفة قاسم مشترك بين الخائضين بالظن فى أشراط الساعة، فهم يوردون الأحاديث الضعيفة والباطلة، ثم يؤسسون عليها توقعات وأحكاماً، متناسيين أن التفسير فرع التصحيح، ولو أعملنا قول بعض السلف: "أثبت العَرْشَ، ثم انقُش"؛ لطرح ذلك عن كاهلنا عبئاً ثقيلاً من هذه **المرويات** الباطلة، ولأرحنا واسترحنا من عناء الجواب عما يطرأ بسببها من إشكالات وتوقعات، ولعل أشهر كتاب يعتمد عليه القوم هو كتاب **(الفتن)** للحافظ نعيم بن حماد المروزى، وهو مختلف فيه بين أهل العلم[1]، والذى يترجح لدى =

موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)، ورجاله موثقون: إلا أن فى مجالدٍ -أحد رواته- ضعفاً. وأخرج البزار أيضاً، من طريق عبد الله بن ثابت الأنصارى: أن عمر نسخ صحيفة من التوراة، فقال رسول الله ع: **(لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء)**، وفى سنده جابر الجعفى، وهو ضعيف، واستعمله -يعنى البخاري- فى الترجمة لورود ما يشهد بصحته من الحديث الصحيح. فتح البارى 345/13 ط السلفية.

وقال ابن كثير -رحمه الله- مبيناً المقصود من قوله ع: **(وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج)**: إنه محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا ما يصدقها ولا ما يكذبها فيجوز روايتها للاعتبار وهذا هو الذى نستعمله فى كتابنا هذا، فأما ما شهد له شرعنا بالصدق، فلا حاجة بنا إليه، استغناءً بما عندنا، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود لا يجوز حكايته، إلا على سبيل الإنكار والإبطال.

فإذا كان الله -سبحانه وله الحمد- قد أغنانا برسولنا محمد ع عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما بأيديهم مما وقع فيه خبط وخلط، وكذب ووضع، وتحريف وتبديل، وبعد ذلك كله نسخٌ وتغيير ... وفى القرآن غُنيةٌ عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وُضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء، والسادة والأتقياء، والبررة والنجباء، من الجهابذة النقاد، والحفاظ الجياد، الذين دونوا الحديث وحرروه، وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه، من منكره وموضوعه، ومتروكه ومكذوبه، وعرفوا الوضاعين، والكذابين، والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانة للجناب النبوى والمقام المحمدى، خاتم الرسل وسيد البشر ع أن يُنسب إليه كذب، أو يُحدَّث عنه بما ليس منه، فرضى الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل. انظر: البداية والنهاية (1/6-8) مختصراً.

(1) انظر ترجمته فى: التاريخ الكبير، (100/8)، تاريخ بغداد (306/13)، ميزان الاعتدال



أكثرهم أنه ضعيف لا تقوم به حجة وحده، وقد روى البخارى عنه مقروناً، وعلق له، وقال عنه النسائى: قد كثر تفرده عن الأئمة المعروفين بأحاديث كثيرة فصار فى حد من لا يُحتج به وقال عنه مسلمة بن القاسم: له أحاديث منكرة فى الملاحم، انفرد بها، وقال الذهبي(1): "نُعيم من كبار أوعية العلم، لكن لا تركن النفس إلى رواياته، لا يجوز لأحد أن يحتج به، وقد صنف كتاب الفتن، فأتى به بعجائب ومناكير(2)".

= (270/267/4)، تهذيب التهذيب (458/10)، هدى السارى (ص447)، شذرات الذهب (67/2)، سير أعلام النبلاء (595/10-612).

(1) سير أعلام النبلاء (600/10-609).

(2) لمزيد من الإيضاح نذكر كلام أهل العلم فى حكم رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة:

قال الإمام مسلم -عليه رحمة الله-: واعلم -وفقك الله تعالي- أن الواجب على كل أحد يعرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها وثقات الناقلين لها، من المتهمين أن لا يروى منها إلا ما عرف صحة مخارجه والستارة فى ناقليه أهـ (مقدمة صحيح مسلم 60/1 ط دار الفكر).

قال ابن الصلاح: لا يحل رواية الحديث الموضوع فى أى باب من الأبواب إلا مقترنا ببيان أنه موضوع مكذوب، سواء فى ذلك ما يتعلق بالحلال والحرام، أو الفضائل، أو الترغيب والترهيب، أو القصص والتواريخ. أ هـ (علوم الحديث لابن الصلاح صـ 109).

ومن رواه من غير بيان وضعه مع علمه بأنه موضوع مكذوب، فقد باء بالإثم العظيم، وحشر نفسه فى عداد الكاذبين، وذلك لما رواه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده أن النبى ε قال: **(من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين)**. أهـ ذكره مسلم فى المقدمة 61/1 ط دار الفكر.

وحكم كثير من العلماء على من روى حديثاً موضوعاً -دون تنبيه إلى وضعه وتحذير الناس منه- بالتعزير والتأديب.

فقد قال البخارى فى حق أحد هؤلاء: "من حدث بهذا، استوجب الضرب الشديد، والحبس الطويل".

بل قال يحيى بن معين لما ذُكر له حديث سويد الأنبارى: (من عشق، وعف، وكتم، ثم مات؛ مات شهيداً)، قال: هو حلال الدم. أهـ. انظر: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير صـ29.

وقال ابن قدامه -رحمه الله-: "أما الأحاديث الموضوعة التى وضعتها الزنادقة، ليلبسوا بها على أهل الإسلام، أو الأحاديث الضعيفة -إما لضعف رواتها، أو جهالتهم، أو لعلة فيها- فلا يجوز أن يُقال بها، ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها". أهـ. ذم التأويل صـ 47.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فالواجب أن يُفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب، فإن السنة هى الحق دون الباطل، وهى الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة، فهذا أصل



أما الاستدلال ببعض مرويات الرافضة وغُلاة الصوفية كاعتماد بعضهم على كتاب (عنقاء مُغرب) لابن عربى الصوفى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالي–: وابن عربى فى كتاب [عنقاء مُغرب] وغيره أخبر بمستقبلات كثيرة، عامتها كذب[1].

– ومن ذلك ما زعمه المدعو محمد عيسى داود من أن علياً τ تلقى العلوم الظاهرة والباطنة من النبى ε[2]، وكذا الأسرار الغيبية المتعلقة بكل ما يحدث فى العالم حتى يوم القيامة ثم إن علياً لغز هذه العلوم بالرموز، والحروف المقطعة، والأشكال الخاصة، وادعى أن ذلك لا يطلع عليه إلا ورثة علم سيدنا على من آل البيت الشريف[3].

– وزعم أيضاً أن أهل البيت توارثوا كتاب (الجامعة)، وادعى أنه إملاء من رسول الله ε، وخط على τ[4].

– وادعى أيضاً حجية (الجفر) المزعوم[5]، وذكر استدلالات منه على إعادة بناء الهيكل اليهودي[6].

= عظيم لأهل الإسلام عموماً، ولمن يدعى السنة خصوصاً". أهـ. مجموع الفتاوى (380/3).

وقال أيضاً: "الاستدلال بما لا تُعلم صحته لا يجوز بالاتفاق؛ فإنه قول بلا علم وهو حرام بالكتاب والسنة والإجماع". أهـ. منهاج السنة النبوية (67/7–68)، وانظر: فقه أشراط الساعة صـ 163–166.

قلت: وخلاصة القول أن الحديث الضعيف لا تجوز رواياته مطلقاً إلا ببيان حاله.

وانظر مسألة العمل بالحديث الضعيف فى مقدمة صحيح الترغيب للشيخ الألبانى رحمه الله (47/1 وما بعدها) ط. المعارف.

(1) مجموع الفتاوى، (81/4).

(2) وهذا أحد مظاهر التزاوج بين الشيعة والصوفية، فلينتبه ذو العقل والبصيرة.

(3) المفاجأة، صـ 58–59. وقد نشر بداخل الكتاب دائرة فيها رموز وطلاسم، ورسوم غريبة أشبه ما تكون بما يرسمه الدجالون، وصناع الأحجبة.

(4) السابق صـ 56.

(5) السابق صـ 57.

(6) السابق صـ 316، وما بعدها.



7[1]. **تكلف بعضهم اصطناع هذه الأشراط**، وإيجادها فى الواقع عنوة، حتى إن من مُدعى المهدية من يغير اسمه واسم أبيه، أو يدعى الانتساب إلى آل البيت الشريف متناسين أن المنتظر تصنعه المهدية، لكنه لا يصنعها، ولا يصطنعها.

8. انعدام التوثيق العلمى: من أمثلة ذلك تلك الكتب التى صنفها محمد عيسى داود، وملأها بالخرافات والهذاءات، وشحنها بالروايات المكذوبة وجهر فى صراحة يُحسد عليها بميوله الشيعية[2]، واعتماده على مصادر الشيعة المزعومة، كالجفر، وغيره، ثم مارس الدجل (العلمي) –إن جاز التعبير– بإيهام القراء بأن هناك مخطوطات (بالجملة) هى مصدر معلوماته، ثم يحكى عن مصادره (الموثوقة) فى زعمه، وهى أحوج شيء إلى التوثيق أموراً يحتاج من يصدقها إلى أن يكون غبياً بدرجة كافية حتى تنطلى عليه.

يقول مثلا: تحت عنوان (نقطة على حرف) بعد أن أورد كثيراً من خيالاته[3] حول (المسيح الدجال): (قد يسأل قارئى الحبيب: وكيف اهتديت إلى كل هذه المعلومات بلا مصادر ؟

وأقول: بل هناك مصادر، (فالقراءة الواعية) ثم (استقراء الأحداث) و(رفع درجات حدة الحدس والاستبصار)، ثم (التدبير) و(التأمل) ثم يصف هذه (المصادر) بأنها: (جهاز استقبال) لخواطر يمكن أن يقف أمامها التحليل العلمى والفلسفة عاجزين.

وكثير من (فكري) (ومضات البرق) و(استنارات فجائية) إن لم أتداركها بالتسجيل أو التدوين تصبح بدداً بلا بقاء) أهـ[4].

ويفتخر محمد عيسى داود بحيازته مخطوطات عجيبة انفرد بها[5]، ويسوق فى

---

(1) **من مظاهر العبث بأشراط الساعة: ... .**

(2) انظر نماذج من غلوه فى على τ، وآل البيت ψ فى كتابه (المفاجأة صـ 32–56)، وانظر المظهر السادس من مظاهر العبث بأشراط الساعة.

(3) انظرها (صـ 132–140) من كتاب فقه أشراط الساعة.

(4) انظر احذروا المسيح الدجال يغزو العالم من مثلث برمودة (صـ 183).

(5) (المفاجأة صـ 305، 644) قد صرح ابن الهمام بعدم جواز النقل من غير الكتب المتداولة سواء

موضـع آخـر أثـراً ادعـى أنـه فـى بعـض المخطوطـات الإسـلامية الموجـودة فـى دار الكتابخانـة[1] بتركيا تحت مسمى أو تصنيف (3664/تراث المدينـة المنورة)، لعالم مدنى كـان يعـيش بالمدينـة المنـورة فـى القـرن الثالـث الهجـرى وهـو (كلـدة بـن زيـد بـن بركـة المدني[2])، بعنوان (أسمى المسالك لأيام المهدى الملك لكل الدنيا بأمر الله المالك).

ومما جاء فى هذا المخطوط المزعوم: (وحرب فى بلد أصغر من عجب الذنب، يجمع أهل الدنيا لها، كأنها أغنى بلد أولم عليها الوالمون، وأمير فيها سلم رايته لزعيمة الشر الآتية من الشواطيء البعيدة الغربية بداية آخر الزمن، فتجمع له صريخها من كل الدنيا، وترد له عرش الملك، ويخرب عراق فى ملاحم بداية آخر الزمن، ويحارب أمير الذنب الصغير جيوش المهدي)[3].

وفى نفس المرجع السابق فى مخطوط آخر من القرن الثالث الهجرى، لتابعى شامى، وجاء فى ذلك المخطوط (النادر): (وفى عراق الشام رجل متجبر .. و... سفيانى، فى إحدى عينيه كسل قليل، واسمه من الصدام، وهو صدام لمن يعارضه، الدنيا جمعت له فى (كوت) صغير، دخلها وهو مدهون، ولا خير فى السفيانى إلا بالإسلام، وهو خير وشر، والويل لخائن المهدى الأمين[4]).

= العلوم الأصلية والفرعية، انظر خواطر دينية (19/2).

(1) من المعلوم أن الكتبخانة موجودة فى تركيا، وتركيا تعج بمكتبات المخطوطات، والتى تبلغ حوالى 152 مكتبة حسب ما فصله الأستاذ فؤاد سركين فى تاريخ التراث العربى (36/1–36) وكما فى: كشف المكنون لأبى عبد الله مازن السرساوى صـ 60.

(2) هذا الرجل لا يعرف له اسم ولا لقب فى التاريخ، قال الشيخ –حفظه الله–: لم يخلق بعد إلا أن يكون شيطاناً أوحى إليهم".

(3) انظر المهدى المنتظر على الأبواب صـ 132.

(4) انظر المهدى المنتظر على الأبواب (صـ 216). ومما جاء فى (المخطوط) المزعوم: ما أورده ذلك المهتور (صـ 216): "رب آخر الزمن حرب كونية، المرة الثالثة بعد اثنين كبريين، يموت فيها خلائق كثيرة، الأولى أشعلها رجل كنيته السيد الكبير، وتنادى الدنيا باسم (هتلر) ....، وهذا مما أورده أبو هريرة وابن عباس وعلى بن أبى طالب ψ، وفى رواية: (خاف أن يحدث بها أبو هريرة، ولما أحس بالموت خاف أن يكتم علماً، فقال لمن حوله: فى نبإ علمته عما هو كائن فى حروب آخر الزمن، فقالوا: أخبرنا



وقد اقتفى أثر محمد عيسى داود صاحبُ كتاب "هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام" فقال فى مقدمة كتابه: كما ينبغى التنبيه على أن ثمة مخطوطات نادرة لم تطبع تحوى أضعاف الأحاديث المعروفة، سواء فى الكتب المشهورة والغير مشهورة، محفوظة فى المكتبات العالمية، كمخطوطات، منها ما هو موجود فى المكتبة العراقية الكبرى ببغداد، ومنها فى دار الكتابخانة باسطنبول بتركيا، وكذلك مكتبة التراث فى طنجة، ومنها فى مكتبة دار الكتب القديمة بالرباط، ومنها بمكتبة بحرة الشام، وهى دمشق، فى الجامع الأموى، هذا غير الكثير من المخطوطات الإسلامية النادرة الموجودة فى الفاتيكان، مكتبة

=

ولا بأس –جزاك الله خيراً–، فقال: فى عقود الهجرة بعد الألف وثلاث مئة، واعقدوا عقوداً، يرى ملك الروم أن حرب الدنيا كلها يجب أن تكون، فأراد الله له حرباً، ولم يذهب طويل زمن، عقد وعقد، فسلط رجل من بلاد اسمها (جِرمن) له اسم الهر، أراد أن يملك الدنيا، ويحارب الكل فى بلاد ثلج وخير، فأمسى فى غضب الله بعد سنوات نار، أرداه قتيلاً سرُّ الروش أو الروس.

وفى عقود الهجرة بعد الألف وثلاث مئة، عُد خمساً أو ستاً، يحكم مصر رجل يكنى (ناصر)، يدعوه العرب (شجاع العرب)، وأذله الله فى حرب وحرب، وما كان منصوراً، ويريد الله لمصر نصراً له حقا فى أحب شهوره، وهو له، فأرضى مصر رب البيت والعرب بأسمر سادا، أبوه أنور منه لكنه صالح لصوص المسجد الأقصى بالبلد الحزين، وفى عراق الشام رجل متجبر ... و... سفيانى ..." إلى أن يقول:

"وفى عقود الهجرة الألف وأربع مئة، واعقد اثنين أو ثلاثاً.. يخرج المهدى الأمين، ويحارب كل الكون، يجمعون له الضالون والمغضوب عليهم، والذين مردوا على النفاق فى بلاد الإسراء والمعراج، عند جبل مجدون، وتخرج له ملكة الدنيا والمكر، زانية اسمها (أمريكا)، تُراود العالم يومئذ فى الضلال والكفر، ويهود الدنيا يومئذ فى أعلى عليين، يملكون كل القدس والمدينة المقدسة" ... إلخ.

وقال –أيضاً–: وقد وقعت على نص توراتى فى سفر أشعياء الحقيقى، به تفاصيل أكثر أورده بلا تعليق، ففى نسخة الفاتيكان يقول النص:

"وجاءوا إلى سيناى، وحاربوا الملك المصرى الذى كان خاسراً فى مواجهتهم، وكل الخيانة كان خدعة نصر لإسرائيل.. وجاء ملك أسمر اللون، رأسه حاسر من الشعر، له أسود ونسور، فانتصر على إسرائيل، وكلمهم أن يكونوا أصدقاء، وسلام عم كل المصريين، ولكن ملكهم أسمر اللون أضحى شهيداً.." إلى أن قال: "وحراسه كانوا الذين اغتالوه، وكانوا شراراً وتجاراً".

ومن المعلوم أن اسم الرئيس السادات: محمد أنور؛ اسم مركب وليس أنور اسم أبيه كما يدعى ذلك المدعى.

البابا"[1].

ومن مغالطات هذا المقلد قوله: كما أن كثيراً من أحداث الفتن وملاحم آخر الزمان وردت فى أحاديث وآثار غير مشهورة، مثبتة فى مخطوطات وكتب ليست سهلة المنال، فكذلك حال الآثار التى بها توجيهات نبوية، ونصائح غالية تستبين بها سبيل النجاة، ولذلك خفيت على أكثر الناس قديماً وحديثاً، إلا من اختصه الله تعالى بعلمها، حتى يبثها وينشرها إذا جاء وقتها، وحان أوانها.

ومن مغالطات هذا المقلد قوله معلقاً على الأثر الذى ادعى أن أبا هريرة كان يكتمه ثم بثه: "وقد قلت فى (قبل البيان) إننى سأورد بعض الآثار العجيبة معزوة إلى مصادرها، منسوبة إلى قائليها، جاعلاً عهدتها على قائليها، ولولا أننى أقبلها ما أوردتها، ثم أضاف –إمعاناً فى المغالطة– أن أبا هريرة τ كان من أحفظ الصحابة لحديث رسول الله ε ... إلخ[2] وتجاهل أن عليه أن يثبت ابتداء صحة السند إلى أبى هريرة τ، لأننا لن نؤتى من صحابى قط، فالصحابة ψ كلهم عدول، وأبو هريرة τ من أعدلهم وأضبطهم.

وقد اعتمد هذا المقلد حسب ما قال على نبوءات لعراف غربى اسمه (نوستراداموس) وذكرانه تنبأ بأحداث 11 سبتمبر[3]، وذكر أن مصدر هذا العراف لم يكن الكهانة ولا

---

(1) (هرمجدون: آخر بيان يا أمة الإسلام، صـ 11)، ونقول تعليقاً على هذا (التهويش)، ما زدت على أن قلت: (فى المكتبات مخطوطات)، فكان ماذا ؟! وأين صور هذه المخطوطات، وأرقامها، وتوثيقها ؟!! خاصة، وأنها تتحدث عن أمور غيبية خطيرة ؟

(2) السابق صـ 40.

(3) **تنبيه هام:** نشرت مجلة (أون لاين) فى العدد (14) – نصف أكتوبر 2001م، مقالاً أنحت فيه باللائمة على وكالة (رويترز) للأنباء؛ لأنها التى نشرت شائعة تنبؤ (نوسترادتموس) بأحداث 11 سبتمبر، ونسبت إلى (جون هوج) أحد المتخصصين فى دراسة نبوءات (نوستراداموس) قوله: يبدو أن صحافى وكالة رويترز نسوا أبسط قواعد الصحافة المحترمة، ألا وهى التأكد من الحقائق قبل نشرها، الأمر الذى لم يفعله أحد، وقد دعا الوكالة الشهيرة إلى الاعتذار عن خطئها، وتكذيب ذلك الخبر فوراً.

وذكرت المجلة أن طالباً يدعى (نيل مارشال) كان قد صمم موقعاً له على شبكة الإنترنت باسم (التحليل النقدى لنوستراداموس) وقد نشر فيه عدداً من الرباعيات ونسبها إلى الفلكى الشهير،



العرافة وإنما اطلع على بعض المخطوطات الإسلامية التى ورثها من أجداده اليهود الذين كانوا أمناء لمكتبة المسجد الأقصى.

ومن العجب، ومع عبث هؤلاء بأشراط الساعة، وقولهم على الله بغير علم، نجدهم موقنين بهذه الأفكار، جازمين بها، حتى يقول أحدهم: (أستطيع أن أحلف –ولا أستثني– إن ملاحم آخر الزمان، والتى تبدأ بالحرب العالمية الثالثة والأخيرة هرمجدون قد كشرت عن أنيابها، وشمرت عن ساعديها، وكشفت عن ساقيها)[1] ويشكو من أنه لم يَسْلَمْ من (شغب الصبية)[2]، أى معارضيه، فهم يستقصرون أفهام مخالفيهم، ويسخرون ممن لا يتقبل خرافاتهم، ويشك فيها.

فهذا صاحب (أسرار الساعة) يصف المنكرين عليه بالمرجفين والمتشككين، ويقول: "لقد كان الواقع المعاصر والمُعاش شاهدَ إثبات على صحة كل ما ورد فى هذا الكتاب من روايات وأحاديث[3]، ولهذا تمكنت بتوفيق الله من إزاحة الستار عن أكثر الأسرار خطورة، إنها أسرار النهاية وقيام الساعة، لقد تفككت أمامى –وبكل سهولة– أقصر الرموز المستعصية فى روايات الفتن والملاحم وأشراط الساعة، لقد رأيت أمامى خيوط المؤامرة، وكشفت أبعادها السرية والعلنية، ولهذا سيجد القارئ فى هذا الكتاب تحديد الزمان والمكان للملاحم، ويجد أسماء بعض قادة الفتن فى آخر الزمان وزعماء آخرين، والجميع قادة

=

وحرص على أن يجعلها ذات لغة مراوغة ليسخر من فكرة التنبوء بالمستقبل، ووصل إلى استنتاج أن نصوص (نوستراداموس) يمكنها أن تعنى كل شيء، وقد لا تعنى شيئاً على الإطلاق. ويقول محرر موقع (الأساطير الحضارية) Urban Legends:

(إن لغة نوستراداموس تجعل نصوصه قابلة للتفسير على أى وجه، يمكنك أن ترى فيها الحروب أو المآسى، أو الانتصارات أو أى شيء تريد أنت رؤيته).

ثم تسخر مجلة Online من (نوستراداموس) وأشباهه وتتساءل: لماذا يستخدم المنجمون دوماً تلك اللغة المراوغة؟ إذا كانوا بحق قادرين على كسر حاجز الزمن والإبحار عبر المستقبل فلماذا لا يقولون لنا ما سيحدث بوضوح وصراحة دون أن (يوجعوا دماغنا)؟ أهـ

(1) هرمجدون صـ 7.

(2) هرمجدون صـ 47.

(3) وهى خرافات وأساطير وروايات ضعيفة، أو موضوعة، أو إسرائيليات أو صوفيات، أو شيعيات.



سياسيون معاصرون، ولكن الرسول ε قد وصفهم لنا"[1] ...إلخ.

ثم يطرى كتابه قائلاً: "ولا أريد أن أطيل، فهذا الكتاب بين أيديكم، وقد كفيتكم الرد عليه بأفصح لغة علمية، وهى لغة الأرقام، وبأقوى وأصدق المواعيد وهى التاريخ، وليس على المرجفين أو المتشكيين إلا الانتظار لعدة شهور فقط[2]، وتظهر الحقيقة أمام الجميع، إما مع الكتاب أو ضده، فعليهم الصمت والترقب حتى لا يحرموا غيرهم من فائدة مرجوة قبل ظهور آية الدخان أو يظهر الدجال فى شخصيته المزعومة"[3] ... أهـ.

ويحاول أحدهم أن يروج لأفكاره بالإشارة إلى (قرينة) وصفها بأنها (معتبرة عنده)، وهى أن رجلاً لا يعرفه أخبره أنه رأى رسول الله ε فى رؤية يبتسم له، ويعطيه كتاب (عمر أمة الإسلام[4])، وذلك قبل صدور الكتاب بتسعين يوماً.

بل رأينا منهم من يتيه ويفتخر بأنه أول من (تشرف) باختراع بعض الهزيان المتعلق بالمسيح الدجال، والأطباق الطائرة، ويثبت لنفسه أن لديه (براءة اختراع) هذه الأفكار، يقول محمد عيسى داود فى جريدة (صوت آل البيت): "لم يعرف العالم كله –بفضل الله– كاتباً أو مفكراً قال بنظرية وجود المسيخ الدجال فى مثلث برمودة وأنه صاحب الأطباق الطائرة سوى الكاتب الصحفى محمد عيسى داود"، يقصدُ نفسَه.

الحادى عشر: الناس معادن وأصناف فانظر من أى المعادن أنت.

قال رسول الله ε: **(تجدون الناس معادن، خيارهم فى الإسلام خيارهم فى الجاهلية إذا فَقِهُوا)**[5].

---

(1) أسرار الساعة صـ 15.

(2) وقد طال انتظارنا ومضت على المدة التى حددها سنوات ولم يحدث ما تنبأ به! فلله نشكو افتراء المفترين.

(3) أسرار الساعة صـ 16.

(4) هرمجدون صـ 56.

(**5**) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (3493)، ومسلم (2526 و2638) من حديث أبى هريرة τ.



وقال رسول الله ε: **(من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطى، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله)**[1].

وقال رسول الله ε: **(الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو معلم ومتعلم)**[2].

وقال ابن مسعود τ: "إنكم فى زمان كثير علماؤه، قليلٌ خطباؤه، وإن بعدكم زماناً كثيرٌ خطباؤه والعلماء فيه قليل"[3].

وقال ابن مسعود أيضاً لإنسان: "إنك فى زمان كثير فقهاؤه، قليل قراؤه تحفظ فيه حدود القرآن، وتضيع حروفه، قليل من يسأل، كثير من يعطى، يطيلون فيه الصلاة، ويقصرون الخطبة، يبدون أعمالهم قبل أهوائهم، وسيأتى على الناس زمان قليلٌ فقهاؤه، كثير قراؤه، يُحفظ فيه حروف القرآن، وتضيع فيه حدوده، كثير من يسأل، قليل من يعطى، يطيلون فيه الخطبة، ويقصرون الصلاة، يبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم"[4].

---

(1) أخرجه البخارى (71 و3116 و7312)، ومسلم (1037) من حديث معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما.

(2) أخرجه من حديث أبى هريرة τ ابن ماجه (4112)، والترمذى (2322)، وابن أبى عاصم فى الزهد (126)، والديلمى فى الفردوس (3111)، والمنذرى فى الترغيب (117)، والخطيب فى المشكاة (5176) والحديث حسنه الألبانى فى تعليقه على ابن ماجه والترمذى والمشكاة، والترغيب، وانظر الصحيحة (2797) وصحيح الجامع (1609). وانظر تعليق الشيخ أبو الأشبال على جامع بيان العلم (135/1) (قلت): وفى الباب عن أبى الدرداء، وابن مسعود، وجابر.

(3) أخرجه عبد الرازق فى مصنفه (3787)، وأبو خيثمة فى كتاب العلم (109)، وبنحوه ابن السرى فى الزهد (670)، والطبرانى فى الكبير (8566 و9496) والحاكم فى المستدرك (8487) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، وقال الهيثمى فى المجمع (190/2): رجاله ثقات، وقال الألبانى رحمه الله فى الصحيحة عند تعليقه على حديث (3189): إسناده صحيح، وكذا قال أبو الأشبال الزهيرى فى تعليقه على جامع بيان العلم (115/1).

(4) أخرجه مالك فى الموطأ (417)، وأبو عمرو الدانى فى السنن الواردة فى الفتن (317)، وابن عبد البر فى الاستذكار (389). وقال الألبانى فى الصحيحة (3189): إسناده معضل.



وقال علي: يا كميل بن زياد: "احفظ ما أقول لك: القلوب أوعية فخيرها أوعاها، الناس ثلاثة فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، والباقي همج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ..."[1].

الثاني عشر: التعوذ من الفتن ومن إدراك زمانها.

والتعوذ من الفتن ومن شرها سنة ثابتة عن النبي ε.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ε كان يقول: **(اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرَم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ...)** الحديث[2].

وعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال)**[3].

وعن زيد بن ثابت τ قال: قال رسول الله ε: **(تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ...)** الحديث[4].

---

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية (80/1)، وابن عساكر في تاريخه (17/14)، (252/50)، والمزي في تهذيب الكمال (220/24)، والذهبي في تذكرة الحفاظ (11/1) وقال: إسناده لين.
وذكره الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (49/1-50) وبوب له: ذكر تقسيم أمير المؤمنين على بن طالب أحوال الناس في طلب العلم وتركه، وقال: هذا الحديث من أحسن الأحاديث معنى وأشرفها لفظاً. واهتم به الحافظ ابن رجب في رسالته "كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة". واهتم به كذلك ابن القيم في مفتاح دار السعادة (123/1-153) والأثر ضعيف. انظر: جامع بيان العلم (145/1-146)، وصحيح الفقيه والمتفقه صـ 33.

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخاري (6368)، ومسلم (589).

(3) أخرجه مسلم (588).

(4) أخرجه مسلم (2876).



الثالث عشر: أماكن الفتن وأزمانها:

اعلم عبد الله ! أن الفتن سنة كونية من سنن الله فى خلقه؛ خلق لأجلها السموات والأرض قال الله تعالى: **[وَهُوَ الَّذِى خَلَق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]** (هود: 7).

واعلم عبد الله! أنه لا يخلو مكان من الفتن؛ لكنها قد تكثر فى مكان دون مكان، ولا يخلو زمان من الفتن؛ لكنها قد تكثر فى زمان دون زمان.

أولاً – أماكن الفتن:

ليس هناك مكان فى الدنيا معصوم من الفتن كلها؛ لكن الله عز وجل قد يعصم مكانا ما من بعض الفتن؛ كما تعصم مكة والمدينة من فتنة الدجال ومن دخولهما[1].

وقد أوضحت السنة المطهرة أهم أماكن الفتن ألا وهى بلاد المشرق كما فى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى ε قال: **(ألا إن الفتنة هاهناً من حيث مطلع قرن الشيطان)**[2] وكان يشير بيده إلى جهة المشرق بادية العراق ونواحيها.

وفى حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى ε قال: **(اللهم بارك لنا فى شامنا ويمننا، قالوا وفى نجدنا قال فى الثانية أو الثالثة: هناك الزلازل والفتن حيث يطلع قرن الشيطان)**[3].

وإذا نظرنا نظرة تاريخية وجدنا أن أكثر الفتن كانت فى المشرق فى العراق، لاسيما

---

(1) ورد صريحا فى جمع من الأحاديث أن الدجال لا يدخل مكة والمدينة منها ما فى الصحيحين من حديث أنس τ قال: قال رسول الله ε **(ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها..)** الحديث أخرجه البخارى (1881)، ومسلم (2943). وسيأتى ذلك عند الحديث عن الدجال.

(2) متفق عليه: أخرجه البخارى (7092)، ومسلم (2905).

(3) أخرجه البخارى (7094).

الفتن الاعتقادية؛ التى عصفت بالأمة وخربت عقول الناس: ففتنة الرافضة[1] مثلا كان منشأها العراق. وفتنة المعتزلة[2] مثلا كان منشأها البصرة بالعراق. وفتنة الخوارج جمهورهم وبداية انتشارهم كان من العراق[3].

والفتن فى العصر الحديث التى أذلت الأمة ومكنت منها يد عدوها منشأها من العراق[4]، وإيران أيضًا ناحية المشرق، ومنها من أصبهان وخراسان يخرج أتباع الدجال[5] -كما سيأتى-.

ثانياً - أزمان الفتن:

اعلم عبد الله! أن بدايات النقص وظهور الفتن قديمة جدا، وإذا استقرأنا التاريخ تبين لنا صدق هذه العبارة.

فأول خلاف حدث فى هذه الأمة كان بعد موت النبى ε بساعات وهو الخلاف حول مسألة من أولى الناس بخلافة رسول الله ε، وكان بين المهاجرين والأنصار، إلا أن قوة

---

(1) الرافضة اسم من أسماء الشيعة كما ذهب جمع من أهل العلم كالأشعرى وابن حزم، قال الأشعرى: إنما سموا رافضة، لرفضهم إمامة أبى بكر وعمر، والصحيح أنهم سموا روافض؛ لرفضهم إمامة زيد بن على وذلك لمّا خرج سُئل عنهما فترحم عليهما فقال: رفضتموني؟! (منهاج السنة لابن تيمية 8/1). وهم يتبرأون منهما ومن ابنتيهما وقد كفرهم جمهرة من علماء المسلمين كمالك وأحمد والبخارى وابن حزم والقاضى عياض والقاضى أبى يعلى؛ لسبهم أبا بكر وعمر وعثمان وأزواج النبى ε وقذفهم عائشة المبرأة من فوق سبع سماوات. راجع تعريف الشيعة السابق فى التنبيهات.. .

(2) المعتزلة: اسم يطلق على فرقة منحرفة ضالة ظهرت فى الإسلام فى القرن الثانى الهجرى ما بين سنة (105-110هـ) فى البصرة بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء وقد تفرقت المعتزلة فرقا كثيرة، اختلفوا فى الأصول والمبادئ والتعاليم حتى وصلوا إلى اثنتين وعشرين فرقة (انظر الملل والنحل 56/1-96 والفرق بين الفرق ص112-187، وفرق معاصرة 821/2-851).

(3) الخوارج سبق التعريف بهم.

(4) يقصد الشيخ فتنة حرب العراق مع إيران ثم حرب العراق مع الكويت والتى مكنت الكفار والصليبيين من استيطان واحتلال الأراضى الإسلامية، وقتل الآلاف من المسلمين ما بين شيخ ورجل وامرأة وطفل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(5) ينظر: صحيح مسلم (2944)، وسنن الترمذى (2237).



إيمان الصحابة، وتجردهم للحق، واتباعهم له؛ مكنتهم من حسم الخلاف سريعا، ورجوعهم إلى الحق، ومبايعتهم الصديق τ[(1)].

ثم فتحت أبواب الفتن بمقتل عمر τ، وقد تقدم فى حديث الفتن التى تموج موج البحر، أنه كان τ غلق الفتنة وأن بمقتله تتابعت الفتن والنقص على الأمة[(2)].

ثم بدأ النقص بانقراض عصر الخلفاء الراشدين كما فى حديث سفينة τ: **(الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يؤتى الله ملكه من يشاء)**[(3)].

---

(1) يقصد بذلك ما أخرجه البخارى (3667 و3668) من حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ε مات وأبو بكر بالسنح، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ε –قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع فى نفسى إلا ذاك – وليبعثنه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ε فقبله فقال: بأبى أنت وأمى، طبت حياً وميتاً. والذى نفسى بيده لايذيقك الله الموتتين أبداً. ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك ... فلما تكلم جلس عمر τ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً ε فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لايموت وقال: **[إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ]** (الزمر: 3) وقال: **[وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ]** (آل عمران: 144).

قال فنشج الناس يبكون. قال واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ψ، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر وكان عمر يقول: والله ما رأيت بذلك إلا أنى قد هيأت كلاماً قد أعجبنى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال فى كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب: والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكن نحن الأمراء وأنتم الوزراء؛ إن قريشاً هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ε فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله.

(2) تقدم تخريجه فى المقدمة وهو فى الصحيحين.

(3) أخرجه أبو الجعد (3323)، وإسحاق بن راهويه (144) (132)، وأحمد (213969 و21973)، والترمذى (2226)، وأبو داود (4646 و4647)، والبزار (3828)، والنسائى فى الكبرى (8155)، وابن أبى عاصم فى السنة (1181)، وابن حبان (6657 و6658 و6943)، والطبرانى فى الكبير

واشتد النقص بانتهاء القرون الفاضلة كما فى حديث عمران فى الصحيحين: **(خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم...)** قال عمران τ: لا أدرى أذكر قرنين أم ثلاثة ! ثم ذكر بعد ذلك، **(يجيء أقوام يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤمنون، ويظهر فيهم السمن يشتغلون بالدنيا والمال حتى تكبر بطونهم)**[1].

وقال ε: **(لا يزال هذا الدين قائما إلى اثنى عشر خليفة... كلهم من قريش)**[2].

=

(13 و136 و6442 و6443 و6444)، والحاكم فى المستدرك (4697) وسكت عنه هو والذهبى، واللالكائى فى الاعتقاد (2655 و2671) وقال الألبانى: صحيح ينظر الصحيحة (459)، وصحيح الجامع (3341)، وتعليقه على المشكاة والترمذى وأبى داود.

قال المباركفورى: قوله: الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة (فى رواية أبى داود "خلافة النبوة ثلاثون سنة) قال العلقمى: قال شيخنا (السيوطي): لم يكن فى الثلاثين بعده ε إلا الخلفاء الأربعة أيام الحسن، قال العلقمى: بل الثلاثون سنة هى مدة الخلفاء الأربعة كما حررته فمدة خلافة أبى بكر سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيام، ومدة عمر سنتان وستة أشهر وثمانية أيام، ومدة عثمان إحدى عشرة سنة وواحد عشر شهراً، ومدة خلافة على أربع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام. أهـ. (تحفة الأحوذى 88/6 ط. دار الحديث).

قلت: كلام السيوطى هذا يعنى: أنه أدخل فى الثلاثين سنة خلافة الحسن بن على رضى الله عنهما، وكلام العلقمى يشعر بعدم دخول الحسن فيها، والصواب والله أعلم هو دخول الحسن بن على رضى الله عنهما.

قال حافظ الحكمى –رحمه الله– قلت: سفينة حذف الزائد والناقص عن السنين من الأشهر على ما جرت به عادات العرب فى حذف الكسور فى الحساب؛ فأيام كل منهم لا تكمل ثلاثين إلا بخلافة الحسن بن على رضى الله عنهما وهى ستة أشهر، ثم أصلح الله به الفئتين من المسلمين كما أخبر النبى ε وولى معاوية τ بذلك، واجتمع الناس عليه، وكان ذلك العام يسمى "عام الجماعة"، وكان معاوية τ أول ملوك الإسلام وخيرهم. أهـ (معارج القبول 1188/3. 1889 ط دار ابن القيم). وكان ذلك فى سنة واحد وأربعين من الهجرة.

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (3650 و2651و6428 و6695)، ومسلم (2535).

والسمن: التكاثر مما ليس فيهم من الخير وادعاء ما ليس فيهم من الشرف، ! وجمع الإنسان المال ليلحق بذوى الشرف، أو حب التوسع فى المأكل والمشرب (لسان العرب مادة سمن) وفتح البارى (306/5 ط السلفية).

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (7222 و7223) وأخرجه مسلم (182) من حديث جابر بن سمرة

=

رضى الله عنهما.

قال القاضى: قد توجه هنا سؤالان: أحدهما: أنه قد جاء فى الحديث الآخر: **(الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون مُلكاً)**، وهذا مخالف لحديث: **(اثنى عشر خليفة)**؛ فإنه لم يكن فى ثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة، والأشهرُ التى بويع فيها الحسن بن على.

والجواب: أن المراد فى حديث **(الخلافة بعدى ثلاثون سنة ...)** خلافة النبوة، وقد جاء مفسرا فى بعض الروايات: **(خلافة النبوة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً)**، ولم يشترط فى هذا الاثنى عشر.

والسؤال الثانى: أنه قد ولى أكثر من هذا العدد قال: وهذا اعتراض باطل؛

1. لأنه ε لم يقل لا يلى إلا اثنى عشر خليفة، وإنما قال: يلى. وقد ولى هذا العدد، ولا يضر كونه وجد بعدهم غيرهم، هذا إن جعل المراد باللفظ كلَ والٍ.
2. ويحتمل أن يكون المراد مستحق الخلافة العادلين وقد مضى منهم من عُلم، ولابد من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة.
3. وقيل: إن معناه أنهم يكونون فى عصر واحد يتبع كل واحد منهم طائفة، ولا يبعد أن يكون هذا قد وجد إذا تتبعت التواريخ؛ فقد كان بالأندلس وحدها فى عصر واحد بعد أربعمائة وثلاثين سنة ثلاثةٌ كلهم يدعيها ويلقب بها، وكان حينئذ فى مصر آخر، وكان خليفة الجماعة العباسية ببغداد سوى من كان يدعى ذلك فى أقطار الأرض، ويعضد هذا التأويل قوله فى كتاب مسلم بعد هذا: ستكون خلفاء فيكثرون، قالوا فما تأمرنا؟ قال: **(فوا ببيعة الأول فالأول)**.
4. ويحتمل أن يكون المراد من يعز الإسلام فى زمنه ويجتمع المسلمون عليه كما جاء فى سنن أبى داود: **(كلهم يجتمع عليه الأمة)**، وهذا قد وجد قبل اضطراب أمر بنى أمية واختلافهم فى زمن يزيد بن الوليد، وخرج عليه بنو العباس، ويحتمل أوجها آخر، واللهم أعلم بمراد نبيه ε. أهـ. (شرح النووى لمسلم 12/159-160 شرح الحديث السابق).

قال ابن كثير -رحمه الله- وليس المراد من هؤلاء الاثنى عشر الذين تتابعت ولايتهم سرداً إلى أثناء دولة بنى أمية؛ لأن حديث سفينة **(الخلافة بعدى ثلاثون سنة)** يمنع من هذا الملك؛ وإن كان البيهقى قد رجحه. وقد بحثنا معه فى كتاب دلائل النبوة فى كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته ولله الحمد، ولكن هؤلاء الأئمة الاثنى عشر وجد منهم الأئمة الأربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على وابنه الحسن بن على أيضا ومنهم عمر بن عبد العزيز كما هو عند كثير من الأئمة وجمهور الأمة ولله الحمد وكذلك وجد منهم طائفة من بنى العباس وسيوجد بقيتهم فيما يستقبل من الزمان حتى يكون منهم المهدى المبشر به فى الأحاديث الواردة فيه، وقد نص على هذا الذى بيناه غير واحد كما قررنا ذلك. أهـ. النهاية فى الفتن والملاحم (1/18). قول ابن كثير: "لأن حديث سفينة ... يمنع من هذا الملك" هكذا هى فى طبعتى دار الحديث (1/18) ودار الكتب العلمية (1/9)، ولعل الأقرب

الرابع عشر: سنة الله فى فتنة المؤمنين:

إن من سنن الله تعالى فى خلقه ابتلاءهم وتعريضهم للفتن حتى يعلم الذين صدقوا منهم ويعلم الكاذبين. فسنة الحياة تجعل من المستحيل أن يخلو المرء فيها من فتن وكوارث تصيبه.

قال تعالى: **[وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]** (هود: 7).

[إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً] (الكهف: 7).

[أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِم فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ] (العنكبوت: 2-3).

هذا وقد بينت السنة الثابتة أن هذا الابتلاء المذكور فى هذه الآية يبتلى به المؤمنون على قدر ما عندهم من الإيمان كما فى حديث أبى سعيد الخدرى τ قال: (دخلت على النبى ε وهو يوعك[1] فوضعت يدى عليه فوجدت حرّة بين يدى فوق اللحاف، قلت: يا رسول الله !ما أشدّها عليك؟ قال: **إنّا كذلك يضعّف لنا البلاء ويضّعف لنا الأجر**، فقلت: يا رسول الله ! أى الناس أشد بلاء ؟ قال: **الأنبياء**، قلت: ثم من ؟ قال: **ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يحويها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء، كما يفرح أحدكم بالرخاء**)[2].

الخامس عشر: الفتن والقلوب:

= للصواب أن تكون العبارة: "يمنع هذا المسلك" والله أعلم.

(1) الوعك: الحمى وقبل ألمها.

(2) أخرجه عبد الرازق (20626)، وابن أبى الدنيا فى المرض والكفارات(1)، وابن ماجة (4024)، والطبرى فى تهذيب الآثار (421)، والطبرانى فى الأوسط (9047)، والحاكم (7848) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، وقال البوصيرى فى مصباح الزجاج: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وقال الألبانى: صحيح انظر الصحيحة (144)، وتعليقه على ابن ماجة.



عرض هذه الفتن يكون على القلوب كما صح عنه ε: **(تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير ...)** الحديث[1].

وصلاح الجسد لا يكون إلا بصلاح القلب؛ فإن صلح القلب صلح الجسد، وإن فسد القلب فسد الجسد **(ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب)**[2].

وهذه المضغة -القلب- هى محل نظر الرحمن -جل وعلا- كما قال النبى ε: **(إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)**[3].

لذلك كم نظر الله -عز وجل- إلى قلوب فأحبها، وأحب أهلها!!، وكم نظر إلى قلوب فآذنها بغضب منه وعذاب!!

والقلوب هى محل الدين والأمانة كما قال ε: **(إن الأمانة أول ما نزلت فى جذر قلوب الرجال)**[4]، أى: فى أصل قلوب الرجال. وهى محل العلم؛ قيل لابن عباس: "بما بلغت العلم؟ قال: بلسان سؤول، وقلب عقول"[5].

وهذه القلوب سريعة التقلب، قال ε: **(مثل القلب مثل الريشة تقلبها الرياح بفلاة)**[6].

---

(1) أخرجه مسلم (143)عن حذيفة τ. وسيأتى الحديث بتمامه فى كلام الشيخ قريبا.

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (52)، ومسلم (1599) من حديث النعمان بن بشير τ، وأوله: **(الحلال بيّن والحرام بيّن)**.

(3) أخرجه مسلم (2564) من حديث أبى هريرة τ.

(4) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (6497) ومسلم (142) من حديث حذيفة τ.

(5) أخرجه القزوينى فى أخبار قزوين من طريق البغوى (89/3)، وذكره ابن تيمية فى الفتاوى (303/9). وورد هذا اللفظ لكن ليس من كلام ابن عباس وانما من قول عمر عن ابن عباس ينظر: تاريخ جرجان (483/1)، والاستيعاب (935/3)، وسير الأعلام (345/3)، والإصابة (145/4). وورد من قول على τ عن نفسه، ينظر: تاريخ دمشق (397/42) وورد عن دغفل بن حنظلة من قوله عن نفسه أيضاً، ينظر: العيال (349)، والآحاد والمثانى (1674)، والكبير للطبرانى (4201)، وتاريخ دمشق (291/17).

(6) أخرجه من حديث أبى موسى الأشعرى τ عيد بن حميد (535)، وأحمد (19772)، وابن ماجه (88)

وقال ε: **(لقلب ابن آدم اشد انقلابا من القدر إذا استجمعت غليانا)**[1]، وقال ε: **(إن قلوب الخلائق بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء)**[2].

لذا كان من دعاء النبى ε: **(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك)**[3].

وينبغى للمرء أن يكون حكيما مع نفسه فيتعهد قلبه ويرعاه؛ فهذه القلوب تحتاج الى رعاية ورياضة، فالإنسان الحكيم يغتنم لحظات إقبال قلبه فيكثر فيها من الطاعات والنوافل، أما لحظات إدباره فيلزمها الفرائض.

قال ابن القيم: "إن للقلوب شهوة وإدباراً؛ فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها" أهـ[4].

فإن القلب تعتريه أحوال مختلفة فهو تارة يقبل وتارة يفتر، وكل بنى آدم كذلك، والذين

= والحارث فى سنده (20) وأبن ابى عاصم فى السنة (2210 و221)، والبزار (3037)، والبيهقى فى شعب الإيمان (753) والبوصيرى فى إتحاف المهرة (193)، والبغوى فى شرح السنة (87)، وقال البوصيرى فى مصباح الزجاجة (14/1): هذا إسناد فيه لين؛ يزيد بن أبان الرقاشى، قد أجمعوا على ضعفه لكنه لم ينفرد به. وقال الألبانى فى تعليقه على ابن ماجة، وفى صحيح الجامع (5833): صحيح.

(1) أخرجه من حديث المقداد بن الأسود τ ابن المبارك فى الزهد (1395)، وأحمد (26867) والبزار (2112)، وابن أبى عاصم فى السنة (226)، والطبرانى فى الكبير (255/20) (رقم 603)، وفى مسند الشاميين (221)، والحاكم (3142) وقال: صحيح على شرط البخارى، وأقره الذهبى، وقال الألبانى فى الصحيحه (1772) وفى صحيح الجامع (5147): صحيح.

(2) أخرجه مسلم (2654) عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.

(3) أخرجه من حديث أنس τ ابن أبى شيبة (29196و30405)، وإسحاق بن راهويه فى مسنده (1879)، وأحمد (12128 و13721) والبخارى فى الأدب المفرد (683)، والترمذى (2140)، وابن ماجة (3834)، وأبو يعلى (3687 و3688) والطبرانى فى الكبير (759)، وفى الدعاء (1261)، والحاكم (1927) وسكت عنه هو والذهبى، وقال الألبانى: صحيح [ينظر تعليقه على الترمذى، والأدب المفرد] وصحيح الجامع (7987) (قلت): وفى الباب عن أم سلمة، وعائشة، وجابر، والنواس بن سمعان، وشهاب الجرمى ψ جميعاً.

(4) الفوائد لابن القيم (147).

لا تصيبهم الفترة هم الملائكة، قال تعالى: **[وَلَهُ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِـهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ]** (الأنبياء: 19-20).

وقال ε: **(إن لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتى فقد اهتدى، ومن كان لغير ذلك فقد هلك)**[1].

فإن القلوب تتقلب بين قمة وقاع فاحذر عبد الله! وقت الفترة أن تقع فى معصية الله. فينبغى عليك أن تقبل بقلبك حين يقبل وتقف به على الحدود عندما يدبر وذلك يكون بترويح النفس ساعة وساعة، واحذر الترويح بالمعاصى.

واعلم أن الإيمان يخلق فى قلب الإنسان وهو يحتاج إلى أن يجدد إيمانه، قال رسول الله ε: **(إن الإيمان يخلق فى جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان فى قلوبكم)**[2].

ومن سلم قلبه فقد نجا، ومن لم يسلم قلبه فقد هلك، وسلامة القلب لا تحصل إلا بأمرين[3]:

1. قوة علمية. **2. قوة عملية.**

1. القوة العلمية:

---

(1) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، ابن المبارك فى الزهد(1102)، وأحمد فى المسند (6764و6958) والحارث فى مسنده (236)، وابن أبى عاصم فى السنة (51) والبزار (2346)، وابن خزيمة فى صحيحه (2105)، وابن حبان (11)، والبيهقى فى الشعب (3878) وقال الألبانى فى صحيح الجامع (2152): صحيح.

(2) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما الحاكم (5) وقال: رواته مصريون ثقات وأقره الذهبى، والديلمى فى الفردوس (387)، وابن الإمام فى سلاح المؤمن فى الدعاء (976)، وقال الهيثمى فى المجمع (52/1): إسناده حسن. وقال الألبانى فى الصحيحه (1585)، وفى صحيح الجامع (1590): صحيح.

(3) ينظر مجموع الفتاوى (136/9)، والفوائد (18).

لابد وأن يكون عندك علم تميز به بين الحق والباطل، وإن لم يكن عندك علم وقعت فى الشبهات وذلك بسبب مرض القلب.

وكيف تحصِّل القوة العلمية ؟

سبل تحصيلها أن تتعلم العلمَ النافعَ، والعلمُ النافعُ هو ما جاء به النبى ε، وأشرف العلوم على الإطلاق هو العلم بالله -عز وجل- والعلم بعقيدة أهل السنة والجماعة، هذا كله يعينك على أن تفهم الأمور على حقيقتها فلا يمرض قلبك بأى شبهة من الشبه.

2. القوة العملية:

وهى الإرادة أى: إرادة العمل بالحق (بالذى تعلمته) مع الحب التام له والبعد عن الباطل.

وأنت تعلم أن قيام الليل وصدقة التطوع فيها الخير الكثير فإذا قمت الليل وتصدقت فهذه هى القوة العملية.

وإذا تخلفت القوتان أو إحداهما فالقلب مريض، ومرض القلب نوعان: **مرض القلب بالشهوة، ومرض القلب بالشبهة** لضعف القوة العلمية.

فالقلوب تمرض كما يمرض الجسد، فإذا صبر العبد على مرض الجسد نال الأجر عند الله، وإذا صبر على مرض القلب استحق العقاب من الله.

ومن أمثلة مرض الشبهة:

قوله تعالى: **[وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمْ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ]** (البقرة: 8-10).

وقوله تعالى: **[يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِى بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ**

عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ] (المائدة: 51-52).

وأما مرض الشهوة:

فنحو قوله تعالى: **[يَانِسَاءَ النَّبِى لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا]** (الأحزاب: 32).

وجمع بين مرض الشبهة والشهوة قوله تعالى: **[لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِى الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً، مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً]** (الأحزاب: 60-61).

وقوله ع: **(إن مما أخشى عليكم شهوات الغى فى فروجكم وبطونكم، ومضلات الهوى)**[1].

وشهوات الغى هى أمراض الشهوات، ومضلات الهوى هى أمراض الشبهات.

بوب الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب الإيمان باباً بعنوان: باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب[2].

ويفهم من هذا العنوان أن الأمانة والإيمان ترفع من بعض القلوب، وتبقى بعض القلوب راسخة الإيمان والأمانة رسوخ الجبال، أما الفتن فإنها تعرض على كل القلوب لا يسلم قلب من الفتن.

فالقلب الذى سلب منه الإيمان، وسلبت منه الأمانة هو القلب الذى يقع فى الفتن وتضره تلك الفتن، أما القلب الذى رسخ فيه الإيمان والأمانة فهو القلب الذى لا تضره فتنة.

---

(1) أخرجه من حديث أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه، أحمد (19787 و19803)، والبزار (3844) والطبرانى فى الصغير (309/1) رقم (511)، وأبو نعيم فى الحلية (32/2)، وقال المنذرى فى الترغيب (44/1) رقم (81): رواته ثقات، وقال الهيثمى فى المجمع (188/1) و(306/7): رجاله رجال الصحيح، وقال الألبانى فى تعليقه على الترغيب (52 و2143): صحيح.

(2) انظر صحيح مسلم كتاب الإيمان باب: 64 (137/2).



وذكر الإمام مسلم فى هذا الباب حديثين الأول فى رفع الأمانة والإيمان، والآخر فى عرض الفتن على القلوب، وكلاهما عن حذيفة τ متخصص أحاديث الفتن كما سبق.

ساق بسنده عن حذيفة τ قال: "كنا عند عمر فقال: أيكم سمع رسول الله ε يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه. فقال لعلكم تعنون فتنة الرجل فى أهله وجاره؟ قالوا: أجل. قال تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة. ولكن أيكم سمع النبى ε يذكر الفتن التى تموج موج البحر ؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا، قال: أنت! لله أبوك!

قال حذيفة: سمعت رسول الله ε يقول: **(تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا؛ فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً؛ كالكوز مجخيا لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه).**

قال حذيفة وحدثته: بينك وبينها بابا مغلقا يوشك أن يكسر. قال عمر: أكسرا؟ لا أبالك! فلو أنه فتح كان يعاد. قلت لا: بل يكسر. وحدثته؛ أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثا ليس بالأغاليط"[1].

---

(1) تقدم تخريجه قريباً.

قوله: "الفتن تموج موج البحر" أى تضطرب ويدفع بعضها بعضا، وشبهها بموج البحر لشدة عظمها وكثرة شيوعها، قوله: ""فأسكت القوم" سكت وأسكت لغتان بمعنى صمت، وقال الأصمعى أسكت: صمت، أسكت: أطرق. أهـ. وسكت القوم؛لأنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع من الفتن وإنما حفظوا النوع الأول. قوله: "لله أبوك" قال صاحب التحرير: فإذا وجد من الود ما يحمل قيل له: لله أبوك حيث أتى بمثلك. قوله: **(كعرض الحصير عودا عوداً):** ضبط عُودا عُوداً وعَودا عَودا، وعوذاً عوذاً ومعنى الثانى: تعود وتتكرر شيئا بعد شىء، ومعنى الثالث: أى: استعاذة بمعنى نسألك الاستعاذة، ومعنى الأول: تظهر على القلوب فتنة بعد أخرى كما يفعل صاحب الحصير بقضبان الحصير حيث تعرض عليه عوداً عوداً. قوله: **(أشربها)** دخلت فيه دخولا تاما وألزمها وحلت منه محل الشراب. قوله: **(أسود مرباداً)** شبه بياض فى سواد. قوله: **(نكت)** نقط نقطة. قوله: **(أنكرها)** ردها. قوله: **(كالكوز مجخيا)** مائلاً، منكوساً. قوله: "لا أبا لك" كلمه تذكرها العرب للحث على الشيء.



وهذا حديث عظيم يحتاج منا إلى وقفات.

الوقفة الأولى:

مع قوله: "كنا عند عمر τ فقال: أيكم سمع رسول الله ε يذكر الفتن". هذا يدل على اهتمام الصحابة ψبأحاديث الفتن.

وترقبُ شيء من أشراط الساعة ليس بمنكر مالم يخل بالتكاليف الشرعية، وتعلم ذلك مندوب إليه؛ لسؤال عمر τ عنها، ويزداد الندب إليه خصوصاً فى أزمنة الفتنة.

ويدل أيضاً على أن مجالس الصحابه لم تكن مجالس لهو وعبث.

الوقفة الثانية:

قول حذيفة: "فقال قوم: نحن سمعناه".

هذا يدل على أمانة الصحابة ψفى تبليغهم الدين، وقال ε: **(بلغوا عنى ولو آية)**[1].

وقال ε: **(نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع)**[2].

الوقفة الثالثة:

= انظر: شرح النووى لمسلم (140/2-144) ط. دار الفكر.

(1) أخرجه البخارى (3461) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.

(2) أخرجه من حديث عبد الله بن مسعود؛ الشافعى فى مسنده (صـ 240)، والحميدى (88)، وابن أبى شيبة (296)، وأحمد (4157)، والترمذى (2657)وقال: حسن صحيح، وابن ماجة (232)، والبزار (2014 و2019)، وأبو يعلى (5126 و5296)، وابن حبان (66) وغيرهم وقال الألبانى: صحيح ينظر الصحيحة (403)، وصحيح الجامع (6763 و6764 و6765 و6766) وكلها بنفس المعنى (قلت): وفى الباب عن أنس، وزيد بن ثابت، وأبى الدرداء، والنعمان بن بشير، وجبير بن مطعم ψ جميعاً.



قال عمر: "لعلكم تعنون فتنة الرجل فى أهله وجاره؟ قالوا: أجل، قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة".

كلمة فتنة تحتمل معنيين:

الأول: الاختبار. الثانى: أنها ابتلاء يفتن المرء عن دينه يجب الحذر منه.

ففتنة الرجل هذه تكون من:

1. فرط محبته لهم، وشحه عليهم، وشغله بهم عن كثير من الخير قال تعالى: **[إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ]** (التغابن: 15).

2. أو تكون من تفريطه بما يلزمه من القيام بحقوقهم، وتأديبهم، وتعليمهم، فإنه راع لهم، ومسئول عن رعيته.

قال ε: **(الولد ثمرة القلب، وإنه مجبنة، مبخلة، محزنة)**[1].

وقال تعالى: **[يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ]** (التغابن: 14-15).

فالأزواج والأولاد قد يكونون مشغلةً وملهىً عن ذكر الله، كما أنهم قد يكونون دافعاً للتقصير فى تبعات الإيمان اتقاءً للمتاعب التى تحيط بهم لو قام المؤمن بواجبه.

والإنسان قد يحتمل العنت فى نفسه، ولا يحتمله فى زوجه وولده؛ فيبخل ويجبن؛ ليوفر لهم الأمن والقرار، أو المتاع والمال! فيكونون عدواً له؛ لأنهم صدوه عن الخير،

---

(1) أخرجه من حديث أبى سعيد τ أبو يعلى (1032) وابن حجر فى المطالب العالية (2843)، وأورده الهيثمى فى المجمع (155/8) وعزاه لأبى يعلى والبزار [ولم أجده عند البزار] وضعفه لأجل عطية العوفى ووافقه على ذلك المناوى فى شرح الجامع الصغير (487/2) والعجلونى فى كشف الخفاء (1916) والحديث ضعفه الألبانى فى الضعيفة (4764) وصححه فى صحيح الجامع (7160) دون قوله: **(ثمرة القلب)**. وينظر: صحيح الجامع (1989 و1990)، وينظر تراجعات الألبانى رقم (37).



وعوقوه عن غاية وجوده الإنسانى العليا.

وقد يكونون فى طريقٍ غير طريقه، ويعجز هو عن المفاصلة بينه وبينهم، ويعجز عن التجرد لله عز وجل.

وهذه الفتن تكفرها الأعمال الصالحات من صلاة وصيام وصدقه قال تعالى: **[وَأَقِمْ الصَّلاَةَ طَرَفِى النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ]** (هود: 114).

الوقفة الرابعة:

قوله ε: **(حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض. والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكراً).**

فالقلوب كلها تؤول إلى قلبين، قلبٍ يعرف الحق ويتبعه فلا تضره الفتن أبداً، وهذا هو القلب الذى ثبتت فيه الأمانة والإيمان، وقلبٍ أسود فيه شيء من البياض لعله أثر الإيمان وهذا الأثر ضعيف لا يذكر، فإذا ذهب هذا الأثر الضعيف أسودّ القلب تماماً وأصبح ميتاً.

وقال النبى ε: **(القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح)**[1].

---

(1) هذا الأثر روى موقوفاً ومرفوعاً.

الموقوف: عن حذيفة τ قال: القلوب أربعة: قلب أجرد كأنما فيه سراج يزهر، وذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف؛ وذلك قلب الكافر، وقلب مصفح؛ وذلك قلب المنافق، وقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل شجرة يسقيها ماء طيب، ومثل النفاق فيه كمثل قرحة يمدها قيح ودم، فأيهما غلب عليه غلبه أ هـ أخرجه ابن المبارك فى الزهد (1439)، وابن أبى شيبة فى الإيمان (54) وفى المصنف (30404 و37395). وابن جرير فى تفسيره (406/1). وأبو نعيم فى الحلية (276/1) وقال الألبانى فى تعليقه على الإيمان لابن تيمية (صـ 106): حديث موقوف صحيح. وينظر الضعيفة (5158).

المرفوع: من حديث أبى سعيد τ قال: قال رسول الله ε: **(القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج**

والقلب الأجرد هو قلب المؤمن سراجه منه نوره، والقلب الأغلف هو قلب الكافر قال تعالى: [خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] (البقرة: 7)، والقلب المنكوس هو قلب المنافق عرف ثم أنكر، والقلب المصفح هو قلب فيه إيمان ونفاق فأى الأمرين غلب على الآخر غلبت عليه.

قسمها النبى ε إلى أربعة قلوب إلا أنها تؤول إلى قلبين؛ فالنوع الأول أبيض والثانى والثالث أسودان والرابع بحسب ما يغلب عليه فقد يغلب الإيمان ويصبح أبيضا وقد يغلب النفاق فيصبح أسودا.

قال القاضى رحمه الله: شبه القلب الذى لا يعى خيرا بالكوز المنحرف الذى لا يثبت الماء فيه, وقال صاحب التحرير: معنى الحديث: أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصى دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمةٌ، وإذا صار كذلك افتتن، وزال عنه نورُ الإسلام، والقلب مثل الكوز فإذا انكب انصب ما فيه، ولم يدخله شيء بعد ذلك. أهـ[1].

= **يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد؛ فقلب المؤمن سراجه فيه نور، وأما القلب الأغلف؛ فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس؛ فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح؛ فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح، فأى المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه).**

أخرجه أحمد (11145)، والطبرانى فى الصغير (1075)، وأبو نعيم فى الحلية (385/4)، وقال الهيثمى فى المجمع (63/1): فى إسناده ليث ابن أبى سليم. وضعفه الألبانى فى الضعيفة (5158)، وقال السيوطى فى الدر المنثور (215/1): رواه أحمد بسند جيد، وضعفه محققوا المسند ط. دار الرسالة (11129).

(1) انظر شرح النووى لمسلم (142/2) ط. دار الفكر.

الباب الأول
فـتنٌ مـهلكــات

وفى الباب ثلاثة فصول:

الفصل الأول : فتنة النساء.

الفصل الثانى : فتنة المال.

الفصل الثالث : فتنة الاختلاف.







الفصل الأول
فتنـــة النســـــاء

يحتوى هذا الفصل على مقدمة وأربعة مباحث وهى:

المبحث الأول : وجوب الإيمان بالفوارق بين الرجل والمرأة.

المبحث الثاني : الإسلام وسد ذريعة الافتنان بالمرأة.

المبحث الثالث : الحفاظ على العرض أحد المقاصد الأساسية للشريعة.

المبحث الرابع : ما هى سبل الوقاية من هذه الفتنة؟





مقدمة:

هذه الفتنة هى من أخطر فتن الزمان على رجال الأمة وشبابها وقد أخبرنا النبى ε أنها أضر الفتن على الرجال كما فى الصحيحين من حديث أسامة τ قال: قال رسول الله ε: **(ما تركت بعدى فتنة أضر ّ على الرجال من النساء)**[1].

ولقد استخدم أعداء الإسلام قديما وحديثا كل سلاح لحرب الإسلام والمسلمين، سواء كانت أسلحة مادية أو معنوية، ومن أشد ما يستخدمه أعداء الإسلام الآن سلاحَ الشهوات والشبهات.

---

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (5095)، ومسلم (2740) من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما، وكذا أخرجه مسلم من حديث سعيد بن زيد وأسامة بن زيد معاً (2741).

قال ابن حجر –رحمه الله–: وفى الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قوله تعالى: **[زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ]** (آل عمران: 14) فجعلهن من حب الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل فى ذلك، ... وقد قال بعض الحكماء: النساء شرٌّ كلهن، وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن ومع أنها ناقصة العقل والدين تحمل الرجل على تعاطى ما فيه من نقص العقل والدين كشغله عن طلب أمور الدين، وحمله على التهالك على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد أهـ (فتح الباري9/41 ط السلفية).

وقال محمد حبيب الله الشنقيطى: وإنما كانت الفتنة بهن أشد من الفتنة بغيرهن؛ لأنهن يحملن الرجل غالباً على معصية الله والاشتغال بهن عن كمال العبادة والإخلاص فيها، ويحملن الرجل على قطيعة الرحم غالباً إلا من وفقها الله للخير وكانت من النساء الصالحات وهذه أعز من الكبريت الأحمر.

ولشدة فتنتهن قدمهن الله فى ما زُين للناس من حب الشهوات فى قوله تعالى: **[زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ]** (آل عمران: 14) فقد قدمهن تعالى على سائر الشهوات لشدة فتنتهن ولكونهن يرغبن أزواجهن غالباً عن طلب الدين والأعمال الصالحة وأى فساد أضر من ذلك ... ومن المعلوم المستفيض أن فتنة النساء تعم بها البلوى فأول فتنة بنى إسرائيل كانت من قبل النساء وفتنة ابنى آدم كانت من قبل النساء. أهـ. (زاد المسلم 2/254).

قلت: وأخرج مسلم (2742) من حديث أبى سعيد τ عن النبى ε قال "**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون؛ فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء**".

فـالآن علـى شبكة المعلومـات (internet) مئـات المواقـع خصصـها أعـداء الإسـلام؛ لإلقاء الشبهات على أبناء المسلمين؛ شبهات فى الإسلام والقرآن والعقيدة والتوحيد والنبى محمد ε. والأمر المؤسِف أنـه لا توجد مواقع مضـادة لهذه المواقـع بالقدر الكافى بل لا تكاد تذكر؛ فيجب على طائفة متخصصة من المسلمين على قدر من العلم بهذا الأمر؛ أن تقوم بصد هذا الهجوم.

كمـا أن هنـاك أيضـاً مئات المواقـع المتخصصـة لسـلاح الشـهوة؛ مواقـع لبـث الأفكـار الجنسية الهدامة، فهناك مواضع للجنس (sex)، لكنهم استخدموا مصطلحا جديدا ألا وهو مصـطلح (gender) ومعنـاه النـوع أى: التنـوع الجنسـى أو المثليـة الجنسـية أو الاتصـال المثلـى ويـدعون مـن خلالهـا إلـى الاتصـال الجنسـى بـين الرجـل والرجـل (اللـواط)، وإلـى الاتصال الجنسى بين المرأة والمرأة (السحاق).

ومـارس شياطين الأنـس ذكـاءهم فـى اسـتدراج وإغـراء الشـباب فيبـدأون معهـم خطـوة خطوة، واتخذ استدراجهم هذا صوراً متعددة؛ فمثلا لا تكاد تجد إعلانا يخلو من امرأة على قدر من الجمال والرشـاقة، وحتـى فى الإعلانـات عن الأجهزة الطبية، ففشا الزنـا، وانتشر الفسـاد، وهـذا مـن علامـات السـاعة فنـرى شـباباً وشـابات يتهـارجون تهـارج الحمـر فـى الطرقـات؛ أجسـام عاريـة، ضـحكات داعرة، نظـرات شـهوانية، نسـاء لا رادع لهـن، وهـذا مـا أخبـر بـه نبينـا ε فقـال: **(إن مـن أشـراط السـاعة أن يُرفـع العلـم، ويظهـر الجهـل، ويفشـو الزنـا، ويُشـرب الخمـر، ويـذهب الرجـال، وتبقـى النسـاء حتـى يكـون لخمسـين امـرأةً قـيمٌ واحد)**[1].

وقـال ε: **(لتـركبن سَـنَنَ مـن كـان قـبلكم شـبراً بشـبر، وذراعـاً بـذراع، حتـى لـو أن أحـدهم دخـل جحـر ضـب لـدخلتم، وحتـى لـو أن أحـدهم جـامع امرأتـه فـى الطريـق لفعلتموه)**[2].

---

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (81)، ومسلم (2671) من حديث أنس τ.

(2) أخرجه بهذا اللفظ من حديث ابن عباس الحاكم فى المستدرك (8404) وصححه، ووافقه الذهبى، وأخرجـه السـيوطى فـى الجـامع الصـغير (9198)، وصـححه المنـاوى فـى شـرح الجـامع الصـغير



وقال ε: **(صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا)**[1].

وقال ε: **(ليكونن فى أمتى أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوامٌ إلى جنب عَلَم ترفع عليهم سارحتهم، فيأتيهم آتٍ لحاجة، فيقولون ارجع إلينا غداً، فيُبَيتُهم الله، ويَقعُ العَلَمُ عليهم، ويَمسَخُ منهم آخرين قردةً وخنازير إلى يوم القيامة)**[2].

= (289/2)، ووافقهم الألبانى فى صحيح الجامع (5067) وقال فى تعليقه على الحديث ذاته فى الصحيحة (1348) بعد أن عزا الحديث للحاكم، وابن نصر، والدولابى، والبزار وذكر أن اللفظة الصحيحة **(لو أن أحدهم ضاجع أمه ...)**: قوله: "أمه" هكذا وقع فى كل المصادر التى تقدم عزو الحديث إليها، وهو الصواب ووقع فى مستدرك الحاكم "امرأته" وهو خطأ من أحد رواته أو نساخه فاتنى أن أنبه عليه فى صحيح الجامع الصغير وزيادته". أهـ

والحديث أصله فى الصحيحين من حديث أبى سعيد τ بلفظ (لتتبعن): دون زيادة: **(لو أن أحدهم جامع ...)**.

(1) أخرجه مسلم (2128 و2828) من حديث أبى هريرة τ.

قال النووى –رحمه الله–: هذا الحديث من معجزات النبوة؛ فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان. وفيه ذم هذين الصنفين.

وقوله: "**كاسيات عاريات**" **قيل**: معناه كاسيات من نعمة الله، عاريات من شكرها.**وقيل**: معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا بحالها ونحوه. **وقيل**: معناه تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها.

وقوله: "**مائلات**"؛ قيل: معناه مائلات عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه. وقوله: "**مميلات**" أى: يُعَلِّمن غيرهن فعلهن المذموم. **وقيل**: مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن. **وقيل**: مائلات يمشطن المشطة المائلة، وهى مشطة البغايا، مميلات يمشطن غيرهن هذه المشطة.

وقوله: "**رؤوسهن كأسنمة البخت**" قيل: يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة ونحوها. أهـ شرح النووى لمسلم (91/14) و(160/17). قلت: ولا يمنع أنهن يجمعن شعورهن فى منتصف رؤوسهن كما يحدث الآن.

(2) أخرجه البخارى معلقا (5590) من حديث أبى عامر أو أبى مالك الأشعرى.

وقال ابن حجر: قال ابن حزم فى المحلى: إن الحديث منقطع فيما بين البخارى وشيخه هشام بن

ومن اللافت للنظر أن العالم كله الآن يستخدم سلاح المرأة بدعوى الاهتمام بقضايا

= ـــــــــــــــــــــــــــــــ

عمار. قال ابن الصلاح فى علوم الحديث: ... ... فزعم ابن حزم أنه منقطع فيما بين البخارى وهشام وجعله جوابا عن الاحتجاج به على تحريم المعازف وأخطأ فى ذلك من وجوه، والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح، والبخارى قد يفعل مثل ذلك؛ لكونه قد ذكر ذلك الحديث فى موضع آخر من كتابه مسندا متصلا، وقد يفعل ذلك لغير ذلك من الأسباب التى لا يصحبها خلل بالانقطاع. أهـ. (فتح البارى 10/53-56).

قلت: وقد ذكر ابن حجر -رحمه الله- وصله من وجوه عدة فراجعها. وكذا وصله الطبرانى، والبيهقى، وابن عساكر وغيرهم بإسناد صحيح. وللحديث طريق أخرى عند أبى داود، قال عنه الألبانى فى الصحيحة (91): "وهذا إسناد صحيح ومتابعة قوية لهشام بن عمار وصدقة بن خالد، ولم يقف على ذلك ابن حزم فى "المحلى" ولا فى رسالته فى إباحة الملاهى فأعل إسناد البخارى بالانقطاع بينه وبين هشام وبغير ذلك من العلل الواهية، والتى بينها العلماء من بعده وردوا عليه تضعيفه للحديث من أجلها؛ مثل المحقق ابن القيم فى "تهذيب السنن" والحافظ ابن حجر فى "الفتح" وغيرهما". أهـ.

قوله: "**يستحلون**": قال ابن العربى: يحتمل أن يكون المعنى يعتقدون ذلك حلالاً، ويحتمل أن يكون مجازا على الاسترسال أى: يسترسلون فى شربها كالاسترسال فى الحال.

قوله: "**الحر**" مخفف من **الحرح**، ثقلت الحاء الأخيرة مع سكون الراء وجمعوها على أحراح و"**الحر**" فى الحديث بمعنى الفرج أى يستحلون الزنا، قال ابن التين: يريد ارتكاب الفرج بغير حله وإن كان أهل اللغة لم يذكروا هذه اللفظة بهذا المعنى ولكن العامة تستعمله.

قوله: "**المعازف**" جمع معزفه وهى آلات الملاهى وقيل: هى الغناء، **وقيل**: هى أصوات الملاهى.

قوله: "**علم**" هو الجبل العالى، **وقيل**: رأس الجبل، **وقيل**: البناء العالى.

قوله: "**يبيتهم الله**" يهلكهم ليلا.

قوله: "**ويضع العلم**" أى: يوقع الجبل عليهم، أو يهدم البناء عليهم.

قوله: "**ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**" قال ابن العربى: يحتمل الأمر على الحقيقة كما وقع للأمم السالفة (قلت: أى: المسخ إلى قردة وخنازير) ويحتمل أن يكون كناية عن تبدل أخلاقهم وطباعهم مثل طباع وأخلاق القردة والخنازير. قال ابن حجر: والأول أليق بالسياق (انظر فتح البارى 10/57-58).

قلت: ويؤيد المعنى الأول حديث أبى أمامه وعلى مرفوعاً **(ليكونن فى هذه الأمة خسف وقذف ومسخ وذلك إذا شربوا الخمور، واتخذوا القينات، وضربوا المعازف)** انظر السلسلة الصحيحة (2203) وصحيح الجامع (5467).

المرأة[1].

بدأ الأهتمام بقضايا المرأة على المستوى العالمى بشكل واضح ابتداءً من عام 1975 حيث اعتبرت الأمم المتحدة ذلك العام (عام المرأة الدولي) وأقيم فى ذلك العام المؤتمر العالمى الأول للمرأة.

وفى عام 1979 عقدت الجمعية العامة للامم المتحدة مؤتمراً تحت شعار "القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة" وخرج المؤتمر بـاتفاقية تتضمن ثلاثين مادة وردت فى ستة أجزاء للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة –بالمفهوم الغربي– وجاءت هذه الاتفاقية بصيغة ملزمة قانونياً للدول التى توافق عليها إما بتصديقها أو بالانضمام إليها.

وتعد هذه الاتفاقية من أخطر الاتفاقيات المتعلقة بالمرأة وذلك لعدة أسباب:

أولاً: لأنها تعد الدين شكلاً من أشكال التمييز ضد المرأة.

ثانياً: لأن فيها رسماً لمجالات الحياة المختلفة (السياسية – الاقتصادية – الاجتماعية – التعليمية – الفكرية – وغيرها من مجالات الحياة) بالمنظور الغربى لحقوق المرأة القائم على ركيزتى الحرية التامة، والمساواة المطلقة[2].

ثالثاً: لأنها الاتفاقية الوحيدة الملزمة للدولة التى توقع عليها بتنفيذ بنودها وعدم التحفظ على أى بند منها.

وحيث إن المرأة المسلمة لم تتطبع بالنموذج الغربى بالسرعة المطلوبة وبالتواريخ التى حددها المؤتمر، فقد اتُخذت عدةُ خطوات من أجل سرعة تفعيل تغريب المرأة المسلمة ولكن تاريخ هذه الخطوات ابتداءً من (عام 2000م) وهو الموعد الذى حددته الأمم المتحدة لتوقيع جميع الدول على اتفاقية "القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة" ومما لاشك فيه أن هذه هى أسوأ المخططات المسخرة لحرب الأمة الإسلامية التى تبناها

---

(1) انظر مجلة البيان العدد 189.

(2) سيأتى قريبًا بيان أن هذه التسوية المطلقة باطلة.

النظام العالمى الجديد فى إطار **نظرية الخلط** وهى المسماه فى عصرنا "العولمة".

نظرية الخلط بين الحق والباطل، والمعروف والمنكر، والصالح والطالح، والسنة والبدعة، والسنى والبدعى، والقرآن والكتب المنسوخة المحرفة، والمسجد والكنيسة، والمسلم والكافر، ووحدة الأديان.

ونظرية الخلط هذه أنكى مكيدة لتذويب الدين فى نفوس المؤمنين وتحويل جماعة المسلمين إلى سائمة تسام، وقطيع مهزوزٌ اعتقادُه، غارقٌ فى شهواته، مستغرقٌ فى ملذاته، متبلدٌ إحساسه، لا يعرف معروفاً، ولاينكر منكراً.

وكل هذا من خلال الدعوات الآثمة والشعارات المضللة باسم "**حقوق المرأة**"، "**حرية المرأة**"، "**مساواة المرأة بالرجل**" ... وهكذا ... من دعوات فى قوائم يطول شرحها؛ تناولوها بعقول صغيرة وأفكار مريضة لإسقاط الحجاب وخلعه ونشر التبرج والسفور والعرى، والخلاعة والاختلاط حتى يقول لسان حال المرأة المتبرجة: "هيت لكم أيها الإباحيون" وهكذا سلكوا شتى السبل بالدعوة تارة والتنفيذ تارة وبنشر أسباب الفساد تارة حتى صار الناس فى أمر مريج، وتزلزل الإيمان فى نفوس كثيرين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إذن لابد من كلمة حق ترفع الضيم عن نساء المؤمنين، وتدفع المستغربين المعتدين على الدين، وتعلن التذكير بما يعبدُ اللهَ تعالى بِه نساءُ المؤمنين من فرض الحجاب وحفظ الحياء، والعفة، والاحتشام، والغيرة على المحارم.

وسيتركز حديثنا عن هذه الفتنة فى عدة مباحث.

المبحث الأول - وجوب الإيمان بالفوارق بين الرجل والمرأة:

الفوارق بين الرجل والمرأة الجسدية، والمعنوية، والشرعية ثابتة قدراً وشرعاً وحساً وعقلاً.

بيان ذلك: أن الله سبحانه خلق الرجل والمرأة شطرين للنوع الإنسانى؛ قال تعالى **[وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى]** (النجم: 45).

يشتركان فى عمارة الكون كلٌ فيما يخصه؛ قال تعالى: **[وَالليْلِ إذا يَغْشَى . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى . وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنْثَىَ . إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىَ]** (الليل: 1–4) يشتركان فى عمارته بالعبودية لله تعالى بلا فرق بين الرجال والنساء فى عموم الدين، والتوحيد، والاعتقاد، وحقائق الإيمان، وإسلام الوجه لله تعالى، وفى الثواب، والعقاب، وفى عموم الترغيب والترهيب والفضائل.

وبلا فرق أيضاً فى عموم التشريع فى الحقوق والواجبات كافة قال تعالى: **[وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ]** (الذاريات: 56).

وقال تعالى: **[وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا]** (النساء: 124).

لكن لما قدر الله تعالى أن الذكر ليس كالأنثى فى صفة الخلقة والهيئة والتكوين. كان من آثار هذا الاختلافِ فى الخلقة: الاختلاف بينهم فى القوى، والقدرات الجسدية، والعقلية، والفكرية، والعاطفية، والإرادية، وفى العمل والأداء إضافة إلى ما توصل إليه علماء الطب الحديث من عجائب الآثار من تفاوت الخلق بين الجنسين؛ لذا جعل الله شهادة المرأة نصف شهادة الرجل **[وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى]** (البقرة: 282).

ولهذا الاختلاف بين الذكر والأنثى؛ فإن الله تعالى العليمَ الخبيرَ فرَّقَ ببالغ حكمته بين الرجل والمرأة فى بعض أحكام التشريع. فخص كلاً منهما ببعض الأحكام التى تناسبه.

الرجال: قوامون على البيوت بالحفظ والرعاية وحراسة الفضائل وكف الرذائل؛ قال تعالى: **[الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِن أَمْوَالِهِم]** (النساء: 34).

ومنها النبوة: قال تعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلَكَ إلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ**



الْقُرَى] (يوسف: 109) والرجال اختصوا بكثير من العبادات دون النساء مثل فرض الجهاد، والجُمَع، والجماعات، والأذان، والإقامة وغيرها، وجعل الطلاق بيد الرجل لا بيدها والأولاد ينتسبون إليه لا إليها، وأن للرجل ضعف ما للأنثى فى الميراث، والدية، والشهادة وغيرها.

النساء: خصت بأحكام كثيرة فى العبادات، والمعاملات، والأنكحة، والقضاء وغيرها معلومة فى القرآن والسنة والمدونات الفقهية بل أفردت بالتأليف قديماً وحديثاً ككتاب تحفة العروس وأحكام النساء[1].

وهذه الأحكام التى اختص الله تعالى بها كل واحد من الرجال والنساء تفيد أموراً منها:

الأمر الأول: الإيمان والتسليم بالفوارق بين الرجال والنساء الحسية، والمعنوية،

(1) لم يعتبر الإسلام المرأة جرثومة خبيثة كما اعتبرها الآخرون، ولكنه قرر حقيقة تزيل هذا الهوان عنها، وهى أن المرأة بين يدى الإسلام قسيمة الرجل، لها ما له من الحقوق وعليها أيضاً ما عليه من الواجبات ما يلائم تكوينها وفطرتها، وعلى الرجل بما اختص به من شرف الرجولة، وقوة الجلد، وبسطة اليد، واتساع الحيلة؛ أن يلى رياستها فهو بذلك وليها، يحوطها بقوته، ويذود عنها بدمه، وينفق عليها من كسب يده قال تعالى **[وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ]** (البقرة: 228) وكما قرن بينهما فى شئون الحياة، كذلك ساوى بينهما فى الإنسانية، وتكاليف الإيمان، والموالاة، وادخار الأجر، وارتقاء الدرجات العلى فى الجنة.

وبعد أن أعلن الإسلام موقفه الصريح من إنسانية المرأة وأهليتها وكرامتها؛ نظر إلى طبيعتها وما تصلح له من أعمال الحياة فلم يسو بينها وبين الرجل فى كثير من الأمور قال تعالى: **[وَلَيسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى]** (آل عمران: 36).

قال محمد الأمين الشنقيطى –رحمه الله–: فمحاولة استواء المرأة مع الرجل فى جميع نواحى الحياة لا يمكن أن يتحقق؛ لأن الفوارق بين النوعين كوناً وقدراً أولاً، وشرعاً منزلاً ثانياً؛ تمنع من ذلك منعاً باتاً.

ولقوة الفوارق الكونية القدرية والشرعية بين الذكر الأنثى صح عن النبى ε لعنُ المتشبهين من الجنسين بالآخر؛ ولاشك أن السبب فى هذا اللعن هو محاولة من أراد التشبه منهم بالآخر لتحطيم هذه الفوارق التى لا يمكن أن تتحطم. أهـ (أضواء البيان 7/630–633 باختصار).

والفروق بين الرجل والمرأة كثيرة يطول المقام عن ذكرها، وإذا أردت مزيد بيان فراجع كتاب عودة الحجاب للأستاذ الدكتور محمد إسماعيل المقدم – حفظه الله – (2/47–155).



والشرعية، ويرضى كل بما كتب الله له قدراً، وشرعاً. وأن هذه الفوارق هى عين العدل وفيها انتظام حياة المجتمع الإنسانى، وعليه **فدعوى المساواة المطلقة منابذة للشرع والعقل والحس.**

الأمر الثانى: لا يجوز لمسلم ولا لمسلمة أن يتمنى ما خص الله به الآخر من الفوارق المذكورة قال تعالى: **[وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ]** (النساء: 32).

الأمر الثالث: إذا كان نهى القرآن عن مجرد التمنى فكيف بمن ينكر الفوارق الشرعية بين الرجل والمرأة وينادى بإلغائها، ويطالب بالمساواة، ويدعو إليها!! فهذه بلا شك نظرية إلحادية لما فيها من منازعة لإرادة الله تعالى الكونية القدرية.

المبحث الثانى - الإسلام وسد ذريعة الافتتان بالمرأة(1):

إن المرأة المسلمة لقيت عناية فائقة من الإسلام بما يصون عفتها، ويجعلها عزيزة الجانب، سامية المكانة. وإن الضوابط التى فرضها عليها فى ملبسها، وزينتها، وعلاقتها بالرجال لم تكن إلا لسد ذريعة الفساد، وتجفيف منابع الافتتان بها، فإذا هى تنكبت تلك المحجة، وانحرفت عن هذا السبيل، وحطمت تلك الحواجز، وتعدت تلك الضوابط، فثارت على البيت والولد، وانكشفت فى المجامع والأندية، وانغمرت فى اللهو واللعب، وراحت تعلن عن نفسها بشقاشق القول، وفضول اللسان، فهنالك الويل، والوبال، والفتنة، والدمار، والداء العضال.

والإسلام يقدر ما ركب فى طبيعة النوعين من التجاذب الذى يؤدى إلى الافتتان والفساد، فإذا ترك الناس لدواعى أهوائهم فسدت الأعراض، وفشت الإباحية.

والله سبحانه عليم بخلقه سواء منهم الرجل أو المرأة أو الشيطان: قال جل وعلا: **[أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ]** (الملك: 14).

---

(1) هذا المبحث مستفاد من كتاب عودة الحجاب لفضيلة الدكتور محمد إسماعيل المقدم (19/3-59 باختصار وتصرف وإضافة).



وقد نبهنا سبحانه إلى أن غاية الشيطان فى هذا الباب أن يوقع النوعين فى حضيض الفحشاء، لكنه يسلك فى تزيينها، والإغراء بها مسلك التدريج والاستدراج عن طريق خطوات يقود بعضُها إلى بعض.

(أولها النظرة، ثم النظرة تولد خطرة تطرق القلب، فإن دفعها العبد استراح مما بعدها، وإن لم يدفعها قويت، فصارت وسوسة، فكان دفعها أصعب، فإن بادر ودفعها، وإلا قويت، وصارت شهوة، فإن عالجها، وإلا صارت إرادة فإن عالجها وإلا صارت عزيمة، ومتى وصلت إلى هذه الحال لم يمكن دفعها، واقترن بها الفعل ولابد)[1].

ولا ريب أن دفع مبادئ هذا الداء من أوله أيسر وأهون من استفراغه بعد حصوله إن ساعد القدر، وأعان التوفيق. ومن هنا قال العليم الخبير: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ]** (النور: 21)، ولما أراد الله عز وجل أن ينهانا عن الفاحشة لم يقل (ولا تزنوا)، ولكن قال: **[وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى]** فهذا أبلغ؛ لإنه نهى عن مجردِ الدنوِ منه عن طريق ذرائعه ومقدماته، وقال سبحانه: **[تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا]** (البقرة: 187)، فما بالك بمن يتخطاها؟!

المبحث الثالث - الحفاظ على العرض أحد مقاصد الشريعة[2]:

الحفاظُ على العرض أحدُ المقاصد الأساسية العليا للشريعة الإسلامية، والتى تدور حولها جملةٌ كبيرة من الأحكام، من تأمّلها وجد أنها كلها تقود إلى هدف واحد هو منعُ وقوع فاحشة الزنا؛ **تعظيماً لحرمات الله، وصيانة للأعراض، ومحافظة على النسل، وتطهيراً للمجتمع من الرذيلة.**

واتخذت الشريعة فى ذلك اتجاهين:

الأول: اتجاه وقائى يمنع وقوع الفاحشة عن طريق سد المنافذ المؤدية إليها سداً

(1) التبيان فى أقسام القرآن صـ 304.

(2) مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء خمسة وهى: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ النسل والعرض، وحفظ العقل.



محكماً.

الثـانى: اتجـاه علاجـى عـن طريـق فـتح أبـواب التعفف والحصـانة علـى مصـاريعها، وشق الطرق المعبدة الموصلة إلى ما أحله الله.

وهذا ما نفصله فيما يلى إن شاء الله تعالى.

أولاً – الإجراءات الوقائية:

1. تحريم الزنا وبيان أنه خراب للدنيا والدين:

أجمعت الشرائع السماوية على تحريم الزنـا، واعتبرتـه من أكبر الآثام، وأعظم الجرائم التـى تدنس النفس البشرية، وتحول بينها وبين سعادتها وكمالها، ووضـعت لـه أقصـى عقوبـة فـى بـاب العقوبـات وأشـنعها، وهـى الـرجم بالحجـارة حتـى المـوت، وتوعـدت فاعليهـا بالعقوبـات العاجلـة، والعذاب الأليم فـى الآخرة، واتفقت المـذاهب الأخلاقيـة علـى تحـريم الزنـا واسـتقبحته، وحكمـت عليـه بالشـناعة القبيحـة، وجعلتـه فـى عـداد الجـرائم الكبـرى، قـال سبحانه وتعـالى: **[وَلاَ تَقْرَبُـوا الزِّنَـى إِنَّـهُ كَـانَ فَاحِشَـةً وَسَـاءَ سَبِيلاً]** (الإسراء: 32)، والقرآن الكريم يجعل الزنـا قرين الشرك والقتل، قال تعالى: **[وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَـعَ اللهِ إِلَهَـاً آخَـرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِـى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُـونَ وَمَـنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامَـاً، يُضَـاعَفْ لَـهُ الْعَذَابُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَيَخْلُدْ فِيـهِ مُهَانَـاً، إِلاَّ مَـنْ تَـابَ وَآمَـنَ وَعَمِـلَ عَمَـلاً صَـالِحَاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَـانَ اللهُ غَفُورَاً رَّحِيمَاً]** (الفرقان: 68–70).

وعن عائشة رضـى الله عنها أن رسول الله ε قال فى خطبته فى صـلاة الكسـوف: **(يـا أمـة محمـد، والله إنـه لا أحد أغير مـن الله أن يزنـى عبده، أو تزنـى أمتـه، يـا أمـة محمـد، والله لـو تعلمـون مـا أعلـم، لضـحكتم قليـلاً، ولبكيـتم كثيـراً)**، ثـم رفـع يديـه فقـال: **(اللهـم هـل بلغت)**[1].

وقد نفى رسول الله ε الإيمـان من قلـوب الـذين استمرءوا الكبائر، وبَيَّنَ انسـلاخهم من

---

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (1044)، ومسلم (901).

الدين، فعن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)**(1).

وعنه τ قال: قال رسول الله ε: **(إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، فكان على رأسه كالظلة، فإذا أقلع رجع إليه)**(2).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ε: **(إذا ظهر الزنا والربا فى قرية؛ فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله)**(3).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ε: **(لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا)**(4).

وعن بريدة مرفوعاً: **(ما ظهرت فاحشة فى قوم قط إلا سلط الله عز وجل عليهم الموت)**(5).

---

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (2475 و5578 و6772 و6809)، ومسلم (57).

(2) رواه بنحوه أبو داود (46909)، والترمذى (2627)، والحاكم (56) وصححه، ووافقه الذهبى، والألبانى فى الصحيحة (509) وفى صحيح الجامع (586).

(3) أخرجه الحاكم (2261) وصححه، ووافقه الذهبى، والمنذرى فى الترغيب (2855 و3629)، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (281/5) للطبرانى والحاكم والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (679)، وفى تعليقه على الترغيب.

(4) قطعة من حديث أخرجه ابن ماجة (4019)، والطبرانى فى الأوسط (4671)، وفى مسند الشاميين (1558)، والحاكم (8623) وصححه، ووافقه الذهبى، والدانى فى السنن الورادة فى الفتن (327)، والبيهقى فى شعب الإيمان (3314 و10550)، وقال الهيثمى فى المجمع (317/5): رجاله ثقات، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (7978) وانظر الصحيحة (106).

(5) قطعة من حديث أخرجه الحاكم (2577) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، وأخرجه البيهقى فى الكبرى (6190و18630)، وفى شعب الإيمان (3312)، وعزاه الهيثمى فى المجمع (269/7) للبزار وقال: رجاله رجال الصحيح، وذكره الحافظ فى الفتح (203/10) وجود إسناده وصححه الألبانى فى الصحيحة (107).

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى التعفف عن الزنا، والتصون منه من صفات المؤمنين المفلحين، قال تعالى: **[قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الْذِينَ هُمْ فِى صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالْذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالْذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالْذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلاّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ]** (المؤمنون: 1-7).

وفى قصة نبى الله يوسف عليه السلام أبلغ دليل على فضيلة العفة وحسن عاقبتها، وفى السنة أحاديث كثيرة صحيحة فى هذا المعنى:

ففى حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: **(ورجلٌ دعته امرأة ذاتُ منصب وجمال، فقال: إنى أخاف الله)**[1].

وعن سهل بن سعد الساعدى τ قال: قال رسول الله ε: **(من يضمن لى ما بين رجليه، وما بين لحييه أضمن له الجنة)**[2].

وعن عبد الله بن عُمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ε يقول: **(كان فيمن كان قبلكم رجل اسمه الكفل، وكان لا ينزع عن شىء**، وفى رواية: **كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عملَهَ فأتى امرأةً ألمَّ بها حاجة، فأعطاها عطاء كثيراً**، وفى رواية: **ستين ديناراً فلما أرادها عن نفسها: ارتعدت، وبكت، فقال: ما يُبكيك؟ قالت: لأن هذا عملٌ ما عمِلتُه قط، وما حملنى عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنت هذا من مخافة الله؟ فأنا أحرى، اذهبى فلك ما أعطيتك، ووالله لا أعصيه أبداً، فمات من ليلته، فأصبح مكتوب على بابه: إن الله تعالى قد غفر للكفل، فعجب الناس من ذلك، حتى أوحى الله تعالى إلى نبى زمانهم بشأنه)**[3].

---

(1) متفق عليه: أخرجه البخارى (660)، ومسلم (1031) من حديث أبى هريرة τ.

(2) أخرجه البخارى (6474 و6807).

(3) هذه الرواية بهذا السياق ذكرها ابن الأثير فى جامع الأصول (7823)، وأخرجه أحمد (4747)، والترمذى بنحوه (2498) وقال: حديث حسن، وأبو يعلى (7526)، وابن حبان (387)، والحاكم (7651) وصححه ووافقه الذهبى، ورواه أبو نعيم فى الحلية (297/4)، والبيهقى فى شعب الإيمان

وقد شدد الله عز وجل عقوبة الزانى الأثيم المادية، والمعنوية؛ فالعقوبة المادية: العذاب الأليم بالجلد أو الرجم، والمعنوية: أن لا نرأف به، ولا نشفق عليه حتى يبرأ من جريرته، ويتوب منها؛ قال تعالى: **[الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ]**[1] (النور: 2).

قال ابن القيم رحمه الله: "وخص سبحانه حد الزنا من بين سائر الحدود بثلاث خصائص:

أحدهما: القتل فيه بأشنع القتلات، وحين خففه جمع فيه بين العقوبة على البدن بالجلد، وعلى القلب بتغريبه عن وطنه سنة[2].

الثانى: أنه نهى عباده عن أن تأخذهم بالزناة رأفة فى دينه، بحيث تمنعهم من إقامة الحد عليهم.

=

(7109)، رووه جميعاً دون ذكر قوله: (... **فعجب الناس** ...) الحديث، وقال ابن كثير فى تفسيره (192/3): إسناده غريب. وضعفه الألبانى فى تعليقه على الترمذى وفى ضعيف الجامع (4150) وفى الضعيفة (4083).

(1) وقد زادت السنة الشريفة -وهى الوحى الثانى بعد القرآن- على الحكم بجلد الزانى البكر والزانية البكرة مائة جلدة؛ أن يغربا عاماً. فعن عبادة بن الصامت τ قال: "خذوا عنى، خذوا عنى، فقد جعل الله لهن سبيلاً: البكر بالبكر مائة جلدة، ونفى سنة، والثيب بالثيب، جلد مائة والرجم" أخرجه مسلم (1690). ويؤخذ منه أن زنا الثيب أقبح من زنا البكر بدليل اختلاف حديهما.

(2) أجمع العلماء سلفاً وخلفاً على أن الزانى المحصن يرجم لا محالة، وذهب جمهورهم إلى أن الواجب فى حد الزانى المحصن هو الرجم فحسب، ومن هؤلاء الأئمة الأربعة، وذهب البعض إلى الجمع بين الجلد، والرجم، منهم علىٌ τ، والحسن البصرى، وإسحق بن راهويه، وداود، والظاهرية، وأجمع العلماء سلفاً وخلفاً على وجوب الجلد على الزانيين غير المحصنين، ولم يعرف فى ذلك مخالف.
أما التغريب عاماً وهو النفى من مكان الجريمة إلى مكان آخر، فقد اختلف فيه الفقهاء. فذهب الجمهور إلى الجمع بينهما: الجلد، والتغريب، وبه قال الشافعى وأحمد، وقال مالك والأوزاعى بالجمع بينهما بالنسبة إلى الرجال الأحرار ولا نفى على النساء، وذهب أبو حنيفة ومن تابعه إلى عدم الجمع بين الجلد والنفى (انظر الحدود فى الإسلام لأبى شهبة صـ 150-201).



الثالث: أنه سبحانه أمر أن يكون حدهما بمشهد من المؤمنين، فلا يكون فى خلوة حيث لا يراهما أحد، وذلك أبلغ فى مصلحة الحد، وحكمة الزجر"[1]. أهـ.

وأمر أن يكون عدد الجلدات مائة جلدة، وليس ذلك فى أى حد آخر.

ويعذب الزناة فى قبورهم إلى يوم القيامة على النحو الذى جاء فى حديث رؤيا النبى ε التى رأى فيها صوراً من عذاب القبر، فقد ذكر ε أنه جاءه جبريل وميكائيل، قال: **(فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع، فيه لغط وأصوات، قال: فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا** –أى: صاحوا من شدة حره– **فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء هم الزناة والزوانى)** يعنى من الرجال والنساء، فهذا عذابهم فى القبر إلى يوم القيامة نسأل الله العافية.

وفى رواية: **(فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته النار، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة**، وفى نهاية الحديث: **والذى رأيته فى الثقب فهم الزناة)**[2].

والزنا له مراتب، فهو بأجنبية لا زوج لها عظيم، وأعظم منه بأجنبية لها زوج، وأقبح منه: زوجة الجار: عن المقداد بن الأسود τ قال: قال رسول الله ε لأصحابه: **(ماذا تقولون فى الزنا؟** قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال ε لأصحابه: **لأن يزنى الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره)**[3].

وعن ابن مسعود τ قال: سألت رسول الله ε: (أى الذنب أعظم عند الله؟ قال: **أن**

---

(1) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن القيم صـ 144 بتصرف.

(2) متفق عليه: أخرجه البخارى (7047)، ومسلم (2275) من حديث سمرة بن جندب τ.

(3) أخرجه أحمد (23905)، والبخارى فى الأدب المفرد (103)، وفى التاريخ الكبير (2126)، والبزار (2115)، والطبرانى فى الكبير (256/20) (رقم605)، وفى الأوسط (6333)، والبيهقى فى شعب الإيمان (9552)، وقال الهيثمى فى المجمع (168/8): رجاله ثقات، وقال الألبانى فى صحيح الجامع (5043) وفى الصحيحة (65) وفى تعليقه على الأدب المفرد: صحيح.

تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: **أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**، قلت: ثم أي؟ قال: **أن تزانى حليلة جارك)**[1] الحديث.

وعن بريدة τ مرفوعاً قال: **(حُرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، ما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين فى أهله، فيخونه فيهم، إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى**، ثم التفت إلينا رسول الله ε فقال: **فما ظنكم؟)**[2]. وزاد النسائى قوله: **(أترون يدع له من حسناته ما شيئاً؟)**[3].

ثم إن زِنا الشيخ لكمال عقله أقبح من زنا الشباب:

فعن أبى هريرة τ مرفوعاً: **(ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر)**[4].

مفاسد الزنا وعواقبه الوخيمة[5]:

ومن مفاسد الزنا وعواقبه الوخيمة أنه يعمى القلب، ويطمس نوره، وأنه يحقر النفس، ويقمعها، ويسقط كرامة الإنسان عند الله وعند خلقه، وأنه يؤثر فى نقصان العقل، وأنه يمحق بركة العمر، ويضعف فى القلب تعظيم الله، ويوجب الفقر، ويكسو صاحبه سواد الوجه، وثوب المقت بين الناس، ومن خاصيته أيضاً أنه يشتت القلب، ويمرضه، ويجلب الهم والحزن والخوف، ويباعد صاحبه من الملك، ويقربه من الشيطان.

فليس بعد مفسدة القتل أعظم من مفسدة الزنا، ولهذا شرع فيه القتل على أشنع الوجوه وأفحشها وأصعبها، ولو بلغ العبد أن امرأةً من نسائه قُتلت لكان أسهل عليه من أن يبلغه

---

(1) متفق عليه: أخرجه البخارى (4477)، ومسلم (86).
(2) أخرجه مسلم (1897).
(3) أخرجه النسائى فى الكبرى (4400)، وفى المجتبى (3191)، وصححه الألبانى فى تعليقه على المجتبى.
(4) أخرجه مسلم (107).
(5) راجع الكبائر للذهبى؛ الكبيرة العاشرة: "**الزنا**"، الحادية عشرة: "**اللواط**".

أنها زنت.

وبما أن الجزاء من جنس العمل، فقد ينتقم الله من الزانى بأن يسلط على عرضه من لا يتقى الله فينال منه، كما فعل هو بعرض غيره[1].

---

(1) انظر عودة الحجاب (34/3).

قال المناوى: "من عقوبة الزانى ما لابد أن يجعل فى الدنيا، وهو أن يقع فى الزنا بعض أهل داره حتما مقضيا؛ وذلك لأن الزنا يوجب هتك العرض، مع قطع النظر عن لزوم الحد فى الدنيا، والعذاب فى الآخرة؛ فيكون سيئة؛ وجزاء سيئة سيئةٌ مثلها، فيلزم أن يسلط على الزانى من يزنى به بنحو حليلته، والله عزيز ذو انتقام؛ فإن لم يكن للزانى من يزنى به، أو يلاط به من نحو حليلة، أو قريب؛ عوقب بوجه آخر. والظاهر أن المرأة كالرجل فإذا زنت عوقبت بزنا زوجها، ووقوع الزنا فى أبويها، وحصول الغيرة لها. أهـ (فيض القدير 142/6-143).

عظة وعبرة:

وهذه قصة واقعية نقلها لى بعض الشباب عن شبكة المعلومات (Internet) قال صاحب القصة: "أنا إنسان مشلول، حبيس مقعد متحرك يسير فى أماكن محدودة ... هذا أنا، ولكن أريد من كل من يقرأ هذه القصة -التى ترددت كثيرا أن أكتبها أو أن يعرف عنها أحد- أن يقرأها بتمعن، وليعلم الجميع أننى ما كتبتها إلا لأفرغ ما فى جوفى من ألم وحسرة وتأنيب ضمير، والأهم من هذا هو طلب المغفرة والسماح من الخالق الغفار الذى يغفر الذنوب جميعاً، وإليكم قصتى:

لقد كنت مثل أى شاب فرحين بما آتانا الله -عز وجل- من نعمة المال، والصحة، والشباب، والأهل، ولم نحمد الله على هذه النعم، ولكن انغمسنا فى متع الدنيا ولم نبخل على أنفسنا بأى شىء منها، وكنا نتباهى بعدد الفتيات التى بحوزة كل منا، نخدع البنات بالكلام المعسول والذى يفرح كل بنت ونقوم بتهديدها إذا لم تخضع لرغباتنا!!

وفى يوم قال لى صديقى: لقد أوقعت فى شباكى فتاة جميلة ومن عائلة محترمة وثقت بى، ووعدتها بالزواج، وأعطيتها موعداً هنا بالشقة (وهنا ترتفع الضحكات، والتى كلما تذكرتها تمنيت الموت لنفسي) وسوف تحضر فى الموعد المحدد، وطلب منى الاختباء؛ لأنه سوف يقدمنى لها، ويصحبها إلى!!

حضرت الفتاة، وأدخلها، واطمأنت إليه إلى أن وصلت إلى المكان الذى أعده لها، وهى تتوسل إليه، وتذكره بحبها، تستعطفه، ولكنه أصبح ذئباً بل حيواناً لا يسمع، وما أن انتهى من جريمته إلا وفوجئت به يقول لها: معى صاحبى يريد التعرف عليكِ!! وإذا سمعت صوتك فسوف تفضحين نفسك، ولقد تم تصويرك (كان هذا مجرد تهديد).

وقد وصف بعضهم آثار هذه الفاحشة المدمرة فقال: "عاره يهدم البيوت الرفيعة، ويطاطئ الرؤوس العالية، ويسود الوجوه البيض، ويصبغ بأسود من القار أنصع العمائم بياضاً، ويخرس الألسنة البليغة، ويبدل أشجع الناس من شجاعتهم جبناً لا يدانيه جبن، ويهوى بأطول الناس أعناقاً، وأسماهم مقاماً، وأعرقهم عِزًّا إلى هاوية من الذل والإزدراء والحقارة ليس لها من قرار.

وهو أقدر أنواع العار على نزع ثوب الجاه مهما اتسع، ونباهة الذكر مهما بعدت، وإلباس ثوب من الخمول ينبو بالعيون عن أن تلفت إلى من كان فى بيوتهم لفتة احترام، وهو -أى الزنا- لطخة سوداء إذا لحقت تاريخ أسرة غمرت كل صحائفه البيض، وتركت العيون لا ترى منها إلا سواداً حالكاً.

وهو الذنب الظلوم الذى إن كان فى قوم لا يقتصر على شين من قارفته من نسائهم، بل يمتد شينه إلى من سواها منهم، فيشينهن جميعاً شيناً يترك لهن من الأثر فى أعين الناظرين ما يقضى على مستقبلهن النسوى، وهو العار الذى يطول عمره طولاً، فقاتله الله من ذنب، وقاتل فاعليه"[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: "ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم، فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار على أهلها وزوجها وأقاربها، ونكست رؤوسهم بين الناس، وإن حملت من

=

وجاء دورى فدخلت -ويا ليتنى ما دخلت- وجدت فتاةً ممزقة الثياب تبكى بحرقة، فأدرت وجهها فإذا هى أختي!! صرخت حتى أغمى عليها، أما أنا فأحسست بثقل كبير فى رجلى من هول الصدمة أختي! كيف؟ ومتى؟ ولماذا؟ ولم يعلم أحد أنها أختى، وتم إيقاظها، وأنزلها صديقى وهددها وتوعدها إذا تكلمت، ثم نقلونى إلى المستشفى سألتهم عنها، قالوا: إنها خرجت ولم يعرفوا عنها شيئاً، وبعد خروج أصدقائى اتصلت بالمنزل وأخبرت أهلى بأننى فى المستشفى وسألت عنها بطريق غير مباشر فعلمت أنها وصلت منذ قليل إلى البيت.

وبعد خروجى من المستشفى فوق الكرسى المتحرك وجدت أختى وهى تنظر إلى بنظرة لن أنساها ما حييت؛ فإذا بها تقول لى: لقد كنت صادقة فى حبى له، ولكن الله عز وجل أراد أن يبلغك رسالةً ربانيةً ويقتص للفتيات اللاتى كنت وأصحابك تتاجرون بأعراضهن ثم قالت: أما أنا فقد تبت إلى الله وأتمنى أن يقبل توبتى ... ثم ختم رسالته بقوله: أما أنا فهل يقبل؟

(1) موارد الظمآن من دروس الزمان (3/454-455).



الزنا: فإن قتلت ولدَها جمعت بين الزنا والقتل، وإن أبقته حملته على الزوج فأدخلت على أهلها وأهله أجنبياً ليس منهم، فورثهم وليس منهم، ورآهم، وخلا بهم، وانتسب إليهم وليس منهم، وأما زنا الرجل؛ فإنه يوجب اختلاط الأنساب أيضاً، وإفساد المرأة المصونة، وتعريضها للتلف والفساد، ففى هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين"[1].

ومن الإجراءات الوقائية:

2. أن الله سبحانه منع الزواج ممن عرف –أو عرفت– بالفاحشة إذا لم يتب:

قال سبحانه: **[الزَّانِى لاَ يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ]**[2] (النور: 3)، أخذاً بالحيطة إذ من اعتاد الفاحشة لا يأمن أن يعاودها.

3. وحرّم البذاء، ومنع الفحش فى القول، وكره التلفظ بالسوء:

قال عز وجل: **[لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنْ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ]** (النساء: 148)، وقال ε: **(ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذىء)**[3].

4. وحرّم أن يظن بمؤمن سوء، وأوجب على المؤمن إذا سمع عن أخيه سوءً

---

(1) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (صـ 352–363)، والداء والدواء (صـ 113).

(2) اختلف العلماء فى "لا" فى هذه الآية؛ هل هى للنفى أم للنهى؟ واختلفوا فى المقصود من قوله تعالى: **[وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ]**، وهل الآية منسوخة أم محكمة. ينظر: تفسير الطبرى والقرطبى وابن كثير وإغاثة اللهفان لابن القيم.

(3) رواه من حديث ابن مسعود τ الترمذى (1978) وقال: (حديث حسن غريب)، ورواه الإمام أحمد (3839)، وابن حبان (48)، والبخارى فى الأدب المفرد (312)، والحاكم فى (29 و30)، وصححه وسكت عنه الذهبى وقال: الألبانى: صحيح، وانظر السلسلة الصحيحة (320)، وصحيح الجامع (5382).



أن يظن به البراء من الإثم، والطهارة من السوء كما هو طاهر وبرىء:

قال الله تعالى: **[لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ. لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَاذِبُونَ]** (النور: 12-13)، والقصد من وراء هذا عدم السماح للفاحشة أن تظهر، ولو على ألسنة المتكلمين، أو فى أذهان السامعين تركيزاً للطهارة وتثبيتاً لها فى جو البلاد والعباد، وفى هذا من معنى محاربة الفاحشة بالوقاية مالا يخفى على عاقل.

5. وحرم قذف المؤمن أو المؤمنة بالفاحشة، ووضع لذلك عقوبة زاجرة -الجلد ثمانين جلدة-:

قال الله تعالى: **[وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ. إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ]** (النور: 4-5).

6. وحرم مجرد حب إشاعة الفاحشة فى البلاد والعباد:

قال تعالى: **[إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ]** (النور: 19)[1].

7. وحظر على الرجل أن يغيب عن زوجته مدة طويلة:

---

(1) قلت: وقد اتخذ الإسلام عدة إجراءات وقائية لسد باب نشر الفاحشة بين المسلمين:

منها: أنه حرم قذف المحصنات المؤمنات الغافلات، ورميهن بالزنى.

ومنها: أنه حرم نشر ما يكون بين الزوجين من مسائل الجماع ونحوه.

ومنها: أنه ذم الذى يجاهر بالمعصية ويعلنها للناس؛ لأنه فى هذه الحالة يكون مستخفاً بحق الله ورسوله وصالحى المؤمنين.

ومنها: أن ظهورها وانتشارها سبب فى تسلط العذاب وعمومه على جميع الناس..



قال تعالى: **[لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ]** (البقرة: 226–227)، فإذا حلف الرجل ألا يطأ زوجته أربعة أشهر فأكثر كان مؤلياً، فإن رجع فى تلك المدة ووطأها، وكفر عن يمينه فإن الله يغفر له ما حصل منه، وإن مضت هذه المدة وهو مصر على ترك وطء زوجته؛ فإنه يوقف ويؤمر بوطء زوجته والتكفير عن يمينه، فإن أبى أُمر بالطلاق بعد مطالبة المرأة(1).

8. وفرض الحجاب على النساء، واعتبر قرارهن فى البيت هو الأصل الأصيل فى دائرة عملهن:

قال ε: **(والمرأة فى بيت زوجها راعية، وهى مسئولة عن رعيتها)**(2)، وما عداه استثناء.

ثم إن هى خرجت تخرج محجوبة، لا تخالط الرجال، وبشروط أخرى جماعها: حمايتها، وحماية مجتمعها من الافتتان بها، عن ابن مسعود τ قال: "إنما النساء عورة، وإن المرأة لتخرج من بيتها وما من بأس، فيستشرفها الشيطان، فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبتيه، وإن المرأة لتلبس ثيابها، فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضاً، أو أشهد جنازة، أو أصلى فى مسجد، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده فى بيتها"(3).

9. وحرَّم التبرج، وإظهار الزينة، والتجمل للفت نظر الأجانب:

---

(1) والسبب فى ذلك أن الإصرار على الإيلاء فيه إضرار للزوجة والضرر مرفوع كما هو مقرر فى الأصول، وقد قال ε: **(لا ضرر ولا ضرار)**. انظر السلسلة الصحيحة (250).

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (893 و2409 و2554 و2558 و2751 و5188 و5200 و7138)، ومسلم (1829)، من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

(3) أخرجه موقوفا على ابن مسعود τ الطبرانى فى الكبير (8914 و9480)، والمنذرى فى الترغيب (519) وحسن إسناده، وقال الهيثمى فى المجمع (35/2): رجاله ثقات، وقال الألبانى فى تعليقه على الترغيب: صحيح موقوف ورفعه البيهقى فى الشعب (7819).



قــال تعــالى: **[وَقَــرْنَ فِــى بُيُــوتِكُنَّ وَلاَ تَبَــرَّجْنَ تَبَــرُّجَ الْجَاهِلِيَّــةِ الأُولَــى]** (الأحزاب: 33)[1].

10. وشرع الاستئذان:

فقد حرم الله عز وجل الدخول إلى البيوت إلا بعد الإذن، قال تعالى: **[يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ]** (النور: 27-28).

ووضحت السنة الهدف من الاستئذان، وهو خشية أن تقع عين آثمة على عورة غافلة، فتلد تلك النظرة الخاطفة فاحشة فاضحة، لا قبل بتحملها، فعن سهل بن سعد τ قال: اطلع رجل من ثقب فى حجرة النبى ε، ومعه مدرى -مشط كبير من حديد- يحك به رأسه، فقال النبى ε: **(لو علمت أنك تنظر، لطعنت به عينيك، إنما جعل الإستئذان من أجل البصر)**[2].

11. وأمر بغض البصر:

---

(1) **التبرج لغة:** إبداء المرأة زينتها، وإظهارُ وجهها، ومحاسن جيدها للرجال، وكل ما تستدعى به شهوتهم حتى التكسر والتبختر فى مشيتها ما لم يكن ذلك للزوج (لسان العرب، والقاموس المحيط مادة برج) أو هو تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه.

وشرعاً: هو كل زينة أو تجمل تقصد المرأة بإظهاره أن تحلو فى أعين الأجانب، حتى القناع الذى تستتر به المرأة إن انتخب من الألوان البراقة، والشكل الجذاب لكى تلذ به أعين الناظرين، فهو من مظاهر تبرج الجاهلية أصلاً. ينظر الحجاب للمودودى صـ 132.

وإذا أردت مزيد بيان فراجع الكتاب القيم لشيخنا المقدم "عودة الحجاب" الجزء الثالث من ص125 حتى 142 ففيه بحث قيم عن التبرج ومثالبه.

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (6901)، ومسلم (2156).

راجع رسالة "الأدب الضائع" لفضيلة الدكتور محمد بن إسماعيل بن المقدم، وهو بحث قيم جامع فى أحكام وآداب الاستئذان.



قال تعالى: **[قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ]** (النور: 30-31)(1).

12. حرم مس الأجنبية ومصافحتها:

قال رسول الله ε: **(لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس إمرأة لا تحل له)**(2).

13. وحرم الخلوة بالأجنبية:

---

(1) انظر للأهمية فوائد غض البصر من كلام ابن القيم رحمه الله فى إغاثة اللهفان (60/1-62).

(2) أخرجه من حديث معقل بن يسار τ الرويانى فى مسنده (1283)، والطبرانى فى الكبير (211/20) (رقم 486 و487)، وعزاه المنذرى فى الترغيب (2938) للطبرانى والبيهقى وقال: رجال الطبرانى ثقات رجال الصحيح، وقال الألبانى فى الصحيحة (226) وفى صحيح الجامع (5045): صحيح.
قال الدكتور محمد بن إسماعيل المقدم -حفظه الله-:

تنبيه تمس الحاجة إليه: يتعلق بتهاون بعض الناس بهذا الحكم وهو تحريم مصافحة الأجنبية بزعم أنهم يستحيون من إحراج من يمد يده للمصافحة غافلين عن أن هذا عجز وليس حياءً.
قال القرطبى رحمه الله فيما نقله عنه المناوى فى "الفيض":

"وقد كان المصطفى ε يأخذ نفسه بالحياء، ويأمر به، ويحث عليه، ومع ذلك فلا يمنعه الحياء من حق يقوله، أو أمر دينى يفعله، تمسكاً بقوله فى الحديث الآتى: **(إن الله لا يستحى من الحق)** [رواه النسائى وابن ماجه عن خزيمة بن ثابت τ انظر صحيح الجامع (1852)] وهذا هو نهاية الحياء، وكماله، وحسنه، واعتداله؛ فإن من فرط عليه الحياء حتى منعه من الحق، فقد ترك الحياء من الخالق، واستحيا من الخلق، ومن كان هكذا حرم منافع الحياء، واتصف بالنفاق والرياء، والحياء من الله هو الأصل والأساس؛ فإن الله أحق أن يُستحيا منه، فليحفظ هذا الأصل، فإنه نافع" أهـ، فيض القدير (487/1)، وانظر عودة الحجاب (45/3) حاشية.

قال رسول الله ع: **(لا يخلون رجل بإمرأة إلا ومعها ذو محرم)**[1].

14. تحريم سفر المرأة بغير محرم:

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه سمع النبى ع يخطب يقول: **(لا يخلون رجل بامرأه إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأه إلا مع ذى محرم**، فقام رجل فقال: يا رسول الله! إن امرأتى خرجت حاجة، وإنى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا؟ قال: **انطلق فحج مع امرأتك)**[2].

15. تحريم خروج المرأة متعطرة:

قال رسول الله ع: **(أيما امرأة استعطرت، ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية وكل عين زانية)**[3].

---

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (3061 و5233)، ومسلم (1341) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.
وحقيقة الخلوة أن ينفرد رجل بامرأة فى غيبة عن أعين الناس وعن سمعهم.
وقد صرح القرطبى –رحمه الله–: بأن الخلوة بغير محرم من الكبائر، ومن أفعال الجاهلية (الجامع لأحكام القرآن 74/18).
وقد حكى الإجماع على تحريم الخلوة بالأجنبية غير واحد من العلماء منهم النووى وابن حجر وقال النووي–رحمه الله–: وكذا لو كان معهما من لا يستحيا منه لصغره كابن سنتين، وثلاث ونحو ذلك؛ فإن وجوده كالعدم، وكذا لو اجتمع رجال بامرأة أجنبية فهو حرام. أ هـ (انظر عودة الحجاب 45/3–48).

(2) تقدم تخريجه "الحديث السابق".
وقال الشيخ المقدم –معلقاً على حديث ابن عباس هذا–: هكذا مطلقا، والعمل على الحديث عند أكثر العلماء، قال النووى – رحمه الله –: (كل ما يسمى سفراً تنهى عنه المرأة بغير زوج أو محرم سواء كان ذلك ثلاثة أيام أو يومين أو يوماً أو بريداً أو غير ذلك لرواية ابن عباس τ المطلقة: **(لا تسافر امرأة إلا مع ذى محرم)** وهذا يتناول جميع ما يسمى سفراً) أهـ.
وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– قد عمل أكثر العلماء فى هذا الباب بالمطلق لاختلاف التقييدات أهـ. (انظر إكمال الإكمال للآبى 436/3 وعودة الحجاب 48/3–49).

(3) أخرجه من حديث أبى موسى الأشعرى τ أحمد (19593 و19726 و19762)، وعبد بن حميد فى

16. تحريم الخضوع بالقول:

قال تعالى: **[يَانِسَاءَ النَّبِى لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا]**[1] (الأحزاب: 32).

17. منع الاختلاط[2]:

وهو من أعظم الوسائل لتجفيف منابع الفتنة قال تعالى: **[وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى]** (الأحزاب: 33). وقال تعالى: **[وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ]** (الأحزاب: 53).

فيا أولياء النساء والبنات والأزواج، احذروا: الخلوة، والاختلاط، والتبرج، فإنها والزنى رفيقان لا يفترفان، وصنوان لا ينفصمان غالباً. واعلموا: أن الستر والصيانة هما أعظم عون على العفاف والحصانة، وإن احترام القيود التى شرعها الإسلام فى علاقة

=

مسنده (557)، والبزار (3033)، والنسائى فى الكبرى (9422)، وفى المجتبى (5126)، وابن خزيمة (1681)، وابن حبان (4424)، والحاكم (3497) وصححه، ووافقه الذهبى، والبيهقى فى الكبرى (5769) وفى شعب الإيمان (7815)، وقال الألبانى فى صحيح الجامع (2701): حسن.

(1) فقد يكون صوت المرأة رخيماً، يحرك النفوس المريضة، فيجرها إلى التفكير فى المعصية، أو يوقعها فى بلية العشق، ومن هنا نهيت المرأة عن مخاطبة الأجانب بصوت فيه ترخيم كما تخاطب المرأة زوجها، وأمرت أن تتحرى الصوت الجاد العارى عن أسباب الفتنة، ولم يخول لها الإسلام إذا نابها شيء فى الصلاة أن تسبح كالرجال، بل عليها أن تصفق، وهى فى الحج لا ترفع صوتها بالتلبية، ولا يشرع لها أن تؤذن للصلاة فى المسجد، ولا أن تؤم الرجال، وقد سد الإسلام على المرأة كل سبيل للتسيب فى هذا الباب حينما جعل أمهات المؤمنين محلا للقدوة، فلم يبق هناك عذر لمتعذر. (انظر عودة الحجاب 51/3).

(2) الاختلاط هو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم فى مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر، أو الإشارة، أو الكلام، أو البدن من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد.

وقد فهم النهى عن الاختلاط من عدة أحاديث كجعل صفوف النساء خلف الرجال، وكون آخرها خيرها وأولها شرها، وعدم التفات النبى ε ولا الصحابة بعد الصلاة حتى تخرج النساء، وتخصيص النبيε للنساء بابا يدخلن منه ويخرجن، والنهى عن الاختلاط فى بنيات الطريق ... الخ.



الجنسين هو صمام الأمن من الفتنة والعار، والفضيحة، والخزى.

إن الأعراض إذا لم تصن بهذه الحصون والقلاع، ولم تحصن بالأسوار والسدود، فستسقط -لا محالة- أمام هذه الهجمة الشرسة، ويقع المحظور، وحينئذ لا ينفع بكاء ولا ندم، والتبعة كل التبعة، واللوم أولاً وأخيراً على ولى البنت الذى ألقى الحبل على غاربه، وأرخى لابنته العنان.

إن جعبة الباحثين والدارسين لظاهرة الاختلاط حافلة بالمآسى المخزية، والفضائح المشينة، التى تمثل صفعة قوية فى وجه كل من يجادل فى الحق بعد ما تبين.

وإن الإحصائيات الواقعية فى كل البلاد التى شاع فيها الاختلاط ناطقة بل صارخة بخطر الاختلاط على الدنيا والدين، لخصها العلامة وفيق باشا العثمانى الذى كان سريع الخاطر، حاضر الجواب، عندما: سأله بعض عشرائه من رجال السياسة فى أوربا، فى مجلس بإحدى تلك العواصم قائلاً: **لماذا تبقى نساء الشرق محتجبات فى بيوتهن مدى حياتهن، من غير أن يخالطن الرجال، ويغشين مجامعهن؟.**

فأجابه فى الحال قائلاً: **لأنهن لا يرغبن أن يلدن من غير أزواجهن.**

وكان هذا الجواب كصب ماء بارد على رأس هذا السائل، فسكت على مضض كأنه ألقم الحجر(1).

والآن نستطيع -بكل قوة- أن نجزم بحقيقة لا مراء فيها، وهى أنك إذا وقفت على جريمة فيها نُهش العرض، وذُبح العفاف، وأُهدر الشرف، ثم فتشت عن الخيوط الأولى التى نسجت هذه الجريمة، وسهلت سبيلها، فإنك حتماً ستجد أن هناك ثغرة حصلت فى الأسلاك الشائكة التى وضعتها الشريعة الإسلامية بين الرجال والنساء، ومن خلال هذه الثغرة ... دخل الشيطان! وصدق الله العظيم **[وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا]** (النساء: 27).

(1) [الفتن] للشيخ أحمد عز الدين البيانوني-رحمه الله- صـ 214.



ثانياً: اتجاه ايجابى علاجى عن طريق فتح أبواب التعفف والحصانة على مصاريعها:

حث الإسلام على الزواج وشجع عليه، ودلت النصوص الشرعية على النهى عن التبتل والترهبن كما فى حديث النفر الثلاثة(1).

والزواج من سنن المرسلين؛ قال تعالى: **[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً]** (الرعد: 38)، وتزوج نبينا ε، وعدد، وبالغ فى العدد.

كما فى الصحيحين من حديث ابن مسعود τ قال: قال رسول الله ε: **(يا معشر الشباب من أستطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء)**(2).

وقال ε: **(ثلاثة حق على الله تعالى عونهم؟ المجاهد فى سيبل الله، والمكاتب الذى يريد الأداء، والناكح الذى يريد العفاف)**(3).

وحرص النبى ε على تيسير النكاح وتذليل عقباته فمن ذلك قوله ε: **(خير النكاح**

---

(1) يعنى حديث أنس τ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ε يسألون عن عبادة النبى ε؟ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، قالوا: فأين نحن من رسول الله ε؛ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء، ولا أتزوج أبداً؛ فجاء رسول الله ε فقال: **(أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكنى أصوم أفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس مني)**. متفق عليه؛ أخرجه البخارى (5063)، ومسلم (1401).

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (1905و5065 و5066) ومسلم (1400).

(3) أخرجه من حديث أبى هريرة τ أحمد (2512) وابن ماجة (2518)، والترمذى (1655)، وابن أبى عاصم فى الجهاد (83)، والنسائى فى الكبرى (5014 و5326)، وفى المجتبى (3218)، وابن حبان (4030)، والحاكم (2678 و2859) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، والبيهقى فى الكبرى (21401)، وقال الألبانى فى صحيح الجامع (3050): حسن.

أيسره)[1]، وفى رواية: **(خير الصداق أيسره)**[2].

وفهم الصحابة رضوان الله عليهم أهمية الزواج فتزوجوا وعددوا فعن ابن مسعود τ قال: "لو لم يبقى من عمرى سوى عشرة أيام أعلم أنى أموت بعدهن، ولى طول النكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة"[3].

المبحث الرابع - ما هى سبل الوقاية من هذه الفتنة:

السبيل الأول: اللجوء الصادق لله عز وجل، قل: اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك، واغننى بفضلك عمن سواك، اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلبى على دينك. وقل: اللهم باعد بينى وبين هذه الفتن كما باعدت بين المشرق والمغرب.

السبيل الثانى: استشعار مراقبة الله –عز وجل–[4].

---

(1) أخرجه من حديث عقبة بن عامر τ أبو داود (2117)، وابن حبان (4072)، والطبرانى فى الأوسط (724)، وقال الألبانى فى تعليقه على أبى داود، وفى الصحيحة (1842)، وفى صحيح الجامع (3300): صحيح.

(2) أخرجها الحاكم (2742) وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى، وأخرجها البيهقى فى الكبرى (14110)، وقال الألبانى فى صحيح الجامع (3279): صحيح، وقال فى الأرواء (345/6) معلقا على قول الحاكم وإقرار الذهبى أن الحديث على شرط الشيخين: وأقول: إنما هو على شرط مسلم وحده؛ فإن محمد بن سلمة، وخالد بن أبى يزيد لم يخرج لهما البخارى فى صحيحه.

(3) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (493)، والسيوطى فى جامع الأحاديث (40443)، والمتقى الهندى فى كنز العمال (45610).

(4) اعلم –أخى فى الله– أن استشعار العبد مراقبة الله له يعينه على تخطى هذه الفتنة، فليتأمل المرء النصوص التى فيها ذكر مراقبة الله للعبد ومعيته له، قال تعالى: **[الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ]** (الشعراء: 218)، وقال تعالى: **[إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَاء]** (آل عمران: 5).
وقال ε: **(الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)** [أخرجه مسلم].
وتذكر أحاديث النفر الثلاثة الذين أغلق عليهم الغار ... فامتنع أحدهم عن الوقوع فى الزنا بعد أن قدر عليه؛ لأنه قيل له: اتق الله [متفق عليه].
ولله در القائل:



السبيل الثالث: التطلع للحور العين فى الجنة، فتتطلع بقلبك إلى ما أعده الله للمتقين فى الدار الآخرة[1].

السبيل الرابع: تذكر مناتن النساء[2].

السبيل الخامس: الرجوع إلى أهله –إن كان متزوجاً– إذا رأى من امرأة ما يعجبه. قال ε: **(إذا رأى أحدكم المرأة التى تعجبه فليرجع إلى أهله حتى يقع بهم، فإن ذلك معهم)**[3].

وقال ε: **(إن المرأة تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله؛ فإن ذلك يرد ما فى نفسه)**[4].

السبيل السادس: ترويض الحواس ليكن نظرك عبرة وصمتك فكره.

=

إذا خلوت الدهر يوما فلا تقل: خلوتُ ولكن قل: علىَّ رقيبُ

ولا تحسبنَّ الله يغفلُ ساعةً أو أنَّ ما يخفى عليه يغيبُ

(1) معنى "الحور العين" الحوَر: أن يشتد بياض العين، وسواد سوادها، وتستدير حدقتها، وترق جفونها، ويبيض ما حولها.

وقيل: الحور: شدة سواد المقلة فى شدة بياضها فى شدة بياض الجسد ولا تكون الأدماء (السوداء) حوراء، قال الأزهرى: لا تسمى حوراء حتى تكون مع حَوَر عينها بيضاء لون الجسد. (لسان العرب مادة حور).

والعين: جمع عيناء وهى عظيمة العين من النساء. (حادى الأرواح صـ 209).

وقيل: حور عين: نساءٌ بيضٌ واسعات الأعين حسانها. (كلمات القرآن صـ 326).

(2) فاعلم عبد الله! أن المرأة التى عشِقتَ صورتها تحيض، وتعرق، وتبول، وتتغوط، وتشعث، وتهرم، وتبخر؛ فإذا تعلق قلبك بامرأةٍ فتذكر هذه المناتن التى تعتريها.

(3) أخرجه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما الدولابى فى الكنى والأسماء (2093)، وابن حبان (5573)، والمتقى الهندى فى كنز العمال (13050)، وقال الألبانى فى الصحيحة (235) وفى صحيح الجامع (552): صحيح.

(4) أخرجه مسلم (1403) من حديث جابر τ.



السبيل السابع: تذكر عقوبة الزنا[1].

السبيل الثامن: الزواج[2].

السبيل التاسع: الابتعاد عن مثيرات الغريزة الجنسية من الاختلاط، والنظر إلى الأجنبيات، والنظر إلى الصور، وسماع الغناء الماجن وغير ذلك من المثيرات.

السبيل العاشر: تعظيم حرمات الله. قال تعالى: **[وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ]** (الحج: 30)، فحرم الله النظر والمصافحة وغير ذلك. فإن كنت تريد الخير فعظم ما حرمه الله ولا تستصغر هذه الذنوب، وكما قال بلال بن سعد: "لا تنظر إلى صغر معصيتك، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت"[3].

السبيل الحادى عشر: تذكر أن الجزاء من جنس العمل.

كما قال القائل:

الزنا دين إن أقرضته   كان الوفاء من أهل بيتك فاعلم

(1) تقدم الحديث عن الزنا، وخطره، وعقوبته فى أول المبحث الثالث فى هذا الفصل.

(2) تقدم الحديث عن الزواج فى آخر المبحث الثالث.

(3) الزهد لابن المبارك (71)، والبيهقى فى الشعب (286 و7159).



الفصل الثاني
فتنـــة المــــال

يحتوى هذا الفصل على خمسة مباحث هى:

المبحث الأول : أصول متعلقة بالمال.

المبحث الثاني : خوف النبى ε على أمته من فتنة المال.

المبحث الثالث : بيان أن فتنة هذه الأمة هى المال.

المبحث الرابع : المال لا يذم لذاته.

المبحث الخامس : ما هى سبل الوقاية من هذه الفتنة.







المبحث الأول - أصول متعلقة بالمال:

الأصل الأول: المال مال الله أصلاً:

إن الله سبحانه وتعالى مالك الملك عز وجل، فهو يملك هذا الكون بما فيه وله الملك التام، وله الأمر من قبل ومن بعد سبحانه وتعالى.

وقد خلق لنا المال ليبلونا به.

وهذا المال الذى يقتنى ويملك من الأعيان من بهيمة الأنعام، والذهب، والفضة، وغيرها وكل ما يمكن حيازته وينتفع به، وكل ما له قيمة بين الناس؛ هو مال الله أصلاً.

قال تعالى: **[قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ]** (آل عمران: 26)، فالمال حقيقة ملكه **[وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِى آتَاكُمْ]** (النور: 33). فهو الذى آتاك ماله، وجعلك خليفة له فيه؛ لتنفقه فى الوجوه التى يحب أن ينفق له فيها.

جعل بعضه عند عباده لينظر كيف يعملون فيه ورزقهم فيه وامتن عليهم به كما قال تعالى: **[وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا]** (الإسراء: 70).

وامتن على بنى إسرائيل فيما سبق بإمدادهم منه، قال تعالى **[ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا]** (الإسراء: 6).

وذكر نبى الله هود قومه بذلك فقال: **[وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ. أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ]** (الشعراء: 132-133). والأنعام من الأموال.

الأصل الثانى: إضافة هذا المالِ إلى الناس إضافةٌ مؤقتة:

فالله قد أضاف ملك المال للناس، مع أنه -سبحانه- المالك الحقيقى لهذا المال.

وإضافة المال للناس نوعان: إضافة عامة، وإضافة خاصة.

فالإضافة العامة كما فى قوله تعالى: **[إِنَّ كَثِيرًا مِنْ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ**



النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] (التوبة: 34).

وكقوله تعالى: [لَتُبْلَوُنَّ فِى أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ] الآية (آل عمران: 186).

هذه إضافة عامة لكل الناس، وهى إضافة مؤقتة.

وأما الإضافة الخاصة فكقوله تعالى: [وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى] (الليل: 11). وكقوله تعالى: [مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيه. هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيه] (الحاقة: 28-29). وكقوله تعالى: [مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ] (المسد: 2).

وهذه إضافة انتفاع وليست إضافة ملك حقيقى.

فالمالك الحقيقى للمال إنما هو الله تعالى، والله تعالى استخلفنا فيه، قال تعالى: [آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ] (الحديد: 7).

فملكنا للمال ملك مؤقت سيذهب المال إلى غيرنا؛ فالمال إما أن يذهب عنا فنسلبه، أو نذهب نحن عنه ويرثه من بعدنا، وهكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها(1).

الأصل الثالث: هذا المال يقسمه الله بين عباده كيف يشاء:

وهذه القسمة والرزق من الله لعباده كيف يشاء سبحانه؛ قال تعالى: [نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ] (الزخرف: 32).

وقال تعالى: [اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ] (العنكبوت: 62).

والله –سبحانه– هو الخبير بما يصلح عباده؛ فكما قال تعالى: [وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ

---

(1) أموالنا لذوى الميراث نجمعها وبيوتنا لخراب الموت نبنيها

البيت منسوب لعلى بن أبى طالب فى ديوانه، ونسبه بعض كتب الأدب لسابق البربرى، أو الكريزى.



لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ] (الشورى: 27).

والإيمان بهذه القسمة يورث العبد القناعة والرضى: قال رسول الله ع: **(إن الله يبتلى العبد فيما أعطاه؛ فمن رضى بما قسم الله له بورك له فيه ووسعه، ومن لم يرض لم يبارك له، ولم يزد على ما كتبه له)**[1].

ولا يظن العبد أن الله إذا وسع عليه فهو تكريم له، وإذا ضيق عليه فهو إهانة له؛ قال تعالى: **[فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ. كَلاَّ]** (الفجر: 15-17)، أى: ليس الأمر كذلك؛ فقد يمنع اللهُ المالَ أولياءه، وقد يعطى اللهُ المالَ أعداءه سبحانه؛ فقيمة العبد عند الله ليست بماله.

وقال تعالى: **[وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا]** (سبأ: 37).

وقال تعالى: **[مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا. وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا. كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاَء وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا. انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً]** (الإسراء: 18-21)، فالله يضع هذا المال كيف يشاء، فمن كان يريد الدنيا أعطاه الله إياها بمشيئته -سبحانه- وإرادته. فالإنسان قد يسعى فى الدنيا سعى الوحوش ويخرج منها وما حصل منها شيئاً وجزاؤه فى الآخرة جهنم، أما من أراد الآخرة وسعى لها سعيها فهو الفائز؛ فسعى الآخرة مضمون الأجر، والله يعطى ماله العصاة والصالحين أى: يعطى الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، لكنه لا يعطى الدين إلا لمن أحب، فقيمة العبد عند الله ليست بماله

---

(1) أخرجه عن رجل من بنى سليم أحمد (20294)، والبيهقى فى الشعب (1353 و1354 و9725)، وقال الهيثمى فى المجمع (57/10): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وقال الألبانى: صحيح ينظر الصحيحة (1658) وصحيح الجامع (1869).

فقد يعطى الله الدنيا للكافر، وكما يُروى: **(إذا غضب الله على عبد رزقه من حرام، وإذا اشتد غضبه عليه بارك له فيه)**[1]، وقال تعالى: **[فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ]** (الأنعام: 44).

الأصل الرابع: هذا المال الذى أعطانا الله إياه ينبغى أن نُقر له بالفضل فيه، ولا ننسب الفضل لأنفسنا:

فكل ما أنت فيه من النعيم إنما هو من الله: لكن الإنسان يجحد هذا الأصل؛ قال تعالى: **[فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِى فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ]** (الزمر: 49). وقال تعالى عن قارون **[قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي]** (القصص: 78). فنجد أنه نسب الإمر إلى نفسه وقال: بذكائى وعبقريتى.

وينبغى علينا أن ننفق منه قبل الموت فى وجوه البر والخير.

قال تعالى: **[وَأَنْفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِى أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِى إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنْ الصَّالِحِينَ]** (المنافقون: 10).

قال تعالى: **[لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ]** (الطلاق: 7).

وحذر من اكتنازه وعدم إنفاقه، قال تعالى: **[وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ]** (التوبة: 34-35).

(1) هذا الحديث لا أصل له فى كتب الحديث، وانظر فتاوى الشبكة الإسلامية رقم (35340) بتاريخ 28 جمادى الأول 1424هـ. قال الشيخ: حديث ضعيف السند، لكنه صحيح المعنى.

فالمال نعمة تقتضى الشكر [1].

وشكر النعمة يقتضى أموراً:

1. الإقرار بالنعمة[2]. تقر أنها نعمة ولا تكفر بها، ومن الكفر بها وضعُها فى غير محلها كأن تشترى بها المحرمات ونحوها.

2. إضافتها إلى المنعم. قال تعالى: **[وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ]** (النحل: 53).

---

(1) اعلم أن فعل الشكر وترك الكفران لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى؛ إذ معنى الشكر استعمالُ نعمه فى محابه، ومعنى الكفران نقيض ذلك، إما بترك الاستعمال، أو استعماله فيما يكرهه.
فينبغى على العبد أن يعلم ما يحبه الله وما يكرهه الله، وطريق معرفة ذلك الشرعُ الحنيف، الكتاب والسنة، وطريق معرفة ذلك أيضاً النظر بعين الاعتبار، لإدراك الحكمة فى خلق الأشياء. (مختصر منهاج القاصدين ص303 باختصار وتصرف)

(2) اعلم أن كل مطلوب يسمى نعمة، ولكن النعمة فى الحقيقة هى السعادة الأخروية، وتسمية ما عداها نعمة تَجَوُّز. والأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم أربعة أقسام:
أحدها: ما هو نافع فى الدنيا والآخرة جميعاً، كالعلم وحسن الخلق وهو النعمة الحقيقية.
الثانى: ما هو ضار فيهما جميعاً، وهو البلاء حقيقة، كالجهل، وسوء الخلق.
الثالث: ما ينفع فى الحال ويضر فى المآل، كالتلذذ واتباع الشهوات وهو نعمة عند الجهال بلاء عند ذوى الأبصار.
الرابع: الضار فى الحال النافع فى المال وهو نعمة عند ذوى الأبصار، بلاء عند الجهال، كالدواء المر. (مختصر منهاج القاصدين صـ 306 بتصرف وزيادة).
واعلم أن النعم ثلاثة:
1. نعمة حاصلة يعلم بها العبد. 2. نعمة منتظرة يرجوها.
3. ونعمة هو فيها لا يشعر بها.
فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده عرفه نعمته الحاضرة وأعطاه من شكره قيدا يقيدها به حتى لا تشرد؛ فإنها تشرد بالمعصية، وتقيد بالشكر، ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصَّره بالطريق التى تسدها وتقطع طريقها، ووفقه لاجتنابها، وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه. وعرفه النعمة التى هو فيها ولا يشعر بها.
(موعظة): يُحكى أن أعرابيا دخل على الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين! ثبَّت الله عليك النعم التى أنت فيها بإدامة شكرها، وحقَّق لك النعم التى ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته، وعرَّفك النعم التى أنت فيها ولا تعرفها لتشكرها، فأعجبه ذلك منه وقال: ما أحسن تقسيمه! (الفوائد صـ 179).



3. تصريفها فى مرضاته[1]. قال رسول الله ε: **(يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى)**[2].

الأصل الخامس: إنفاق المال سبب للأجر الكبير:

قال تعالى: **[مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً]** (البقرة: 245)[3].

---

(1) وتصريف المال فى مرضاة الله عز وجل؛ بأن تنفقه فى الوجوه التى أحلها الله، سواء كانت:

1. وجوهاً مفروضة كزكاة المال وصدقة الفطر والنفقة على الزوج والولد والأبوين؛
2. أو وجوهاً مندوباً إليها كصدقة التطوع.
3. أو وجوهاً مباحة كالإنفاق فى غير المفروض أو المندوب كشراء سيارة أو منزل ونحوه.

(2) أخرجه مسلم (1036) من حديث أبى أمامه τ.

(3) ولهذه الآية قصة فيها عظة وعبرة لكل من كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.

فعن ابن مسعود τ قال: (لما نزلت هذه الآية: **[مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ]** قال أبو الدحداح الأنصارى: يا رسول الله! وإن الله عز وجل ليريد منا القرض؟ قال: **نعم يا أبا الدحداح!** قال: أرنى يدك يا رسول الله! قال: فناوله يده، قال: فإنى قد أقرضت ربى عز وجل حائطى [بستانى أو حديقتى]، قال: وحائطه له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها فناداها: يا أم الدحداح! قالت: لبيك. قال: اخرجى فقد أقرضته ربى عز وجل. (وفى رواية): قالت: ربح بيعك يا أبا الدحداح! (وفى رواية أخرى): أنها لما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تخرج ما فى أفواههم وتنفض ما فى أكمامهم فقال النبى ε: **كم من عذق رداح فى الجنة لأبى الدحداح** (وفى لفظ): **ربَّ نخلةٍ مدلاة عروقها در وياقوت لأبى الدحداح فى الجنة)** أخرجه البزار (2033)، وأبو يعلى (4986)، والطبرانى فى الكبير (300/22) رقم (764)، وابن عساكر فى تاريخه (219/64)، وابن الجوزى فى صفة الصفوة (617/1). [قال فى مجمع الزوائد (324/9): رواه البزار، ورجاله ثقات، وقال فى موضع آخر: رواه أبو يعلى والطبرانى ورجالهما ثقات، ورجال أبى يعلى رجال الصحيح]. أهـ. وللقصة أصل صحيح فى تفسير الطبرى (283/5-286) وصححه أحمد شاكر ووافقه الألبانى فى تخريج أحاديث مشكلة الفقر (120). وانظر تفسير ابن كثير (392/1) (308/4) واللفظ له، والصحيح المسند من فضائل الصحابة صـ 322، فضائل أبى الدحداح].



والتقتير من صفات البخيل الشحيح الذى سوف يجازى على بخله يوم القيامة.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة τ مرفوعاً: **(ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً)**[1].

وأنزل الله تعالى المال للاستعانة به على العبادة:

قال رسول الله ε: **(إن الله عز وجل قال: إنا انزلنا المال لإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم وادٍ لأحب أن يكون له ثان، ولو كان له واديان لأحب أن يكون إليهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب)**[2].

الأصل السادس: هذا المال قوام الحياة فيجب علينا حفظه:

وحفظ المال أحد مقاصد الشريعة الخمس[3] قال تعالى: **[وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ**

---

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (1442)، وأخرجه مسلم (1010).

قال ابن حجر: دعاء الملك بالخلف يحتمل الأمرين (أى: لأحوال الدنيا ولأحوال الآخرة)، وأما الدعاء بالتلف فيحتمل تلف ذلك المال بعينه، أو تلف صاحب المال، والمراد به فوات أعمال البر بالتشاغل بغيرها.

قال النووى: الإنفاق الممدوح ما كان فى الطاعات وعلى العيال والضيفان والتطوعات.

وقال القرطبى: وهو يعم الواجبات والمندوبات، لكن الممسك عن المندوبات لا يستحق هذا الدعاء إلا أن يغلب عليه البخل المذموم بحيث لا تطيب نفسه بإخراج الحق الذى عليه ولو أخرجه. أهـ. فتح البارى (358/3) ط السلفية.

(2) أخرجه من حديث أبى واقد الليثى τ أحمد (21956) والطبرانى فى الكبير (3301)، وقال الهيثمى فى المجمع (140/7): رجال أحمد رجال الصحيح، وقال الألبانى فى الصحيحة (1636) وفى صحيح الجامع (1781): صحيح، وقال: فيه هشام بن سعد وفيه كلام لا يضر.

(3) ثبت بالاستقراء وتتبع الأحكام المختلفة فى الشريعة أن المقصد الأساسى للشريعة هو تحقيق مصالح العباد ثم حفظ هذه المصالح، وهذه المصالح تراعى بميزان الشرع لا الهوى؛ لأن الإنسان قد يرى النافع ضاراً، والضار نافع.

ومصالح العباد ثلاثة أنواع ضروريات، وحاجيات، وتحسينيات.



الَّتِى جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا] (النساء: 5). يجب علينا أن نحافظ عليه لا نؤتيه سفيهاً لا يحسن التصرف فيه.

وكذلك نهينا عن التبذير والإسراف لئلا يضيع، قال تعالى: **[وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا]** (الإسراء: 26). وقال تعالى: **[وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ]** (الأعراف: 31).

والدقة فى كتابته لئلا يضيع: قال تعالى: **[فَإِنْ كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ]** (البقرة: 282).

وأخبرنا النبى ε أن الله تعالى كره لنا إضاعة المال[1].

وشرع الله تعالى حد السرقة للمحافظة على المال. قال تعالى: **[وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا]** (المائدة: 38).

=

والمقصود فى عبارة الشيخ: (فحفظ المال أحد مقاصد الشريعة الخمس)؛ هو الضروريات.

والضروريات هى المصالح التى تتوقف عليها حياة الناس وقيام المجتمع واستقراره بحيث إذا فاتت اختل نظام الحياة وسادت الفوضى، وهذه الضروريات هى: الدين، والنفس، والعقل، والنسل (العرض)، والمال.

والمال الذى هو موضوعنا، شرع لإيجاده إباحة المعاملات المختلفة، ووجوب السعى، وشرع للمحافظة عليه تحريم السرقة، وحد السارق، وتحريم إتلاف مال الغير، وتضمين ما يتلفه، والحجر على المجنون والسفيه ونحوها. انظر: الموافقات للشاطبى (150/2)، الوجيز فى أصول الفقه صـ 375-377 باختصار.

(1) ورد هذا المعنى فى الصحيحين فى حديثين.

الأول: حديث المغيرة τ قال: قال رسول الله ε: **(إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)** أخرجه البخارى (5975)، ومسلم (593).

الثانى: حديث أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)** أخرجه مسلم (1715).



وأبيح للمسلم أن يدافع عن ماله ولو أدى ذلك إلى قتله ويكون عند الله حينئذ شهيداً[1].

وكان النبى ε يدعو الله تعالى أن يحفظ ماله. فكان يقول فى السفر: **(اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى المال والأهل)**[2].

وهذا المال له قوة تأثيرية كبيرة وله تأثير عجيب وساحر. فهذا المال ربما يسبب فى دخول أناس فى الإسلام.

لذا جعل الله تعالى سهم المؤلفة قلوبهم كما فى قوله تعالى: **[إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ]** (التوبة: 60) وجهاً من الوجوه التى تدفع فيها زكاة المال وذلك لتأثيره فى القلوب. لذلك يعطى منها زعماء الكفار المطاعين ليجلب قلوبهم إلى الإسلام.

ونهينا عن دفع المال لاستمالة قلوب الحكام والقضاة لكى يحكموا بالجور، قال تعالى: **[وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ]** (البقرة: 188)، أى دفع الرشوة إلى القضاة وغيرهم.

المبحث الثانى - خوف النبى ε على أمته من فتنة المال:

اعلم -عبد الله!- أن النبى ε ما ترك خيراً إلا ودلنا عليه، وما ترك شراً إلا وحذرنا منه، **ومن ذلك تحذيره ε لنا من المال ومن فتنته.**

قال رسول الله ε: "**فوالله، ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا**

---

(1) يشير إلى حديث **(من قتل دون ماله فهو شهيد)**؛ متفق عليه؛ أخرجه البخارى (2480)، ومسلم (141) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.

وعند مسلم (140) من حديث أبى هريرة τ قال: **(**جاء رجل إلى رسول الله ε فقال: يا رسول الله! أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: **فلا تعطه مالك**، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: **قاتله**، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: **فأنت شهيد**، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: **هو فى النار)**.

(2) أخرجه مسلم (1342) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم)[1].

وعن عبد الرحمن بن عوف τ قال: "ابتلينا مع رسول الله ε بالضراء فصبرنا، ثم ابتلينا بعده بالسراء فلم نصبر"[2].

وروى البزار من حديث ابن مسعود τ مرفوعاً: **(إنما أهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم، وهما مهلكاكم)**[3].

وروى البزار من حديث ابن مسعود τ قال: (نظر رسول الله ε إلى الجوع فى وجوه أصحابه فقال: **أبشروا؛ فإنه سياتى عليكم زمان يُغدَى على أحدكم بالقصعة من الثريد ويراح عليه بمثلها،** قالوا: يا رسول الله! نحن يومئذ خير؟ قال: **بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ)**[4].

وروى الترمذى من حديث على بن أبى طالب τ قال: (إنا لجلوس مع رسول الله ε فى المسجد، إذ طلع علينا مصعب بن عمير، ما عليه إلا بردة له مرقوعة بفرو، فلما رآه رسول الله ε بَكى للذى كان فيه من النعمة والذى هو فيه اليوم، ثم قال رسول الله ε: **كيف بكم إذا غدا أحدكم فى حلة وراح فى حلة، ووضعت بين يديه صفحة ورفعت أخرى، وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة؟!** قالوا: يا رسول الله! نحن يومئذ خير منا اليوم نتفرغ للعبادة ونكفى

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخارى (3158 و6425)، ومسلم (2961)، وبلفظ نحوه عندهما أخرجه البخارى (1465) ومسلم (1052) من حديث أبى سعيد الخدرى τ.

(2) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (522)، وعبد الرزاق فى مصنفه (20997)، والترمذى (2464) وقال: حديث حسن، والطبرانى فى مسند الشاميين (3189)، وأخرجه الضياء فى المختارة (121/3 و122 و123) برقم (921 و922 و923 و924)، وحسنه الألبانى فى تعليقه على الترمذى.

(3) أخرجه ابن أبى شيبة (34813)، والبزار (1612)، والطبرانى فى الكبير (16009)، وأبو نعيم فى الحلية (102/2)، والبيهقى فى الشعب (10298) والمنذرى فى الترغيب (4923) وقال: إسناده جيد، والهيثمى فى المجمع (237/10) وقال: إسناده جيد، وقال الألبانى فى صحيح الترغيب (3258): صحيح لغيره.

(4) أخرجه البزار (1941) والمنذرى فى الترغيب (5006) وقال: إسناده جيد، والهيثمى فى المجمع (323/10) وقال: إسناده جيد، وقال الألبانى فى صحيح الترغيب (2141): صحيح لغيره.

المؤنة؟ فقال رسول الله ε: **لا أنتم اليوم خير منكم يومئذ)**[1].

ومن ذلك تحذير النبى ε أمته من العبودية للمال:

قال رسول الله ε: **(تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطى رضى، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعثٌ رأسه، مغبرةٌ قدماه، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع)**[2].

ومن ذلك تحذير النبى ε أمته من أكل الربا والحرام[3]:

قال رسول الله ε: **(إذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله)**[4].

وقال ε: **(درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم، أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية)**[5].

---

(1) أخرجه الترمذى (2476)، وأبو يعلى (502)، والمنذرى فى الترغيب (3162) وقال: قال الحافظ عن إسنادى الترمذى: وفى إسناديه وإسناد أبى يعلى رجل لم يسم عن على τ، وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب، وضعفه الألبانى عند الترمذى.

قلت: الحديث ضعيف؛ فإن فيه راوٍ مجهول؛ هو شيخ محمد بن كعب القرظى.

(2) أخرجه البخارى (2885) من حديث أبى هريرة τ.

قوله: "**تعس**" أى شقى وهلك، قوله: "**انتكس**" أى: عاوده المرض، قوله: "**إذا شيك فلا انتقش**" أى: إذا أصابته شوكة فلا وجد من يخرجها بالمنقاش.

وفى الدعاء عليه بذلك إشارة إلى عكس مقصوده؛ لأن من عثر فدخلت الشوكة فى رجله ولم يجد من يخرجها له يصير عاجزاً عن تحصيل دنياه التى يسعى لها. ولا يلتفت لآخرته التى ينبغى أن تكون أولى اهتماماته ومقاصده.

قوله: "طوبى" هى كلمة ثناء ومدح، قوله: **(إن كان فى الحراسة ...)** الخ الحديث" أى: يؤدى عمله على أكمل وجه، ولا يترك مكانه فى أى مكان كان فى الحراسة التى غالباً ما تكون فى مقدمة الجيش أو فى الساقة وهى مؤخرة الجيش. التجريد الصريح صـ 284 الحاشية.

(3) راجع كتاب الكبائر للذهبى، الكبيرة الثانية عشرة: الربا، والكبيرة الثالثة عشرة: أكل مال اليتيم وظلمه.

(4) تقدم تخريجه [وانظر صحيح الجامع (679) وقال الألبانى: صحيح].

(5) أخرجه من حديث عبد الله بن حنظلة بن الراهب رضى الله عنهما أحمد (22007)، والبزار (3381)،



وقال ε: **(الربا إن كثر فإن عاقبته تصير إلى قُل)**[1].

وقال ε: **(يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام)**[2].

المبحث الثالث ـ بيان أن فتنة هذه الأمة المال[3]:

قال ε : **(إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتى المال)**[4].

قوله: "**إن لكل أمة فتنة**" أن لكل أمة من الأمم فتنة، تختص بها وتكون سبباً لضلالها ومعصيتها؛ كما أخبر بأن غالب فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء مع وجود غيرها من الفتن إلا أنها الغالبة عليها.

وقوله: "**وفتنة أمتى المال**": أى أن أكثر ضلال أمتى وسبب عصيانها بسبب المال؛ فإن الحرص على المال والانشغال بجمعه دون الأخذ بالاعتبار ما سيؤدى إليه جمع هذا المال من كثرة الحساب عليه، وتعدد الحقوق فيه مثلاً للفقراء والمستحقين له؛ فإن صاحب

= والدارقطنى فى سننه (16/3) رقم 48، والضياء فى المختارة (267/9) (رقم 229، 231)، وقال الهيثمى فى المجمع (117/4): رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح. وقال الألبانى فى الصحيحة (1033) وفى صحيح الجامع (3375): صحيح.

(1) أخرجه من حديث عبد الله بن مسعود τ عبد الله فى زوائد المسند(3754)، وأبو يعلى(5042 و5348 و5349) والطبرانى فى الكبير (10538)، والحاكم (2262) وقال: صحيح الإسناد، وصححه المناوى فى الفيض (50/4)، وفى شرح الجامع الصغير (39/2)، وقال الألبانى فى صحيح الجامع (3542): صحيح.

(2) أخرجه البخارى (2059 و2083) من حديث أبى هريرة τ.

(3) انظر الفتن فى الآثار والسنن ص21، نقلاً عن موقف المسلم من الفتن ص250-251.

(4) أخرجه من حديث كعب بن عياض τ أحمد (17506)، والترمذى (2336)، وابن حبان (3223) والطبرانى فى الأوسط (3295)، وفى الكبير (179/19) رقم (404) وفى مسند الشاميين (2027)، والحاكم (7896) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الألبانى فى الصحيحة (592) وفى صحيح الجامع (139).



هذا المال يعرض نفسه للهلاك والخسران بسسببه.

قال رسول الله ε: **(اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت، والموت خير له، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب)**(1).

وكان من دعاء النبى ε **(اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا)**(2).

كذلك لا يخفى ما يؤدى إليه الحرص على طلب المال من تضييع حق الله فى العبادة، والانشغال عن الواجبات كالصلوات المفروضة، وحضور مجالس العلم، وترك العناية بتربية الأولاد، وإصلاح الأهل؛ حيث لا يجد الرجل وقتاً لتعليم أولاده التربية الصالحة ويتركهم عرضة للانحراف والضياع وهو المسئول عنهم أمام الله يوم القيامة.

عن معاوية بن هشام قال: سمعت سفيان الثورى يقول: "إنما سميت الدنيا دنيا؛ لأنها دنيّة. وسمى المال مالاً؛ لأنه يميل بأهله"(3).

وقد حذرنا النبى ε من خطورة المال وأثره السيء على المرء المسلم فقال رسول الله ε: **(ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)**(4) هذا مثل عظيم جداً ضربه النبى ε لفساد دين المسلم بالحرص على المال

---

(1) أخرجه من حديث محمود بن لبيد τ أحمد (23674 و23675)، وأبو عمرو الدانى فى السنن الواردة فى الفتن (36)، والمنذرى فى الترغيب والترهيب (4847) وقال: رواه أحمد بإسنادين رواة أحدهما محتج بهم فى الصحيح، ومحمود له رؤية ولم يصح له سماع فيما أرى.، والتبريزى فى المشكاة (5251) وقال الهيثمى فى المجمع (321/2)، (257/10): رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، وقال الألبانى فى الصحيحة (813)، وفى صحيح الجامع (139): صحيح.

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (6460)، ومسلم (1055) من حديث أبى هريرة τ.

قال ابن حجر: قال ابن بطال: فيه دليل على فضل الكفاف، وأخذ البلغة من الدنيا، والزهد فيما فوق ذلك رغبة فى توفير نعيم الآخرة وإيثاراً لما يبقى على ما يفنى؛ فينبغى أن تقتدى به أمته فى ذلك. وقال القرطبى: معنى الحديث أنه طلب الكفاف؛ فإن القوت ما يقوت البدن ويكف الحاجة، وفى هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر جميعاً. أهـ. فتح البارى (299/11) ط السلفية.

(3) ذكره أبو نعيم فى الحلية (10/7)، وابن أبى الدنيا فى الزهد (147)، وفى ذم الدنيا (57).

(4) أخرجه من حديث كعب بن مالك؛ ابن أبى شيبة فى مصنفه (34380)، وأحمد فى المسند (15822



والشرف فى الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بأقل من فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين يأتيا الغنم وقد غاب عنها راعوها ليلاً فهما يأكلان فى الغنم ويفترسان فيها. ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا القليل.

فأخبر النبى ε أن حرص المرء على المال والشرف: إفساد" لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم بل إما أن يكون مساوياً وإما أن يكون أكثر.

يشير أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف فى الدنيا إلا القليل كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.

فهذا المثل العظيم يتضمن غايه التحذير من شر الحرص على المال والشرف فى الدنيا.

فأما الحرص على المال فهو نوعين:

أحدهما: شدة محبة المال[1] مع شدة طلبه من وجوهه المباحة، والمبالغة فى طلبه والجدِّ فى تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة.

= و15832)، والترمذى (2376)، وقال: حديث حسن والدارمى فى مسنده (2730)، وابن حبان (3228)، والبيهقى فى الشعب (10264)، وقال الألبانى فى صحيح الجامع (5620): صحيح، وصححه الأرناؤوط فى تعليقه على ابن حبان. وشرح الحديث مستفاد من رسالة لابن رجب.

(1) ولحب المال سببان:

أحدهما: حب الشهوات التى لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل، وإن كان قصير الأمل وله ولد فإنه يقوم مقام طول الأمل.

الثانى: أن يحب عين المال؛ فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره لو اقتصر على ما جرت عادته به، ويفضل معه الآلاف، ويكون شيخاً لا ولد له، ثم لا تسمح نفسه بإخراج الواجب عليه، ولا بصدقة تنفعه، ويعلم انه إذا مات أخذه أعداؤه، أو ضاع إن كان مدفوناً، وهذا مرض لا يرجى علاجه.

ومثال ذلك: مثال رجل أحب شخصاً، فلما جاء رسوله، أحب الرسول ونسى محبوبه واشتغل بالرسول، فإن الدنانير رسولٌ مبلغٌ إلى الحاجات، فيحب الدنانير لذاتها وينسى الحاجات، وهذا غاية الضلال. مختصر منهاج القاصدين صـ 228.



وقال رسول الله ε: **(إن الله يبغض كل جعظري, جواظ, سخاب بالأسواق, جيفة بالليل, عالم بالدنيا, جاهل بالآخرة)**[1].

ولم لو يكن فى الحرص على المال إلا تضييع العمر والشرف وقد كان يمكن لصاحبه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم فضيعه الحريص فى طلب رزق مضمون مقسوم لا يأتى معه إلا ما قدر له ثم لا ينتفع به، بل يتركه ويرحل ويبقى حسابه عليه ونفقته لغيره. فيجمع لمن لا يحمده، ويقدم على من لا يعذره؛ لكفى بذلك ذما.

قيل لبعض الحكماء: إن فلاناً جمع مالاً فقال: هل جمع أياماً ينفقه فيها قيل: لا, قال: ما جمع شيئاً.

قيل: الرزق مقسوم، والحريص محروم، ابن آدم, إذا أفنيت عمرك فى طلب الدنيا، فمتى تطلب الآخرة.

قال ابن مسعود: اليقين أن لا ترضى الناس بسخط الله ولا تحمد أحداً على رزق الله، ولا تلوم أحداً على مالم يؤتك الله، فإن رزق الله لا يسوقه حرصُ حريص ولا يردُّه كراهة كاره، فإن الله بقسطه وعلمه جعل الروحَ والفرحَ فى اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن فى الشكِ والسخطِ[2].

---

(1) أخرجه من حديث أبى هريرة τ ابن حبان فى صحيحه (72)، والبيهقى فى الكبرى (20593)، وقال الألبانى فى الصحيحة (195)، وفى صحيح الجامع (1871): صحيح.

وقوله: "**جعظري**" أى: فظ غليظ متكبر، قوله: "**جواظ**" أى: جموع منوع، قوله: "**سخاب**" أى: كثير الصخب أى الضجيج والخصام، قوله: "**جيفة بالليل** ..." أى: كالجيفة؛ لأنه يعمل كالحمار طوال النهار لدنياه. وينام طوال ليله كالجيفة التى لا تتحرك.

(2) أخرجه من حديث أبى سعيد مرفوعاً أبو نعيم فى الحلية (106/5) و(41/10)، والبيهقى فى الشعب (207)، والمتقى الهندى فى الكنز (7333) كلهم بلفظ: **(إن من ضعف اليقين ...)** وفيه عطية العوفى وهو ضعيف. وقال الألبانى فى ضعيف الجامع (2009): ضعيف وقال فى الضعيفة (1482): موضوع. وأخرجه مرفوعاً من حديث ابن مسعود البيهقى فى الشعب (208) بلفظ: **(لا ترضين أحداً ...)**، وقال الألبانى فى ضعيف الترغيب (1064): موضوع، وأخرجه موقوفاً من كلام ابن مسعود البيهقى فى الشعب (209)، ولكن بلفظ: "الرضا أن لا ترضى الناس...".



النوع الثانى من الحرص على المال: يزيد على ما سبق ذكره فى النوع الأول (شدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة والمبالغة فى طلبه والجدِّ فى تحصيله من وجوهه مع الجهد والمشقة) لا يكتفى بهذا بل يطلب المال من الوجوه المحرمة ويمنع الحقوق الواجبة فهذا هو الشحُّ المذموم.

قال تعالى: **[وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ]** (الحشر: 9).

وفى سنن أبى داود من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: **(اتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم؛ أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا)**[1].

وفى صحيح مسلم عن جابر مرفوعاً: **(اتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم)**[2].

قال طائفة من العلماء: الشح هو الحرص الشديد الذى يحمل صاحبه على أن يأخذ الأشياء من غير حلها ويمنعها من حقوقها.

والبخل: هو إمساك الإنسان ما فى يده.

والشح: تناول ما ليس له ظلما وعدوانا من مال أو غيره حتى قيل: إنه رأس المعاصى كلِّها.

---

(1) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود (1698)، والحاكم (1516)، والبيهقى فى الكبرى (7607). وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الألبانى فى صحيح أبى داود (1489). والحديث صحيح وإسناده حسن لأن فيه محمد بن عجلان وهو صدوق.

(2) أخرجه مسلم (2578).

قال القاضى فى قوله: "**فإن الشح أهلك من كان قبلكم**": يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذى أخبر عنهم به فى الدنيا؛ بأنهم سفكوا دماءهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة، وهذا الثانى أظهر، ويحتمل أنه أهلكهم فى الدنيا والآخرة، قال جماعة: **الشح**: أشد البخل وأبلغ فى المنع من البخل، وقيل: هو البخل مع الحرص، وقيل: البخل فى أفراد الأمور، والشح عام، وقيل: البخل فى أفراد الأمور والشح بالمال والمعروف، وقيل الشح الحرصُ على ماليس عنده والبخل بما عنده أهـ (شرح النووى لمسلم 16/114-115).



ومن هنا نعلم معنى حديث أبى هريرة τ أن النبى ε قال: **(لا يجتمع الشحُّ والإيمانُ فى قلب عبد أبداً)**[1].

ومتى وصلَ الحرصُ على المال إلى هذه الدرجة نقص بذلك الدينُ والإيمانُ نقصا بيّناً فإن مَنْعَ الواجبات وتـَنـَاوُلَ المحرمات ينقص بها الدينُ والإيمانُ بلا ريب حتى لا يبقى منه إلا القليل. أهـ[2].

المبحث الرابع - المال لا يذم لذاته:

ينبغى ألا يفهم من كلامنا السابق فى هذا المبحث أن الإسلام يدعو أتباعه إلى التخلص من المال بالكلية والإقبال على ذكر الله فقط، ليس الأمر كذلك.

بل إن الإسلام دين حياة وآخرة، والإسلام هو الدين الوحيد الذى واءم ووازن بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد فى هذا الكائن البشرى، فلم يُطْغِى جانبا على آخر.

فقال ε: **(نعم المال الصالح مع الرجل الصالح)**[3].

وقال ε: **(إن الله يحب العبد التقى، الغنى، الحفي)**[4].

وقال ε: **(إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده)**[1].

---

(1) أخرجه الطيالسى فى مسنده (2461)، وسعيد بن منصور فى سننه (2401)، وابن أبى شيبة (26608)، وأحمد (9691) بأتم منه، والبخارى فى الأدب المفرد (281)، والنسائى فى الكبرى (4318 و4320)، والطبرانى فى الأوسط (5878)، والبيهقى فى الكبرى (18289)، وقال الألبانى فى صحيح الجامع (7616): صحيح.

(2) أى: انتهى كلام ابن رجب فى شرحه لحديث: **(ما ذئبان جائعان ...)**.

(3) أخرجه من حديث عمرو بن العاص τ أحمد (17798)، والبخارى فى الأدب المفرد (299)، وابن حبان (3210)، والبيهقى فى الشعب (1248) وقال الألبانى فى تعليقه على الأدب المفرد (299): صحيح.

(4) أخرجه مسلم (2965) عن سعد بن أبى وقاص τ.

نعم! كان هذا هو منهج الإسلام؛ فالإسلام ما ذم المال وما كرهه بل حث صاحب المال أن يستعمله فى مرضات ربه فينفقه فيما يحب ربه ويرضاه.

وخلاصة القول: لابد أن يكون ميدان الدنيا فى اليد وميدان الآخرة بكل ما تشمله فى القلب.

قال ε: **(إنما الدنيا لأربعة نفر)**[2] فذكر أن من بأفضل المنازل من عنده مالٌ يُنفقه بعلمه فى وجوه الخير التى يحبها الله، ومن بِشَرِّ المنازل من لديه مالٌ يُنفقه بجهله فى غير مرضاة الله.

وقال ε: **(ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم)**[3] عندما جهز جيش العسرة؛ لم يظفر =

(1) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو τ الطيالسى فى مسنده (2261)، والترمذى (2819)، والحارث فى مسنده (607/2) رقم (1571)، والحاكم (7188)، وقال: صحيح الإسناد، والبيهقى فى الشعب (4571 و6196)، وقال: الألبانى فى صحيح الجامع (1887) حديث حسن. وفى الباب عن عمران بن حصين، وأبى هريرة، وأنس ψ جميعاً.

(2) هذه قطعة من حديث أخرجه الترمذى (325)، وابن ماجة (4228) وهو حديث صحيح (انظر صحيح الجامع (3024) عن أبى كبشة الأنمارى τ قال: قال رسول الله ε: **(ثلاثة أقسم عليهن، وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال: ما نقص مالُ عبد من صدقة، ولا ظلم عبدٌ مظلمةً فصبر عليها إلا زاده الله عزًّا، ولا فتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر. وأحدثكم حديثا فاحفظوه، قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبدٍ رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا؛ فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله علما ولم يرزقه مالاً؛ فهو صادق النية يقول: لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان؛ فهو بنيته؛ فأجرهما سواء، وعبدٍ رزقه الله مالا ولم يرزقه علما؛ فهو يخبط فى ماله بغير علم؛ لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعرف لله فيه حقا؛ فهذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالا ولا علما؛ فهو يقول: لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته؛ فوزرهما سواء).**

(3) أخرجه من حديث عبد الرحمن بن سمرة الترمذى (3710) وقال: حسن غريب من هذا الوجه، وابن أبى عاصم فى السنة (1279)، والحاكم (4553) وقال: صحيح الإسناد وقال الذهبى صحيح. وقال الألبانى فى صحيح الترمذى (2920): حسن. عن عبد الرحمن بن سُمرة τ قال: جاء عثمان إلى رسول الله ε بألف دينار فى كمِّه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره فقال عبد الرحمن: فرأيت النبى ε يقلبها فى حجره ويقول: **(ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم)**. قال الترمذى: حسن غريب

بهذا بكثرة صلاة ولا صيام إنما بإنفاقه فى سبيل الله.

فكان المال سبباً فى بلوغ أصحابه هذه المنازل[1].

المبحث الخامس - ما هى سبل الوقاية من فتنة المال[2]؟:

1. انظر إلى من هو دونك مالاً ولا تنظر إلى من هو فوقك. وقل: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا.

قال رسول الله ε: **(انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدرُ أن لا تزدَروا نعمة الله عليكم)**[3].

=

من هذا الوجه.

قلت: وفيه كثير مولى عبد الرحمن بن سُمرة، قال الحافظ: مقبول وقد وثقه العجلى وابن حبان ومعنى قوله: **(ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم)** أى: فلا على عثمان بأس الذى عمل بعد هذا من الذنوب؛ فإنها مغفورة مكفرة (انظر شرح الحديث تحفة الأحوذى 212/9 ط دار الحديث).

(1) **اعلم:** أن المال لا يذم لذاته بل يقع الذم لمعنى من الآدمى، وذلك المعنى إما شدة حرصه أو تناوله من غير حله، أو حبسه عن حقه، أو إخراجه فى غير وجهه، أو المفاخرة، ولهذا قال تعالى: **[إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ]** (التغابن: 15).

(2) انظر موقف المسلم من الفتن.

(3) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (6490)، ومسلم (2963) عن أبى هريرة τ واللفظ لمسلم.

قوله **(أجدر)**: أى: أحق، وقوله **(وتزدروا)**: أى: تحتقروا.

قال ابن جرير وغيره: (هذا حديث جامع لأنواع من الخير؛ لأن الإنسان إذا رأى من فُضِّل عليه فى الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد؛ ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود فى أغلب الناس. وأما إذا نظر فى أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت نعمة الله تعالى عليه فشكرها وتواضع، وفعل فيه الخير). أهـ. انظر شرح النووى لمسلم (77/16).

وقال ابن بطال: "هذا الحديث جامع لمعانى الخير؛ لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهداً فيها إلا وجد من هو فوقه، فمتى طلبت نفسه اللحاق به استقصر حاله فيكون أبداً فى زيادةٍ تُقربه من ربه. ولا يكون على حال خسيسةٍ من الدنيا إلا وجد من أهلها من هو أخس منه حالاً؛ فإذا تفكر فى ذلك علم أن نعمة الله وصلت إليه دون كثير ممن فضل عليه بذلك من غير



2. **اعتبر بحياة النبى ε:** تقول عائشة رضى الله عنها: "كنا نرى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال ولا يوقد فى بيت النبى ε نار"[1].

وكان يقول ε: **(اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً)**[2].

"وكان ينام على حصير حتى أثرت فى جنبه ε"[3]. واعلم أن حجرات النبى ε كانت حجرات صغيرات ضيقات، الواقف فيها ينال السقف[4].

3. **الإيمـان بالقـدر:** فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يردُّه كراهة كارهٍ **(لن**

= ________________

أمرٍ أوجبه، فيلزم نفسَه الشكر، فيعظم اغتباطه بذلك فى معاده.

وقال غيره: فى هذا الحديث دواء الداء؛ لأن الشخص إذا نظر إلى من هو فوقه لم يأمن أن يؤثر ذلك فيه حسدا، ودواؤه أن ينظر إلى من هو أسفل منه؛ ليكون ذلك داعيا إلى الشكر". أهـ. فتح البارى (330/11) ط السلفية.

قال ابن حجر: وقد وقع فى نسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده يرفعه قال: **(خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا: من نظر فى دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه، ومن نظر فى دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، وأما من نظر فى دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته؛ فإنه لا يكتب شاكرا ولا صابرا)**. فتح البارى (330/11).

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (2567 و6458 و6459)، ومسلم (2972) عن عائشة رضى الله عنها.

(2) تقدم تخريجه، وهو فى الصحيحين.

(3) ورد هذا المعنى فى عدة أحاديث منها ما فى الصحيحين من قصة المتظاهرتين على النبى ε وهو متفق عليه من حديث ابن عباس عن عمر رضى الله تعالى عنهما أخرجه البخارى (5843) ومسلم (1479). وكذا ورد من حديث ابن مسعود τ قال: نام رسول الله ε على حصير فقام وقد أثر فى جنبه قلنا: يا رسول الله! لو اتخذنا لك وطاءً؟ فقال: **(مالى وللدنيا؟ ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)** أخرجه الترمذى (2377) وأحمد فى مسنده (3709) وأبو نعيم فى الحلية (102/2) والحاكم (7859) وقال الترمذى: حديث حسن صحيح، وانظر السلسلة الصحيحة (439 و440).

(4) ذكر ابن قدامه فى منهاج القاصدين أن النبى ε كان زاهداً فى مسكنه فقال: وقد تُوفى رسول الله ε ولم يضع لبنة على لبنة، وقال الحسن: كنت إذا دخلت بيوت النبى ε نلت السقف. أهـ (منهاج القاصدين صـ 355).



تموت نفس حتى تستوفى أجلها ورزقها)[1].

4. تذكر أن "**الله تعالى يعطى الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ولكن لا يعطى الدين إلا لمن أحب**"[2].

---

(1) هذه الفقرة قطعة من حديث ابن مسعود τ عن رسول الله ε قال: **(إن روح القدس نفث فى روعى: أنه ليس من نفس تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصى الله عز وجل؛ فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته)**. أخرجه ابن أبى شيبة (34332)، والشهاب فى مسنده (1151)، والبيهقى فى الشعب (10376). ومن حديث حذيفة أخرجه البزار (2914)، ومن حديث أبى أمامة أخرجه أبو نعيم فى الحلية (27/10) وقال الألبانى قى صحيح الجامع (2085): صحيح.

(2) ورد هذا اللفظ فى حديثين أحدهما مرفوع والآخر موقوف:

أما المرفوع: فمن حديث عبد الله بن مسعود τ أن النبى ε قال: **(إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا لمن أحب؛ فمن أعطاه الله عز وجل الدين فقد أحبه ...)** الحديث، أخرجه ابن أبى شيبة فى مسنده (344)، وأحمد (3672)، وابن أبى الدنيا فى إصلاح المال (42)، وابن أبى عاصم فى الزهد (209)، والبزار (2026) دون ذكر جملة : "إن الله قسم بينكم ..."، والشاشى فى مسنده (877)، والحاكم (94 و95) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، واللالكائى فى الاعتقاد (1697)، وأبو نعيم فى الحلية (166/4)، وقال الهيثمى فى المجمع (53/1) و(288/10): رواه أحمد ورجاله وثقوا وفى بعضهم خلاف. وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (1625) وضعيف الترغيب (1076 و1519) وقال فى الصحيحة (2714) بعد أن عزاه للإسماعيلى فى معجمه: إسناد صحيح على شرط مسلم إلا الجوهرى، وقد وثقه جماعة وتابعه جماعة.

أما الموقوف: فمن قول ابن مسعود τ بلفظ: "إن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الإيمان إلا من يحب، فإذا أحب الله عبداً أعطاه الإيمان" أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (34545 و34578)، وأبو نعيم فى الحلية (165/4 و166) و (35/5). قال ابن الجوزى فى العلل المتناهية (1401) قال الدارقطنى: رفعه جماعة، ووقفه جماعة والصحيح الموقوف. أهـ. وقال الألبانى فى الصحيحة (2714) بعد كلام طويل: "فيظهر من هذا التخريج أن الأصح فى إسناد الحديث أنه موقوف لكن لا يخفى أنه فى حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأى. أهـ.

وورد موقوفاً أيضاً من كلام عبيد بن عمير τ أخرجه أحمد فى الزهد صـ 390 ، وأبو نعيم فى الحلية (270/3).



فسارع فى طلب الدين حتى تكون من المحبوبين عند الله تعالى فقد كان عمر يعمل يوما ويصاحب النبى ε يوماً[1].

5. اعلم أن السعادة ليست فى جمع المال:

لست أرى السعادة جمع مالٍ   لكن التقى هو السعيدُ[2]

[أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] (الرعد: 28).

واعلم أن أكثر الدول تقدماً من الناحية المادية هم أكثر الناس انتحاراً.

6. جمع المال لا يُؤمّن أبناءك من بعدك: قال تعالى: **[وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا]** (النساء: 9). هذه هى شهادة التأمين مدى الحياة لأولادك.

قال تعالى: **[وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا]** (الكهف: 82).

7. زيارة القبور: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)[3].

---

(1) ورد ذلك فى حديث المتظاهرتين على النبى ε وهو متفق عليه؛ أخرجه البخارى (89 و2468 و4913 وما بعده، 5191) وفى مواضع أخر، ومسلم (1479) من حديث ابن عباس عند عمر ψ جميعاً.

(2) هذا البيت للبيد بن ربيعة وبعده:

وتقوى الله خير الزاد زخرا   وعند الله للأتقى مزيد

(انظر ديوان لبيد).

(3) أخرجه مسلم (977) عن بريده τ.



الفصل الثالث
فتنـــة التفرق والاختلاف

وهذه الفتنـة من الفتن الخطيرة التـى تواجـه الأمـة، ونظراً لأهميـة دراسـة هذه الفتنـة، وتشعب الكلام فيها فإن الحديث فيها ينتظم فى عدة مباحث:

المبحث الأول : الاختلاف فى هذه الأمة أمر قدرى.

المبحث الثانى : الخلاف شر.

المبحث الثالث : أنواع الاختلاف.

المبحث الرابع : أسباب الخلاف.

المبحث الخامس : أدب الخلاف.

المبحث السادس : سبيل الوقاية من فتنة التفرق والاختلاف.

المبحث السابع : مـنهج أهل السـنة والجماعـة فـى الحكم علـى النـاس ونقد الرجال ومعالجة الخطأ.



المبحث الأول - الاختلاف فى هذه الأمة أمر قدرى[1]:

ومما لا شك فيه أن لا شىء أعظمُ فساداً للدين، وأشد تقويضاً لبنيانه، وأكثر تفريقاً لشمل الأمة من الاختلاف والتنازع، فهما يفتكان بالأمة فتك الذئب بالغنم، وينخران فيها نخر السوس فى الحب، ويسريان فيها سريان السرطان فى الدم، والنار فى الهشيم.

ولهذا حذر الإسلام الحنيف من الفرقة والاختلاف، ودعا أتباعه إلى توحيد الصف وإلى التراص؛ لأن التفرق يؤدى إلى التنازع، والتنازع يؤدى إلى الاختلاف، وبالتالى إلى الفشل، والفشل يورث الذل والهوان والضعف والخسران. فالعواقب المترتبة على الفرقة والاختلاف إذاً وخيمة، ولهذا جاءت النصوص الكثيرة من القرآن والسنة وكلام السلف – رحمهم الله– تبالغ فى التحذير من ذلك والنهى عنه، وتكشف عن سوء عواقبه.

ومن ذلك قوله تعالى: **[وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ]** (آل عمران: 103)، وقوله: **[وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ]** (آل عمران: 105)، وقوله: **[إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ]** (الأنعام: 159).

وقد أخبر النبى ε بهذا الأمر القدرى الكونى فقال ε: **(افترقت اليهود على واحد وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة. وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة وهم الجماعة)**[2].

وقد أشار النبى ε إلى أن الفرقة والاختلاف لابد من وقوعهما فى الأمة، فقال ε: **(سألت ربى ثلاثاً، فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة: سألت ربى أن لا يهلك أمتى**

---

(1) انظر كتاب الفتن فى ضوء الكتاب والسنة، فتنة التفرق والاختلاف 174-184 باختصار وتصرف وزيادة وسوف يأتى -إن شاء الله- فى المبحث الثالث بيان أن الاختلاف نوعان، أحدهما لا كسب للعباد فيه، وهو المقصود بالكلام هنا والآخر كسبى أى: يحدث باختيار العباد وإرادتهم.

(2) تقدم تخريجه (صـ 20). قال ابن تيمية رحمه الله معلقا على هذا الحديث: " ... إن عامة المختلفين هالكون من الجانبين إلا فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة. أهـ. اقتضاء الصراط المستقيم (127/1).

بالسَّنة[1] فأعطانيها. وسألت ربى أن لا يُهلك أمتى بالغرق فأعطانيها. وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها)[2].

فعلق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذا الحديث بقوله: "**وهذا المعنى محفوظ عن النبى ε من غير وجه**"[3]، يشير إلى أن الفرقة والاختلاف لابد من وقوعهما فى الأمة.

وكون الافتراق يقع فى الأمة لا يعنى أن الإنسان يُسلم بالأمر الواقع، أو يزعم أن المفارقة مشروعة، أو يرضى بأن يفارق أو لا يتحرى الحق ولا يبحث عنه استسلاماً لقدر المفارقة، بل إن وقوع الافتراق هو دافع لكل مسلم بأن يتحرى الحق ويستمسك به، ويعرف الشر ليحذره ويتجنب مسالكه، وليعلم أن الحق لابد متحدد فى نهج النبى ε وفى نهج صحابته رضوان الله عليهم أجمعين ونهج السلف الصالح رحمهم الله.

أى: ينبغى ألا يعارض الإنسانُ القدر بالشرع، القدر هو أن الله قدر أن يكون فى هذه الأمة اختلاف، ومع هذا نهانا شرعاً عن الاختلاف.

والسؤال الأن: **لماذا قدر الله الاختلاف كوناً وقدراً؟**

والجواب: أن الله قدر ذلك لحكمة بالغة؛ كما قدر وجود الشر لحكم بالغات، كما خلق تعالى إبليس وخلق الذوات الخبيثة وخلق السيء، وخلق القبيح، وخلق الشر كل هذا لحكمة بالغة، فنحن نؤمن بالقدر خيره وشره وأن كلا من عند ربنا.

---

(1) السَّنة: الجدب والقحط الذى يعم. انظر: "غريب الحديث" للخطابى (410/1)، "القاموس المحيط" مادة سنه فصل السين باب الهاء: (287/4-288).

(2) أخرجه مسلم (2890) من حديث سعد بن أبى وقاص τ. وهو معنى حديث أخرجه البخارى عن جابر τ قال: (لما نزلت هذه الآية **[قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ...]** قال رسول الله ε: **أعوذ بوجهك**. قال: **[أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ]** قال: **أعوذ بوجهك**. قال: **[أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ]** قال رسول الله ε: **هذا أهون أو هذا أيسر**) أخرجه البخارى (4628).

(3) "اقتضاء الصراط المستقيم": (122/1-123).

فالله تعالى خلق الخير والشر لحكمة بالغة، وقدره فى الكون ليبلو بعضكم ببعض، كما قال تعالى: **[وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ]** (الفرقان: 20) فهذا نوع من الاختلاف أراده الله فى هذا الكون، وكما قال تعالى: **[لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ]** (الأنفال: 37)، ليتبين الخبيث الذى يتبع الهوى ويعمل السوء ويُشعل نار الفتنة بين المسلمين من الآخر الطيب الذى يريد وحدة المسلمين وتوحيد صفهم.

المهم أننا ندرك أن الله قدر هذا، لكن ينبغى ألا نعارض ما قدره الله عز وجل بشرعه، فهو أمرنا أن نتحد وألا نتفرق وأن نعتصم بحبله ولا نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات ولا ينبغى أن نكون فرقا وشيعا وأمما. حذرنا الكتاب وحذرتنا السنة من ذلك.

ولا ينبغى أن نحتج بالقدر وندع إلى الفرقة، ونقول: إن الله قدر ذلك ونقول –كما يقول البعض–: (دع الملك للمالك)، ولا نقول: لو كان الله أراد عدم الاختلاف لما كان خلاف، **[وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً]** (المائدة: 48) فليس لك أن تحتج بالقدر على الفرقة؛ لأن الذى يحتج بالقدر على الفرقة مبطلٌ، فينبغى عليك أن تتبع الشرع. وانظر الرجل الذى سرق فجيء به إلى عمر بن الخطاب، فقال عمر: ما الذى حملك على السرقة؟ قال الرجل: سرقت بقدر الله! قال عمر: **وأنا أقطع يدك بقدر الله.**

نعم الله قدر عليه السرقة، لكن هل هذا الاحتجاج صحيح؟

بالطبع لا! هذا الاحتجاج من أبطل الباطل؛ لأن الله ينهاه عن السرقة، فالعبد لا يحاسب على القدر، إنما يحاسب على كسبه.

وخلاصة القول: أنه لا يجوز أن يكون الخبر عن الاختلاف ذريعة للمفارقة، أو ذريعة للرضا بالبدع، أو ذريعة للرضا بالأهواء والرضا بالخطأ؛ لأن الخبر عن الافتراق فى الدين جاء بمعرض النهى والتحذير الشديد(1).

---

(1) ولقد وصل الأمر عند البعض ممن ينتسبون للدعاة أن يقول: مادام الرسول ε أخبر بأن الأمة ستفترق، فإذاً لابد أن نرضى بالبدع ونُقرها أمراً واقعاً، ونرضى بالأهواء ونُقرها أمراً واقعاً، ونسلم

المبحث الثانى - الخلاف شر:

كان النبى ε يحذر أمته من التفرق والاختلاف؛ لينجو منهما من شاء الله له السلامة، كما قال ابن مسعود τ: سمعت رجلاً قرأ آية سمعت النبى ε يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبى ε فذكرت ذلك له، فقال: **(كلاكما محسن، ولا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)**[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: "نهى النبى ε عن الاختلاف الذى فيه جحدُ كلّ واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق؛ لأن كلا القارئين كان محسناً فيما قرأه، وعلل ذلك: بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا. ولهذا قال حذيفة لعثمان: "أدرك هذه الأمة، لا تختلف فى الكتاب كما اختلف فيه الأمم قبلهم"[2] لما رأى أهل الشام والعراق يختلفون فى حروف القرآن الاختلاف الذى نهى عنه

=

للأمر الواقع، ولنعرف بأنه لا دين إلا بدخن!!! وهذه دعوى باطلة بل هى من مداخل الشيطان على الإنسان؛ لأن الرسول ε حينما أخبر عن الافتراق أخبر بأنه ستبقى طائفة من هذه الأمة على الحق، ظاهرة منصورة، ظاهرة بالحق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وهذه الطائفة تقوم بها الحجة، ويهتدى بها من أراد الهدى، ويقتدى بها من أراد الحق والخير والسنة، فإذاً الحجة لابد أن تكون قائمة، والحق لابد أن يظهر، ولا يمكن أن يخفى على كل ذى بصيرة، ولا على كل من يريد الحق ويسعى إليه صادقاً، فإنه من يتقى الله يجعل له مخرجاً.

فمن هنا كان الرضا بالبدع والأهواء على أنها أمر واقع لا يجوز شرعاً، بل هو تلبيس على المسلمين، وهو أيضاً تحقيق للباطل، وإعراض عن الحق، واتباع لغير سبيل المؤمنين. (أنظر الفتن فى ضوء الكتاب والسنة، فتنة الاختلاف صـ 184).

(1) أخرجه البخارى (2410 و5062).

قال ابن حجر: وفى هذا الحديث الحضُ على الجماعة والألفة، والتحذير من الفرقة والاختلاف. أهـ. (فتح البارى 720/8 ط السلفية).

(2) أخرجه البخارى (4987) عن أنس بن مالك أن حذيفة قدم على عثمان ψ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال حذيفة لعثمان: "يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ... الحديث".



النبى ε"[1].

ومما سلف يتجلى لنا: أن التفرق والاختلاف خطير جد خطير، وشر أيما شر، ولهذا لما أتم عثمان بن عفان τ الصلاة بمنى أربع ركعات –خلافاً لما كان عليه الرسول ε وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما[2] وقد كان τ متأولاً فى ذلك– عجب الصحابة من صنيعه ذلك، حتى أن ابن مسعود τ استرجع وقال: "صليت مع رسول الله ε بمنى ركعتين، وصليت مع أبى بكر τ بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب τ بمنى ركعتين، فليت حظى من أربع ركعات ركعتان متقبلتان"[3]. وفى رواية أنه: "صلى أربعاً، فقيل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعاً، قال: الخلاف شر"[4].

---

(1) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (123/1–124)، وفتح البارى (632/8–636) ط السلفية.

(2) والذى كان عليه عمل النبى ε وأبى بكر وعمر وعثمان فى صدر خلافته τ هو قصر الصلاة بمنى أى: صلوها ركعتين، نقل هذا عن ابن عمر وابن مسعود رضى الله عنهما.

قال ابن عمر τ: "صلى النبى ε بمنى صلاة المسافر، وأبو بكر وعمر، وعثمانُ ثمانى سنين، أو قال ست سنين" (أخرجه مسلم (694) وعن ابن مسعود نحوه (متفق عليه) أخرجه البخارى (1082) و(1655) ومسلم (694).

(3) متفق عليه، أخرجه البخارى (1084 و1657)، ومسلم (695) عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود τ.

(4) أخرجه عبد الرازق (4269)، وأبو داود (1960)، والبزار (1641)، وأبو يعلى (5377) والطبرانى فى الأوسط (6637)، والبيهقى فى الكبرى (5219) ونحوه (5220)، وقال الألبانى فى صحيح أبى داود (1712): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

فائدة: اعتذر أهل العلم عن عثمان τ فى إتمامه الصلاة باعتذارات عدة منها:

1. أن عثمان τ تأهل بمكة وقد أخبر عثمان عن ذلك وقال سمعت رسول الله ε يقول: **(من تأهل ببلده فإنه يصلى صلاة مقيم)** ورُد بأن النبى ε كان يسافر بزوجاته وقصر، وأيضاً هذا حديث منقطع.
2. أن عثمان τ قصر؛ لأنه أمير المؤمنين وكل موضع له دار. ورُدّ بأن النبى ε كان أولى بذلك منه.
3. أن عثمان τ عزم الإقامة بمكة. ورُدّ بأن الإقامة فى مكة حرام على المهاجرين لحديث علاء بن الحضرمى τ قال: قال رسول الله ε: **(ثلاث للمهاجرين بعد الصدر)** (متفق عليه)؛ أخرجه



رضـى الله عـن ابـن مسـعود، فمـا أحكمـه ومـا أعلمـه! فهـو τ يعلـم أن إتمـام عثمـان خلاف هدى النبى ε وصاحبيه رضى الله عنهما. ومع ذلك وافق عثمان وأتم أربعاً، كل ذلك خشية التنازع والتفرق، وما ينتج عن ذلك من فتن عظيمة، ومحن جسيمة، فالخلاف حقاً شر كما قال τ[1].

= ________________

البخارى (3993) ومسلم (1352).

قال ابن حجر رحمه الله: وفقه الحديث أن الإقامة بمكة كانت حراما على من هاجر منها قبل الفتح، لكن أبيح لمن قصدها منهم بحج أو عمرة أن يقيم بعد قضاء نسكه ثلاثة أيام لا يزيد عليها، ولهذا رثى النبى ε لسعد بن خولة أن مات بمكة. أهـ. فتح البارى (313/7) ط السلفية.

4. أن عثمان كان يسبق الناس إلى مكة. ورُد بأن هذا القول لم ينقل.
5. أن عثمان استجد له أرضا بمنى. ورُدّ بأن هذا القول لم ينقل.
6. قال ابن بطال: الوجه الصحيح فى ذلك أن عثمان كان يرى أن النبى ε إنما قصر؛ لأنه أخذ بالأيسر من ذلك على أمته، فأخذ لنفسه بالشدة. أهـ. وهذا رجحه جماعة منهم القرطبى.
7. وروى الطحاوى وغيره عن الزهرى قال: إنما صلى عثمان بمنى أربعاً؛ لأن الأعراب كانوا قد كثروا فى ذلك العام فأحب أن يعلمهم أن الصلاة أربع. أهـ.

وروى البيهقى بسنده عن عبد الرحمن بن عوف τ "أن عثمان أتم بمنى ثم خطب فقال: "إن القصر سنة رسول الله ε وصاحبيه ولكنه حدث طغام فخفت أن يستنوا".

8. قال ابن حجر: والمنقول أن سبب إتمام عثمان أنه كان يرى القصر مختصاً بمن كان شاخصا سائرا، وأما من أقام فى مكان أثناء سفره فله حكم المقيم فيتم والحجة فيه ما رواه أحمد بإسناد حسن عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: "لما قدم علينا معاوية حاجا صلى بنا الظهر ركعتين بمكة ثم انصرف إلى دار الندوة، فدخل عليه مروان وعمر بن عثمان فقالا: لقد عبت أمر ابن عمك؛ لأنه كان قد أتم الصلاة. قال: وكان عثمان حيث أتم الصلاة إذا قدم مكة صلى به الظهر والعصر والعشاء أربعا أربعا، ثم إذا خرج إلى عرفة ومنى قصر الصلاة فإذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة".

انظر: فتح البارى (664/2-665) ط السلفية.

(1) نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله عن الداودى رحمه الله قوله: (وتبع -يعنى: ابن مسعود- عثمان كراهة لخلافه، وأخبر ما يعتقده) وقد قال τ متمنياً: (فليت حظى من أربع ركعات ركعتان متقبلتان) -كما تقدم- ومعناه -على ما ذكر النووى رحمه الله-: (ليت عثمان صلى ركعتين بدل الأربع كما كان النبى ε وأبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عليهم أجمعين فى صدر من خلافته يفعلون. ومقصوده: كراهة



وهنا تأتى القاعدة الأصولية: **(درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)**. فابن مسعود τ درأ مفسدة عظيمة، وهى الخلاف والتفرق والنزاع، وقدمها على مصلحة متابعة النبى ε فيما هو أولى وأفضل، فوافق على جواز الإتمام مع أنه كان يرى أن السُنة هى القصر تأسياً برسول الله ε وصاحبيه رضى الله عنهما.

وقعد أيضاً أهل العلم قاعدة عظيمة وهى: **(يستحب ترك المستحب من أجل تأليف القلوب)**، فالصلاة فى منى قصراً هى السنة وهذا أمرٌ مستحب إلا أن ابن مسعود ترك هذه المستحب حتى يتألف القلوب بعدم الافتراق، فكان ترك المستحب هنا مستحباً[1].

وبنظرة إلى الواقع الذى نعيش فيه ببعده عن كتاب الله وسنة نبيه ε وعدم الاستضاءة بنورهما أنتج لفيفاً من الأقوام المتباغضة المتدابرة وتفرقت الأمةُ الإسلامية وذهبت شذر مذر [2] فجنت الهوان والضعف والتمزق بما قدمته يداها، وأضحت مثلا فى التخلف والانحطاط بعد أن كانت نبراساً يستضاءُ به.

والفرقة تعنى تدابراً وإنفصاماً فى الصف الواحد، وتقاطعاً وتنافراً ولقد حذر الإسلامُ الحنيف من الفرقة ودعا أتباعهُ إلى توحيد الصف وإلى التراص.

= مخالفة ما كان عليه رسول الله ε وصاحباه، ومع هذا فابن مسعود τ موافق على جواز الإتمام، ولهذا كان يصلى وراء عثمان τ متما، ولو كان القصر عنده واجباً لما استجاز تركه وراء أحد). أهـ. شرح مسلم (167/5)، فتح البارى شرح حديث رقم (5953).

(1) ويستدل أهل العلم لهذه القاعدة بما فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها "أن النبى ε قال لها: **(يا عائشة! لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به أساس إبراهيم)**. متفق عليه؛ أخرجه البخارى (1586)، ومسلم (1333).

قال ابن حجر: ومن فوائد الحديث، ترك بعض الاختيار (المستحب) مخافة أن يقصر عنه فهم بعض الناس" أهـ. فتح البارى (524/3) ط السلفية، وانظر شرح الحديث فى شرح النووى لمسلم (75/9-81)، وفتح البارى (514/3-525).

(2) شذر مذر، يقال: تشذَّر القوم أى: تفرقوا، وذهبوا فى كل وجه شذر مذر. أى: ذهبوا فى كل وجه، ولا يقال ذلك فى الإقبال (انظر لسان العرب مادة شذر).



لأن التفرق يؤدى إلى التنازع، والتنازع يؤدى إلى الاختلاف وبالتالى إلى الفشل، والفشل يورث الضعف والهوان. إذاً فالعواقب المترتبة على الفرقة وخيمة.

وقد أوضح الله عز وجل أن التنازع يؤدى إلى الفشل ثم إلى الضعف والهوان فقال تعالى: **[وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ]** (الانفال: 46).

المبحث الثالث - أنواع الاختلاف:

اعلم -عبد الله!- أننا إذا نظرنا فى الاختلاف وفى جميع صوره فإننا نجد أن الخلاف كله يرجع فى حقيقة الأمر إلى قسمين لا ثالث لهما:

أحدهما لا كسب للعباد فيه، وهو الراجع إلى سابق القدر وهذا لا بحث فيه؛ لأنه حكمة إلهية اقتضتها حكمة الخالق جل وعلا، ومنه على سبيل المثال: الاختلاف فى الصور، كالحسن، والقبيح، والطويل، والقصير [1].

وأما الآخر فهو الكسبى، وهو المقصود بالكلام هنا؛ لأنه من اختيار العباد.

قال تعالى: **[وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ]** (هود: 118، 119)، فأخبر تعالى أنهم لا يزالون مختلفين أبداً، وأن قوله تعالى **[وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ]** يعنى وللاختلاف خلقهم[2].

فلا يمكن أن يقع منهم إلا ما سبق فى العلم، وهذا الاختلاف هو الذى بعث الله تعالى من أجله الرسل والنبيين ليحكموا بين المختلفين فيما اختلفوا فيه، كما قال تعالى: **[كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ]** (البقرة: 213) وذلك الاختلاف فى الآراء والأعمال مما يسعد به الإنسان أو يشقى فى الدنيا والآخرة، وهذا هو المراد بالآية.

---

(1) راجع هذا القسم وأدلته فى المبحث الأول من مباحث فتنة التفرق والاختلاف.

(2) راجع تفسير ابن كثير لهذه الأية.



وهذا الاختلاف على أنواع، منها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم.

وأنواع الاختلاف مهما كثرت وتنوعت لا تخرج عن نوعين:

الأول: اختلاف تنوع.

الثانى: اختلاف تضاد.

واختلاف التنوع له أربع صور واختلاف التضاد له صورتان. فسنذكر –إن شاء الله تعالى– فروع هذين النوعين، وأمثلة كل فرع، ثم نبين ما هو الخلاف الذى لا يترتب عليه أثر بين المسلمين، والخلاف الذى يحصل بسببه (أى: ينبغى أن) يحصل بسببه العداء بيننا وبين من يخالفنا.

أولاً : اختلاف التنوع:

وضابطه: أنه لا يلزم من صحة أحد القولين أو صحة قول من الأقوال فساد القول الثانى أو الأقوال الأخرى، ولا يلزم من ثبوت قول بطلان ونفى الأقوال الأخرى.

أى: **(لا يلزم من إثبات قول نفى ما عداه ولا يلزم من صحة قول فساد ما عداه).**

واختلاف التنوع هذا أربعة أنواع، وإليك بيان هذه الأنواع وبعض الأمثلة عليها، والأثر المترتب على كل نوع:

النوع الأول:

أن يكون كلٌ من القولين أو كلٌ من الأقوال المتعددة فى الموضوع أو فى المسألة حقاً وصواباً وفى قوة واحدة ولا مرجح لقول على قول، ولا يجوز ترجيح قول على قول.

مثال ذلك القراءات العشر المتواترة عن نبينا ε كلها حق وصدق وثابتة من كلام الله جلَّ وعلا، كلها بهذه الدرجة، فلا يجوز تصحيح بعضها ولا تضعيف بعضها فيقال: قراءة



نافع صحيحة وقراءة حمزة ضعيفة.

ولا يجوز الترجيح بين القراءات فلا يقال: قراءة نافع أصح من قراءة عاصم ولا قراءة عاصم أقوى وأثبت وأدق من قراءة ابن كثير رحمة الله على الجميع[1].

وعن عمر بن الخطاب τ قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ε فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ε فقال ε: **(إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه)**[2].

وهذا النوع من الاختلاف ينبغى أن نقبله وأن نعيش منه فى سعة، وينبغى ألا يترتب عليه تباغض ولا تدابر ولا اختلاف؛ لأن كل الأقوال حق وصواب، وفى قوة واحدة، ولا مرجح لقول على قول.

النوع الثانى من اختلاف التنوع:

الأقوال كلها حق وصواب لكن بعضها أقوى من بعض وبعضها أرجح من بعض لوجود دليل أقوى من دليل لكن جميع الأحكام المقررة والمختلف فيها بين المسلمين مأخوذة من كتاب الله وسنة نبيه ε.

وحدث ذلك إما لأن بعض العلماء دليله أقوى فيما بلغنا ونقل إلينا؛ لأن الحديث فى الصحيحين مثلاً وذاك حديثه فى السنن، أو أن الحديث يراه هذا العالم ورد بكيفية معينة

---

(1) وقد اسنكر الإمام السيوطى رحمه الله تعالى قول بعض الناس أن النبى ε كان يقرأ بقراءة نافع، وكان أكثر قراءته بقراءة نافع. فقال: " هذا قولٌ باطل لا يُعرف فى شىء من كتب السنة ولا القراءات، وكان النبى ε يقرأ بالحروف السبعة التى يُعلمها الناس، والصحابةُ يتلقون عنه هذا. ونافع جاء بعد النبى ε بفترة فهو من أتباع التابعين τ وتلقى القراءات المتواترة عن التابعين عن الصحابة عن النبى ε. انظر: الحاوى فى الفتاوى للسيوطى (108/2).

(2) متفق عليه، أخرجه البخارى (4992)، ومسلم (818).

قال ابن حجر: قوله ε: **(إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف)** هذا أورده النبى ε تطمينا لعمر لئلا ينكر تصويب الشيئين المختلفين. أهـ. فتح البارى (642/8) ط السلفية، وانظر المراد بالأحرف السبعة فتح البارى (642/8-654).



وذاك لا يرى هذه الكيفية ثابتة؛ لأنه ورد باعتبار معين وهذا أمر ثان لكن جميع الأقوال ثابتة.

وأمثلة ذلك كثيرة منها ما هو واقع بين المسلمين وأئمتهم وخاصة أئمة المذاهب الأربعة من اختلافات فى أمور عملية كثيرة مثل الترجيع فى الأذان، والأمة فيها على قولين:

يذهب الشافعية والمالكية إلى أن الترجيع مشروع والحديث بذلك ثابتٌ فى صحيح مسلم عن أبى محذورة τ علمه النبى ε الأذان وأمره أن يُرجع فى أذانه[1]. والحنفية والحنابلة يقولون: لا ترجيع فى الأذان؛ لأن بلالاً هو مؤذن النبى ε وكان يؤذن ولا يرجِّع وعبد الله بن زيد الذى أُرى الأذان فى منامه وحديثه صحيح ولم يرد الترجيع فيه[2].

ولكن ماذا تقولون عن حديث أبى محذورة τ؟

نقول هو ثابتٌ ولا إشكال لكن النبى ε علَّم أبا محذورة الترجيع؛ ليستحضر الإيمان بالشهادتين والنطق بهما؛ لأن قلبه لم يكن مطمئناً بالإيمان وهذا المعنى ليس حاصلاً فى بلال ولا فى عبد الله بن زيد، وهذا تعليل ابن قدامة فى المغنى[3].

ثم نقل الإمام ابن قدامه عن الإمام أحمد بن حنبل عليه رحمة الله قوله: وإذا رجع المؤذن فلا بأس. أهـ.

قال ابن قدامه: وذلك لأن الكيفيتين، أى: الترجيع وعدمه منقول عن النبى ε والأمر فى ذلك فيه سعة. أهـ.

فإذا رجع المؤذن فلا بأس، وإن لم يرجع فلا بأس ولا داعى لأن يضلل بعضنا بعضاً؛ فكل يعمل بما يشهد له الدليل ويقرُ صاحبه على عمله الذى أخذه من دليل وكلنا

---

(1) أخرجه مسلم (379)، وراجع الحديث بتمامه وتعليق النووى عليه فى شرحه لمسلم: (68/4 و69).

(2) أخرجه الترمذى (189)، وابن ماجة (706)، وأبو داود (499).

(3) انظر المغنى لابن قدامة أبواب الأذان، وكذلك هو قول ابن الجوزى نقله عنه المباركفورى فى تحفة الأحوذى (424/1 ط دار الحديث).

على هدى من شريعة الله جلا وعلا.

وهكذا سائر الفروع العملية التى تعملها الأمة فى هذا الوقت فلا داعى للتبديع ولا داعى للتضليل، إنما نقول لطالب العلم: اتق الله فى نفسك فابحث عن الدليل، فإذا لاح لك الدليل؛ فاعمل به، وإذا عملت به فاتق الله فى أمة محمد ε فلا تضللهم، ولا تبدعهم، ولا تسفه آراءهم إذا لاح لهم دليلٌ وعملوا به ما دامت الأحكام مستنبطة من كتاب الله وسنة نبيه ε.

لا افتراق ولا اختلاف لكن هناك راجح ومرجوح.

وإذا لم يظهر لك الدليل فأنت تقلد من أهل العلم أتقاهم، وأورعهم، وأعلمهم، ولا تثرب على أحدٍ غيرك قلد غير من قلدت[1].

النوع الثالث من اختلاف التنوع:

اختلاف الألفاظ والحقيقة واحدة؛ مثال ذلك قول الله تعالى: **[اهْدِنَا الْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ]** (الفاتحة: 6)[2] لفظ الصراط يُعبر كل واحدٍ بلفظٍ من عنده عن هذا المسمى يغاير به لفظ أخيه مع أن المسميات فى النهاية متحدة.

فمثلا يقول بعض العلماء (علماء التفسير) **[اهْدِنَا الْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ]**: أى: الإسلام.

وقال البعض: القرآن.

وقال البعض: طريق السنة والجماعة.

وقال البعض: طريق الشيخين أبى بكر وعمر.

وقال البعض: طريق النبى ε وصاحبيه.

هذه الأقوال مختلفة التسمية ولكنها متحدة فى الحقيقة فليس بينها اختلاف ولا تغاير

(1) انظر روضة الناظر لابن قدامة فصل فى التقليد (380/2).

(2) انظر معنى الصراط المستقيم فى تفسير ابن كثير (35/1-37) ط المكتبة التوفيقية.



فكل واحدٍ ذكر لفظاً يغايرُ به لفظ صاحبه لكن الأقوال مآلها إلى شيء واحد فالإسلام هو القرآن وهو طريق السنة والجماعة وهو طريق الصاحبين وهو طريق السنة والجماعة وهو طريق النبى ε وصاحبيه.

وكقوله تعالى: **[ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ]** (التكاثر: 8)[1] أى عن الماء، أو عن الخبز، أو عن النبى ε فهو أعظمُ نعمة مَنَّ الله بها علينا، أو عن الظل، أو عن الكساء، يذكر كلُ واحدٍ من أئمة التفسير مثالاً لهذا النعيم لا يقصد به الحصر.

ويدخلُ فى هذا النوع أيضاً اختلاف الألفاظ والحقيقة واحدة، والتعبير عن العام ببعض ألفاظه وهو أكثر اختلاف السلف رحمهم الله فنجد أن بعض علماء السلف يعبر عن العام ببعض أفراده لا يقصد بذلك الحصر وإنما من باب التمثيل يُذكر لفظٌ عام فيضرب له مثالاً، وذاك يمثل بمثالٍ آخر، وذاك بمثال ثالثٍ فليس هذا الاختلاف فى الأقوال من باب الاختلاف المتغاير إنما هى من باب الاختلاف المتنوع الذى يدخل الأقوال كلها فى نهاية الأمر تحت هذا اللفظ.

النوع الرابع من اختلاف التنوع:

أن تختلف ألفاظ العلماء فى التعبير عن الشىء لاختلافهم فى تحديد المراد وهو الذى يعبر عنه الإمام السيوطى بقوله: "**اختلفت العبارات لاختلاف الاعتبارات**".

فكل واحد لاحظ ملحظاً فى أمر أصدر حكمه عليه خذ مثلا قول الله تعالى: **[هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ]** (آل عمران: 7).

فنجد أن السلف اختلفوا فى قراءة هذه الآية، فى أن الوقف لازم على لفظ الجلالة، أم

(1) انظر معنى النعيم فى تفسير ابن كثير لهذه الآية.



أنه ليس ثَمَّ وقف لازم[1]؟

إذا كان الوقف لازماً كانت الواو فى: **[وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ ...]** استئنافية والمعنى: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، والراسخون فى العلم يستسلمون له ويؤمنون به على مراد الله عز وجل. وعليه يتوجه قول مجاهد: "**لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله**"[2].

وإذا كان الوقف غير لازم، كانت الواو عاطفة، والمعنى لا يعلم تأويله إلا الله ويعلمه أيضاً الراسخون فى العلم، وعليه يتوجه قول ابن عباس: "**أنا ممن يعلم تأويل المتشابه**"[3].

واختلف الأمر لاختلاف المراد؛ لأن لفظ التأويل يأتى بمعانٍ[4].

يأتى بمعنى **الحقيقة التى يؤول إليها الشىء**، قال تعالى: **[هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ]** (الأعراف: 53)، فإذا كان معنى التأويل هذا فالوقف لازم على لفظ الجلالة ولا يعلم حقيقة هذه الأمور إلا الله سبحانه وتعالى.

ويأتى التأويل بمعنى **التفسير الظاهرى** فإذا كان التأويل هنا بمعنى التفسير الظاهرى فالله تعالى يعلم هذا والعلماء يعلمون فلما اختلف تحديد المراد فى معنى التأويل اختلف الحكم. فهل الوقف لازم على لفظ الجلالة؟ نقول: إذا كان المراد من التأويل الحقيقة التى يؤول إليها الشىء فالوقف لازم ولا يعلم تأويل هذه الأمور إلا الله جل وعلا، وإذا كان المراد التفسير الظاهرى فلا مانع من الوصل فالعلماء يعلمون وليس فى القرآن لفظٌ مهملٌ لا يعلم معناه فى اللغة العربية.

ومن هذا النوع أيضاً مسألة: المصلى هل يقرأ الفاتحة أم لا إذا كان مقتديا (مأموما)؟

---

(1) انظر تفسير ابن كثير لهذه الآية، وذكره لخلاف السلف فيها قراءة وتفسيراً.

(2) هذا قول عائشة وعروة بن الزبير، انظر: جامع البيان (3/224–225).

(3) أخرجه ابن جرير فى جامع البيان (3/225).

(4) التأويل له معانٍ متعددة، يكون بمعنى التفسير، ويكون بمعنى العاقبة أو المآل، ويكون بمعنى صرف اللفظ عن ظاهرة. (وإذا أردت مزيد بيان فانظر شرح الواسطية للعثيمين 1/88–91).



ثلاثة أقوال فى المسألة[1] تقوم الساعة ولا ينتهى فيها الخلاف فلا داعى لكثرة الكلام. عليك أن تذكر المسألة بأدلتها العلمية ويترك الاختيار لطالب العلم ليعمل بما يراه أقرب إلى مراد الله ومراد رسوله ε ثم لا يعترض على من يخالفه وإذا كان عامياً فهو على مذهب مفتيه.

[خلاصة القول فى خلاف التنوع]:

هذا النوع من الخلاف: خلاف التنوع بأنواعه الأربعة ينبغى أن نحمد الله عليه وأن نعيش فى بحبوحة منه وسعة وأن نشكر الله تعالى لفضله علينا بهذه النعمة فالخلاف فى هذه الأمور نعمة وسعة فلا تضيق ما وسعه الله علينا.

وقد قرر الله تعالى هذا فى كتابه وقرره نبينا ε فى حديثه يقول تعالى: **[وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ . فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ]** (الأنبياء: 79).

وقال ε: **(إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، أجر الاجتهاد وأجر الصواب، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر)**[2] أجر الاجتهاد والله يغفر له خطأه فالمجتهد يتقلب بين الأجر مع الإصابة، وبين العذر مع الخطأ، فالمصيب مثابٌ ومأجور، والمخطئ مثاب ومعذور؛ لأن هذا وُسْعَهُ لكن الحق فى المسألة واحد.

---

(1) اختلف أهل العلم فى قراءة المأموم للفاتحة خلف الإمام على ثلاثة أقوال:

الأول: لا يقرأ خلف الإمام لا فى سرية ولا فى جهرية وهذا قول الأحناف.

الثانى: يقرأ المأموم خلف الإمام فى السرية والجهرية وهو قول الشافعى وأصحابه.

الثالث: يقرأ المأموم خلف الإمام إذا أسر الإمام ولا يقرأ إذا جهر وهو قول أحمد ومالك وإسحاق بن راهويه.

والقول الأول ضعيف لضعف دليله وهو حديث عبد الله بن زيد، والقول الثانى والثالث أدلتهما صحيحة وللمجتهد أن يرجح بينهما، وأقواهما دليلاً الثانى والله أعلم. انظر: نيل الأوطار (62/2-70).

(2) متفق عليه؛ وتقدم تخريجه.

وكثير من أحكام الشرع نجد فيها خلاف -خلاف تنوع- فإنك إذا أردت أن تحصر المسائل التى أجمع عليها أهل العلم -من مسائل الفقه- فإنها لا تتجاوز عُشر المسائل والله جلا وعلا أراد أن يكون هذا الاختلاف فى هذه المسائل امتحاناً وابتلاءً واختباراً للعباد، ليُعلم صاحب الهوى من صاحب الحق. **وقد جاءت الشريعة لإخراج العبد من عبادة هواه إلى عبادة مولاه.**

والإنسان إما من أهل النظر وإما عامى، فمن كان من أهل النظر نظر فى الدليل واختار ما رجح عنده فصار مذهباً له، وإن كان عامياً فعليه أن يسأل أهل الذكر قال تعالى: **﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾** (النحل: ٤٣).

لكن من تسأل؟ ينبغى أن تسأل العالم العامل لا من يشترى بآيات الله ثمناً قليلاً، فإذا سألت واحدا من أهل العلم العاملين الثقات وأفتاك فلك ألا تسأل غيره، لكن لو نما إلى علمك أن فى المسألة قولاً آخر، أى أن أحداً من أهل النظر العاملين له أيضاً فى المسألة قول" آخر **فمن تتبع منهما ؟**

انظر إلى الأعلم فخذ بقوله حتى تسلم، وإن تساويا فى العلم فاذهب إلى ثالث واستفته وانظر إلى جوابه، فإن وافق جوابُه أحدهما فخذ به؛ لأنهم الأكثر حينئذٍ وهذا هو الترجيح بالأكثرية، أو خذ بقول المشهور من أهل الفتيا، فإن تساوى كل هذا فعليك بالأورع والأتقى.

فلا ينبغى أن يأخذ العبد من الأقوال ما وافق هواه، قال الإمام الشاطبى عليه رحمة الله[1]: "إن الشريعة جاءت لإخراج العبد مما يدعوه إليه هواه حتى يكون عبداً لله".

فأنت مثلاً -عبد الله-: تسأل عن أرباح البنوك هل هى حرام أم حلال[2]؟ فتجد أن مفتياً ما أفتاك بحلها، فنقول لك: لماذا تبعت قول هذا المفتى وتركت قول مائة عالم غيره

---

(١) انظر الموافقات للشاطبى؛ القسم الرابع من أقسام مقاصد الشرع (١٤٤/٢) ط المكتبة التوفيقية.
ونص عبارته: المقصد الشرعى من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبداً لله اختياراً؛ كما هو عبدٌ لله إضطراراً.

(٢) انظر رسالة "فوائد البنوك هى الربا الحرام" للدكتور يوسف القرضاوى.



قالوا بحرمة هذه الأرباح؛ لأنها ربا صريحٌ؟

وأنتِ مثلاً –أمة الله– تسألين: هل النقاب فرض أم مستحب[١]؟

فتجدين أن البعض يقول: فرض، والبعض يقول: مستحب. والخلاف فى هذه المسألة معتبر.

لكنك تجد أن النبى ﷺ قد أخرجك من مأزق اختلاف الآراء فقال ﷺ: **(إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)**[٢]، فهذا الأمر أصبح مشتبهاً عليك؛ تجدين أن أحدهم يقول: يحرم كشف الوجه، والآخرون يقولون: يجوز كشف الوجه، هى تريد أن تخرج من العهدة بيقين فتغطى، وكذلك قال ﷺ: **(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)**[٣]، و**(لا**

---

(١) انظر كتاب عودة الحجاب للدكتور محمد إسماعيل المقدم الجزء الثالث (الأدلة).

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير ﷺ.

وقد أجمع العلماء على عظم وقع هذا الحديث وكثرة فوائده وأنه أحد الأحاديث التى عليها مدار الإسلام، فقيل هو ثلث الإسلام، وقيل ربع الإسلام.

قال العلماء: وسبب عظم موقعه أنه ﷺ نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها، وأنه ينبغى ترك المشتبهات، فإنه سبب لحماية دينه وعرضه، وحذر من مواقعة الشبهات.

وقوله **(الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات ...)**: معناه: أن الأشياء ثلاثة أقسام:

١. حلال بيِّنٌ واضح لا يخفى حلُه كالخبز والعسل والنكاح.
٢. حرام بيِّن كالخمر والزنا.
٣. مشتبهات ومعناه: أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة فلهذا لا يعلمها كثير من الناس **ولا يعلمون حكمها**.

وحاصل ما فسر به العلماء الشبهات أربعة أشياء:

أحدها: تعارض الأدلة. **ثانيها:** اختلاف العلماء.

ثالثها: المكروه. **رابعها:** المباح.

انظر شرح النووى لمسلم (٢٤/١١)، وفتح البارى لابن حجر (١٥٥/١)، وجامع العلوم والحكم (الحديث السادس).

(٣) أخرجه عبد الرازق (٤٩٨٤)، وأحمد (١٧٢٣)، والترمذى (٢٥٢٠) وقال: حسن صحيح، والبزار (١٣٣٦)، والنسائى (٥٧١١)، وأبو يعلى (٦٧٦٢)، وابن خزيمة (٢٣٤٨)، وابن حبان (٧٢٢)،

يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس)[(١)].

وهنا تنبيه هام وهو أنك إذا خرجت من العهدة بيقين فاتبعت الأتقى والأورع وتركت ما يريبك إلى ما لا يريبك فلا تلم الطرف الآخر، فإذا وَجَدَتْ المنتقبةُ أختاً غير منتقبة -مثلاً- فلا تثرب عليها وتقول: أنت آثمة؛ لأنك لا تلبسين النقاب؛ لأن الخلاف فى المسألة معتبر.

فحاول أن تخرج من الشبهات واستبرأ لدينك وعرضك، قال ﷺ: **(فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)**[(٢)]. أما إذا كانت لك فى إتيان المشتبه حاجة فأته ولا حرج عليك وذلك لأن المشتبه غير مقطوع بحرمته، قال أهل العلم: **"كما أن الضرورات تبيح المحظورات كذلك الحاجات تبيح المشتبهات"**[(٣)].

ويجب على طالب العلم أن يبحث عن الدليل؛ فإن وجده فلا ينظر إلى من خالفه وإذا رأى المخالفَ يعتمد على دليلٍ فإنه يُقره ولا يبدعه ولا يضلله، فهذا هو الواجب على المسلم، وإذا خرج عن هذا الإطار فقد شق عصا المسلمين وخرج عن السواد الأعظم الذى

=

وقال الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٧٨)، وفى الإرواء (٢٠٧٤): صحيح. من حديث الحسن بن على رضى الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ ... ... وذكر الحديث.

(١) أخرجه من حديث عطية السعدى ﷺ ابن أبى شيبة (٥٩١)، وعبد بن حميد (٤٨٤) والترمذى (٢٤٥١)، وابن ماجة (٤٢١٥)، والطبرانى فى الكبير (١٦٨/١٧) رقم (٤٤٦)، والحاكم (٧٨٩٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والحديث قال عنه الألبانى فى ضعيف الجامع (٦٣٢٠): ضعيف.

(٢) تقدم تخريجه قبل حديثين، وهو متفق عليه.

(٣) إذا تردد الشىء بين الحل والحرمة ولم يكن فيه نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعى، فإذا ألحقه بالحلال صار حلالا، وقد يكون دليله غير خال مِنَ الاحتمال البين فيكون الورع تركه، وما لم يظهر للمجتهد فيه شىء وهو مشتبه فهل يؤخذ بحله أم بحرمته أم يتوقف فيه ؟ هذه ثلاثة مذاهب حكاها القاضى عياض وغيره.

والظاهر أن هذه المسألة مُخَرَّجَة على الخلاف المذكور فى الأشياء قبل ورود الشرع وفيه أربعة مذاهب: الأصح أنه لا يحكم بحل ولا حرمة ولا إباحة ولا غيرها؛ لأن التكليف عند أهل الحق لا يثبت إلا بالشرع. شرح النووى لمسلم (٢٤/١١).



أمرنا نبينا ﷺ بالكينونة معه[1]. ومن سلم من معاداة الناس فى هذه الأنواع المتقدمة من اختلاف التنوع فليحمد الله جل وعلا؛ لأنه قل من يسلم فى هذا الوقت من معاداة إخوانه المؤمنين مع أن الخلاف بينهم فى تلك الأصناف الأربعة التى تقدم ذكرها وهو خلاف سائغ.

ثم إن الاختلاف والنزاع فى الأحكام قد يكون رحمة بالمؤمنين لا نقمة عليهم، فلهذا لا يعتبر ذلك من قبيل الأهواء ولا الافتراق، وقد أفاد بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: "والنزاع فى الأحكام قد يكون رحمة إذا لم يفض إلى شر عظيم من خفاء الحكم، ولهذا صنف رجل كتاباً سماه: (كتاب الاختلاف) فقال أحمد: "سمه كتاب السعة"، وإن الحق فى نفس الأمر واحد، وقد يكون من رحمة الله ببعض الناس خفاؤه؛ لما فى ظهوره من الشدة عليهم، ويكون من باب قوله تعالى: **﴿لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾**[2] (المائدة: ١٠١). أهـ.

والخلاف فى مسائل الاجتهاد وقع قطعاً من السابقين أهل الفضل والرحمة: الصحابة والتابعين، ولم يوجب افتراقاً ولا خصومات فى الدين، أما ما وقع من أهل الأهواء فهو من الخصومات فى الدين؛ لأنه كان عن هوى، ولأنه أدى إلى إكفار بعضهم لبعض، فلو كان القول قولاً واحداً؛ لكان الناس فى ضيق، كما قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (ما أحب أن أصحاب محمد ﷺ لا يختلفون)؛ قال القاسم لأنه اختلاف رحمة واجتهاد. أما اختلاف أهل الأهواء، فهو اختلاف عذاب وفرقة[3].

---

(١) وقد ورد الأمر النبوى بلزوم الجماعة فى غير ما حديث:

منها ما فى الصحيحين من حديث حذيفة (وتقدم): أن رسول الله ﷺ ذكر له الفتن فقال حذيفة: فما تأمرنى يا رسول الله! إن أدركنى ذلك؟ قال: **(تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ...)** الحديث.

ومنها قوله ﷺ: **(من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية)**. متفق عليه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما؛ أخرجه البخارى (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

(٢) الفتاوى (١٥٩/١٤).

(٣) انظر مقدمات فى الأهواء والافتراق صـ ٣٢، وهو معنى كلام الشاطبى فى الاعتصام (٤٤٧/٢-٤٤٨).



وجدير بالذكر أن خلاف أهل الفضل والرحمة لم يخرجهم عن حد الأمة المرحومة قال تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨-١١٩) أى: لا يختلفون اختلافاً يضر، واختلاف التنوع هذا لا يضر إن شاء الله.

ثانيًا : اختلاف التضاد:

ضابطه: يلزم من إثبات أحد القولين نفى القول الثانى أو نفى الأقوال الأخرى، ويلزم من صحة أحد القولين بطلان القول الثانى أو بطلان الأقوال الأخرى.

واختلاف التضاد ينقسم إلى نوعين:

النوع الأول:

يكون فى الفروع[١] الظنية العملية التى ليس عليها دليل قطعى ويكون أيضاً فى الأصول التى لم تتفق كلمة أهل السنة والجماعة على قولٍ فيها.

فمن القسم الأول: مسألة الخلاف فى الوضوء من مس الذكر؛ فبعض أهل العلم يقولون: بأن مس الذكر ينقض الوضوء، والبعض الأخر يقولون: بأن المس لا ينقض الوضوء، واختلافهم هذا أساسه الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبى ﷺ[٢] لكنها وإن

---

(١) يطلق بعض أهل العلم على المسائل الفقهية اسم الفروع، ويطلقون على مسائل العقيدة اسم الأصول.

(٢) من قال بأن مس الذكر ينقض الوضوء استدلوا بحديث بسرة بنت صفوان رضى الله عنها قالت: إن النبى ﷺ قال: **(من مس ذكره فلا يصلى حتى يتوضأ)**. رواه الخمسة؛ أحمد (٢٧٣٣٤ و٢٧٣٣٥ و٢٧٣٣٦)، وأبو داود (١٨١)، والترمذى (٨٢)، والنسائى (١٦٣)، وابن ماجه (٤٧٩). وصححه أحمد كما فى مسائل الإمام لأبى داود صـ ٣٠٩، والألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٥٤) والإرواء (١١٦).

ومن قال بأن مس الذكر لا ينقض الوضوء استدلوا بحديث طلق بن على رضي الله عنه قال: سألت النبى ﷺ الرجلُ يمس ذكره أعليه وضوء؟ فقال ﷺ: **(إنما هو بضعة منك)**. رواه الخمسة والدارقطنى؛ أحمد (١٦٣٢٩ و١٦٣٣٥ و١٦٣٣٨)، وأبو داود (١٨٢)، والترمذى (٨٥)، والنسائى (١٦٥)، وابن ماجه (٤٨٣) والدارقطنى (١/١٤٧). قال الألبانى: صحيح ينظر صحيح النسائى وأبو داود.

وقد اتسع الخلاف بين أهل العلم فى هذه المسألة فمنهم من أوجب الوضوء على من مس مطلقا،



كانت ثابتة إلا أنها ظنية الدلالة(١). وكذلك، مسألة قراءة القرآن للحائض(٢)، والوضوء من

=

ومنهم من قال لا وضوء عليه، ومنهم من قال: إن كان بشهوة توضأ وإلا فلا، ومنهم من قال: يتوضأ إن مس بباطن الكف وإلا فلا، وهل يتوضأ من مس فرج غيره؟، وهل يتوضأ الممسوس؟ أقوال وتفصيلات ليس موضعها هنا، وإنما أشرت إشارة توضح الخلاف فى المسألة. راجع نيل الأوطار (١/٢٨١-٢٨٦).

(١) اعلم أن النصوص الشرعية تنقسم من حيث درجة ثبوتها إلى:

قطعية الثبوت؛ كالقرآن الكريم، والسنة المتواترة، ومعنى قطعية الثبوت أننا نعلم يقينا أن هذا النص صحيح ثابت.

ظنية الثبوت؛ مثل الأحاديث التى وصلت إلينا بطريق الآحاد، ومعنى ظنية الثبوت أنها تفيد الظن الراجح بصحة نسبتها إلى الرسول ﷺ.

وتنقسم النصوص من حيث دلالتها على الأحكام إلى قسمين:

قطعية الدلالة: إذا كانت دلالة اللفظ على الحكم لا تحتمل إلا معنى واحداً فدلالتها حينئذٍ دلالة قطعية كقوله تعالى: "لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِ الْأُنْثَيَيْنِ" [النساء: ١١] وكقوله ﷺ: **(فى كل إبل سائحة فى كل أربعين ابنة لبون)**. صحيح: أخرجه أحمد (٢٠٠٣٠)، وأبو داود (١٥٧٥)، والنسائى (٢٤٤٤)، فدلالة هذه النصوص قطعية لا تحتمل إلا معنىً واحداً.

ظنية الدلالة: إذا كانت دلالة اللفظ على الحكم تحتمل أكثر من معنى؛ كقوله تعالى: **﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾** (البقرة: ٢٢٨) فلفظ قرء يطلق عند أهل اللغة على الطهر وعلى الحيض. وكقوله ﷺ: **(لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب)**. [صحيح: أخرجه أحمد (٩٥٢٥)، وأبو داود (٨٢٠)]. فقوله: "لا صلاة" يحتمل لا صلاة صحيحة كما هو قول الجمهور فلو أن إنسانا صلى دون أن يقرأها مع العلم والقدرة بطلت صلاته، ويحتمل أن لا صلاة كاملة الأجر فلو صلى إنسان بدونها صحت صلاته وأثم بتركه كما هو قول الأحناف (وهو قول ضعيف).

(٢) اختلفت أقوال العلماء فى قراءة الحائض للقرآن.

قال العثيمين –رحمه الله–: فأما قراءة الحائض القرآن الكريم بنفسها؛ فإن كان نظراً بالعين أو تأملاً بالقلب بدون نطقه باللسان فلا بأس بذلك، مثل أن يوضع المصحف أو اللوح فتنظر إلى الآيات وتقرأها بقلبها.

قال النووى فى شرح المهذب (٢/٣٧٢): "جائز بلا خلاف".

وأما إن كانت قراءتها نطقا باللسان فجمهور العلماء على أنه ممنوع وغير جائز، وقال البخارى وابن جرير الطبرى وابن المنذر: هو جائز وحُكى عن مالك وعن الشافعى فى القول القديم حكاه عنهما فى فتح البارى، وذكر البخارى عن إبراهيم النخعى "لا بأس أن تقرأ الآية".

أكل لحم الجزور[١]، وكشف الوجه للمرأة[٢]، فكل هذه المسائل اختلف فيها أهل العلم ما

=

وقال ابن تيمية فى الفتاوى (٢٦/١٩١): "ليس فى منعها من القرآن سنة أصلاً؛ فإن قوله ﷺ: **(لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن)** وهو حديث ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث. وقد كان النساء يحضن على عهد النبى ﷺ فلو كانت القراءة عليهن كالصلاة لكان هذا مما بينه النبى ﷺ لأمته، وتعلمه أمهات المؤمنين، وكان ذلك مما ينقلونه فى الناس، فلما لم ينقل أحد عن النبى ﷺ فى ذلك نهيا لم يجز أن تجعل حراماً، مع العلم أنه لم ينه عن ذلك. وإذا لم ينه عنه مع كثرة الحيض فى زمنه علم أنه ليس بمحرم". أهـ.

ثم قال العثيمين –رحمه الله–: والذى ينبغى بعد أن عرفنا نزاع أهل العلم أن يقال: الأولى للحائض ألا تقرأ القرآن الكريم نطقا باللسان إلا عند الحاجة لذلك، مثل أن تكون معلمة فتحتاج إلى تلقين المتعلمات، أو فى حال الاختبار فتحتاج المتعلمة إلى القراءة لاختبارها أو نحو ذلك. أهـ. انظر: رسالة الدماء الطبيعية للنساء صـ ١٢–١٣.

(١) قال النووى –رحمه الله–: اختلف العلماء فى أكل لحم الجزور (الإبل)، فذهب الأكثرون إلى أنه لا ينقض الوضوء، وممن ذهب إليه الخلفاء الأربعة الراشدون، وابن مسعود، وأبى بن كعب، وابن عباس، وأبو الدرداء، وأبو طلحة، وعامر بن ربيعة، وأبو أمامة، وجماهير التابعين، ومالك، وأبو حنيفة، والشافعى وأصحابهم واستدلوا بحديث جابر "كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مست النار". أخرجه أبو داوود (١٩٢)، والترمذى (٨٠)، والنسائى (١٨٥)، وابن ماجة (٤٨٩)، وابن حبان (١١٣). وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود والنسائى.

وذهب إلى انتقاض الوضوء به أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية، ويحى بن معين، وابن المنذر، وابن خزيمة، واختاره البيهقى، وحكى عن أصحاب الحديث مطلقا، وحكى عن جماعة من الصحابة رضى الله عن الجميع واستدلوا بحديث جابر أيضا: أن رجلا سأل رسول الله ﷺ: أتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: **(نعم توضأ من لحوم الإبل)**. أخرجه مسلم (٣٦٠).

وروى نحوه عن البراء بن عازب أحمد (٤/٢٨٨)، وأبو داود (١٨٤)، والترمذى (٨١) وابن ماجة (٤٩٤)، وابن حبان (١١٥٤) وابن خزيمة (٣٢). وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود.

قال أحمد بن حنبل وإسحاق: صح عن النبى ﷺ فى هذا حديثان حديث جابر، وحديث البراء.

ثم قال النووى: وهذا المذهب (الثاني) أقوى دليلا وإن كان الجمهور على خلافه. أهـ. انظر شرح مسلم (٤/٤١–٤٢).

(٢) انظر عودة الحجاب الجزء الثالث، الباب الخامس والسادس (٣/١٨١–٤٣٤).

وقال صاحب عودة الحجاب بعد أن ذكر الأدلة وأقوال الأئمة فى مسألة الحجاب: نستطيع أن نخلص مما تقدم بأن علماء المذاهب الأربعة متفقون على وجوب تغطية المرأة جميع بدنها عن الأجانب، سواء

بين حاظر ومُبيح فالأمر فيه سعة.

ومن القسم الثانى[1]: الخلاف فى مسألة إثبات الشمال لله عز وجل فبثت أن النبى ﷺ قال: **(يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الله الأرض بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟)**[2].

وثبت أيضاً عنه ﷺ أنه قال: **(وكلتا يديه يمين)**[3].

واختلف أهل العلم فى هذه المسألة الاعتقادية[4]، فقال بعضهم: لا يجوز أن نصف الله بالشمال وخطّأوا أحد رواة حديث إثبات الشمال وقالوا: وهم فى هذه اللفظة.

وقال الآخرون: بل تثبت الشمال لله عز وجل؛ لأن الحديث ثابت فى صحيح مُسلم.

وكذلك مسألة رؤية النبى ﷺ لربه ليلة المعراج، الأقوال فيها أربعة ما بين مُثبتٍ، ونافٍ، ومتوقفٍ، وجامعٍ أنه رآه بقلبه ولم يره ببصره[5].

فالخلاف فى هذين القسمين -وإن كان خلاف تضاد- إلا أن له نفس حكم خلاف التنوع، أى: لا يُبدَّع أحد القولين، ولا يقبّح قائله؛ لأن الأمر فيه سعة ولكل واحدٍ منهما

=

منهم من يرى أن الوجه والكفين عورة، ومن يرى أنهما غير عورة لكنه يوجب تغطيتهما فى هذا الزمان لفساد أكثر الناس، ورقة دينهم، وعدم تورعهم عن النظر المحرم إلى وجه المرأة الذى هو مجمع المحاسن، ومعيار الجمال ومصباح البدن. أهـ. عودة الحجاب (٤٣٢/٣).

واعلم أنه قد نبت فى زماننا هذا نابتة سوء تقول: إن النقاب بدعة وليس من الدين فى شىء.

وهذا إن دل فإنما يدل على سوء نية وخبث طوية أو على جهل عميق بالأدلة الشرعية، لاسيما إذا علمت أن الفقهاء متفقون فى الجملة على مشروعيته إلا أنهم اختلفوا فى حكمه أفرض هو أم مستحب! وهذا إجماع على مشروعيته، وهذا الذى يقول: إنه بدعة. يرد هذا الإجماع.

(١) أى القسم الثانى من أقسام النوع الأول من نوعى خلاف التضاد.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٨٨) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٧) عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.

(٤) انظر أقوال أهل العلم فى هذه المسألة فى شرح الواسطية للعثيمين -رحمه الله- (٢٩١/١-٣٠٨).

(٥) انظر: معارج القبول (١٠٦٨/٣-١٠٧٣)، وانظر: تيسير الوصول (٨٣٠/٢-٨٣٥).



نظر صحيح فى الأدلة، وإن كان فى كل هذه المسائل راجح ومرجوح.

النوع الثانى من اختلاف التضاد:

يكون فى الفروع العملية التى أدلتها قطعية يقينية فأحاديثها متواترة ولا اختلاف فيها، ويكون فى الأمور العقائدية وأمور الأصول التى اتفقت كلمة أهل السنة عليها. **فالمخالف هنا يُضلَّل ويُبَدَّع ويُحكم عليه بالزيغ والانحراف.**

فمن القسم الأول: نكاح المتعة: اتفقت كلمة أهل السنة على أنه منسوخ، وهو محرمٌ حرمه النبى ﷺ بعد فتح مكة إلى الأبد.

فإذا رأينا الشيعة بعد ذلك يُحلونه ويأخذون به نضللهم بلا توقف[١] ولذلك تُذكر هذه المسائل فى كتب الاعتقاد. لأنها صارت فيصلاً بين أهل السنة وأهل البدعة.

وكذلك المسح على الخفين: جائز ثابت بالسنة المتواترة وقال أبو حنيفة عليه رحمة الله: ما قلت بالمسح على الخفين حتى جاءنى فيه ما يشبه النهار أى من الأدلة: ونقل عن سبعين بدرياً منهم العشرة المبشرين بالجنة. فالذى يأتى وينكر المسح على الخفين كحال الشيعة نضلله بلا توقف مع أنها مسائل فرعية عملية[٢]، نقول: الدليل قطعىٌ فإذا

---

(١) اعلم أن "**نكاح المتعة أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة**" وذكر مسلم فى صحيحه فى كتاب النكاح الأحاديث التى تفيد ذلك.

منها حديث **سبرة** الجهنى أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: **(يا أيها الناس! إنى قد أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة)** أخرجه مسلم (١٤٠٦).

قال النووى: قال المازرى: ثبت أن نكاح المتعة كان جائزاً، ثم ثبت بالأحاديث الصحيحة أنه نسخ وانعقد الإجماع على تحريمه، ولم يخالف فيه إلا طائفة من المبتدعة. أهـ. (شرح مسلم ١٥١/٩).

(٢) قال الطحاوى رحمه الله فى عقيدته: ونرى المسح على الخفين فى الحضر والسفر كما جاء فى الأثر. انظر شرح الطحاوية (٥٥١/٢).

وقال النووى –رحمه الله–: أجمع من يعتد به فى الإجماع على جواز المسح على الخفين فى السفر والحضر، وإنما أنكرته الشيعة والخوارج ولا يعتد بخلافهم، وقد روى المسح على الخفين خلائق لا يحصون من الصحابة.

قال الحسن البصرى –رحمه الله–: حدثنى سبعون من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان



خالف أحدٌ إجماع أهل السنة، وشق عصا المسلمين، وخالف السواد الأعظم فهو ضالٌّ مبتدع، ولو كان هذا الخلاف فى فرع عملى، ونقيس على هذا بقية الفروع التى أدلتها قطعية ويخالف فيها أهل البدع.

ومن القسم الثانى: خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ﭫ وحب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

هذا النوع من الخلاف هو الذى ذكره الله تعالى فى مواضع كثيرة من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ**﴾ (الحج: ١٩). والآية نازلة فى المتبارزين يوم بدر فى على وحمزة وعبيدة بن الحارث مع فريق المشركين[١].

وإلى هذا الخلاف أيضاً أشار الله تعالى فى سورة البقرة قال تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عيسى بن مريم الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ (البقرة: ٢٥٣).

وفى هذا الخلاف أيضاً قال الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِى مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ (البقرة: ٢١٣).

المبحث الرابع – أسباب الخلاف:

=

يمسح على الخفين. أهـ. شرح النووى لمسلم (١٣٤/٣).

وقال ابن حجر: "وقد صرح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر، وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين ومنهم العشرة. أهـ. فتح البارى (٣٦٦/١).

(١) أخرجه مسلم (٣٠٣٢ و٣٠٣٣) من حديث أبى ذر ﭬ، وهو آخر حديث فى صحيح مسلم.



اعلم –عبد الله!– أن المختلفين لا يخرجون عن حالين اثنين لا ثالث لهما، وهذان الحالان هما:

الأول : الجهل بالدليل:

وهذه الحالة يسيرة سهلة، وسُرعان ما يزول الخلاف فيها؛ لأننا إذا اجتمعنا وقلوبنا طاهرة، وتريد الحق، وكل منا عرض ما عنده؛ ليصل إلى مراد الله، فيخرج كلٌ منا ما فى جعبته من العلم والأدلة، فإذا ما ظهر الحق ما حدنا عنه واتبعناه وتركنا ما نحن عليه؛ طالما كان على غير مراد الله.

الثانى : سوء القصد، وخبث القلوب، وفساد النية، واتباع الهوى[1]:

وهذه الحالة صعبة لا علاج لها إلا بالتخلص منها؛ لأنك كلما أتيت بحجة كلما ازدادوا عناداً وجدالاً بالباطل ويصدق عليهم قوله تعالى: ﴿**وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**﴾ (غافر: ٥) ويصدق عليهم أيضاً قوله: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾ (القصص: ١٤).

إن من أعظم دواعى الضلال وأسباب الهلاك اتباع الهوى؛ فإنه يهوى بصاحبه إلى المهالك حتى يورده النار.

قال الشاطبى: "**سمى الهوى هوى، لأنه يهوى بصاحبه إلى النار**". وروى هذا عن الشعبى[2].

وقال ابن عباس: "**ما ذكر الله عز وجل الهوى فى كتابه إلا ذمه**"[3].

وأصل الضلال: اتباع الظن والهوى، كما قال تعالى فيمن ذمهم: ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى**﴾ (النجم: ٢٣). وهذا وصف

---

(١) انظر الهوى وأثره فى الخلاف للغنيمان صـ ٨–٣٨.

(٢) انظر سنن الدارمى فى المقدمة، باب اجتناب أهل الأهواء. واللالكائى رقم (٢٢٩).

(٣) ذكره الشاطبى فى الموافقات (١٤٥/٢).



للكفار فكل من لـه نصيب من هذا الوصف فلـه نصيب من متابعـة الكفار بقدر ذلـك النصيب.

وقال تعالى فى حق نبيه ﷺ: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ (النجم: ١-٤). فنزهه عن الضلال والغواية، اللذين هما: الجهل والظلم، فالضال هو الذى لا يعلم الحق، والغاوى الذى يتبع هواه، وأخبر أنـه لا ينطق عن هوى النفس، بل هو وحى أوحاه الله إليه. فوصفه بالعلم ونزهه عن الهوى"[١].

ومتبع الهوى لابد أن يضل، سواء عن علم أو عن جهل، فإنه كثيراً ما يترك العلم اتباعاً لهواه، ولابد أن يظلمَ إما بالقول أو بالفعل؛ لأن هواه قد أعماه.

ولهذا حذر السلف عن مجالسة من هذه صفته، كما قال أبو قلابة: "لا تجالسوا أهل الأهـواء، ولا تجـادلوهم؛ فـإنى لا آمـن أن يغمسـوكم فـى ضـلالتهم أو يلبسـوا علـيكم مـا تعرفون"[٢].

وقال ابن عباس: "لا تجالس أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم ممرضة للقلوب"[٣].

وقال يونس بن عبيد: "أوصيكم بثلاث ... لا تمكنن سمعك من صاحب هوى، ولا تخل بامرأة ليست لك بمحرم، ولو أن تقرأ عليها القرآن، ولا تدخلن على أمير ولو أن تعظه"[٤].

وقال أبو قلابة يوصى أيوب السختيانى: "يا أيوب احفظ عنى أربعاً: لا تقل فى القرآن برأيك، وإياك والقدر، وإذا ذكر أصحاب محمد ﷺ فأمسك، ولا تمكن أصحاب

---

(١) انظر فتاوى ابن تيمية (٣/٣٨٤). وانظر التبيان فى أقسام القرآن لابن القيم صـ ٢٤٦ ط. الفقى.

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٧/١٨٤)، والدارمى (٣٩١)، وأبو نعيم فى الحلية (٢/٢٨٧)، والبيهقى فى الشعب (٩٤٦١)، واللالكائى (٢٤٤)، وابن بطة فى الإبانة (٣٦٣). وصحح إسناده حسين سليم أسد عند الدارمى.

(٣) رواه ابن بطة فى الإبانة رقم (٣٧١٣).

(٤) رواه ابن بطة فى الإبانة (٣٨٧).



الأهواء من سمعك؛ فينبذوا فيه ما شاءوا"[1].

وقد دل على هذا حديث رسول الله ﷺ فى الدجال: فإنه قال: **(من سمع بالدجال فلينأ عنه؛ فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات)**[2].

والمتعين على العبد -ولا سيما المبتدىء والشاب- أن يبتعد عن الشبه والجدال فى الدين؛ فإن ذلك يجر إلى الردى.

والهوى: كل ما خالف الحق، وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد، فالهوى ميل النفس إلى الشهوة، ثم يهوى بصاحبه فى الدنيا إلى كل داهية، وفى الآخرة إلى الهاوية..!!

فميل النفس إلى الثناء ومدح الناس وتعظيمهم إياه وطلب الرفعة عليهم فى رئاسة أو صفة هو الهوى.

وقد ذم الله اليهود لاتباعهم لأهوائهم، حيث قادهم ذلك إلى تبديل شرع الله والكفر بالرسول ﷺ، وما جاء به من الوحى. وسبب ذلك اتباعهم لأهوائهم، قال تعالى: **﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾** (البقرة: ٨٧).

فاتباع الهوى هو أصل الضلال والكفر، ومعلوم أن ذلك يتفاوت تفاوتاً عظيماً، فمن اتباع الهوى ما يُوصل إلى ما ذكر، ومنه ما هو أقل من ذلك، وكل من خالف الحق لا يخرج عن اتباعه للهوى أو الاعتماد على الظن الذى لا يغنى من الحق شيئاً، كما قال تعالى: **﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾** (النجم: ٢٣)، فإن كان يعتقد أن قوله صحيحاً وله فيه حجة يتمسك بها فغايته اتباع الظن الذى لا يُغنى من الحق شيئاً، وتكون حجته شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة ومعان متشابهة لم يميز بين حقها

---

(١) رواه ابن بطة فى الإبانة (٣٩٧)، واللالكائى (٢٤٦).

(٢) أخرجه من حديث عمران بن حصين ﷺ أحمد (١٩٨٨٨ و١٩٩٨٢)، وأبو داود (٤٣١١)، والطبرانى فى الكبير (١٨/٢٢٠) (رقم ٥٥٠)، والحاكم (٨٦١٦)، وقال الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٠١): صحيح.



وباطلها، فإذا ميز الحق فيها عن الباطل زال الاشتباه.

ومما يجب أن يعلم أن الله تعالى لم يقص علينا فى القرآن الكريم قصص السابقين إلا لنعتبر بها لما فينا من الحاجة إلى ذلك، ولما فيه من المصلحة، وإنما يكون الاعتبار إذا قسنا ما يقع لنا وما يكون فينا على ما وقع من السابقين وحصل لهم من جراء ذلك.

ولهذا قال النبى ﷺ: **(لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لدخلتموه**، قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: **فمن؟)**[(١)].

وفى الحديث الآخر: **(لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع.** فقيل: يا رسول الله! كفارس والروم؟ فقال: **ومن الناس إلا أولئك)**[(٢)]. بمعنى الأول تماماً.

وكثير من الناس يدعو إلى أن يكون شريكاً لله تعالى فى طاعة الأمر واتباعه، بل والتعظيم! وإن كان لا يستطيع أن يُصرح بذلك، ولكن هذا كامن فى نفسه، وهذا غاية الظلم والجهل، وكل نفس –إلا ما شاء الله– فيها على الأقل شعبة من ذلك، إن لم يُعن الله العبد ويهديه، وإلا ظهر ذلك من نفسه ووقع فيما وقع فيه إبليس وفرعون بحسب قدرته وسلطانه.

قال بعض السلف: ما من نفس إلا وفيها ما فى نفس فرعون، غير أن فرعون قدر فأظهر وغيره عجز فأضمر[(٣)].

والعاقل إذا تعرف على أحوال النفس، ونظر فى أخبار الناس، وجد أن كل واحد منهم يريد لنفسه أن تطاع وتعلو بحسب حاله وقدرته، فالنفوس مشحونة بحب العلو والرئاسة بحسب إمكانها. فتجد أحدهم يوالى من يوافقه على هواه، ويعادى من يخالفه فى هواه!! فمعبوده ما يريده ويهواه، كما قال تعالى: **﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾** (الفرقان: ٤٣).

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٣٤٥٦ و٧٣٢٠)، وأخرجه مسلم (٢٦٦٩) عن أبى سعيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخارى (٢٣١٩) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى الحسنة والسيئة (صـ ٨٦)، ومجموع الفتاوى (٣٢٤/١٤).

وكثير من الناس يكون فى نفسه حب الرئاسة كامن لا يشعر به، ويخفى عليه، فضلاً عن غيره، وعند المقتضيات تظهر هذه الكوامن، ولهذا سميت هذه الشهوات الخفية.

قال شداد بن أوس: "يا بقايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية، قيل لأبى داود السخستانى: ما الشهوة الخفية؟ قال: حب الرئاسة، فهى خفية تخفى على الناس وقد تخفى على صاحبها"(١).

ومن علامات ذلك محبة من يعظمه بقبول قوله أو الاستماع له أكثر من غيره، وإن كان ذلك الغير أطوع لله وأتقى، وهذا يوجد كثيراً حتى فى أهل العلم!! فنجد بعض أهل العلم يحب من يعظمه ويطيعه دون من يعظم من هو نظيره فى العلم أو أفضل منه، وإن كانا على منهج واحد، وإنما يتم بقبول قوله والاقتداء به أكثر من غيره، وإن كان ذلك الغير أكثر طاعة لله، وربما أبغض من يشاركه فى العلم والاتباع حسداً وبغياً ... كفعل اليهود لما بعث الله محمداً، ﷺ يدعو إلى مثل ما دعا إليه موسى: كفروا به وأبغضوه. قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ**﴾ (البقرة: ٩١).

ثم قد يحصل ممن هذا وصفه ظلمٌ وعدوانٌ لمن خالفه فى هواه، أو ربما لمن قام ببعض ما يجب عليه لله من نشر علم أو دعوة إلى الله تعالى فيقف فى وجهه صاداً عن الحق أو ملبساً الحق بالباطل كفعل علماء اليهود، كما قال تعالى عنهم: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (آل عمران: ٧١).، ثم تجده يرمى من خالفه بالألقاب المكروهة المنفرة التى تخالف أمر الله ورسوله ابتغاء التفرقة وابتغاء الفتنة، وهو فى ذلك يزعم أنه مُصلح ودافع للفساد، كما قال الله عن فرعون: ﴿**ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّى أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى الأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾ (غافر: ٢٦). فهو يزعم أنه هو المصلح والمحافظ على الدين الحارس له من التغيير والتبديل، وأما موسى فإنه ممن يسعى لتغيير الدين والفساد فى الأرض!! وهكذا

(١) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (١١١٤)، وأخرج بعضه الفسوى فى المعرفة (١٧٢/١)، والطبرانى فى تهذيب الآثار (١١٢١)، وأبو نعيم فى الحلية (٢٦٨/١).

تقلب الحقائق لدى أهل الأهواء ومبتغى العلو فى الأرض؛ فيصبح المفسد مصلحاً والمصلح -حقا- لديهم مفسداً، والكفر بالله ومنازعته سلطانه ديناً يجب أن يُحمى ويُصان، ودين الله يُعتبر تغيير للدين وتبديلاً للحق. فنجد هؤلاء يصنفون الناس حسب أهوائهم. فهذا إخوانى، وذلك سلفى، والآخر تبليغى، والثانى سرورى، أو خونجى!! وهكذا أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، وليست فى دين المسلمين، بل هى من دين الجاهلية ومدعاة للعصبية والتفرقة!!

وإن كان اسم "السلفى" قد وردت به الآثار، والمقصود به من اتبع طريقة الصحابة، ومن اقتدى بهم، ومع ذلك فإذا استخدم للتعصب والتحيز إلى فريق معين فإنه يكون ممقوتاً فى الشرع فقد جاء فى السيرة فى إحدى مغازى النبىﷺ "أنه أقتتل غلامان: غلام من المهاجرين، وغلام من الأنصار فنادى المهاجر ياللمهاجرين، ونادى الأنصارى: ياللأنصار فخرج رسول الله ﷺ، فقال: **(ما هذا إلا دعوى أهل الجاهلية؟! دعوها فإنها منتنة)**[1]. مع أن هذين الاسمين [المهاجرين والأنصار] جاء بهما القرآن، وهما محبوبان لله ولرسوله ﷺ ولما استخدما لنوع من العصبية صار ذلك من فعل الجاهلية، وأخبر الرسول ﷺ أن هذه الدعوى منتنة؛ لأنها تدعو إلى التفرق والتفكك.

وقريب من هذا ما حصل لسلمان يوم أحد، ولما رمى أحد المشركين. قال: خذها وأنا الفارسى، قال له الرسول ﷺ: **(قل وأنا الرجل المسلم)**[2].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخارى (٤٩٠٥ و٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما.

(٢) لم أقف على هذه القصة لسلمان الفارسى ﷺ، وإنما وقفت عليها من حديث أبى عقبة الفارسى مولى بنى معاوية الأنصارى، قيل: اسمه رُشيد بالتصغير. قال ﷺ: " شهدت مع رسول الله ﷺ يوم أحد فضربت رجلاً من المشركين فقلت: خذها منى وأنا الغلام الفارسى، فبلغتِ النبى ﷺ فقال: **(هلا قلت: خذها منى وأنا الغلام الأنصارى)**. أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٣٣٥٧٩ و٣٦٧٦١) وفى مسنده (٥٤٥)، وأحمد (٢٢٥٦٨)، وأبو داود (٥١٢٣)، وابن ماجة (٢٧٨٤)، والدولابى فى الكنى (١/١٣٢)، وينظر: الاستيعاب (٢/٤٩٦) و(٤/١٧١٦)، تهذيب الكمال (٣٤/٩٤)، الإصابة (٢/٤٨٥)، (٤/٥٢٩) (٧/٢٧٨). والحديث ضعفه الألبانى فى تعليقه على أبى داود وابن ماجة وقال محقق المسند (٣٧/١٩٣) رقم (٢٢٥١٥): إسناده محتمل للتحسين، وهو

ومثله ما ذكره شيخ الإسلام -يرحمه الله تعالى- قال: روينا عن معاوية بن أبى سفيان: أنه سأل ابن عباس: أأنت على ملة على أو على ملة عثمان؟ فقال: لست على ملة على ولا على ملة عثمان بل أنا على ملة رسول الله ﷺ[1] قال: وكذلك كان كل من السلف يقولون: كل هذه الأهواء فى النار. ويقول أحدهم: ما أبالى أى النعمتين أعظم: أن هدانى الله للإسلام أو أن جنبنى هذه الأهواء[2].

وكذلك التفريق بين الأمة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله، مثل أن يُقال للرجل: أنت شكيلى أو فرقندى؛ فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، وليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ولا فى الآثار المعروفة عن سلف الأئمة لا شكيلى أو فرقندى!! **بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ** والله تعالى قد سمانا فى القرآن المسلمينَ المؤمنينَ عبادَ الله.. فلا نعدل عن الأسماء التى سمانا الله بها إلى أسماء أحدثها قوم وسموها هم وأباؤهم.. فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بهذه الأسماء ولا يُوالى عليها ويُعادى بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أى طائفة كان. أهـ[3].

والواجب على كل من يتكلم فى أمر من أمور الدين أن يكون مخلصاً لله متجرداً للحق، وغالباً على نفسه بالمجاهدة عن اتباع الهوى وما تميل إليه من حظوظها الدنيوية، كحب الثناء والظهور وكثرة الأتباع، أو ما هو أسوأ من هذا كله، وهو الحصول على شىء من حطام الدنيا.

=

من طريق عبد الرحمن بن أبى عقبة عن أبيه مجهول الحال، روى عنه اثنان، ولم يوثقه غير ابن حبان. وسبب نسبةِ النبى ﷺ ذلك الرجل إلى الأنصار ما ذكره ابن أبى شيبة فى الرواية الثانية المشار إليها أنه كان مولى بنى أمية فقال له النبى ﷺ: **(ما منعك أن تقول الأنصارى وأنت منهم؛ إن مولى القوم منهم).**

(١) أخرجه ابن بطة فى الإبانة (٢٣٨)، واللالكائى (١٣٣)، وأبو نعيم فى الحلية (٣٢٩/١)، وابن حزم فى الإحكام (٣١٥/٦).

(٢) روى هذا الأثر عن مجاهد الدارمى (٣٠٩)، والبيهقى فى الشعب (٤٥٠٨)، وأبو نعيم فى الحلية (٢٩٣/٣)، وابن عساكر فى تاريخه (٣٩/٥٧)، والذهبى فى السير (٤٥٥/٤). ورواه عن أبى العالية أبو نعيم فى الحلية (٢١٨/٢)، وبنحوه ابن سعد فى الطبقات (١١٤/٧).

(٣) من مجموع الفتاوى (٤١٥/٣ و٤١٦) بتصرف.



ومن نظر فى كثير من الخلافات بين الجماعات والأفراد، سواء كان ذلك فى مسائل العلم أو فى مجال التوجيه والعمل؛ وجد ظاهرها فى طلب العدل والإنصاف، أو الصواب وترك الانحراف، وحقيقتها حب عبادة النفس واتباع الهوى، أو أغراض سيئة دنيئة، وقد علم أن الهوى يُعمى ويُصم ويُضل عن سبيل الله، وقد ترجع إلى أمور شخصية أو تطلعات معينة دنيئة، وإن غُلفت بالغيرة على الدين وإرادة إظهار الحق، والواقع خلاف ذلك.

ومَنْ هذه صفته فهو ومَنْ نَحى نحوه المعنى بقول الرسول ﷺ: **(تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة وعبد القطيفة إن أعطى رضى وإن لم يُعط سخط. تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش)**(1).

فهو عبدٌ لهذه الأشياء؛ لأن عمله من أجلها، ولها يرضى ويسخط، ولهذا قال ﷺ: **(إن أُعطى رضى وإن لم يُعط سخط)**. وهذا يدل على أن صاحب الهوى يعبد هواه. كما قال تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾** (الجاثية: ٢٣). وفى حديث أبى هريرة الذى فى الصحيح فى الثلاثة الذين هم أول من تُسعر بهم النار: **(الأول من تعلم علماً ليقال: هو عالم قارئ، والآخر من قاتل ليقال: هو جرىء شجاع، والثالث: من تصدق ليقال هو جواد كريم)**(2)، فهؤلاء إنما كان قصدهم مدح الناس لهم وطلب الجاه عندهم وتعظيمهم لهم، لم يقصدوا بفعلهم وجه الله وإن كانت صور أعمالهم حسنة فى الظاهر.

وفى الحديث الآخر: **(من طلب العلم ليُجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار)**(3). فمباهاة العلماء أن يظهر لهم أنه يعرف ما يعرفون، ويدرك ما لا يدركون من المعانى والاستنباطات، وأنه يستطيع أن يرد عليهم، ويبين أنهم يخطئون، وأما مماراة السفهاء فهو مجادلتهم ومجاراتهم فى السفه. وأما صرف

---

(١) أخرجه البخارى (٢٨٨٦ و٢٨٨٧ و٦٤٣٥) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠٥) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذى (٢٦٥٤)، وابن ماجة فى المقدمة (٢٥٣). وقال الألبانى: صحيح، انظر صحيح الجامع (٦٣٨٢/٦٣٨٣) من حديث ابن عمر وكعب بن مالك رضى الله عنهما.

وجوه الناس إليه فالمراد به طلب ثنائهم، ومدحهم له، وتعريفهم بأنه عالم، فهو بعمله هذا يتقرب إلى النار.

وفى الحديث الآخر: **(من طلب علماً مما يبتغى به وجه الله -تعالى- لا يطلبه إلا ليُصيب به عرضاً من الدنيا لم يرح رائحة الجنة)**(١).

وقال أبو عثمان النيسابورى: "من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة؛ لأن الله يقول: **﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾** (النور: ٥٤)"(٢).

فاتباع الهوى نوع من الشرك كما قال بعض السلف: "شر إلهٍ عُبِد فى الأرض الهوى"! فهو يُضل الإنسان عن الحق وإن كان يعرف ذلك.

ومما يؤسَف له أن هذا الأمر المهم لم يوله طلبةُ العلم فى أيامنا هذه ما يستحقه من الاهتمام والاعتناء به، مع وجود كثير ممن نصب نفسه للتوجيه والتدريس يغلب عليه حب الظهور واتباع أهواء النفوس مع الجهل الكثير فى المسائل العلمية المهمة، فصار من ثمار ذلك هذه الحالات التى يعيشها الشباب اليوم من التحزبات والاشتغال بالقيل والقال، وإطلاق الألسنة تلوك وتلفظ فى أعراض الناس، ولا سيما المشايخ والدعاة إلى الله، بل توجه إليهم سهام النقد والتجريح بلا جريمة، بل جعلوا المحاسن مساوئ! وقد استمعت لكلام أحد هؤلاء نقل كلاماً لأحد الدعاة يُثنى فيه على العلماء. ويقول: "إنهم يقومون بأعمال كثيرة ويتحملون أعباء عظيمة، فيجب أن لا نحملهم ما لا يطيقون، ويجب علينا أن نساعدهم ونعاونهم ونكمل النقص الذى يحصل لهم" ثم يجعل هذا الكلام محلاً للانتقاد

---

(١) أخرجه من حديث أبى هريرة ﷺ ابن أبى شيبة (٢٦١٢٧)، وأحمد (٨٤٣٨)، وأبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجة (٢٥٢)، وأبو يعلى (٦٣٧٣) وابن حبان (٧٨)، والحاكم (٢٨٨) وقال: هذا حديث صحيح سنده ثقات رواته على شرط الشيخين، وأقره الذهبى، وصححه الألبانى فى تعليقه على ابن ماجة. وفى صحيح الترغيب (١٠٥) قال: صحيح لغيره.

(٢) أخرجه من كلام أبى عثمان سعيد بن إسماعيل -الحيرى وليس النيسابورى- أبو نعيم فى الحلية (٢٤٤/١٠)، والبيهقى فى الزهد الكبير (٣١٩ و٣٧٥)، وابن الجوزى فى صفة الصفوة (١٠٥/٤)، والسيوطى فى مفتاح الجنة (٧١/١).

ويقول: "هذا هو تنقص المشايخ والعلماء وعدم تقديرهم". إلى آخر هذيانه الذى هو أشبه بهذيان المحموم: فما أدرى ما يُريد هذا الناقد الغيور على المشايخ؟ هل يريد أن يُجعلوا فى عداد الرسل معصومين كما تقوله الرافضة أو أنه لم يجد شيئاً يتعلق به إلا أن يلبس على الناس بأن هؤلاء الدعاة قد خرجوا عن الحق فصاروا يرمون أهله بالتنقص والازدراء؟!

أقول: من نتائج أفعال هؤلاء أن تبلبلت أفكار كثير من الشباب.

فمنهم من ضل طريق الهدى، وصار يتبع ما يرسمه له هؤلاء النقدة الذين وَقفوا فى طريق الدعوة يصدون عن سبيل الله.

ومنهم من صار لديه بسبب هؤلاء النقدة، فجوة عظيمة بينه وبين العلماء، ووحشة كبيرة فابتعد عنهم.

ومنهم من جعل يصنف الناس حسب حصيلته مما يسمع من هؤلاء بأن فلاناً من هذه الفرقة، وفلاناً من الفرقة الأخرى.

والعجب أنهم بهذا يزعمون أنهم يُطبقون منهج الجرح والتعديل. وقد اتخذوا فى هذا رؤساء جُهالاً فضلوا وأضلوا.

فعلى المسلم أن يتقى الله فى نفسه، وفى هؤلاء المساكين أرباع المتعلمين أو أعشارهم.

وفى الحديث الصحيح: **(لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)**[(١)] يعنى خير لك فى الدنيا، فكذلك من ضل بسببه رجل واحد فعليه وزر عظيم. وقد قال الله تعالى بعدما ذكر قصة قتل ابن آدم لأخيه: **﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾** (المائدة: ٣٢).

وإضلال الإنسان فى دينه أعظم من قتله بكثير، والكلام فى مسائل الدين يجب أن

---

(١) أخرجه البخارى (٢٩٤٢ و٣٠٠٩ و٣٧٠١ و٤٢١٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

يكون بدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن يقصد به وجه الله، وألا يكون ضرره أكبر من نفعه، وألا يكون الحامل عليه الحسد لمعين واتباع الهوى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومعلوم أننا إذا تكلمنا فيمن هو دون الصحابة، مثل الملوك المختلفين على الملك والعلماء والمشايخ المختلفين فى العلم والدين وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل، لا بجهل وظلم؛ فإن العدل واجب لكل أحد وعلى كل أحد، فى كل حال، والظلم محرم مطلقاً لا يباح قط بحال، قال تعالى: **﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾** (المائدة: ٨) وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به، فإذا كان البغض الذى أمر الله به قد نهى صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف فى بغض مسلم بتأويل أو شبهة أو بهوى نفس؟! فهو أحق أن لا يظلم، بل يعدل عليه"(١).

وقال: "والعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه ومحبته. والثناء على أهله ومحبتهم. والظلم مما اتفقوا على بغضه وذمه وتقبيحه. وذم أهله وبغضهم، والعدل من المعروف الذى أمر الله به وهو الحكم بما أنزل الله على محمد ﷺ، وهو أكمل أنواع العدل وأحسنها، والحكم به واجب على النبى ﷺ، وعلى من اتبعه، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر.

وهذا واجب على الأمة فى كل ما تنازعت فيه من الأمور الاعتقادية أو العملية. قال تعالى: **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾** (البقرة: ٢١٣)، وقال تعالى: **﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾** (الشورى: ١٠).

والله تعالى قد حرم ظلم المسلمين الأحياء منهم والأموات، وحرم دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ، أنه قال فى حجة الوداع: **(إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا، ألا هل**

---

(١) منهاج السنة (١٢٦/٥).



بلغت؟ ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع)[1].

وقد قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾** (الأحزاب: ٥٨). فمن آذى مؤمناً حياً أو ميتاً بغير ذنب يوجب ذلك فقد دخل فى هذه الآية. ومن كان مجتهداً لا إثم عليه، فإذا آذاه مؤذٍ فقد آذاه بغير ما اكتسب، ومن كان مُذنباً وقد تاب من ذنبه أو غفر له بسبب آخر بحيث لم يبق عليه عقوبة فآذاه مؤذٍ فقد آذاه بغير ما اكتسب وإن حصل له بفعله مصيبة. أهـ[2].

وقال تعالى: **﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾** (الحجرات: ٥). وثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: **(الغيبة ذكرك أخاك بما يكره**، قيل: أرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته)**[3].

فمن رمى أحداً بما ليس فيه فقد بهته، ومن قال عن مجتهد: "إنه تعمد الظلم وتعمد معصية الله ورسوله ومخالفة الكتاب والسنة" ولم يكن كذلك فقد بهته، وإن كان فيه ذلك فقد اغتابه، ولكن يباح من ذلك ما أباحه الله ورسوله، وهو ما يكون على وجه القصاص والعدل وما يحتاج إليه لمصلحة الدين ونصيحة المسلمين[4].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخارى (٥٥٥٠ و٧٠٧٨)، ومسلم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما.

(٢) منهاج السنة (٥/١٢٧-١٣٥) بتصرف.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) اعلم أن غيبة المسلم لا تجوز مطلقاً، واستثنى أهل العلم من ذلك أموراً منها:

- **التشكى:** مثل قول المشتكى المظلوم: فلان ضربنى، وأخذ مالى ومنعنى حقى. ونحو ذلك، قال تعالى: **﴿لاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾** (النساء: ١٤٨).

- **الفتوى:** فمثل استفتاء هند بنت عتبة، قالت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى وبنى ما يكفينى بالمعروف؟! فقال النبى ﷺ: **(خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف)**. متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤) عن عائشة رضى الله عنها. فلم ينكر عليها قولها ذلك، وهو من جنس قول المظلوم.

- **النصيحة:** فمثل قوله ﷺ لفاطمة بنت قيس لما استشارته فيمن خطبها. قالت: **خطبنى أبو جهم ومعاوية. فقال: أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه**". وفى

المبحث الخامس – أدب الخلاف[1]:

اعلم –عبد الله!– أن الخلاف فى مسائل الأحكام أكثر من أن ينضبط وكما اسلفنا القول أن مسائل الإجماع فى الأحكام قليلة جداً يمكن حصرها.

قال ابن تيمية رحمه الله: "الاختلاف فى مسائل الأحكام أكثر من أن ينضبط ولو كان كلما اختلف مسلمان تهاجرا، لم يكن بين المسلمين عصمة ولا أخوة"[2]. أهـ.

فينبغى أن يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه طالما أن هذا الخلاف مما يسوغ الخلاف فيه.

والمجادل لغيره فى جميع الأحوال ينبغى أن يتحلى بخلق الإنصاف والعدل والتجرد لله تعالى.

يقول الشافعى رحمه الله تعالى: "ما ناظرت أحداً إلا وأحببت أن يُسدّدَ وأن يُوفّقَ، وأن يُظهر الله الحقّ على لسانه. وقال: وددت أن جميع الناس تعلموا =

لفظ: **(يضرب النساء ولكن أنكحى أسامة)**. أخرجه مسلم (١٤٨٠). فذكر ما تحتاج إليه، وكذلك من استشار رجلاً فيمن يعامله. والنصيحة مأمور بها، ولو لم يشاوره كما فى حديث النبى ﷺ "الدين النصيحة". أخرجه مسلم (٥٥).

– **وكذلك بيان أهل العلم لمن غلط فى رواية عن النبى** ﷺ أو تعمد الكذب عليه أو على من ينقل عنه العلم.

– **وكذلك بيان غلط من غلط فى رأى رآه فى أمر الدين** من المسائل العلمية والعملية.

فهذا إذا تكلم فيه الإنسان بعلم وعدل وقصد النصيحة، فالله تعالى يثيبه على ذلك، لا سيما إذا كان المُتَكَلَّمُ فيه داعياً إلى بدعة فهذا يجب بيان أمره للناس، فإن دفع شره عنهم أعظم من دفع شر قاطع الطريق.

وجمع ابن شريف –فيما نقل عنه الصنعانى فى سبل السلام فى باب الترهيب من مساوئ الأخلاق– المواطن التى تباح فيها الغيبة فقال:

الذمُّ ليس بغيبةٍ فى ستةٍ ... متظلمٍ ومُعَرِّفٍ ومُحذِرِ

ولمظهرٍ فسقاً ومُستَفتٍ ... ومن طلب الإعانةَ فى إزالةِ مُنكَرِ

(١) انظر "أدب الخلاف" لصالح بن عبد الله بن حميد (صـ ١٣–٢٥) مختصراً مع بعض الزيادات.

(٢) مجموع الفتاوى (١٧٣/٢٤).



علمى ثم لا ينسب إلى حرف منه. وقال: لو صح الحديث فهو مذهبى"[1].

ثلاثة أقوال مأثورة عن الشافعى كلها مباركة تدل على قمة التجرد لله.

فالاختلاف فى مسائل الأحكام التى أدلتها ظنية خلاف سائغ وهو الذى يسمى: "**اختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات**". كاختلاف المجتهدين من فقهاء ومفتين وحكام فى المسائل الاجتهادية. استمع إلى الحديث الصحيح من قول رسول الله ﷺ: **(إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فأخطأ فله أجر)**[2] وهو دليل واضح على إمكان خطأ المجتهد. وحصول الخطأ يعنى حصول الاختلاف سواء بينه وبين غيره أو بين من يتبعه على رأيه وبين من يخالفه. ثم إن تقرُّرَ الأجر للمخالف دليل على أن هذا سائغ وإلا لما استحق أجراً، وخبر بنى قريظة معروف حيث أقر النبى ﷺ كلاً من الطائفتين[3].

وأخرج مسلم أيضاً فى صحيحه عن أبى خالد الأحمر عن حميد قال: "خرجت

---

(١) أخرجه عنه ابن حبان (٢١٢٥)، وأبو نعيم فى الحلية (١١٨/٩)، وأخرج البيهقى فى المدخل بعضه (١٧٢)، وابن عساكر فى تاريخه (٢٧٨/٨) و(٣٨٣/٥١)، وابن الجوزى فى صفة الصفوة (٢٥١/٢). وقال ابن حبان (٢١٢٥): للشافعى -رحمه الله- ثلاث كلمات ما تكلم بها أحد فى الإسلام قبله، ولا تفوه بها أحد بعده إلا والمأخذ فيها كان عنه. أهـ. وذكر الكلمات الثلاث.

(٢) متفق عليه، وتقدم تخريجه.

(٣) يعنى بهذه القصة ما فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: نادى فينا رسول الله ﷺ يوم انصرف عن الأحزاب، **(لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة)**، فتخوف ناسٌ فوت الوقت فصلوا دون بنى قريظة، وقال آخرون: لا نصلى إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ وإن فاتنا الوقت، قال: فما عنف واحداً من الفريقين" [متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٤١١٩ و٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠) بلفظ: **(لا يصلين أحدٌ الظهر)** والصواب هى رواية البخارى كما رجح ابن حجر فى الفتح (٤٧١/٧-٤٧٣).

قال ابن القيم -رحمه الله-: كل من الفريقين مأجور بقصده، إلا أن من صلى حاز الفضيلتين؛ امتثال الأمر فى الإسراع، وامتثال الأمر فى المحافظة على الوقت، ولاسيما ما فى هذه الصلاة بعينها من الحث على المحافظة عليها وأن من فاتته حبط عمله، وإنما لم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم فى التمسك بظاهر الأمر. لكنهم لم يَصِلوا إلى أن يكون اجتهادهم أصوب من اجتهاد الطائفة الأخرى. أهـ. (زاد المعاد (١١٩/٣) ت الأرناؤوط).

فصمت فقالوا لى أعد فقلت: إن أنساً أخبرنى أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يسافرون لا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم فلقيت ابن أبى مليكة فأخبرنى عن عائشة رضى الله عنها مثله"(١).

المسألة الأولى : من صور الخلاف بين الصحابة وبين العلماء والفقهاء :

مازال العلماء والفقهاء والحكام من المسلمين يختلفون فى المسائل منذ عهد الصحابة وإلى اليوم وإلى ما شاء الله دون إنكار لأصل الاختلاف.

وفيما يلى بعض النماذج التى تدل على أن الصحابة ﷺ جميعاً ومن بعدهم من الأئمة والفقهاء اختلفوا، لكن الخلاف وسعهم فينبغى أن يسعنا:

أولاً : اختلاف الصحابة فى بعض القضايا المصيرية:

صور الاختلاف بين الصحابة كثيرة جداً تجل عن الحصر وبخاصة فى مثل هذا المقام ولكنى أشير إلى بعض القضايا، فقد كان فيها قضايا مصيرية أكاد أقول بل أجزم أن مصير الأمة ومسارها انبنى على نتائج هذا الخلاف منها:

اختلافهم فى وفاته ﷺ وقد ظهر من عمر ﷺ إنكار ذلك حتى شهر سيفه مهدداً بالقتل لمن قال ذلك حتى جاء أبو بكر ﷺ وتلا آيات فى ذلك **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾** (الزمر: ٣٠)، **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾** (آل عمران: ١٤٤) فأذعن عمر ﷺ وقال: "كأنى لم أكن قرأتها من قبل"(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١١١٨).

(٢) أخرجه البخارى (٤٤٥٤و ٣٦٦٧و ٣٦٦٨) عن عائشة رضى الله عنها.

وذكر البخارى قصة وفاته ﷺ دون ذكرِ توعدِ عمرَ من قال: إن النبى ﷺ مات بالقتل والقطع، ونقلها ابن كثير فى البداية والنهاية (٢٤٢/٥) من طريق ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير ﷺ.

اختلافهم فى مكان دفنه ﷺ[1].

اختلافهم الكبير والمصيرى فى الخلافة بعده ﷺ وقصة سقيفة بنى ساعدة[2] مشهورة لا نطيل بسردها وقد كان من مظاهر خلافهم فيها أن قال قائل: "منا أمير ومنكم أمير". وقال آخر: "نحن الأمراء وأنتم الوزراء". فما كان من عمر إلا أن بايع أبا بكر ثم توالت البيعة وكان الرضوخ لما توصلت إليه الجماعة فمقاصدهم كانت حسنة والأهواء فيهم بعيدة. وذلك شأن صحابة رسول الله ﷺ فهم الصفوة الذين اختارهم الله عز وجل لصُحبة نبيه محمد ﷺ.

اختلافهم فى قتال مانعى الزكاة: فبعد أن بويع أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة بعد رسول الله ﷺ ارتدت بعض القبائل ممن كان حديث العهد بالإسلام وتابع بعضهم من ادعى النبوة كمسيلمة الكذاب وغيره، كما امتنعت بعض القبائل عن أداء الزكاة. فما كان من أبى بكر رضي الله عنه إلا أن عزم على قتالهم، وقد قال له عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فمن قالها عصم منى ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله تعالى)** قال أبو بكر رضي الله عنه: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها"[3].

وما كان من الصحابة رضوان الله عليهم إلا أن انصاعوا لرأى أبى بكر رضي الله عنه فاجتمع الصحابة على رأيه وكانت عزة الإسلام. فصار رأيه وفعله مثلاً يستشهد به فى الأزمات

---

(١) أخرجه ابن ماجة (١٦٢٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: "لقد اختلف المسلمون فى المكان الذى يحفر له، فقال قائلون: يدفن فى مسجده، وقال قائلون: يدفن مع أصحابه، فقال أبو بكر: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض)**. قال: فرفعوا فراش رسول الله ﷺ الذى توفى عليه فحفروا له ثم دفن ﷺ وسط الليل من ليلة الأربعاء". وأخرج بعضه المروزى فى مسند أبى بكر (٢٦)، والبزار (١٨ و٦٠ و٦١)، وبتمامه أخرجه أيضاً أبو يعلى (٢٢)، وابن حبان فى الثقات (١٥٩/٢). وقال الألبانى فى تعليقه على ابن ماجة: ضعيف.

(٢) تقدم تخريجه فى الحديث قبل السابق.

(٣) متفق عليه، وتقدم تخريجه.

حتى يقال: "ردة ولا أبا بكر لها".

ثانيًا : اختلاف الصحابة فى بعض القضايا الفقهية:

وأعرض فى السطور التالية بعض صور الاختلاف بين الصحابة فى المسائل الفقهية:

الفقه بين أبى بكر وعمر:

اختلف أبو بكر وعمر فى سبى أهل الردة فرأى أبو بكر سبى نساء أهل الردة على عكس ما يراه عمر حيث نقض فى خلافته حكم أبى بكر فى هذه المسألة وردهن إلى أهليهن[١] لكن لم ينشق على أبى بكر فلكل اجتهاده فى المسائل القابلة للاجتهاد.

اختلفا فى قسمة الأراضى المفتوحة فقسمت فى عهد أبى بكر ولم تقسم فى عهد عمر[٢].

أبو بكر ﷺ استخلف من بعده عندما مات، وعمر لم يستخلف بل جعل الأمر شورى[٣] وهذا خلاف فى النظر كما هو معلوم.

بين عمر وابن مسعود:

كان عبد الله بن مسعود ﷺ من أقرأ أصحاب رسول الله ﷺ لكتاب الله ومن أعلمهم بالسنة حتى كان كثير من الصحابة يعدونه من أهل بيت رسول الله ﷺ لكثرة ملازمته له قال أبو موسى الأشعرى ﷺ: "كنا حيناً وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت رسول

---

(١) ذكر هذه القصة ابنُ حجر فى "فتح الباري" (٢٩٢/١٢) شرح حديث (٦٩٢٥). وابن القيم فى "إعلام الموقعين" (٢٠١/٢).

(٢) انظر نيل الأوطار كتاب الجهاد، باب حكم الأرضين المغنومة (٥٤٥/٥-٥٤٨) وانظر صحيح البخارى (٤٢٣٥ و٤٢٣٦) عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضى الله عنهم جميعا. و"إعلام الموقعين" (٢٠١/٢).

(٣) ذكر ذلك الإمام مسلم فى صحيحه فى الإمارة، باب الاستخلاف وتركه (١٨٢٣) عن ابن عمر رضى الله عنهما.



الله ﷺ من كثرة دخولهم ولزومهم له[1]". وقال أبو مسعود البدرى مشيراً إلى عبد الله بن مسعود: "ما أعلم رسول الله ﷺ ترك بعده أحداً أعلم فيما أنزل الله تعالى من هذا القادم فقال أبو موسى: لقد كان يشهدُ إذا غِبنا ويُؤذن له إذا حُجبنا"[2].

وعمر ؓ فى الطرف الآخر معروف بفقهه وجلالة قدره وكان ابن مسعود أحد رجال عمر فى بعض الأعمال، وقد وافق عبدُ الله عمرَ فى كثير من اجتهاداته حتى اعتبره الكاتبون فى تاريخ التشريع أكثر الصحابة تأثراً بعمر، وكثيراً ما كانا يتوافقان فى اجتهاداتهما وطرائقهما فى الاستدلال وربما رجع عبد الله إلى مذهب عمر فى بعض المسائل كما فى مسألة مقاسمة الجد والإخوة مرة إلى الثلث ومرة إلى السدس[3] ولكنهما اختلفا فى مسائل كثيرة ومن مسائل الخلاف بينهما:

أن ابن مسعود كان يطبق يديه فى الصلاة وينهى عن وضعهما على الركب[4] وعمر كان يفعل ذلك وينهى عن التطبيق[5]، وكان ابن مسعود يرى فى قول الرجل لامرأته أنت على حرام يمين[6] وعمر يرى أنها طلقة واحدة[7]، وكان ابن مسعود يقول فى رجل زنا بامرأة ثم تزوجها لا يزالان زانيين ما اجتمعا وعمر لا يرى ذلك ويعتبر أوله

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٣٧٦٣) ومسلم (٢٤٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٦١).

(٣) انظر إعلام الموقعين لابن القيم (٣١٨/١-٣٢٦).

(٤) أخرج مسلم (٥٣٤) عن الأسود وعلقمة قالا: أتينا ابن مسعود فى داره ... فلما ركع وضعنا أيدينا على ركبنا، فضرب على أيدينا وطبق بين كفيه، ثم أدخلها فى فخذيه ... الحديث.

(٥) أخرج الترمذى (٢٥٨)، والنسائى (١٠٣٣) عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: قال لنا عمر بن الخطاب ؓ: "إن الركب سنت لكم فخذوا بالركب" وهو حديث صحيح، أما نهى عمر الصريح عن هذا فأخرجه البيهقى: "كنا إذا ركعنا جعلنا أيدينا بين أفخاذنا فقال عمر: إن من السنة الأخذ بالركب" ينظر: النسائى فى الكبرى (٦٢٣)، والمجتبى (١٠٣٤ و١٠٣٥)، والبيهقى فى الكبرى (٢٣٧٩ و٢٣٨٠).

(٦) انظر قول ابن مسعود فى نيل الأوطار (٦٣/٥) حكاه الشوكانى عن ابن حجر فى الفتح.

(٧) انظر إعلام الموقعين (٥٨/٣).

وذكر ابن القيم فى الإعلام فى هذه المسألة خمسة عشر مذهبا، فليرجع إليها من أحب الاستزادة.

سفاحاً وآخره نكاحاً[١]. وقد أوصل ابن القيم رحمه الله المسائل التى جرى الخلاف فيها بين عمر وابن مسعود رضى الله عنهما إلى مئة مسألة وأكثر[٢]. ومع هذا الخلاف المدون، فإن اختلافهما هذا ما نقص من حب أحدهما للآخر.

فهذا ابن مسعود يأتيه اثنان أحدهما قرأ على عمر والآخر قرأ على صحابى آخر فيقول الذى قرأ على عمر: أقرأنيها عمر بن الخطاب فيجهش ابن مسعود بالبكاء حتى يبتل الحصى بدموعه ويقول: "اقرأ كما أقرأك عمر؛ فإنه كان للإسلام حصناً حصيناً يدخل الناس فيه ولا يخرجون منه فلما أصيب عمر انثلم الحصن"[٣]. ويُقبل ابن مسعود يوماً وعمر جالس فلما رآه عمر مقبلاً قال: "كُنَيْف مُلىء فقهاً أو علماً"[٤] وفى رواية "كنيف ملىء علماً آثرت به أهل القادسية"[٥].

هكذا كانت نظرة ابن مسعود لعمر ونظرة عمر لابن مسعود رضى الله عنهما، لم يزدهما الاختلاف بينهما فى تلكم المسائل إلا محبة وتقديراً. ولنا أن نستنبط من تلك الأحداث ما شئنا من آداب تكون نبراساً فى معالجة القضايا الخلافية.

بين ابن عباس وزيد بن ثابت:

---

(١) انظر حكم هذه المسألة فى نيل الأوطار (٤/٤٦٤-٤٦٧)، وانظر تفسير ابن كثير لسورة النور الآية رقم ٣.

(٢) انظر إعلام الموقعين (٢/٢٠٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٢٣١٥)، وابن سعد (٣/٣٧١)، وابن أبى شيبة (٣١٩٧٧)، وابن حزم فى الإحكام (٤/٥٥٠) و(٦/٢٢٩)، وابن الجوزى فى "مناقب أمير المؤمنين عمر" (صـ ٢٤٧).

(٤) كُنَيْفُ من الكِنْفِ وهو وعاءٌ طويل يكون فيه متاع التجار. شبه عمر قلب ابن مسعود بكنف الراعى؛ لأنه فيه مبرأته ومقصه وشفرته ففيه كل ما يريد؛ هكذا قلب ابن مسعود قد جُمع فيه كل ما يحتاج إليه الناس من العلوم، أى أنه وعاءٌ للعلم بمنزلة الوعاء الذى يضع الرجل فيه أدواته وتصغيره على جهة المدح له وهو تصغير تعظيم للكنف. [انظر لسان العرب مادة كنف].

(٥) أخرجه ابن سعد (٣/١/١١٠)، وأبو نعيم فى الحلية (١/١٢٩)، والفسوى فى المعرفة (٢/٥٤٣) من طريق عبد الرزاق عن الثورى عن الأعمش عن زيد بن وهب وهو أثر صحيح، وانظر تاريخ دمشق (٣٣/١٤٦) وسير أعلام النبلاء ترجمة ابن مسعود (١/٤٦١-٥٠٠). وللحديث طرق وأسانيد أخرى رواها جمع من أهل العلم، وانظر: إرواء الغليل (٢٢٢٤)، وقال الألبانى عن إحدى هذه الطرق: صحيح.



كان ابن عباس رضى الله عنهما يذهب كأبى بكر الصديق وكثير من الصحابة أن الجد يسقط جميع الإخوة والأخوات فى المواريث كالأب. وكان زيد بن ثابت كعلى وابن مسعود وفريق من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يذهب إلى توريث الأخوة مع الجد ولا يحجبهم به(١) فقال ابن عباس يوماً: "ألا يتقى الله زيد يجعل ابن الابن ابناً ولا يجعل أبا الأب أباً"(٢). وقال: "لوددت أنى وهؤلاء الذين يخالفوننى فى الفريضة نجتمع فنضع أيدينا على الركن ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين"(٣).

إن ابن عباس رضى الله عنهما الذى بلغت ثقته بصحه اجتهاده وخطأ اجتهاد زيد حتى طلب المباهلة رأى زيد ابن ثابت يوماً يركب دابته فأخذ بركابه يقود به فقال زيد: "تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ"، فيقول ابن عباس: "هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا" فقال زيد: "أرنى يدك" فأخرج ابن عباس يده فقبلها زيد وقال: "هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ"(٤).

---

(١) راجع هذه المسألة فى إعلام الموقعين (٣١٨/١-٣٢٦).

(٢) ذكره عن ابن عباس ابن قدامة فى المغنى (١٩٦/٦)، والآمدى فى الإحكام (٢٩٩/١)، وابن عبد الهادى فى التنقيح (١٢٨/٣)، وابنُ القيم فى إعلام الموقعين (٣٢٠/١).

(٣) قال ابن عباس هذه الكلمات فى أول مسألة ميراث عالت فى الإسلام فى زمن عمر بن الخطاب ﷺ، فقال جماهير الصحابة بالعول ومنهم عمر ﷺ، وخالفهم ابن عباس ﷺ وقال: "من شاء باهلته أن المسائل لا تعول ... الحديث" أخرجه عبد الرزاق (١٩٠٢٤)، وسعيد بن منصور (٣٧)، وابن حزم فى الإحكام (٥٧٢/٤)، والمتقى الهندى فى كنز العمال (٣٠٥٥٩) وهو حديث حسن وانظر إرواء الغليل (١٤٥/٦). **والعول:** زيادة فروض المسألة عن أصلها وذلك لزيادة كسور المسألة عن الواحد الصحيح.

قال ابن قدامة فى المغنى: ولا نعلم اليوم قائلا بمذهب ابن عباس، ولا نعلم خلافا بين فقهاء العصر فى القول بالعول بحمد الله ومنه. (انظر المعتمد فى الفقه ٨٧/٢).

(٤) أخرجه ابن سعد (٣٦٠/٢)، والفسوى فى المعرفة (٢٦٠/١)، والطبرانى فى الكبير (٤٧٤٦)، والحاكم (٥٧٨٥) وصححه وذكره أيضاً (٥٨٠٨ و٧٩٥٦) وسكت عنه الذهبى، والبيهقى فى الكبرى (١١٩٧٦) وفى المدخل (٩٣)، وابن عساكر (٣٢٥/١٩ و٣٣٦)، والذهبى فى السير (٤٣٧/٢)، والحافظ فى الإصابة (٥٩٤/٢) وصحح إسناده.



وحين توفى زيد قال ابن عباس: "هكذا يذهب العلم"(١). وفى رواية للبيهقى فى سننه "هكذا ذهاب العلم لقد دفن اليوم علم كثير"(٢).

كانت هذه نماذج من الخلافات الفقهية ومواقف المختلفين.

ثالثًا : اختلاف الصحابة وقت الفتنة:

معلوم ما حصل بين صحابة رسول الله ﷺ من فتن، **ومذهب أهل السنة والجماعة السكوتُ عما شجر بين الصحابة**، ولكن تلك الفتن اصطاد فيها من يصطاد فى الأجواء المتعكرة من شعوبيين ومندسين على الدين ومغرضين. وعليه فإنك واجدٌ قصصاً تكدر وتعكر صفو المنصف ويلمس فيها المتتبع أغراضا ومقاصد وأهدافاً يرام من ورائها هدم هذا الدين والتشكيك فى صحابة رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ولكنك حينما تنظر بعين المنصف فإنك ستجد غير ذلك على الرغم من أن السيوف ارتفعت والدماء سالت ستجد بين ذلك ما يجلى لك الحقيقة وتدرك به أن ما حصل لم يعَدُ أن يكون اجتهاداً ولم يمس اتهاماً فى دين أو صحة معتقد.

يقول مروان ابن الحكم وهو أموى معروف: "ما رأيت أحداً أكرم غلبة من على ما هو إلا أن ولينا يوم الجمل ونادى مناد؛ ولا يذفف -أى يجهز- على جريح"(٣).

واسمعوا هذه القصة:

يدخل عمران بن طلحة بن عبيد الله علَى علِىٍّ رضي الله عنه بعد موقعة الجمل –

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣٦١١٢)، والفسوى فى المعرفة (٢٦٢/١)، وابن عساكر (٣٣٥/١٩ و٣٣٦)، والمزى فى تهذيب الكمال (٧٥/١١)

(٢) أخرجه ابن سعد (٣٦١/٢)، وابن أبى شيبة (١١٩٨٤)، والبخارى فى الكبير (٣٨٠/٣)، والفسوى فى المعرفة (٢٦١/١)، والطبرانى فى الكبير (٤٧٥١)، والحاكم (٥٨٠٧ و٥٨١٠)، والبيهقى فى الكبرى (١١٩٧٧) وفى المدخل (٩٥)، وابن عساكر (٣٣٤/١٩ و٣٣٦)، والمزى فى تهذيب الكمال (٣١/١٠) وسند البخارى والفسوى من طريق حماد بن سلمة ورجاله ثقات.

(٣) ذكره الشافعى فى الأم (٢١٦/٤)، وروى بعضه البيهقى فى الكبرى (١٦٥٢٣ و١٦٥٣٢). وينظر تاريخ الطبرى (١١/٥ و١٢)، والبداية والنهاية (٥١٠/١٠).



وكانت بين علىّ وطلحة والد عمران- فيرحب به علىّ ويدنيه ويقول: "إنى لأرجو أن يجعلنى الله وإياك من الذين قال الله فيهم: **﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾** (الحجر: ٤٧) ثم أخذ يسأله عن أهل بيت طلحة وعن غلمانه وعن أمهات أولاده: يا ابن أخى! كيف فلان وكيف فلانة، ويستغرب بعض الحاضرين ممن لم يحظ بشرف الصحبة النبوية ولم يعرفوا قدر التربية المحمدية لهذا الرهط فيقول رجلان من الحاضرين من ناحية البساط من الجانب: الله أعدل من هذا تقتلهم بالأمس وتكونوا إخوانا فى الجنة، فيغضب على من هذا القول ويقول: قُوما أبعدَ أرض الله وأسحقَها إن لم أكن أنا وطلحة فمن إذاً؟[1]

ويسأل بعضهم عليًّا عن أهل الجمل "أمشركون هم؟ فيقول: من الشرك فروا، فيقول: أمنافقون هم؟ فيقول علىّ: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، فقال الرجل ممن هم إذاً؟ فيقول علىّ: إخواننا بغوا علينا" [2].

فلم ينف الأخوة عنهم، ولم يدفعه الخلاف إلى البغى والظلم.

بين عمار وعائشة:

برغم الخلاف الذى كان بينهما ينال أحد الناس من عائشة بمحضر من عمار -وقد كان عمار فى غير صف عائشة يوم الجمل- فيقول عمار: "اسكت مقبوحاً منبوذاً! أتؤذى محبوبة رسول الله ﷺ؟!، أشهد أنها زوجة رسول الله ﷺ فى الجنة، لقد سارت أم المؤمنين سيرها وإنا لنعلم أنها زوجة رسول الله ﷺ فى الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلانا بها

---

(١) أخرجه الحاكم (٥٦١٣)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، وأخرجه البيهقى فى الكبرى (١٦٤٩٢)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (١١٦/٢٥)، وأخرج بعضه المزى فى تهذيب الكمال (٤٢١/١٣).

(٢) أخرجه ابن أبى شيبه (٣٧٧٦٣) وأخرج ابن أبى شيبة (٣٧٩٤٢) أن علياً سئل عن أهل النهر ..... وهم الخوارج، والمروزى فى تعظيم قدر الصلاة (٥٩١ و٥٩٢ و٥٩٣)، والبيهقى فى الكبرى (١٦٤٩٠).



أنطيعه أم نطيعها[١]".

لذا لما علمت عائشة أنها كانت على الخطأ بعلامة من رسول الله ﷺ: لأنه قال لها: **(تنبح عليك كلاب الحوأب)**[٢] فرجعت وبكت[٣].

---

(١) أخرجه مختصرا الطيالسى فى مسنده (٦٥١)، وابن سعد (٦٥/٨)، وأحمد فى فضائل الصحابة (١٦٣١ و١٦٤٧)، والفسوى فى المعرفة (٢٤١/٣)، والترمذى (٣٨٨٨ و٣٨٨٩) وقال: حديث حسن صحيح، والطبرانى فى الكبير (٤٠/٢٣) رقم (١٠٢ و١٠٣)، وأخرج بعضه الحاكم (٥٦٨٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبى، وضعفه الألبانى فى تعليقه على الترمذى.

وأخرجه بتمامه ابن أبى شيبة (٣٢٢٨٣)، وابن عساكر (٤٥٨/٤٣)، والذهبى فى السير (٤٢٤/١) وقال ابن حجر فى الفتح بعد ذكره هذه الرواية (٦٣/١٣): "ومراد عمار بذلك أن الصواب فى تلك القصة كان مع على وأن عائشة بذلك لم تخرج عن الإسلام ولا أن تكون زوجة النبى ﷺ فى الجنة، فكان ذلك يعد من إنصاف عمار وشدة ورعه وتحريه قول الحق. أهـ.

وقد وقع عند البخارى نحو من هذا الحديث فليراجع (٧١٠٠ و٧١٠١).

(٢) الحوأب: اسم موضع به ماء على الطريق بين البصرة ومكة، وسمى بالحوأب بنت كلب بن وبرة القضاعية "انظر معجم البلدان، ومعجم ما استعجم".

(٣) عن قيس بن أبى حازم رضى الله عنه قال: " لما بلغت عائشة بعض مياه بنى عامر ليلا نبحت الكلاب عليها فقالت: أى ماء هذا قالوا: ماء الحوأب. فقالت: ما أظننى إلا راجعة. فقال لها طلحة والزبير: مهلا! رحمك الله بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم. قالت: ما أظننى إلا راجعة إنى سمعت رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب"

أخرجه ابن أبى شيبه (٣٧٧٧١)، وإسحاق بن راهويه (١٥٦٩)، وأحمد (٢٤٢٩٩)، ونعيم بن حماد فى الفتن (١٨٨)، وأبو يعلى (٤٨٦٨)، وابن حبان (٦٧٣٢)، والحاكم (٤٦١٣).

وقد ضعف بعض الحفاظ رواية قيس بن حازم وعدوا له مناكير منها هذا الحديث وهو تابعى من أكابر التابعين أسلم وهاجر ليبايع فقبض النبى ﷺ وهو فى الطريق حتى قال الذهبى فى السير (٥٣/١١): كاد أن يكون صحابيا " أهـ، قال الذهبى فى التذكرة (٦١/١): حديثه محتج به فى كل دواوين الإسلام. وهذا الحديث صححه الذهبى فى السير (١٧٨/٢) والهيثمى فى المجمع (٢٣٤/٧)، وابن حجر فى الفتح (٥٩/١٣)، والألبانى فى الصحيحة (٤٧٤) وانظر رده هناك على من ضعفه.

وتنظر ترجمة قيس بن حازم وما قيل فيه فى تهذيب الكمال (١٥/٢٤)، وتذكرة الحفاظ (٦١/١)،



بين معاوية وعلىٌّ:

وبرغم الخلاف بين على ومعاوية فإن معاوية لما أشكلت عليه إحدى المسائل أرسل إلى على يسأله عن رجل دخل على امرأته فوجد رجلاً يزنى بها فقتله، فأرسل معاوية إلى أبى موسى يسأله أن يسأل عليا عن ذلك.

فيقول على: "أنا أبو الحسن إن لم يأت بأربعة شهداء على أنه زنا بامرأته قتلناه به[1]"؛ لأن قتل المسلم محرمٌ تحريماً مطلقاً فمن ثبت عليه قتل مسلم وادعى أنه كان يجب قتله لم يقبل منه حتى يثبت دعواه؛ لأنه يرفع بتلك الدعوى عن نفسه القصاص.

معاوية يبكى علياً ﷺ:

بعد أن انتهت القضايا بين علىٌّ ومعاوية ﷺ، وبعد أن انتقل علىٌّ إلى جوار ربه يدخل ضرار بن ضمرة الكنانى على معاوية فيقول معاوية: صف لى علياً فقال له: أو تعفينى يا أمير المؤمنين؟ قال له: لا أعفيك. قال: أما إذ لابد، فإنه والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطلق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفيه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان والله كأحدنا يدنينا إذا أتينا، ويجيبنا إذا سألنا، وكان مع تقربه إلينا، وقربه منا لا نكلمه هيبة له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليلُ سدوله وغارت نجومه يميل فى محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم[2] ويبكى بكاء الحزين فكأنى أسمعه الآن وهو يقول: "يا ربنا يا ربنا ثم يقول

=

والمغنى للذهبى (٥٢٦/٢).

(١) أخرجه من رواية سعيد بن المسيب عن على ﷺ الشافعى فى مسنده (٣٦٢/١)، وفى الأم (١٣٧/٦)، وابن أبى شيبة (٢٧٨٧٩)، والبيهقى فى الكبرى (١٧٤٢٥)، وفى الصغرى (٣٤٩٦) وذكره الألبانى فى الإرواء (٢٧٤/٧) وقال: رجاله ثقات لكن سعيد مختلف فى سماعه من على.

(٢) السليم: اللديغ.

للدنيا: إلى تعرضت!! إلى تشوفت!! هيهات هيهات غرى غيرى قد بتتك ثلاثاً؛ فعمرك قصير ومجلسك حقير وخطرك يسير. آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق". فوكفت دموعُ معاويةَ ﷺ على لحيته لا يملكها وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء فقال معاوية: كذلك كان أبو الحسن رحمه الله. كيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال وجد من ذُبح واحدها فى حجرها لا ترقأ دمعتها ولا يسكن حزنها[1].

رابعًا : بعض صور الخلاف التى وقعت بين أئمة الدين المعتبرين:

ما قلناه فى الصحابة وما جرى بينهم وما تحفل به مدونات التاريخ والسير فى هذا الشأن وما فيه من مجالات لمن يحاولون الاصطياد فى المياه العكرة يقال مثله فيما يتعلق بأئمة السلف رضوان الله عليهم وبخاصة الأئمة المتبوعين، فجرى النيل من بعضهم أو لم يكد أحد يسلم نتيجة التعصب ولكن المتأمل يجد غير ذلك حينما ينظر بإنصاف.

فهذا هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله ورضى عنه يقول فيه شعبه بن الحجاج وحسبك من شعبة فهو أمير المؤمنين فى الحديث وأبو حنيفة من أهل الرأى بالمكانة التى نعرفها. وشعبة يوثق أبا حنيفة ويطلب إليه أن يحدث ولما بلغه نبأ موته قال: "لقد ذهب معه فقه الكوفة تفضل الله عليه وعلينا برحمته"[2].

ونقل عن الشافعى أنه قال: سئل مالك يوماً عن عثمان البتى فقال: "كان رجلاً مقارباً"، وسئل عن أبى شبرمة فقال: "كان رجلاً مقارباً"، قيل فأبو حنيفة، قال: "لو جاء أساطينكم هذه (يعنى سوارى المسجد) فقايسكم على خشب لظننتم أنها"[3].

وقد نقل كثير من العلماء أن المسألة إذا لم يكن فيها سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ فلا ينكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً. وهذه بعض أقوال العلماء فى

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٨٤/١)، وابن عبد البر فى الاستيعاب (١١٠٨/٣)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (٤٠١/٢٤).

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى كتابه الماتع: "الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء" (صـ ١٢٦).

(٣) أخرجه الطبرى فى المنتخب من ذيل المذيل للطبرى (صـ ١٣٩)، وابن عبد البر فى الانتقاء (صـ ١٤٦).

المسألة:

قال سفيان الثورى: "إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذى قد اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه"[١].

وروى عنه أيضاً الخطيب البغدادى قوله: "ما اختلف فيه الفقهاء فلا أنهى أحداً من إخوانى أن يأخذ به"[٢].

وابن مفلح فى كتاب الآداب الشرعية ينقل عن الإمام أحمد رحمه الله تحت عنوان: لا إنكار على من اجتهد فيما يسوغ فيه خلاف فى الفروع ما نصه: "وقد قال أحمد فى رواية المروزى: لا ينبغى للفقيه أن يحمل الناس على مذهب ولا يشدد عليهم"[٣].

وذكر الإمام النووى فى شرحه على مسلم: ليس للمفتى ولا للقاضى أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نصاً أو إجماعاً أو قياساً جلياً[٤].

قال ابن تيمية فى الفتاوى فى رسالته: هل أكل الحلال متعذر فى هذا الزمان، أنه ليس كلُّ ما اعتقد فيه معين أنه حرام كان حراماً، إنما الحرام ما ثبت تحريمه بالكتاب أو السنة أو الإجماع أو قياس مرجح لذلك، وما تنازع فيه العلماء رُدَّ إلى هذه الأصول. ومن الناس من يكون نشأ على مذهب إمام معين أو استفتى فقيهاً معيناً أو سمع حكاية عن بعض الشيوخ فيريد أن يحمل الناس كلهم على مذهبه وهذا غلط. وقال فى موضع آخر: وهذا من البغى وحكى ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله بسنده عن عبد العزيز بن محمد عن أسامة بن زيد قال: سألت القاسم بن محمد عن القراءة خلف الإمام فيما لم يجهر فيه فقال: إن قرأت فلك فى رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أسوة وإذا لم تقرأ فلك

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٣٦٨/٦)، والخطيب البغدادى فى الفقية والمتفقة، باب القول فيمن يسوغ له التقليد، وحسنه لغيره العزازى فى صحيح الفقيه والمتفقه (٤٧٧).

(٢) الفقيه والمتفقة، باب القول فيمن يسوع له التقليد، وحسنه لغيره العزازى فى صحيح الفقيه والمتفقه (٤٧٦).

(٣) الآداب الشرعية (٢١٢/١) م الشاملة.

(٤) شرح مسلم (٢١/٢).

فى رجال من أصحاب رسول الله أسوة[١]. أهـ

وإليك بعض النماذج من أقوال الأئمة المعتبرين وشهادة بعضهم لبعض.

فكان الشافعى كثيراً ما يقول فى أبى حنيفة: "الناسُ فى الفقه عيالٌ على أبى حنيفة"[٢].

أما بين مالك والشافعى رحمهما الله فيقول الإمام الشافعى: "مالك بن أنس معلمى. عنه أخذت العلم وإذا ذكر العلماء فمالك النجم. وما أحدٌ أَمَنّ علىّ من مالك بن أنس.

وكان يقول: "إذا جاءك الحديث من مالك فشد به يديك؛ كان مالك بن أنس إذا شك فى الحديث طرحه كله"[٣].

قصة معروفة بين مالك والشافعى:

كان الشافعى تلميذاً ولم يكن فى صفوف الشيوخ آنذاك حينما سئل مالك عمن اشترى قمرياً[٤] بشرط أن يصيح أبداً فإذا هو يصيح فى بعض اليوم فقال: له الرد (لك أن ترده) فخرج السائل والشافعى ابن خمس عشرة سنة فقال له الشافعى: أيصيح أكثر اليوم أو يسكت أكثر اليوم؟ فقال: بل يصيح أكثر اليوم. ليس له الرد عليك.

فدخل السائل على الإمام مالك وقال: انظر فى أمرى. فقال: ليس لك عندى إلا ما أنبأتك به، فقال: إن بالباب من أصحابك من يقول أنه لا يرد على، فقال: علىَّ به، فأُحضر الشافعى رحمه الله. فقال: أنت تقول إنه ليس له الرد. قال: نعم سمعتك تحدث

---

(١) ينظر مجموع الفتاوى (٢٩/٣١٦)، والأثر أخرجه ابن عبد البر فى الاستذكار (١/٤٧١)، وفى التمهيد (١١/٥٤)، وفى جامع بيان العلم (٢/٨٠). وحسنه الشيخ أبو الأشبال الزهيرى فى تعليقه على جامع بيان العلم (١٦٩٠).

(٢) ينظر تذكرة الحفاظ للذهبى (١/١٦٨)، وسير الأعلام (٦/٤٠٣).

(٣) أخرجهما ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (١/١٤)، وابن عبد البر فى التمهيد (١/٦٣)، والنووى فى تهذيب الأسماء (٣٨٣١٢)، والمزى فى تهذيب الكمال (٢٧/١١٦).

(٤) طائر.



وذكر الإسناد أن النبى ﷺ قال لفاطمة القرشية: **(أبو جهم لا يضع عصاه عن عاتقه، ومعاوية صعلوك لا مال له؛ انكحى أسامة)**[1]، فقال: وإيش فيه ما يدل على ما قلت؟ قال: إنه لا يضع عصاه عن عاتقه. أى كان كثير السفر ويقيمُ فى ما بين ذلك إلا أن الغالب عليه كثرة الضرب فى الأرض. فعبر بالغالب عن جميع أحواله توسعاً ولغة العرب كذلك فقلت: إذا كان صياحه أكثر النهار لا يرد؛ لأنه يعبر به عن الجميع فقال له مسلم بن خالد الزنجى: "أنت! فقد آن لك أن تفتى.."[2] فما أنف مالك رحمه الله أن يرد على هذا التلميذ أو على هذا الطالب مسألته أو أن يمنعه وإنما يقبل منه.. والقصة لا تحتاج إلى مزيد تعليق.

وما بين الشافعى وأحمد معروف كذلك، فعبد الله بن أحمد يقول: "قلت لأبى: أى رجل كان الشافعى؛ فإنى أسمعك تكثر الدعاء له؟ فقال: يا بنى: كان الشافعى رحمه الله كالشمس للدنيا وكالعافية للناس، فانظر هل بهذين من خلف أو عوض"[3]؟

وصالح بن الإمام أحمد قال: "لقينى يحيى بن معين فقال: أما يستحى أبوك مما يفعل؟ فقلت: وما يفعل؟ قال: رأيته مع الشافعى راكباً، وهو راجل آخذ بزمام دابته فقلت لأبى ذلك، فقال: إن لقيته فقل: يقول لك أبى. إذا أردت أن تتفقه فتعال فخذ بركابه من الجانب الآخر"[4].

وكان أحمد رحمه الله يقول: "إذا سئلت فى مسألة لا أعرف فيها خبراً قلت فيها بقول الشافعى؛ لأنه إمام عالم من قريش"[5].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠) من حديث فاطمة بنت قيس رضى الله عنها.

(٢) أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق (٣٤٨/٥١).

(٣) أخرجها الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد (٦٦/٢)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (٣٤٨/٥١)، وابن الجوزى فى صفة الصفوة (٢٥٠/٢)، والمزى فى تهذيب الكمال (٣٧٢/٢٤)، والذهبى فى السير (٤٥/١٠).

(٤) ذكره القاضى عياض فى ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١٣٩/١ الشاملة)، وابن عبد البر فى الانتقاء (صـ ٧٥)، وابن فرحون فى الديباج المذهب (١٢٦/١).

(٥) ذكره بتمامه الذهبى فى السير (٨٢/١٠).

كان ذلك رأى أحمد بن حنبل فى الشافعى ولا غرو فى أن يكون التلميذ معجباً بأستاذه معترفا له بالفضل والعلم ولكن الشافعى نفسه على جلالة قدره لم تمنعه منزلته من أن يثنى على من تتلمذ عليه –كأحمد– بالفضل والعلم بالسنة فيقول له: "أما أنتم فأعلم بالحديث والرجال منى، فإذا كان الحديث صحيحاً فأعلمونى إن يكن كوفياً أو بصرياً أو شامياً، أذهب إليه إن كان صحيحاً"[1].

وكان الشافعى حين يحدث عن أحمد لا يسميه تكريماً له بل يقول: "حدثنا الثقة من أصحابنا وأخبرنا الثقة"[2].

والمقام لا يتسع لإيراد ما حفلت به مدونات أهل العلم فى هذا الشأن لكننى أشرت من مواقفهم إشارات؛ ليتعرف طالب العلم على أدب القوم فيقتدى بهم ويتشبه بهم.

فتشبهوا بهم إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالرجال فلاحُ

لقد اختلف الأئمة فى كثير من الأمور الاجتهادية كما اختلف الصحابة والتابعون من قبلهم وهم جميعاً على الهدى ما دام الاختلاف لم ينجم عن هوى أو شهوة أو رغبة فى الشقاق. فقد كان أحدهم يبذل جهده وما فى وسعه ولا هدف له إلا إصابة الحق، ورضا الله عز وجل، ولذلك فإن أهل العلم فى سائر الأعصار كانوا يقبلون فتاوى المفتين فى المسائل الاجتهادية فيصوبون المصيب، ويستغفرون للمخطئ، ويحسنون الظن بالجميع، ويسلمون بقضاء القضاة على أى مذهب، ويعمل القضاة بما ظهر لهم ولو خالف مذهبهم من غير حرج أو تعصب وبخاصة فى بعض المسائل التى تستعصى.

وسئل شيخ الإسلام ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين فى رجل سئل إيش مذهبك؟ فقال: محمدى، اتبع كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، فقيل له:

---

(١) أخرجه أحمد فى العلل ومعرفة الرجال (١٠٥٥)، والخطيب فى فضل شرف علم الحديث (صـ ٨)، والبيهقى فى المدخل (١٧٣)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (٣٨٥/٥١).

(٢) ينظر مثالاً لا حصرا: مسند الشافعى (صـ ٣٢٣، صـ ٣٥٦، صـ ٣٥٧)، والأم (٢٥٧/١ و٢٦٥)، (٩٢/٢)، (٣٤/٤)، (٣٤٤/٧ و٣٥٦).



ينبغى لكل مؤمن أن يتبع مذهباً ومن لا مذهب له فهو شيطان فقال: إيش كان مذهب أبى بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده رضى الله عنهم؟ فقيل له: لا ينبغى لك إلا أن تتبع مذهباً من هذه المذاهب، فأيهما المصيب؟ أفتونا مأجورين!

فأجاب: الحمد لله. إنما يجب على الناس طاعة الله والرسول، وهؤلاء أولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم فى قوله تعالى: **﴿أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنكُمْ﴾** (النساء: ٥٩) إنما يجب طاعتهم تبعاً لطاعة الله ورسوله لا استقلالا ثم قال: **﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾** (النساء: ٥٩). وإذا نزلت بالمسلم نازلة فإنه يستفتى من اعتقد أنه يفتيه بشرع الله ورسوله من أى مذهب كان. ولا يجب على أحد من المسلمين تقليد شخص بعينه من العلماء فى كل ما يقول. ولا يجب على أحد من المسلمين التزام مذهب شخص معين غير الرسول ﷺ فى كل ما يوجبه ويخبر به، "**بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ**"(١).

واتباع شخص لمذهب شخص بعينه لعجزه عن معرفة الشرع من غير جهته إنما هو مما يسوغ له، ليس هو مما يجب على كل أحد، عليه أن يتقى الله ما استطاع، ويطلب علم ما أمر الله به ورسوله فيفعل المأمور ويترك المحظور والله أعلم. أهـ.(٢)

وقال: وليس على أحد من الناس أن يقلد رجلاً بعينه فى كل ما يأمر به، وينهى عنه، ويستحبه إلا رسول الله ﷺ، وما زال المسلمون يستفتون علماء المسلمين فيقلدون تارة هذا وتارة هذا. فإذا كان المقلد يقلد فى مسألة يراها أصلح فى دينه أو القول بها أرجح أو نحو ذلك، جاز هذا باتفاق جماهير علماء المسلمين.

لم يحرم ذلك [أحد] لا أبو حنيفة ولا مالك ولا الشافعى ولا أحمد. أهـ.(٣)

ويقول شيخ الاسلام: "فلا يجوز لنا أن نعدل عن قولٍ ظهرت حجته بحديث صحيح

---

(١) وثبت هذا من قول الإمام مالك رحمه الله.

(٢) الفتاوى (٢٠٨/٢٠).

(٣) الفتاوى (٣٨١/٢٣).

ووافقه طائفة من أهل العلم إلى قولٍ آخر قاله عالم يجوز أن يكون معه ما يدفع به هذه الحجة وإن كان أعلم؛ إذ تطرقُ الخطأ إلى آراء العلماء أكثرُ من تطرقه إلى الأدلة الشرعية؛ فإن الأدلة الشرعية حجة اللهِ على جميع عباده بخلاف رأى العالم. أهـ.[١]

ويقول رحمه الله تعالى: وكذلك من تبين له فى مسألة من المسائل الحقَّ الذى بعث الله به رسوله ﷺ ثم عدل عنه إلى عادته فهو من أهل الذم والعقاب.

وأما من كان عاجزاً عن معرفة حكم الله ورسوله وقد اتبع فيها من هو من أهل العلم والدين ولم يتبين له أن قول غيره أرجح من قوله فهو محمود يثاب. لا يذم على ذلك ولا يعاقب.

وإن كان قادراً على الاستدلال ومعرفة ما هو الراجح وتوقى بعض المسائل، فعدل عن ذلك إلى التقليد فهذا قد اختلف فى مذهب أحمد المنصوص عنه والذى عليه أصحابه أن هذا آثم أيضاً، وهو مذهب الشافعى وأصحابه وحكى عن محمد بن الحسن وغيره أنه يجوز له التقليد مُطلقاً، وقيل: يجوز تقليد الأعلم. أهـ.[٢]

المسألة الثانية : مبادىء وآداب ينبغى ملاحظتها ومراعاتها عند الاختلاف[٣]:

أولاً : الإخلاص وقصد الحق:

فعند البحث والنظر والمناظرة يجب أن يكون الحق والوصول إليه هو المقصد وأن

---

(١) الفتاوى (٢٠/٢٥٠) وهذه هى رسالة رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

(٢) الفتاوى (٢٠/٢٢٥).

(٣) انظر أدب الخلاف صـ ٤٢-٤٥ باختصار وتصرف وزيادة.

يتجرد طالب العلم لذلك كل التجرد وهذا قد يكون فى النظر سهل الاعتبار والمأخذ، ولكنه عند التطبيق والتدقيق عزيزُ المنال صعبُ المدرك، فكم من الناس يظهر أنه يدعو إلى الحق وهو يدعو إلى نفسه ويريد العلو والانتصار لشخصه أو لشيخه.

ولعل من هذا ما يحمل بعض طلبة العلم أثناء نقاشهم وردودهم إلى التجريح الشخصى واللجوء إلى العبارات المتعلقة بالذات فينال منها تسفيهاً واحتقاراً وتضليلاً فالغلو فى هذا يقود إلى الانتصار للنفس لا للحق لا محالة.

لذا أنصح كل طالب علم أن يلجأ فى نقده إلى النقد العلمى البناء الذى يكون الهدف منه الوصول إلى الحق، ولا يلجأ إلى التجريح الشخصى.

ثانياً : تحاشى الخلاف والاختلاف قدر الإمكان:

ويمكن أن يكون ذلك بعدة أمور:

أولاً: حسن الظن بطلبة العلم وتغليب أخوة الإسلام على كل اعتبار.

ثانياً: حمل ما يصدر منهم أو ينسب إليهم على المحمل الحسن قدر الإمكان.

ثالثاً: إذا صدر مالا يمكن حمله فيعتذر عنهم ولا يعدمُ قاصدُ الخير والحق أن يجد لإخوانه من الأعذار ما يُبقى صدره سليماً ونفسه راضية.

وليعلم أن هذا ليس دعوة إلى القول بسلامتهم من الأخطاء فكلهم خطاءون **والكريم النبيل من اغتفر قليل خطأ المرء فى كثير صوابه.**

ويكفيك فى هذا أن تعلم أنك خطّاء وأنك إذا أخطأت فإنك تستغفر لنفسك ألا تستغفر لأخيك حين يخطىء فتقول كما قال موسى مع أخيه هارون: **﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** (الأعراف: ١٥١).

رابعاً: اتهام النفس واستبقائها عند مواطن الخلاف والنظر وتحاشى الإقدام على تخطئة الآخرين إلا بعد النظر العميق والأناة الطويلة[١].

---

(١) انظر "قواعد لتنزيل أحاديث الفتن على الواقع" فى التمهيد للباب الثانى.

خامساً: رحابة الصدر فى استقبال ما يصلك من انتقاد أو ملاحظات من الإخوان واعتبار ذلك معونة يقدمها المستدرك لك وليس مقصود أخيك العيب أو التجريح.

سادساً: البعد عن مسائل الشغب والفتنة، فقد ذكر الآجرى فى أخلاق العلماء أن العالم إذا سُئل عن مسألة ويعلم أنها من مسائل الشغب ومما يورث بين المسلمين الفتنة استعفى منها وردِ السائل إلى ما هو أولى به وأرفق ويدخل فى ذلك ألا يحدث العالمُ الناسَ حديثاً يكون فيه فتنة وبخاصة الصغار من طلبة العلم. وينبغى للأساتذة والعلماء أن يترفقوا بطلاب العلم وبخاصة صغار طلاب العلم. حتى لو نقل لك تلميذك قولاً لعالم من العلماء مخالفاً لما قلته أو حتى مخالف لما هو راجح عندك عليك أن ترفق بتلميذك. أما إن وجدت لذلك العالم مخرجاً فتنبهه له، فبهذا تعوده وتربيه على حسن الأدب حتى مع المخالفين ولهذا قالوا ويحسن من ذلك ألا يحدث العالم الناس حديثاً يكون فيه فتنة. فيتجنب الخوض فى كل ما يعلم مما لا تدركه عقول من حوله من دقائق العلم وشذوذاته.

وتذكر قول على ابن أبى طالب ﷺ: "ما أنت محدثاً قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم"[(١)] وكذا قول ابن مسعود ﷺ: "حدثوا الناس على قدر ما يعقلون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله"[(٢)].

سابعاً: الالتزام بأدب الإسلام فى انتقاء أطايب الكلام وتجنب الكلمات الجارحة والعبارات اللاذعة ذات اللمز والغمز والتعريض بالسفة والجهل.

إن سوء الأدب فى الجدل والمناظرة يسوغ لأصحابه استحلال أعراض المسلمين ولا سيما العلماء والدعاة فيتحول الاهتمام إلى تتبع الزلات وتلمس العثرات فـَيُتْبـَعُ كثيرٌ من الظن من أجل أن قليلَه كان صواباً.

إن الداعى لمثل هذه الكلمات أن رجالاً أفذاذاً وعلماء أجلاء خدموا هذا الدين وبلغوا فى العلم مبلغاً. جاهدوا فى الله وكافحوا من أجل دينه ذكاء فى العقول وزكاء فى النفوس، أثرُهم فى الناس ظاهر وقدم صدقهم فى نصرة الحق بارز، فهم أهل لكل ثناء، ولكن

---

(١) تقدم تخريجه وهو عند البخارى (١٢٧).

(٢) تقدم تخريجه وهو عند مسلم فى المقدمة.



هذا لا يعنى أنهم معصومون فحقهم ألا نَغلوا فيهم فنبرر أخطاءهم ونعادى من خالفهم، كما أنه لا يسوغ أن نجفوهم فنستحل أعراضهم ونتنكر لجليل أعمالهم ونزدرى جهودهم، فكل عالم يؤخذ من قوله ويترك، وفرق بين نقد عالم من علماء المسلمين له باع فى العلم والدعوة وأثر حسن على الأمة وبين الرد على ملحد متجنٍ أو كافر معرض أو متشرد حاقد. أهـ.

المبحث السادس - سبيل الوقاية من فتنة التفرق والاختلاف[1]:

لا شك أن توقى الافتراق وسد ذرائعة قبل وقوعه خير من علاجه بعد وقوعه. وينبغى أن نعرف أن توقى الافتراق يكون بتوقى أسبابه التى مضت[2]، وهناك أمور أخرى تكون سبباً للوقاية من الافتراق وهى عامة وخاصة: فمن الأسباب العامة:

الاعتصام بالكتاب والسنة، وهذه قاعدة كبرى لابد أن يندرج تحتها توصيات وأمور كثيرة، وهى الأسباب الخاصة وهى:

الأول: معرفة هدى النبى ﷺ والتمسك به، ومن فعل هذا سيهتدى إن شاء الله ويكون من دينه على بصيرة، ومن ثم يبتعد عن الافتراق أو النزوع إلى الفرقة أو الوقوع فيها وهو لا يشعر. قال تعالى: ﴿**وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**﴾ (النور: ٥٤).

الثانى: السير على نهج السلف الصالح، الصحابة والتابعين وأئمة الدين أهل السنة والجماعة[3].

هذا وقد أوصى ﷺ أمته بالسير على نهج السلف الصالح من بعده فقال: **(اقتدوا باللذين من بعدى من أصحابى أبى بكر وعمر، واهتدوا بهدى عمَّار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود)**[4]، فاقتفاء هدى الرسول ﷺ والصحابة ومن تبعهم بإحسان من الأسباب الواقية

---

(١) انظر الفتن فى ضوء الكتاب والسنة، فتنة التفرق والاختلاف صـ ٢١٥-٢١٨.

(٢) راجع اسباب الخلاف فى المبحث الرابع من هذا الفصل.

(٣) انظر الافتراق صـ ٦٢.

(٤) أخرجه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه الترمذى (٣٨٠٥)، وأخرجه من حديث حذيفة رضي الله عنه الطبرانى فى

من فتنة التفرق والاختلاف.

ومن الجدير بالذكر أن الصفة الجامعة لأوصاف هذه الطائفة أن يكونوا مثل الصحابة رضى الله عنهم لحديث النبى ﷺ: **(من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)**[١]، وقد وردت أوصافهم فى بعض الأحاديث عن النبى ﷺ ومن هذه الأوصاف:

١. أنهم على الحق ظاهرين.

٢. وأنهم قائمون بأمر الله.

٣. وأنهم ظاهرون إلى يوم القيامة.

فهذه الطائفة لها أوصاف وسمات نزل بها الكتاب ونطقت بها السنة وأساس هذه السمات:

١. الاعتقاد الصحيح فى الله وما يجب له وأسمائه وصفاته والإيمان بملائكتة وكتبه ورسله واليوم الآخر وما أعده الله للمتقين وما أعده للمنافقين والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره وباقى الصفات فرع منها ومترتبة عليها وعلى تحقيقها.

ثم تنبثق صفات أخرى:

٢. اتفاقهم على أمور العقيدة وعدم اختلافهم فيها أبداً[٢] مع اختلاف الزمان والمكان.

٣. اقتصارهم على الكتاب والسنة فى التعرف على الحق.

٤. أنهم المجددون لهذه الأمة.

=

الأوسط (٥٥٠٣ و٥٨٤٠)، والحاكم (٤٤٥١ و٤٤٥٥)، وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٢٣٣)، وصحيح الجامع (١١٤٢ و١١٤٣ و١١٤٤).

(١) تقدم تخريجه وهو صحيح.

(٢) ويحمل كلام الشيخ على أمور العقيدة التى أدلتها قطعية الثبوت أو الدلالة، وإلا فقد اختلفوا فى بعض أمور العقيدة التى أدلتها غير قطعية الدلالة كمسألة رؤية النبى ﷺ ربه ليلة الإسراء، وإثبات الشمال لله عز وجل. راجع أنواع الاختلاف.

٥.وسطيتهم بين فرق وطوائف الأمة.

٦.طلبهم للعلم واشتغالهم به.

٧.لزومهم السنة وعملهم بها.

٨.تميزهم بخصائص سلوكية وأخلاقية تمثل تراثاً مضيئاً لهم.

٩.أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

١٠.ثباتهم على الحق.

١١.لا يحصرهم تحزب.

١٢.ولاؤهم للكتاب والسنة.

١٣.تورعهم عن الفتوى.

١٤.حرصهم الشديد على تأليف القلوب واجتماع الكلمة.

١٥.حكمهم على الناس بالعدل ولأهمية هذه الصفة نفرد لها مبحثاً خاصاً، هو المبحث القادم إن شاء الله.

الثالث: التفقه فى الدين بأخذه عن العلماء وبطريقته الصحيحة بمنهج أهل العلم.

الرابع: الالتفاف حول علماء الأمة، الأئمة المهتدين الذين تثق الأمة بدينهم وعلمهم وأمانتهم، وهم بحمد الله كثيرون، ولا يمكن أن تفقدهم الأمة، ومن زعم أنهم يفقدون، فقد زعم أن الدين ينتهى، وهذا لا يصح؛ لأن الله تكفل بحفظه إلى قيام الساعة، ولأن الأمة إنما تمثل بعلمائها، وأهل السنة والجماعة لابد ظاهرون إلى قيام الساعة، وإنما يمثلهم أهل العلم والفقه فى الدين، فمن ادعى فى يوم من الأيام أنه يمكن أن يكون هناك فقد لأهل العلم، أو لا يوجد القدوة من العلماء تهتدى بهم الأمة فقد زعم أنه ليست هناك طائفة منصورة ولا فرقة ناجية، وأن الحق ينقطع ويعمى عن الناس، وهذا يخالف قطعيات

النصوص وبدهيات الدين[١].

إن الالتفات حول العلماء -أئمة أهل السنة والجماعة فى وقتهم- عامل معين على عدم الزيغ والانحراف فى وقت الفتن، وعامل وسبيل من سبل الوقاية من فتنة التفرق والاختلاف، وكيف لا؟ وهم أنصار شرع الله والذين يبينون للناس الحق من الباطل، والهدى من الضلال، ولذلك قال النبى ﷺ: **(إن من الناس ناساً مفاتيح للخير، مغاليق للشر...)**[٢].

فلابد من الالتفاف حولهم بحضور حِلَقِهِم العلمية وزيارتهم زيارات دورية حتى لا تنقطع علاقاتنا بهم، وحتى لا يجد أعداء الإسلام فجوة يستطيعون الدخول عن طريقها للنخر فى الإسلام، وقد حدث فى التاريخ الإسلامى فتن ثبت الله فيها المسلمين بعلمائهم، ومن ذلك **ما قاله على بن المدينى** رحمه الله: " أعز الله الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة "[٣].

ومن ذلك: **ما ذكره ابن القيم رحمه الله** من التفافه حول عالمه وشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إبان الفتن حيث قال: "وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كلُّه عنا"[٤].

الخامس: الحذر من التعالى على العلماء، أو الشذوذ عنهم بأى نوع من أنواع الشذوذ التى تؤدى إلى الفتنة أو المفارقة[٥].

السادس: ضرورة معالجة مظاهر الفرقة خاصة عند بعض الأحداث أو المتعجلين والذين تخفى عليهم الحكمة فى الدعوة، وينقصهم الفقه فى الدين والتجارب.

---

(١) "الافتراق" صـ ٦٣-٦٥.

(٢) رواه ابن ماجة (٢٣٧)، وابن أبى عاصم فى السنة (٢٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه: (٤٦/١)، وينظر الصحيحة له: (١٣٣٢). وصحيح الجامع (٢٢٢٣).

(٣) ذكرها الذهبى فى السير فى ترجمة الإمام أحمد (١٩٦/١١).

(٤) الوابل الصيب (صـ ٩٧)، العواصم من الفتن (صـ ٢٧).

(٥) راجع رسالة: "لحوم العلماء مسمومة" لناصر العمر.



السابع: الحرص على الجماعة والاجتماع والإصلاح بمعانيها العامة وبأصولها، إذ لابد أن يحرص كل مسلم وكل طالب علم بالأخص وكل داعية بشكل أخص، على الجماعة والاجتماع والإصلاح بين الدعاة وأهل الخير، وعلى جمع الكلمة على البر والتقوى.

الثـامن: تجنب الجزئيات وإن كانت فى الدعوة وكذلك العصبيات أياً كان نوعها ومصدرها؛ لأنها بذور للفرقة.

التاسع: إقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على فقه وبصيرة(١).

المبحث السابع - منهج أهل السنة والجماعة فى الحكم على الناس ونقد الرجال ومؤلفاتهم ومعالجة الخطأ:

إن من معجزات نبينا ﷺ أنه أخبر عن مستقبل هذه الأمة حتى قيام الساعة.

وأخبر أنه لا تزال طائفة من هذه الأمة ظاهرةً منتصرةً لا يضُرُّها من ناصبها العداء حتى يأتيها أمر الله تعالى وهى على ذلك، قال رسول الله ﷺ: **(لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم خذلانُ من خذلهم حتى تقوم الساعة)**(٢).

---

(١) ومن فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

أولاً : أن تعلم ما هو معروف وما هو منكر، ولاسيما إن كان الأمر مستنداً لأدلة ظاهرة قطعية.

ثانيًا : أن تعرف الوسيلة المناسبة لتغيير هذا المنكر.

ثالثًا : ألا يؤدى تغيير المنكر لمنكر أكبر منه.

رابعًا : ألا يؤدى تغيير المنكر إلى مفسدة عظيمة.

خامسًا: أن تصبر على ما سيلحقك من أذى عند تغيير المنكر، وإن لم تكن تستطيع الصبر فالأولى فى حقك أن تسكت.

سادسًا : أن تراعى حال من تأمرهم وتنهاهم فليس العاصى كالطائع، وليس المعاند والجاهل سواء، وليس المُقبل كالمعرض، فلكل مقام مقال.

سابعًا : لزوم الأدب وحسن العبارة.

(٢) أخرجه الترمذى (٢١٩٢)، وابن ماجة (٦) من حديث قرة بن إياس ﷺ قال الألبانى: صحيح وانظر

فمعرفة هذه الطائفة ومعرفة أصولها وصفاتها من أهم المهمات بل من أوجب الواجبات[١].

وهذا الأمر ليس من السهولة بمكان كيف لا ونحن نجد الشاطبى[٢] رحمه الله تعالى يقول "والحاصل أن تعيين الفرقه الناجيه فى مثل زماننا صعب"[٣].

وإذا كان تعيين الفرقة الناجية فى زمان الشاطبى فى القرن الثامن الهجرى أمرٌ صعب، ونحن الآن فى القرن الخامس عشر ففى زماننا أصعب.

ومن العجيب أن الشاطبى رحمه الله تعالى ما ألف هذا الكتاب إلا لهذا السبب. فيقول: "ومع ذلك فلابد من النظر فيه وهو نكتة هذا الكتاب"[٤].

فإذا كان تعيين الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة أمرٌ عسير؛ فإنه من اليسير التعرف على سمات هذه الطائفة المنصورة.

ومن أهم سمات هذه الطائفة الحكم على الناس بالعدل وفى حكمهم على الناس بالعدل يأتى منهجهم فى نقد الرجال ومؤلفاتهم ومعالجة الخطأ.

وللعدل أهمية كبيرة فى شرعنا الحنيف، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** (المائدة: ٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى: "وأمور الناس إنما تستقيم فى الدنيا مع العدل".

= ________________

السلسلة الصحيحة (١٩٦٢)، وصحيح الجامع (٧٢٩٢).

(١) راجع صفات الفرقة الناجية فى آخر المبحث السابق (سبيل الوقاية من فتنة التفرق والاختلاف).

(٢) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الغرناطى، الشهير بالشاطبى أصولى حافظ من أهل غرناطة وكان من أئمة المالكية. له عدة مؤلفات منها: الاعتصام، والموافقات، المقاصد الشافية فى شرح خلاصة الكافية، توفى رحمه الله سنة ٧٩٠هـ-١٣٨٨م.

(٣) انظر الاعتصام للشاطبى ٢/٢٥٥ ط. المكتبة التجارية.

(٤) انظر الاعتصام للشاطبى ٢/٢٥٥.

ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وان كانت مسلمة[١].

ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والاسلام.

وذلك لأن العدل نظام كل شيء فإذا إقيم أمر الدنيا بالعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها فى الدين من خلاق[٢]. أهـ

وفى هذا العصر الذى عز فيه العدلُ والإنصافُ يحتاج المسلم للرجوع إلى فهم السلف الصالح ليزن الأمورَ كلها بالميزان القسط.

ومعلومٌ أنّ الانسانَ قد يتغاضى عن أخطاء من يحب وفى المقابل تراه إذا أبغض أحداً لهوىً فى نفسه أو تقليداً لغيره جرده من جميع فضائله ولم ينظر إلا إلى سيئاته وزلاته.

وليس هذا الاضطراب فى تقويم الرجال فحسب بل تعداه أيضاً إلى عالم الكتب.

فبعضهم إذا رأى خللاً فى كتاب، رماه جميعاً وضرب به عرض الحائط.

وكما قيل:

فعين الرضا عن كل عيبٍ كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا[٣]

---

(١) ومما يدل على صدق هذه الدعوى ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن المستورد القرشى أنه قال عند عمرو بن العاص: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(تقوم الساعة والروم أكثر الناس)** فقال له عمرو: أبصر ما تقول. قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالاً أربع: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقةً عند مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنةٌ جميلةٌ: وأمنعهم من ظلم الملوك" أخرجه مسلم (٢٨٩٨).
والشاهد فيه: الخصلة الخامسة: وأمنعهم من ظلم الملوك فسبب قيام دولتهم أنها تقوم على العدل فملوكهم لا يظلمونهم أبداً. وانظر –مثلاً– للدولة الأموية أوالعباسية أو المماليك فى مصر لما كثر ظلم أمرائهم للعباد بادت ممالكهم وذهبت فتأمل.

(٢) ينظر: الاستقامة (٢/٢٤٦)، ومجموع الفتاوى (١٤٦/٢٨).

(٣) البيت ينسب للإمام الشافعى رحمه الله وهو فى ديوانه ص١٩ وبعده:
ولست بهياب لمن لا يهابني ولست أرى للمرء مالا يرى ليا



ولم يقف هذا الخلل الفكرى عند هذا الحد فحسب بل تعداه إلى ما هو أعظم منه من التنازع والتقاطع بل والبغى أيضاً.

لقد أكلت منا الفتنُ الشىءَ الكثير واستعرت نيرانُ العداوات بين أبناء الحركة الإسلامية المعاصرة كلُ ذلك بسبب الجهل الشديد بمنهج الرعيل الأول رضى الله عنهم أجمعين علماً وعملاً ومن ذلك عدمُ معرفة منهجهم فى تقويم الرجال ومؤلفاتهم.

إنَّ التشنج والانفعال لا يؤصل فكراً ولا يبنى رجالاً، كما أنَّ السباب والشتائم لا ترد باطلاً ولا تنصر حقاً. ولا يعنى ذلك السكوتُ عن أخطاء الناس وكتاباتهم، بل إنَّ طرح الدراسات النقدية للأبحاث التقويمية يُثرى الحركة العلمية ويوسع الآفاق البحثية ويصحح مسار الأمة، ولكن بشرط أن يحاط ذلك بسياج من الأدب والتثبت والعدل بعيداً عن القيل والقال والانفعال والمهاترات.

وهذا مرتقىً صعبٌ لا يصلُ إليه إلا الخلَّصُ من الرجال الأبرار الذين أنعم الله عليهم بصفاء القلب وحسن القصد.

ويقول ابن تيمية –رحمه الله–: "وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمةٌ والفرقة عذاب"(١).

نأتى إلى بيت القصيد وهو تحديد أصول منهج أهل السنة فى تقويم الرجال ومؤلفاتهم، **من هذه الأصول:**

أولاً : حفظ اللسان والتثبت من أقوال الرجال "ورع اللسان":

يتجرأ الإنسانُ فى بعض الأحيان فيطلق الأحكام جزافاً دون تورع أو تثبتٍ فيقول:

=

فإن تدنُ منى، تدن منك مودتي وإن تنأ عنى، تلقنى عنك نائيا

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

ومعنى البيت المذكور: أن الإنسان إذا رضى عن آخر لم تر عينه أى عيب فيه، أما إذا سخط فعينه لا ترى إلا العيوب.

(١) الوصية الكبرى (صـ ٥٢)، ومجموع الفتاوى (٤٢١/٣).



(فلان ضال – فلان مبتدع)، ويخطىء ويصوب قبل أن يستوعب الأمر، ويجمع أطرافه، ويدرسه من جميع جوانبه. ولهذا يغلب على حكمه الجورُ وعدمُ القسط.

وحينما تتفلتُ الألسنُ من قيودها الشرعيه والعقلية فإنها سوف تتبارى فى الوقوع فى أعراض المسلمين وتجلبُ العداوة والبغضاء بين الأحباب.

ولو تأمل الإنسان ما ورد فى مثل هذا من النصوص لتردد كثيراً قبل أن يسلَّ لسانه ويرمى به هنا وهناك.

ولا بأس من أن نذكر بعض هذه النصوص التى تؤكد أن الكلمة التى تخرج من الإنسان ولا يبالى بها قد يندم بسببها يوم لقاء الله إلا أن يرحمك الله.

قال تعالى: **﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** (ق: ١٨).

وفى حديث معاذ ﷺ قال: (قلت: يا رسول الله! أخبرنى بعمل يُدخلُنى الجنة ويباعدُنى من النار، قال: **لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبُد الله لا تشركُ به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصومُ رمضان، وتحج البيت** ثم قال: **ألا أدُلك على أبواب الخير؟ الصومُ جنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماءُ النار، وصلاة الرجل من جوف الليل**، ثم تلا: **﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ... حتى بلغ ....يَعْمَلُون﴾** (السجدة: ١٦) ثم قال: **ألا أخبرُك برأس الأمر وعموده وذِرْوةِ سنامه؟** قلت: بلى يا رسول الله، قال: **رأس الأمر الإسلامُ، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهادُ.** ثم قال: **ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟** قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، قال: **كفَّ عليك هذا**، قلت: يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: **ثكلتك أُمك يا معاذ! وهل يكبُّ الناس فى النار على وجوههم أو مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم؟!)**[(١)].

ومن أجل ذلك جعل النبى ﷺ ضمانه دخول الجنة بضمان اللسان، قال رسول الله

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠٦٩ و٢٢١٢١)، والترمذى (٢٦١٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجة (٣٩٧٣)، والنسائى فى الكبرى (١١٣٩٤)، وقال الألبانى فى الإرواء (٤٣١): إسناده صحيح.



ﷺ: **(من يضمنْ لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمنْ له الجنة)**[1].

ثانياً : من لوازم العدل "التثبت من الأمر قبل الحكم":

قال تعالى: **﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾** (الإسراء: ٣٦).

وفى تفسير ابن كثير[2]: قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أى: "لا تقل ما ليس لك به علم"، وقال العوفى: لا ترم أحداً بما ليس لك به علم.

وقال قتادة: لا تقل رأيتُ ولم تر، وسمعتُ ولم تسمع، وعلمتُ ولم تعلم؛ فإن الله تعالى سائلك عن هذا كله.

وفى الحديث: قال رسول الله ﷺ: **(إياكم والظن، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث)**[3].

قال رسول الله ﷺ: **(بئس مطية الرجل زعموا)**[4].

قال رسول الله ﷺ: **(إن من أفرى الفِرَى أن يُرِى الرجل عينيه ما لم تريا)**[5]. أهـ.

---

(١) أخرجه البخارى (٦٤٧٤) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) انظر تفسير ابن كثير تفسير سورة الإسراء الآيه رقم ٣٦.

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخارى (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

قال النووى رحمه الله: المراد النهى عن ظن السوء، قال الخطابى: هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس فى النفس، فإن ذلك لا يملك، قال النووى: ومراد الخطابى: أن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه ويستقر فى قلبه دون ما يعرض فى القلب ولا يستقر، فإن هذا لا يستقر. أهـ. شرح النووى لمسلم (١٠١/١٦).

(٤) أخرجه من حيث حذيفة رضي الله عنه أحمد (٢٣٤٥١)، وأبو داود (٤٩٦٤)، وقال الألبانى فى الصحيحة (٨٦٦٩) وفى صحيح الجامع (٢٨٤٦): صحيح.

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب التعبير باب "من كذب فى حلمه" (٧٠٤٣)، ورواه أحمد (٥٩٩٨) بلفظ: "... وأفرى الفِرى من أرى عينيه فى النوم ما لم تريا"، من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

قوله: "أفرى الفري": أفرِى: أفعل تفضيل أى: أعظم الكذبات والفِرَى: بكسر الفاء والقصر جمع فرية. قال ابن بطال: الفرية الكذبة العظيمة التى يتعجب منها. أهـ. والحديث خاص برؤيا المنام كما



وقال فى الظلال عند تفسير قوله تعالى ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ...**﴾ الآية:

فالتثبت من كل خبر، ومن كلِّ ظاهرة، ومن كل حركة قبل الحكم عليها، هو دعوة القرآن الكريم ومنهج الإسلام الدقيق.

ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة فى عالم العقيدة، ولم يبق مجال للظن والشبهة فى عالم الحكم والقضاء والتعامل، ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية فى عالم البحوث والتجارب والعلوم.

ثم يقول: فالأمانة العلمية التى يشيد بها الناس فى العصر الحديث ليست سوى طرفٍ من الأمانة العقلية القلبية التى يعلن القرآن عن تبعيتها الكبرى.

ويجعل الإنسان مسئولاً عن سمعه وبصره وفؤاده أمام واهب السمع والبصر والفؤاد.

إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب، أمانة" يسأل عنها صاحبُها وتسأل عنها الجوارح والعقل والقلب جميعاً. ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (النور: ٢٤). ﴿**وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ...**﴾ (فصلت: ٢١).

أمانة يرتعش لها الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق الإنسان بكلمة، وكلما روى الإنسان رواية وكلما أصدر حُكماً على شخص أو أمر أو حادثة[١]. أهـ.

وقد أشار ابن القيم رحمه الله تعالى إلى فائدة عجيبة قل من ينتبه إليها حيث قال: "ومن العجب ! أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك ويصعُب عليه التحفظُ من حركة لسانه. حتى يُرى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقى لها بالاً ينزل بها أبعد مما بين المشرق والمغرب. وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفرى فى أعراض الأحياء والأموات لا يبالى ما يقول"[٢]. أهـ.

=

توضحه رواية أحمد وتبويب البخارى.

(١) انظر فى ظلال القرآن للاستاذ سيد قطب رحمه الله (٤/٢٢٢٧).

(٢) انظر الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى "المشهور باسم: الداء والدواء" (صـ ١٦١).



قال ابن ناصر الدين[1]: لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك منتقصيهم معلومة، ومن وقع فيهم بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب"[2].

قال أحد الحكماء:

يموتُ الفتى من عثرةٍ بلسانهِ	وليس يموتُ من عثرةِ الرِّجلِ
فعثرتُه مِن فِيه ترمي برأسهِ	وعثرتُه في الرِّجل تبرا على مَهلِ[3]

ثالثاً : التجردُ في القول والعمل وسلامة القصد وبيانُ أن الهوى من أسباب الظلم:

وهذا أصل مهم في تقويم الرجال، وأعمالهم، قال تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ...**﴾ (ص: ٢٦).

فالهوى من النوازع الخفية التي تتسلل إلى قلب المرء من حيث لا يشعر، فهو باب عريض من أبواب الضلال يختم على صدر الإنسان.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وصاحب الهوى يُعميه الهوى ويُصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله ولا يغضب لغضب الله ورسوله،

---

(١) وراجع رسالة "لحوم العلماء مسمومة" لناصر بن سليمان العمر.

(٢) هذا القول منسوب لابن عساكر رحمه الله ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمي الكبيرة: ٥٦، بدائع السالك لابن الأزرق (١/٩٢ الشاملة).

(٣) البيتان من الطويل وهما للزبير بن بكار في معجم الشيوخ (١/٢٣٠)، وتاريخ بغداد (٢/١٢٥)، وتاريخ دمشق (١٨/٣١٧)، وليعقوب بن السكيت في تاريخ دمشق (١٨/٣١٨)، وسير الأعلام (١٢/١٩).



بل يرضى ويغضب لهواه"[١].

وكان السلف يقولون: "احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه"[٢].

قال ابن ناصر الدين الدمشقى: هيهات إن فى مجال الكلام فى الرجال عقبات مرتقيها على خطر، ومرتقيها هوى لا منجى له من الإثم ولا وزر، فلو حاسب نفسه الرامى أخاه: ما السبب الذى هاج ذلك؟ لتحقق أنه الهوى الذى صاحبه هالك[٣].

رابعاً : معرفة الرجال بالحق لا معرفة الحق بالرجال:

يقول أحمد بن عبد الرحمن الصُويان: ولا أظن أنى مبالغ إذا قلت: إن كثيراً من النزاعات والخلافات التى تحدث بين العلماء وطلبة العلم والدعاة قديماً وحديثاً ومن ثم الاضطراب فى تقويم الرجال والمؤلفات سببه الرئيس هو التعصب لأقوال الرجال ومعرفة الحق بأقوالهم.

يقول ابن القيم: "اتخاذ أقوال رجل بعينه بمنزلة نصوص الشارع لا يُلتفت إلى قول من سواه بل ولا إلى نصوص الشارع إلا إذا وافقت نصوص قوله فهذا والله هو الذى أجمعت الأمة على أنه محرم فى دين الله، ولم يظهر فى الأمة إلا بعد إنقراض القرون الفاضلة"[٤].

قال ابن مسعود: "ألا لا يقلدن أحدُكم دينه رجلاً إن آمنَ آمن، وإن كفر كفر؛ فإنه لا أسوة فى الشر"[٥].

---

(١) منهاج السنة (١٧٦/٥).
(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (صـ ٢٥)، وإغاثة اللهفان (١٦٦/٢)، وإعلام الموقعين (١٣٦/١).
(٣) "الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية كافر" (صـ ١٣).
(٤) إعلام الموقعين (٢٣٦/٢).
(٥) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم (٢٢٩/٢)، وأخرجه ولكن بلفظ: "لا يقلدن أحدكم دينه رجلا إن آمن آمن، وإن كفر كفر، وإن كنتم لابد مقتدين فاقتدوا بالميت فإن الحى لا تؤمن عليه



قال سفيان بن عينية: "اضطجع ربيعةً مقنعاً رأسه وبكى! فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: رياءٌ ظاهرٌ وشهوةٌ خفيةٌ.

والناس عند علمائهم كالصبيان فى حجور أمهاتهم ما نهوهم عنه انتهوا وما أمروهم به ائتمروا"[١].

قال الإمام أحمد: "لا تقلد دينك الرجال؛ فإنهم لن يسلموا من أن يغلطوا"[٢].

ورحم الله أبا حامد الغزالى إذ يقول: "وهذه عادةُ ضعفاءِ العقول: يعرفون الحقَّ بالرجال، لا الرجال بالحق"[٣]. أهـ.

وقد ضرب القرآن لنا فى هذا أمثلةً عظيمة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد:

المثال الأول: ما قاله أهل مكة لما نزل القرآن على النبى ﷺ: **﴿لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾** (الزخرف: ٣١-٣٢). فذمهم الله تعالى، لأنهم نظروا إلى القائل ولم ينظروا إلى القول.

والمثال الثانى: ما قالته الجن لما سمعوا القرآن: **﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِى وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى﴾** (الأحقاف: ٢٩). **﴿قُلْ أُوحِى إِلَى أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾** (الجن: ١). فنظروا إلى القول ولم =

الفتنة" الطبرانى فى الكبير (٨٧٦٤)، واللالكائى فى الاعتقاد (١٣٠)، وأبو نعيم فى الحلية (١٣٦/١)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٨٠/١): رجاله رجال الصحيح.

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٥٩/٣)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم (٢٢٩/٢)، وقال أبو الأشبال: إسناده حسن.

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٢١٥/٦)، (٢١٢/٢٠)، والفتاوى الكبرى (٣٤٠/٦).

(٣) قال فى الإحياء (٢٣/١): "... فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار فى متاهات الضلال، فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكاً طريق الحق".

وقال فى (٥٣/١): "وقال على رضي الله عنه: لا تعرف الحق بالرجال؛ اعرف الحق تعرف أهله" ونسبه لعلىٍ المناوىُّ فى الفيض (٢١٠/١) و(١٧/٤)، والقاسمى فى قواعد التحديث (٢٩١/١) و(٣٥٧/١).



ينظروا إلى القائل. فعرفوا الرجال بالحق لا الحق بالرجال.

فليت الناس يفهمون هذا المعنى جيداً، فكثير منهم إن جاءهم القول من كبير قبلوه ولو كان خطأ، ولو جاءهم من صغير ردوه ولو كان صواباً ! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

خامساً : كل بنى آدم خطاء :

قال رسول الله ﷺ: **(كلُّ بنى آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)**[1].

فالخطأ صفةٌ لازمةٌ لا ينجو منها أحدٌ من البشر ما عدا الأنبياء المعصومين عليهم الصلاة والسلام ولو نجا منها أحدٌ من الناس لنجا منها الصحابة الكرام.

وبعض المبتدعة يرى أن الخطأ والإثم متلازمان.

ولكن أهل السنة والجماعة يرون بأن المجتهد المخطىء مأجور غير مأزور لعموم قوله ﷺ: **(إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجرٌ)**[2].

يقول ابن تيمية: "... فأما الصديقون والشهداء والصالحون فليسوا بمعصومين، وهذا فى الذنوب المحققه وأما ما اجتهدوا فيه: فتارة يصيبون، وتارة يخطئون، فإذا اجتهدوا وأصابوا فلهم أجران. وإذا اجتهدوا وأخطأوا فلهم أجر على اجتهادهم. وخطؤهم مغفور لهم. وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين"[3]. أهـ.

وقال ابن أبى العز الحنفى: "والقول قد يكون مخالفاً للنص وقائله معذور، فإن المخالفة بتأويل لم يسلم منها أحدٌ من أهل العلم وذلك التأويل وإن كان فاسداً فصاحبه

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٩٩)، وابن ماجة (٤٢٥١) من حديث أنس رضي الله عنه. وقال الترمذى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث على بن مسعده عن قتادة عن أنس.
قال المباركفورى: على بن مسعدة الباهلى صدوق له أوهام.
قال المناوى: وقال الحاكم: صحيح، فقال الذهبى: فيه لين. أهـ، تحفة الأحوذى (٦/٣٧٠). وقال الألبانى: حسن، انظر صحيح الجامع (٤٥١٥).

(٢) تقدم تخريجه، وهو متفق عليه.

(٣) انظر: الفتاوى (٣٥/٦٩).



مغفورٌ له؛ لحصوله عن اجتهاده.

فمخالفة النص إن كانت عن قصد فهى كفر، وإن كانت عن اجتهاد فهى من الخطأ المغفور"[١]. أهـ.

ورحم الله ابن الأثير الجزرى إذ يقول: "إنما السيد من عدت سقطاته، وأخذت غلطاته، فهى الدنيا لا يكمل فيها شىء"[٢].

وابن القيم إذ يقول: "وكيف يُعصم من الخطأ من خُلق ظلوماً جهولاً؟ ولكن من عُدت غلطاته أقرب إلى الصواب ممن عُدت إصابته"[٣].

"وقد قيل: كفى بالمرء نُبلاً أن تُعَدَّ معايبهُ"[٤].

سادساً : الموازنة بين الإيجابيات والسلبيات (العدل فى النقد ومعالجة الخطأ):

والموازنة بين الإيجابيات والسلبيات هو الميزان العدل، فمن كان خطؤه قليلاً غُمر فى حسناته.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً كان يشرب الخمر، وكان كثيراً ما يؤتى به إلى النبى ﷺ حتى جُلد مرات، وفى مرة لعنه عمر فقال النبى ﷺ: **(لا تلعنوه، فوالله ما علمت [إلا] أنه يحب الله ورسوله)**[٥].

فهذا الصحابى الجليل رضى الله تعالى عنه زلت قدمه وتكرر فيه شرب الخمر ولكن هذا لا يعنى أنه فاسد بالكلية بل إن فيه من الصفات الحميدة الأخرى ما توجب محبته وموالاته.

---

(١) انظر: الاتباع صـ ٢٩.

(٢) انظر اللباب فى تهذيب الأنساب (٩/١).

(٣) انظر مدارج السالكين (٥٢٢/٣).

(٤) البيت بتمامه: ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلها كفى بالمرء نبلاً أن تُعد معايبه
وهو ليزيد بن محمد المهلبى المتوفى سنة ٢٥٩هـ، كما فى خزانة الأدب (٤٥٦/١).

(٥) أخرجه البخارى (٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.



فيعرف للمحسن إحسانه وللمسىء إساءته إتماماً للعدل والإنصاف.

ولا يجوز بحال أن يغلَّب جانب النظر إلى المعصية دون النظر إلى بقية الحسنات والفضائل. وهذا هو الحد الفاصل بين أهل السنة والخوارج وذلك حسبما رسمه لنا رسول الله ﷺ وما أكثر المواقف العادلة فى سيرته ﷺ بل إن سيرته ﷺ كلها عدلٌ.

ونكتفى هنا بموقف واحد ألا وهو موقفه من صنيع حاطب بن أبى بلتعة رضي الله عنه عند فتح مكة.

ويحسن أن نذكر القصة بتمامها ليتضح لنا ذلك القسطاس المستقيم الذى انتهجه الرسول ﷺ فى معالجة هذا الخطأ رغم شناعته وخطورته.

روى البخارى عن على رضي الله عنه قال: (بعثنى رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير –وكلنا فارس– قال: **انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها امرأة من المشركين معها كتابٌ من حاطب بن أبى بلتعه إلى المشركين.** فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا: الكتاب! فقالت: ما معنا من كتاب فأنخناها فالتمسنا فلم نرى كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد، أهوت إلى حُجزتها –وهى محتجزة بكساء– فأخرجته. فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ. فقال عمر: يا رسول الله! قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعنى فلأضرب عنقه. فقال النبى ﷺ: **ما حملك على ما صنعت؟** قال حاطب: والله يا رسول! ما بى أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله ﷺ ولكن أردت أن تكون لى عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلى ومالى، وليس أحدٌ من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال ﷺ: **صدق ولا تقولوا له إلا خيراً.** فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعنى فلأضرب عنقه فقال ﷺ: **أليس من أهل بدر؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم.** فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم)[1].

مراحل العلاج المستخلصة من القصة:

---

(١) أخرجه البخارى (٣٩٨٣ و٤٢٧٤).

وقوله (حُجزتها) الحجزة: الإزار، أى: فأهوت إلى إزارها فأخرجته.



١. مرحلة التثبت من وقوع الخطأ.

٢.مرحلة التثبت من الأسباب التى دفعت إلى ارتكاب الخطأ.

٣.جمع الحسنات والأعمال الخيرية لمرتكب الخطأ وحشدها إلى جانب خطئه، فقد ينغمر هذا الخطأ أو هذه السيئة فى بحر حسناته **(وإذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث)**[١].

ومن هنا استنبط أهل العلم هذه القاعدة: **من كثرت حسناته وعظمت وكان له فى الإسلام تأثير ظاهر فإنه يحتمل له مالا يحتمل لغيره ويعفى عنه مالا يعفى عن غيره.**

فإن المعصية خبث والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث.

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد   جاءت محاسنه بألف شفيع[٢].

والله سبحانه يوازن يوم القيامه بين حسنات العبد وسيئاته. قال تعالى: **﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾** (الأنبياء: ٤٧).

قال سعيد بن المسيب: "ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل إلا وفيه عيب ولكن من الناس من لا ينبغى أن تُذكر عيوبه. فمن كان فضله أكثر من نقصه: وُهب نقصه لفضله"[٣].

وقال محمد بن سيرين. "ظلمٌ لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم وتكتم خيره"[٤] وفى

---

(١) أخرجه أحمد (٥٥٨٥)، وأبو داود (٦٣)، والترمذى (٦٧)، والنسائى (٥٢)، وابن ماجة (٥١٨) من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما. والحديث أعله ابن عبد البر فى التمهيد، وابن القيم فى تهذيب السنن، وصححه جماعة، وانظر تعليق الألبانى عليه فى تعليقه على أبى داود.

(٢) البيت من الكامل، وهو لمحمد بن أحمد المنقرى التكريتى المتوفى سنة ٥٩٩هـ ينظر: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (٨/١).

(٣) انظر الكفاية فى علم الرواية للبغدادى صـ ٧٩، وصفة الصفوة، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٧٥/٩).

(٤) ذكره ابن عبد البر فى الاستذكار (٥٦٢/٨)، والتمهيد (٢٢/٢٣)، وابن الجوزى فى صفة الصفوة (٢٤٥/٣).



الحديث: **(لا تظهر الشماته لأخيك فيرحمه الله ويبتليك)**[(١)].

قال شمس الدين الذهبى: "... ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعُلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه يغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنة، نعم ولا نقتدى به فى بدعته وخطئه ونرجوا له التوبه من ذلك"[(٢)].

ويقول ابن القيم: "ومن له علمٌ بالشرع والواقع يَعْلَمُ قطعاً أن الرجل الجليل الذى له فى الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده. فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامتُه ومنزلته فى قلوب المسلمين"[(٣)].

ويقول أيضًا: "فلو كان كل من أخطأ أو غلط تُرك جملة، وأهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم، وتعطلت معالمها"[(٤)].

سابعاً : كلام الأقران يُطوى ولا يُروى:

فقد قيل: "فإن الأقران أشد تناطحاً من التيوس فى زرابيها"[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذى فى صفة القيامة باب (٥٤) (٢٥٠٦) من حديث واثلة بن الأسقع وهو حديث ضعيف؛ فى إسناده عمر بن إسماعيل بن مجالد وهو متروك. قال الألبانى رحمه الله: ضعيف [انظر: المشكاه (٤٨٥٦) وضعيف الجامع (٦٢٤٥)].

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢٧٩/٥).

(٣) انظر إعلام الموقعين (٢٨٣/٣).

(٤) انظر مدارج السالكين (٣٩/٢).

(٥) أخرجه الخطابى فى كتابه العزلة (صـ ٨٩)، وأبو نعيم فى الحلية عن مالك بن دينار أنه قال: "أُجيز شهادة القراء فى كل شيء إلا فى بعضهم على بعض وجدتهم أشد تحاسداً من التيوس؛ توثق الشاة فيرسل عليها التيس فيهب هذا ويهب هذا".

وأخرج البغدادى فى كتابه الكفاية (صـ ١٠٩) عن شعبة أنه قال: احذروا غَيرة أصحاب الحديث بعضهم على بعض فلهم أشد غيرة من التيوس ...".

يقول ابن عبد البر: "والدليل على أنه لا يقبل فيمن اتخذه جمهور من جماهير المسلمين إماماً فى الدين قولُ أحد من الطاعنين؛ أن السلف رضوان الله عليهم قد سبق من بعضهم فى بعض كلام كثير فى حال الغضب ومنه ما حمل عليه الحسد كما قال ابن عباس ومالك بن دينار وأبو حازم. ومنه على جهة التأويل مما لا يلزم القول فيه ما قاله القائل فيه، وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلاً واجتهاداً لا يلزم تقليدهم فى شيء منه دون برهان ولا حجة توجبه"[١]. أهـ.

وقال الذهبى: "كلام الأقران بعضهم فى بعض لا يعبأ به لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عصمه الله وما علمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين ولو شئت لسردت من ذلك كراريس"[٢]. أهـ.

وقال ابن حجر: "واعلم أنه وقع من جماعة الطعن فى جماعة بسبب اختلافهم فى العقائد، فينبغى التنبه لذلك وعدم الاعتداد به إلا بالحق"[٣]. أهـ.

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله ابن أبى حاتم فى ترجمة البخارى: "سمع منه أبى وأبو زرعه ثم تركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحيى النيسابورى أنه أظهر عندهم أن لفظه بالقرآن مخلوق"[٤]. أهـ.

وهذا لم يسمعه منه يحيى وإنما نقله إليه الجهلة ولم يقله البخارى قط بل صح عنه أنه قال: من ذكر أنى قلت هذا فهو كذاب[٥].

قال الذهبى فى ترجمة ابن حزم: "وكان قد مهر أولاً فى الأدب والأخبار والشعر وفى

= ـــــــــــــــــــــــ

وأخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١٥١/٢): عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: "استمعوا كلام العلماء ، ولا تصدقوا بعضهم على بعض؛ فوالذى نفسه بيده هم أشد تغايراً من التيوس فى زربها" قال الشيخ أبو الأشبال: إسناده ضعيف جداً.

(١) جامع بيان العلم (٢٩٧/٢).
(٢) انظر: ميزان الاعتدال للذهبى (١١١/١).
(٣) انظر كلامه فى مقدمة فتح البارى (٣٨٥/١).
(٤) انظر: الجرح والتعديل (١٩١/٧).
(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢٦٢/١-٢٦٦).



المنطق وأجزاء الفلسفة فأثرت فيه تأثيراً ليته سلم من ذلك. ولقد وقفت له على تأليف يحضُّ فيه على الاعتناء بالمنطق ويقدمه على العلوم فتألمت له. فإنه رأس فى علوم الإسلام متبحر فى النقل عديم النظير على يبس فيه، وفرط الظاهرية فى الفروع والأصول.

وصنف فى ذلك كتباً كثيرة (فى الظاهرية) وناظر عليه وبسط لسانه وقلمه ولم يتأدب مع الأئمة فى الخطاب بل فجج العبارة وسبَّ وجدَّع، فكان جزاؤه من جنس فعله بحيث أنه أعرض عن تصانيفة جماعةٌ من الأئمة وهجروها ونفروا عنها وأحرقت فى وقت واعتنى بها آخرون من العلماء وفتشوها انتقاداً واستفادة وأخذاً ومؤاخذة ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجاً فى الرصف بالخرز المهين فتارة يطربون، ومرة يعجبون، ومن تفرده يهزؤون.

وفى الجملة فالكمال عزيز وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

وكان ينهض بعلوم جمة ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر، وفيه دين وخير، ومقاصده جميلة، ومصنفاته مفيدة، وقد زهد فى الرئاسة فلزم منزله مكباً على العلم فلا نغلوا فيه ولا نجفوا عنه وقد أثنى عليه قبلنا الكبار"[(١)]. أهـ.

كانت هذه إشارات إلى منهج السلف فى نقدهم للرجال ومؤلفاتهم ومعالجتهم للخطأ؛ لتكون نبراساً لطالب العلم يضىء له الطريق فيعلم أين يسير حتى لا تزل به قدمه والله الموفق للصواب.

---

(١) انظر: ترجمة الذهبى لابن حزم فى سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨).



الباب الثانى
أمــــــــارات الســــــــاعــة

وفيه فصلان:

الفصل الأول : أمارات الساعة الصغرى.

الفصل الثانى : أمارات الساعة الكبرى.





توطئة:

أخبر النبى ﷺ أن بين يدى قيام الساعة[1] أموراً قسمها العلماء إلى علامات أو أمارات الساعة الصغرى والكبرى.

فالصغرى: هى التى تتقدم الساعة بأزمان بعيدة نسبياً، وتكون فى أصلها معتادة الوقوع مألوفة للناس مثل ظهور الفتن وكثرة الفواحش وغير ذلك كما سنبين.

والكبرى: هى التى تقارب قيام الساعة، وتكون فى ذاتها غير معتادة الوقوع وغير مألوفة للناس، مثل خروج الشمس من المغرب، وخروج الدابة إلى آخر هذه العلامات.

لذا رأينا من التيسير على القارىء أن نقسم مادة هذا الباب إلى فصلين كبيرين:

الفصل الأول: أمارات الساعة الصغرى.

الفصل الثانى: أمارات الساعة الكبرى.

وتحت كل منهما مباحث.

وقبل الدخول فى تقسيمات هذا الباب لابد من تأصيل عدة أصول هامة:

---

(١) الساعة لغة: قطعة من الزمان، وفى عرف أهل الميقات: جزء من أربعة وعشرين جزءً من اليوم والليلة. فتح البارى (١١/٣٥٦).
وفى الاصطلاح الشرعى: هى الوقت الذى تقوم فيه القيامة، وسمى يوم القيامة بالساعة: إما لقربها أو لأنها تأتى بغتةً فى ساعة، فلقلة الوقت الذى تقوم فيه سماها ساعة فيصعق الخلق كلهم جميعاً بصيحة واحدة. النهاية فى غريب الحديث والأثر (٢/٤٢٢).
والساعة تطلق على ثلاثة معانٍ:
المعنى الأول: انخرام أهل القرن الواحد وموتهم جميعاً.
الثانى: موت الإنسان، فمن مات قامت عليه ساعته، وهى القيامة؛ لدخوله فى عالم الآخرة.
المعنى الثالث: الساعة الكبرى: وهى زلزلة الدنيا وموت المخلوقات إلا من شاء الله وإذا أطلق لفظ "قيام الساعة" فالمراد به الساعة الكبرى وهى القيامة.
انظر: فتح البارى (١١/٣٥٦ و١٣/٨٣) وأشراط الساعة فى مسند أحمد وزوائد الصحيحين (١/٣٠-٣١).

الفرع الأول - قواعد لتنزيل أحاديث الفتن على الواقع[1]:

اعلم -عبد الله!- أننا لسنا متعبدين بتطبيق أحاديث الفتن على الواقع، بل ينبغى علينا أن ندع الواقع ينطق بما قدره العليم القدير، فإذا وقع الأمر قلنا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، ولا يزيدنا الأمر إلا إيماناً وتسليماً.

فأما تأويل النصوص وتطبيقها على واقع معين فهذا لا يصلح إلا بضوابط وقواعد وهذه القواعد هى:

القاعدة الأولى : الرفق والتأنى والحلم:

فالرفق -وهو ضد العنف- يكون فى الأفكار ويكون فى المواقف وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: **(إن الله يحب الرفق فى الأمر كله)**[2] وعنها رضى الله عنها أنه قال ﷺ: **(إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف)**[3].

وقالت رضى الله عنها: قال رسول الله ﷺ: **(إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه)**[4].

والتأنى -وهو ضد العجلة- والتأنى أمر هام فى جميع الأمور وتزداد أهميته عند الفتن، وقد ورد ذم العجلة فى قولة تعالى: **﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾** (الإسراء: ١١).

وقال ابن مسعود رضى الله عنه ﷺ: "أنتم فى زمان خيركم المسارع فى الأمور، وسيأتى زمان بعدكم خيركم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات"[5].

---

(١) ولمزيد بيان راجع رسالة "الضوابط الشرعية لموقف المسلم فى الفتن" لفضيلة الشيخ صالح آل شيخ.

(٢) أخرجه البخارى (٦٠٢٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٤).

(٥) قال أبو الفضل العراقى فى المغنى (٤٣٠١) بعد ذكره الحديث دون قوله: "المتوقف لكثرة الشبهات":



والحلم -وهو ضد الغضب والجهل- فالحلم محمود على كل حال، وخاصةً عند الفتن وتقلب الأحوال.

والحلم صفة يحبها الله عز وجل ورسوله ﷺ كما قال النبى ﷺ لأشج عبد القيس: **(إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم، والأناة)**[1].

والحلم من الصفات التى تورث البقاء، كما فى حديث المستورد القرشى حينما قال عند عمرو بن العاص: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: **تقوم الساعة والروم أكثر الناس،** فقال له عمرو: أبصر ما تقول. قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: لئن قلت ذلك؛ إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة عند مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك)[2].

قال الآبى فى شرح مسلم: وهذا الكلام من عمرو رضي الله عنه لا يريد به أن يثنى على الروم والنصارى الكفرة، ولكن ليبين للمسلمين أن بقاء الروم وكونهم أكثر الناس إلى أن تقوم الساعة؛ لأنهم عند حدوث الفتن هم أحلم الناس. ففيهم من الحلم ما يجعلهم ينظرون إلى الأمور، ويعالجونها من أجل أن لا تذهب أنفسهم، ويذهب أصحابهم، وتذهب رعاياهم". أهـ[3].

= لم أجده. أهـ.

ووقفت عليه من كلام ابن مسعود رضي الله عنه دون ذكر اللفظة الأخيرة عند أبى نعيم فى الحلية (٢/٢٠٩)، ومن كلام مطرف بن عبد الله أخرجه الفسوى فى المعرفة (٢/٥٠)، وابن أبى الدنيا فى الإشراف فى منازل الأشراف (١٦٦)، وابن عساكر فى تاريخه (٥٨/٣١٠).

(١) أخرجه مسلم (١٧) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

(٢) تقدم تخريجه، وهو فى صحيح مسلم.

قال الألبانى -رحمه الله-: لم يشرح النووى هذا الحديث، ولم يبين المراد بالروم، والظاهر أنهم النصارى، وهذه الخصال الخمسة موجودة فيهم، وهم ولاة الأمر اليوم فى أكثر الأرض، وهذه معجزة ظاهرة للنبى ﷺ حيث وقع ما أخبر به مطابقاً لنفس الأمر، ولله الأمر من قبل ومن بعد، لكن المرفوع من الحديث إنما هو طرفه الأول، وأما قول عمرو فموقوف عليه وليس بمرفوع إلى النبى ﷺ.

(٣) نقلاً عن "المهدى حقيقة لا خرافة" لفضيلة الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم صـ ١٤.



القاعدة الثانية : الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره:

إن الذى يريد أن يحكم على الواقع ويقول عما أخبر به النبى ﷺ فى حديث ما وقع وتحقق يلزمه أن يراعى ثلاثة أمور:

الأول: العلم بالواقع.

الثانى: العلم بالشرع.

الثالث: الاعتدال الفطرى فى النظر.

فبعض الجهال ينظر إلى الواقع اليوم ويقول: الواقع ممتاز، وسبب قوله ذلك أنه يقيس الأمور بمقياس الهوى لا بمقياس الشرع. فمنشأ فساد الأمم والأديان هو تقديم الرأى على الوحى، والهوى على الشرع، والعقل على النقل. ومعرفة الواقع تعين على الحكم الصحيح؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

وينبغى أن يكون الإنسان معتدلاً فى طبعه، فلا يرى الجانب المظلم فقط، ولا يرى الجانب المشرق فقط، فالاعتدال الفطرى فى النظر إلى الواقع أو النصوص أمر هام فى الحكم على الواقع بين اليأس والأمل، فكثير ممن يتكلمون فى الفتن لا يذكرون إلا الأحاديث التى تؤدى إلى اليأس كحديث أنس رضي الله عنه قال: **(لا يأتيكم زمان إلا الذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم)** سمعته من نبيكم ﷺ [1]. فيدب اليأس فى النفوس، ويقول القائل: قد وقع ما أخبر به النبى ﷺ فلا حيلة ولا داعى أن نقوم بواجبنا من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد، وغير ذلك. مع أن مثل هذا الفهم فيه خطأ فاحش؛ لأنه أغفل جانباً آخر هاماً من النصوص مثل قوله ﷺ: **(إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)**[2].

---

(١) أخرجه البخارى (٧٠٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٨٤)، والحاكم (٨٥٩٢) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وقال الألبانى: صحيح. انظر السلسلة الصحيحة (٥٩٩)، وصحيح الجامع (١٨٧٤)، وانظر شرح الحديث لزاماً فى عون المعبود (٧/٣٥٥-٣٦١).

القاعدة الثالثة : أن للقول والعمل فى الفتن ضوابط:

فليس كل مقال يبدو لك حسناً تظهره، وليس كل فعل يبدو لك حسناً تفعله، ولكن يجب عليك أن تراعى حال الناس، فليس كل ما هو حقٌ يقال.

قال ابن مسعود ﷺ: "ما أنت محدثاً قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم"(١).

وقال علىٌ ﷺ: "حدثوا الناس على قدر ما يعقلون"(٢). فلا تحدث أقواماً بما يتخذونه حجةً على باطلهم، لعدم فقههم لما حدثتهم به، فليس كل ما يُعلم يقال، وليس كل ما يقال يقال فى كل الأحوال. فللأقوال والأعمال ضوابط لابد من رعايتها ويشهد لهذه القاعدة قوله ﷺ لعائشة رضى الله عنها: **(لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لهدمت الكعبة ...)**(٣).

فقد راعى النبى ﷺ حال الناس فترك إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم؛ لأن القوم حديثوا عهد بجاهلية.

القاعدة الرابعة : الرجوع إلى الأصول عند الاشتباه (بين الأصل والاستثناء):

فهناك أصول ثوابت لا يختلف عليها اثنان من المسلمين مثل: وجوب الجماعة، وصلة الرحم، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله. وقد يظهر على طائفة معينة أو أفراد معينين بعض الصفات أو التصرفات التى يأباها أصحاب الفطر السليمة، فلا يصح حينئذ أن نغض الطرف عن أصحاب الفطر السليمة (وهم الأصل) وننظر بعين مجردة إلى من انتكست فطرتهم أو حادوا عن الجادة.

انظر مثلا إلى حديث النبى ﷺ: **(إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر**

---

(١) أخرجه مسلم فى مقدمة الصحيح موقوفا (٧٢/١)، ومقدمة مسلم ليست على شرط مسلم وهذا الأثر فيه انقطاع.

(٢) أخرجه البخارى (١٢٧) موقوفاً من حديث على بن أبى طالب ﷺ.

(٣) تقدم تخريجه، وهو متفق عليه.

الجهل، وتشربُ الخمر، ويظهر الزنا)[1].

وقوله ﷺ: **(إن بين يدى الساعة لأياما ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرْجُ)**[2].

قال ابن بطال: جميع ما تضمنه هذا الحديث من أشراط الساعة رأيناها عياناً؛ قد نقص العلم، وظهر الجهل، وألقى الشح، وكثر القتل.

فعقب ابن حجر قائلاً: إن الذى شاهده كان منه الكثير مع وجود المقابل، شح مع وجود الكرم، والجهل مع وجود العلم، والقتل مع وجود الأمن، ولم يكن أمراً عاماً وقد مضى على الزمن الذى تكلم فيه ابن بطال ثلاثمائه وخمسين سنة وهذا الأمر فى ازدياد. أهـ[3].

فالأصل فى الأشراط أن تكون عامة حتى نقول إنها قد ظهرت وعمت. وكثير من الصفات التى ذكرها النبى ﷺ فى أحاديث الفتن قد ظهرت منذ زمن بعيد بل كانت بداية ظهور مثل هذه الأمور على عهد الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم، وكل عالم فى كل عصر يُخيل إليه أن هذه الأمور ظهرت أو كادت أن تظهر ومع كل هذا لم يترك أحدٌ منهم ما أوجبه عليه الشرع. فالأصول عندهم ثابتة ولو اشتبه عليهم هذا الأمر، فالرجوع إلى الأصول عند الاشتباه واجب حتى لا يقع الإنسان فى الهلكة.

القاعدة الخامسة : عدم معارضة الشرع بالقدر:

فنحن متعبدون بالعمل بالشرع والإيمان بالقدر لا بالعمل بالقدر، فقد نجد شيئاً قد نهى الله عز وجل عنه فى كتابه، أو نهى عنه رسوله ﷺ فى سنته ومع ذلك أخبر الله تعالى أو أخبر رسوله ﷺ بأنه سيقع فنحن لا علاقة لنا عمليا بأنه سيقع أو لا يقع، ولكن علينا أن نحمى أنفسنا وغيرنا من الوقوع فيه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخارى (٥٢٣١ و٥٥٧٧)، ومسلم (٢٦٧١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخارى (٧٠٦٢ و٧٠٦٣) من حديث ابن مسعود وأبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما.

(٣) انظر كلامهما فى فتح البارى (١٣/١٨-١٩).

فمثلاً؛ قضية الشرك؛ فالنصوص مستفيضةٌ فى النهى عنه وبيان أنه من أعظم الذنوب والكبائر ومع هذا أخبر النبى ﷺ ان الساعة لن تقوم حتى يعود الشرك من جديد كما فى حديث ثوبان رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين، وحتى تَعْبُدَ فئام من أمتى الأوثان)**[1] فهل نقبل هذه الأعمال ولا نحاول منعها؛ لأن النبى ﷺ أخبر بها؟

والجواب: لا نقبل هذه الأعمال؛ لأنه لا تعارض بين الإيمان بالقدر، والالتزام بالشرع، بل قال الرسول ﷺ: **(إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها)**[2].

الفرع الثانى - ما هى فائدة البحث فى الأشراط والمغيبات المستقبلة؟[3]

قد يقول قائل: لقد أتعبتم أنفسكم فى النظر فى أمور فائدتها قليلة، والأولى بكم أن تهتموا بأمور المسلمين ومشكلاتهم، بدلا من قضاء الأوقات الطوال فى البحث عما يجرى فى مقبل الأزمان من الوقائع والحادثات. وقالوا: إنكم تهربون من الواقع الذى تعيشون فيه إلى عالم آخر تأملون أن تعيشوا فيه، أو تخشوا أن يأتى عليكم، وهذا هروب من مواجهة الحقائق والصعاب.

ونحن نقول لهم: ليس لنا خيار فى دراسة الغيوب المستقبلة أو إهمالها، فالأمر ليس لنا، فالاطلاع على هذه الغيوب والتصديق بها من صميم الدين الذى جاء به رسولنا ﷺ، وأخبر ببعض منها القرآن، وبعضها جاءت به السنة النبوية، وعلم ذلك كله الصحابة، وشغلوا به

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذى (٢٣١٦)، وابن ماجة (٢٣٥٢). قال الألبانى: وسنده صحيح على شرط مسلم [انظر السلسلة الصحيحة (١٦٨٣)].

(٢) أخرجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أحمد (١٣٠٠٤)، والبخارى فى الأدب المفرد (٤٧٩)، وقال الهيثمى فى المجمع (٦٣/٤): رواه البزار ورجاله أثبات ثقات، وقال الألبانى: صحيح [انظر صحيح الأدب المفرد (صـ ١٦٣) والسلسلة الصحيحة (١٩٢)].

(٣) انظر كتاب "علامات الساعة" لمحمد سليمان عمر الأشقر صـ ١٢٨-١٣٢.



أنفسهم، واهتموا به اهتماماً كبيراً، وكان الإيمان بالغيب أول صفة مدح الله بها المتقين المهتدين الفائزين ﴿الم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ١-٣).

صحيح أن كثيراً من المسلمين شغلوا أنفسهم بالأخبار الغيبية التى لم يقم عليها دليل من الكتاب والسنة، وأغرق فى ذلك بعض الذين نسبوا إلى العلم، ولكن الاشتغال بالنصوص الصحيحة هو جزء من هذا الدين الذى أنزله العليم الخبير.

ويمكننا أن نلوم الذين قعد بهم العمل من المسلمين انتظاراً لحدوث الواقعات التى أخبر بها الرسول ﷺ، كالذين يتركون الجهاد انتظارا لخروج المهدى، ولكن هذا خطأ يحتاج إلى تقويم، ولا يوجب ترك النصوص الصحيحة، فإن سلفنا الصالح مع إيمانهم بالغيب الصادق، لم يقعدوا عن الجهاد ولم يتركوا العمل.

ويمكن أن يوجه لوم شديد للذين ينزلون ما أخبر به الرسول ﷺ من الغيوب على غير وقائعها، فيحملون النصوص مالا تحتمل، ويدعون دعاوى يضلون بها العباد، كالذين ادعوا المهدية على مدار التاريخ، إلا أن هذا خطأ هؤلاء، والخطأ يقوم، ولا يدفعنا هذا الخطأ إلى إنكار ما صحت به النصوص، فالحق حق، والباطل باطل، ولا ندفع الباطل بإنكار الحق. والذين ينكرون علينا اشتغالنا بهذه النصوص الصحيحة فى هذا الجانب نوجه أنظارهم إلى الجهود الهائلة التى يبذلها العلماء المعاصرون للكشف عن الغيب المجهول فى الماضى البعيد، والغيب المجهول فى الحادثات المقبلة، والغيب المجهول فى الفضاء الذى يحيط بنا، ولذلك نراهم يبحثون فى آثار الماضين، وما أبقوه من كتابات وصنائع وخرائب، ونراهم يهتمون بما يقوله المتنبئون والكهان والعرافون، وما يقوله هؤلاء كذب لا تكاد تجد فيه للحقيقة مكان، ونراهم يصنعون المناظير المكبرة، والمراصد الهائلة، بل ويرسلون الأقمار الصناعية لريادة الفضاء، كى يعلموا مالا يعلمون، فإذا كان هذا هو حال البشر، يرغبون دائما فى التعرف على ما لا يعرفون، ومعرفة الماضى والآتى، ومعرفة الكون من حولهم، أفلا يكون الاطلاع على حقائق الأمور من الجهة التى لا تَكْذِبُ أبدا أولى وأحرى!! إن المعلومات التى جاءت بها النصوص فى هذا المجال معلومات قيمة لا تقدر بثمن، ولكن البشرية تكابر كثيرا عندما ترفض الأخذ بخبر الوحى

الصادق، وتخسر كثيراً عندما تعرض عن هذه العلوم الطيبة، ثم إن أقواما يريدوننا أن نبتعد عن دراسة هذا المجال من خلال نصوص الوحى، بينما –هم– يلهثون وراء الأخبار التى يأتيهم بها علماء الغرب فى هذا المجال، وإن كان فيها خلط كثير، وكذب كثير.

ويمكننا أن نوجز الفوائد التى نحصل عليها من وراء دراسة الأخبار التى تحدث بأشراط الساعة والمغيبات المستقبلة فى الأمور التالية:

١. الإيمان بهذه الأخبار –إذا تحققنا صدقها– هو من الإيمان بالله، والإيمان برسوله؛ إذ كيف نؤمن بالله ورسوله ثم لا نصدق بخبرهما!! ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ (البقرة: ٢–٣).

٢. وقوع تلك المغيبات على النحو الذى حدثت به الأخبار يثبت الإيمان ويقويه، فالمسلمون فى كل عصر يشاهدون وقوع أحداث مطابقة لما أخبرت به النصوص الصادقة، فقد شاهد الصحابة انتصار الروم على الفرس، ثم انتصر المسلمون على الفرس والروم، وظهر الإسلام على جميع الأديان، وشاهدوا فرقة الأمة فى العام الذى حدده الرسول ﷺ، وشاهدوا كثيراً من الأحداث على النحو الذى أخبرت به النصوص، وكذلك الحال فى كل عصر، يشاهد المسلمون وقائع وأحداثاً جاءت بها الأخبار، ولا شك أن هذا له أثر كبير فى تثبيت المؤمن على إيمانه، وقد يكون ذلك مدخلاً لدعوة الآخرين إلى هذا الحق الذى جاءنا من ربنا.

٣. تثبيت الإيمان بيوم القيامة، فالقيامة وأهوالها من الغيب الذى أخبرنا به الله ورسوله، والإيمان بها أحد دعائم الإيمان، ووقوع الوقائع فى الدنيا على النحو الذى جاءت به النصوص دليل واضح بين على صدق كل الأخبار ومنها أخبار الساعة. فالكل من عند الله تبارك وتعالى.

٤. بعث الله رسوله دالا على الخير محذراً من الشر، وقد دل الرسول ﷺ أصحابه على المنهج الأمثل الذى ينبغى أن يسلكوه فى الوقائع التى وقعت فى عصره.

وفى إخباره بالمغيبات المقبلة توجيه للذين جاءوا من بعده من أمته كيف يتصرفون حيال الأحداث التى قد يخفى عليهم وجه الحق فيها، فعن عبد الله ابن



عمرو بن العاص، قال: "كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فنزلنا منزلا، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو فى جشرهِ، إذ نادى منادى رسول الله ﷺ الصلاة جامعةً فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: **(إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجىء فتنة، فيرقق بعضها بعضاً، وتجىء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتى، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه، هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً، فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه ما استطاع، فإن جاء الآخر ينازعه، فاضربوا عنق الآخر)**[١].

ومن هذه التوجيهات التى كان لها أثر كبير فى توجيه المسلمين إلى الحق تبشيره عثمان رضي الله عنه بالجنة على بلوى تصيبه[٢]، وإخباره بأن عمارا تقتله الفئة الباغية[٣]، وأمره أبا ذر بأن يعتزل الفتنة، وأن لا يقاتل ولو قتل[٤]. ويمكن أن يستفاد هذا المعنى من حديث حذيفة حيث كان يسأل الرسول ﷺ عن الشر مخافة أن يدركه، بينما الصحابة يسألون الرسول ﷺ عن الخير[٥]، ومن هذا نهى الرسول ﷺ المسلمين عن أخذ شىء من جبل الذهب الذى ينحسر عنه الفرات فى آخر الزمان[٦]، وإخبارهم عن حقيقة الدجال[١]، وبيان ما يأتى به من الشبهات، وغير

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٢) معنى حديث متفق عليه، أخرجه البخارى (٣٦٩٥)، ومسلم (٢٤٠٣) من حديث أبى موسى رضي الله عنه.

(٣) معنى حديث متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٢٨١٢)، ومسلم (٢٩١٥ و٢٩١٦) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٥٥)، وابن ماجة (٣٩٥٨)، من حديث أبى ذرٍ رضي الله عنه. وصححه الألبانى انظر: الإرواء (٢٤٥١)، وصحيح الجامع (٧٨١٩).

(٥) تقدم تخريجه، وهو متفق عليه.

(٦) سيأتى الحديث عن انحسار الفرات عن جبل من ذهب فى المبحث الثالث من الفصل الأول لهذا



ذلك من الكائنات التى يبصر الرسول أمتَه التصرف الأمثل حيالها.

٥. قد تمر بالمسلمين وقائع فى مقبل الأيام تحتاج إلى بيان الحكم الشرعى فيها، ولو تُرك المسلمين إلى اجتهادهم فإنهم قد يختلفون، وقد لا يهتدون إلى الصواب، بل قد يكون الحكم الشرعى فى تلك الأحداث واجب لابُد منه، وعدم البيان يكون نقصا تنزه الشريعة عنه. فمن ذلك أن الرسول ﷺ أخبر أن الدجال يمكث فى الأرض أربعين يوماً، يوم من أيامه كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا، وقد سأل الصحابة الرسول ﷺ عن تلك الأيام الطويلة أتكفى فى الواحد منها صلاة يوم، قال الرسول ﷺ: **(لا، اقدروا له قدره)**(٢) ولو وكل العباد إلى اجتهادهم لاقتصروا على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة فى غير هذه الأيام، وأخبر الرسول ﷺ أن عيسى بعد نزوله لا يقبل الجزية من اليهود والنصارى، ولا يقبل منهم إلا الإيمان(٣)، وهذا البيان من الرسول ﷺ ضرورى؛ لأن عيسى يحكم بهذا الشرع، وهذا الشرع فيه قبول الجزية ممن بذلها إلى حين نزول عيسى بن مريم وحين ذاك توضع الجزية، ويقتل كل من رفض الإيمان، ولو بذل الجزية.

٦. التطلع إلى ما يحدث فى المستقبل أمرٌ فطرى، فالإنسان يجد فى نفسه رغبة شديدة فى معرفة الوقائع والكائنات التى قد تحدث للجنس الإنسانى، أو تحدث للأمة التى هو منها، أو قد تحدث له، ولذلك فإن الزعماء والرؤساء بل والأفراد يلجؤون فى معرفة ذلك إلى السحرة والكهان والمنجمين، فجاءهم الله بالحق الذى يغنى ويكفى ويشفى فى هذا الجانب.

= الباب.

(١) سيأتى الحديث عن الدجال فى الفصل الثانى من هذا الباب.

(٢) سيأتى ذكر الحديث بطوله فى الفصل الثانى من هذا الباب. وهذا الحديث أخرجه مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٣) سيأتى الحديث بطوله فى الفصل الثانى من هذا الباب والحديث متفق عليه. وسيأتى تخريجه بتمامه وشرح غريبه.

الفرع الثالث – لا يجوز الاشتغال فى تحديد وقت الساعة[1]:

تساءَل الناس عن وقت الساعة كثيرا، ووجهوا أسئلتهم للرسول ﷺ، وجاء الجواب من منزل الكتاب، إن الساعة غيب، ومعرفة الزمن الذى تقع فيه من خصائص علم الله، **﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾** (الأحزاب: ٦٣). **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا . إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا . إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾** (النازعات: ٤٢–٤٥).

إن هذا العلم لم يطلع الله عليه ملك مقرب، ولا نبى مرسل، ولذلك قال الرسول ﷺ لجبريل حينما سأله عن الساعة: **(ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)**[2].

فبالبحث فى هذا الأمر، والزعم أن الساعة ستقع فى عام بعينه تَقَوُّلٌ على الله بغير علم، والخائضون فى ذلك مخالفون للمنهج القرآنى النبوى الذى وجه الناس إلى ترك البحث فى هذا الموضوع، ودعاهم إلى الاستعداد لهذا اليوم بالإيمان والعمل الصالح.

والذين يبحثون فى هذا المجال يظنون أنه يمكنهم أن يعلموا ما لم يعلمه الرسول ﷺ وجبريل عليه السلام، وكفى بذلك واعظاً ورادعاً لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، ونحن نقول لهم: ينبغى أن يسعكم ما وسع الرسول ﷺ وأصحابه وأئمة هذه الأمة على مدار التاريخ، ولو كان فى معرفة الوقت صلاح وخير للبشر، لأخبر الله به البشر، ولكنه حجب ذلك عنهم، وفى ذلك صلاحهم.

وينبغى للاحقين أن يتعظوا بحال السابقين، فبعض السابقين خاض فى هذا الأمر، وحدد للساعة أو بعض أشراطها القريبة من وقوعها أجلا، وجاء الأجل الذى ضربه، ولم يحدث شىء من ذلك، لا الساعة ولا أشراطها المحددة، فمن هؤلاء الطبرى –رحمه الله– وغفر له، فإنه استظهر من بعض النصوص أن فناء الدنيا يكون بعد خمسمائة عام من

---

(١) انظر كتاب علامات الساعة لمحمد سليمان الأشقر (ص١٢١–١٢٦) بزيادة وتصرف.

(٢) قطعة من حديث جبريل الطويل. متفق عليه، أخرجه البخارى (٥٠ و٤٧٧٧) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٨) من حديث ابن عمر عن عمر رضى الله عنهما [وهو أول حديث فى صحيح مسلم]، و(٩) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.



البعثة المحمدية[١]، وها هو قد مر قرابة ألف عام على الأجل الذى ضربه، ولم يصدق ظنه.

ومن هؤلاء العلامة السيوطى عفا الله عنه، فإنه استظهر فى جزء سماه "الكشف" أن الساعة ستقوم على رأس المائة الخامسة بعد الألف من البعثة النبوية[٢]، وها قد مضى على الموعد الذى حدده بضع سنين، ولم تقع الساعة، بل لم يقع كثير من أشراطها.

وجمع السهيلى الحروف المقطعة فى أوائل السور، وحذف المكرر منها، وأخذ عددها بحساب الجمل، وحدد بناء على ذلك أجلا لا يبلغ بضع مئات من السنين[٣].

وحسب أمين محمد جمال الدين مدة عمر المسلمين بأنها تساوى عمر اليهود ويطرح منها عمر النصارى فتكون النتيجة ألفًا وأربعمائة سنة تزيد قليلا ولا تبلغ هذه الزيادة إلى ألف وخمسمائة[٤].

وقد تقول كثير من الناس فى هذا وخبطوا خبطا لا دليل عليه، وإنما هى ظنون وتخرصات، ودعاوى لا يوجد دليل صريح عليها، والواقع خير شاهد على خطئهم، وثبت كذب ما ذهبوا إليه والحمد لله رب العالمين.

وقد تعرض الشيخ العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وأجزل له المثوبة للذين بحثوا فى هذا الأمر وخاضوا فيه، وحددوا فى ذلك أجلا، فقال: "ومن تكلم فى وقتها المعين مثل الذى صنف كتابا "سماه" "الدر المنظم فى معرفة الأعظم" وذكر فيه عشر دلالات بين فيها وقتها، والذين تكلموا على ذلك من حروف المعجم، والذى تكلم فى "عنقاء مُغرب"[٥]، وأمثال هؤلاء، فإنهم وإن كان لهم صورة عظيمة عند أتباعهم، فغالبهم

---

(١) المقدمة لابن خلدون صـ ٥٩٠.

(٢) لوامع الأنوار البهية (٦٦/٢).

(٣) المقدمة لابن خلدون صـ ٥٩١.

(٤) انظر كتاب "عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدى".

(٥) هذا الكتاب لابن عربى القائل بوحدة الوجود؛ له من الله ما يستحق.



كاذبون مفترون[1]، وقد تبين لدينا من وجوه كثيرة أنهم يتكلمون بغير علم، وإن ادعوا فى ذلك الكشف ومعرفة الأسرار، وقد قال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّى الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْى بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾** (الأعراف: ٣٣). أهـ[2]. ولا شك أن دعوى معرفة وقتها المحدد قول بلا علم.

إشكالات تتعلق بتحديد وقت الساعة:

بينا فيما سبق أن وقت القيامة غيب لا يعلمه إلا الله، ولكن يشكل على هذا أحاديث ظن بعض الناس أنها تحدد موعدها، وهذه الأحاديث بعضها غير صحيح فلا يلتفت إليها، ولا يجوز أن تعارض بها النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة، ومنها أحاديث صحيحة، ولكن دلالتها على تحديد يوم القيامة غير صريحة.

فمن الأحاديث الباطلة المكذوبة المخالفة لصريح القرآن –كما يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى– حديث مقدار الدنيا "**وأنها سبعة آلاف سنة**"[3]، ونحن فى الألف السابعة.

يقول ابن القيم: "وهذا من أبين الكذب؛ لأنه لو كان صحيحا لكان كل أحد عالما أنه قد بقى من وقتنا هذا مئتان وواحد وخمسون سنة (أى فى الوقت الذى كان يكتب فيه الشيخ ابن القيم مؤلفه) والله تعالى يقول: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً**

---

(١) قال الشيخ: "غالبهم" لأن بعض الذى بحثوا فى ذلك أخطئوا، ولم يقصدوا التضليل، أمثال الطبرى والسيوطى وغيرهما رحمهما الله.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٤٢/٤).

(٣) أخرجه عن الضحاك بن زمل الجهنى الطبرانى فى الكبير (٨١٤٦)، وابن عساكر فى تاريخه (٢٢٨/٦٧)، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (٧٠٣/٢) وقال: حديث لا يصح، وابن القيم فى نقد المنقول (٩٣) وقال: هذا من أبين الكذب، وقال الهيثمى فى المجمع (١٨٤/٧): فيه سليمان بن عطاء القرشى وهو ضعيف، وقال ابن حجر فى الفتح (٣٥٨/١١ و٣٥٩): سنده ضعيف، وقال الألبانى فى الضعيفة (٣٦١١): موضوع ولفظه: "**الدنيا سبعة آلاف سنة، أنا فى آخرها ألفاً**" انظر: ضعيف الجامع صـ ٤٤٢، وفتح البارى: (٣٥٨/١١و٣٥٩).



يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِى عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ﴾[١] (الأعراف: ١٨٧).

أقول: ومما يدل على كذب هذا الحديث قطعا أن الألف السابعة هذه مضت وانقضت منذ أربعمائة سنة، وكثير من أشراط الساعة لم يقع بعد.

ومن الأحاديث الصحيحة التى لا تدل على تحديد يوم القيامة ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: **(تسألونى عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة اليوم يأتى عليها مائة سنة وهى حية يومئذ)**[٢].

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر -رضى الله عنهما-، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة العشاء فى آخر حياته، فلما سلم قال: **(أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد)**[٣].

إن التأمل فى هذين الحديثين يدل دلالة واضحة على أن الرسول ﷺ لم يرد فى أقواله هذه قيام الساعة، وإنما أراد انقضاء القرن الذى هو فيه، أى أنه بعد مائة عام يموت كل من كان حيًّا عندما قال الرسول ﷺ ما قال، وقد فقه هذا المعنى ابن عمر رضي الله عنه، وفقَّه الناس به عندما ذهبوا مذاهب شتى فى فهم معنى قول الرسول ﷺ، ففى سنن الترمذى وسنن أبى داود بعد سياق عبد الله بن عمر لحديث الرسول ﷺ السابق، قال: "فوهل الناس[٤] فى مقالة الرسول ﷺ تلك، فيما يتحدثون بهذه الأحاديث: نحو مائة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ: **(لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد)**، يريد بذلك: أن ينخرم ذلك القرن"[٥].

---

(١) المنار المنيف لابن القيم صـ ٨٠.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٣٨).

(٣) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٦٠١)، ومسلم (٢٥٣٧).

(٤) الوهل: الفزع، أو ذهاب الفكر مذاهب بعيدة عن المراد.

(٥) أخرج هذه الزيادة أبو داود (٤٣٤٨)، والترمذى (٢٢٥١) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.



الفصل الأول
أمارات الساعة الصغرى

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : الأمارات الصغرى التى مضت وانقضت.

المبحث الثاني : الأمارات الصغرى التى ظهرت ولا زالت تتتابع.

المبحث الثالث : الأمارات الصغرى التى لم تظهر بعدُ.

المبحث الرابع : ظهور المهدى.






المبحث الأول - الأمارات الصغرى التى مضت وانقضت:

أولاً : بعثة النبى محمد ﷺ ووفاته[1]:

لا ريب أن بعثة النبى محمد ﷺ من علامات الساعة؛ لأنه خاتم النبيين، وشريعته خاتمة الشرائع، فلا نبى بعده، ولا ناسخ لشريعته، كما أن رسالته عالمية، فقد بُعِثَ إلى الناس كافة[2].

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا، الوسطى والتى تلى الإبهام، وقال: **(بعثت أنا والساعة كهاتين)**. وفى رواية أخرى لهما بزيادة: ويشير بأصبعيه يمدهما[3].

فكما كان النبى ﷺ خاتمَ المرسلين، ونبىَّ آخر الزمان، فليس بينه وبين قيام الساعة نبىٌّ، فالساعة هى التى تليه كما تلى السبابة الوسطى وليس بينهما أصبع آخر[4].

وأما موته ﷺ فهو أيضاً من أمارات الساعة. عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبى ﷺ فى غزوة تبوك، وهو فى قبة أدم، فقال: **(أُعدد ستا بين يدى الساعة: موتى،**

---

(١) بعثة النبى ﷺ والتى غيرت التاريخ من علامات الساعة الصغرى فالعلامات الكبرى تقع فجأة، وعلى خلاف ما اعتاده الناس كطلوع الشمس من مغربها والدابة ... الخ، وأما بعثته ﷺ فمن المعتاد عند الناس أن يظهر فيهم أنبياء ومدّعون للنبوة، إضافة إلى أن بعثته ﷺ قبل الساعة بأزمان طويلة، والكبرى تكون قبلها بزمن يسير ولذلك عدت من العلامات الصغرى للساعة.

(٢) قال ابن الجوزى فى تفسيره: قال المفسرون: ظهور النبى ﷺ من أشراط الساعة، وانشقاق القمر ... وغير ذلك.

ونقل ابن حجر فى الفتح عن الضحاك فى قوله تعالى: ﴿**فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا**﴾ [محمد: ١٨] قال الضحاك: أول أشراطها بعثة النبى محمد ﷺ. انظر زاد المسير (١٥٠/٧)، وفتح البارى (٣٥٧/١١).

(٣) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٦٥٠٣ و٦٥٠٤ و٦٥٠٥) عن سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبى هريرة رضي الله عنهم، ومسلم (٢٩٥٠ و٢٩٥١) من حديث سهل بن سعد وأنس بن مالك رضى الله عنهما.

(٤) انظر فتح البارى (٣٥٧/١١ - ٣٥٨)، وفيض القدير (٢٦٤/٣)، وأشراط الساعة للغامدى (١١٥/١ - ١١٦).



ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال، حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً)(١).

وكان موته ﷺ من أعظم المصائب التى حلت بالمسلمين؛ حيث انقطع الوحى، وارتد كثير من العرب.

ثانيًا : فتح بيت المقدس:

بشر الصادق المصدوق ﷺ أمته بفتح بيت المقدس، وجعل ذلك أمارة من أمارات الساعة. ففى حديث عوف بن مالك رضي الله عنه السابق: **(أُعدد ستا بين يدى الساعة: موتى، ثم فتح بيت المقدس ...)** الحديث(٢).

وقد تم ذلك للمرة الأولى(٣) سنة ١٦هـ - ٦٣٦م فى عهد الخليفة الراشد عمر بن

---

(١) أخرجه البخارى (٣١٧٦).

قوله: "موتان" بوزن بُطلان، الموت الكثير الوقوع. النهاية فى غريب الحديث (٣٧٠/٤).

قوله: "قعاص" داء يأخذ الغنم لا يلبثها أن تموت. النهاية فى غريب الحديث (٨٨/٤).

قوله: "غاية" الغاية والراية سواء، وسميت الغاية بذلك، لأنها غاية المتبع إذا وقفت. النهاية فى غريب الحديث (٤٠٤/٣).

قوله: "بنى الأصفر": الروم. فتح البارى (٣٢١/٦).

(٢) تقدم تخريجه، وهو عند البخارى.

(٣) ومن المعلوم أن فتح بيت المقدس وقع مرتين، **الأولى:** فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٦هـ، **والثانية:** على يد صلاح الدين الأيوبى بعد أن مكث بيت المقدس ما يزيد على تسعين عاماً تحت الصليبين، وكان فتحاً مبيناً أعز الله فيه الإسلام وأهله، وأذل الصليب وأهله.

ولا ريب أنه سيقع للمرة الثالثة، وهى المعركة العظمى بين المسلمين من طرف، وبين أمم الكفر من اليهود والنصارى وأشياعهم من طرف آخر، وسيكون هذا الفتح من أعظم الفتوح فى تاريخ الإسلام وهو ما يسمى بقتال الملاحم [وسيأتى الحديث عن ذلك تفصيلاً فى نهاية هذا الفصل عند الحديث عن المهدى].



الخطاب ﷺ فبعد أن حاصر المسلمون المدينة طلب أهلها الصلح، واشترطوا أن يقدم عليهم عمر بن الخطاب بنفسه ليُبرموا معه الاتفاق، فاستجاب لهم وسار إليهم، وصالحهم، وكان على رأسهم البطريرك صفر نيوس، فأمنهم على كنائسهم وصلبانهم وأموالهم، واشترطوا عليه ألا يدخلها أحد من اليهود، فوافق وكتب لهم كتاباً بذلك، وأشهد على ذلك قادة جيشه. وكان النصارى يلقون القمامات قرب الصخرة نكاية باليهود الذين اشتدت الوطأة عليهم،ولما دخل عمر ﷺ المدينة جاء إلى الصخرة، فأزال عنها الأوساخ والأتربة، ثم أقام المسجد فى قِبلى بيت المقدس، وهو العمرى اليوم. وفى عهد الخليفة الأموى عبد الملك ابن مروان بُنى المسجد الأقصى من جديد، وبُنى مسجد الصخرة [١].

ثالثًا : موت الكثير من المسلمين:

أخبر النبى ﷺ أصحابه ﷺ بموت الكثيرين منهم ومن غيرهم من المسلمين بداءٍ يصيبهم بعد موته.

ففى حديث عوف بن مالك ﷺ السابق: **(اعدد ستا بين الساعة: موتى، ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتان يأخذ فيكم، كقعاص الغنم ...)** الحديث[٢].

وقد وقع ذلك فى بلاد الشام بعد فتح بيت المقدس، حيث انتشر مرض الطاعون سنة ١٨هـ على المشهور فى خلافة عمر ﷺ وهو المعروف بطاعون عَمَوَاس[٣]. ومات فيه من الصحابة وغيرهم خلق كثير، بلغ عددهم قرابة خمسة وعشرين ألفاً، وكان ذلك أول طاعون فى الإسلام، فأخذهم كقعاص الغنم، وممن مات فيه من الصحابة معاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح ﷺ أجمعين.

رابعًا : استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة:

---

(١) انظر البداية والنهاية (٧/٥٥-٦١).

(٢) تقدم تخريجه، وهو عند البخارى.

(٣) عَمَواس: بلدة من فلسطين، على ستة أميال من الرملة، وبها وقع الطاعون. انظر: "معجم البلدان" (٤/١٧٧).



أخبر النبى ﷺ أمته بأن المال سيكثر بين أيديهم بحيث لا يبقى فى ذلك الوقت أحد من المسلمين بحاجة إلى الصدقة.

ففى حديث عوف بن مالك رضي الله عنه السابق: **(اعدد ستا بين يدى الساعة ... ثم استفاضة المال، حتى يُعطى الرجل مائة دينار، فيظل ساخطاً ...)** الحديث(١).

وعن عدى بن حاتم رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال له: (.. **ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهبٍ أو فضة، يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحداً يقبله منه)**(٢).

وعن أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ليأتين على الناس زمان، يطوف الرجل بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحداً يأخذها منه)**(٣).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ويفيض، وحتى يخرج الرجل بزكاة ماله، فلا يجدُ أحداً يقبلها منه)**(٤).

قال بعض أهل العلم(٥): وقد تحققت هذه العلامات فى خلافة عثمان رضي الله عنه ثم فى خلافة عمر بن عبد العزيز، حيث استفاض المال، حتى إن الرجل ليُعطى الدنانير الكثيرة من الذهب فيسخطها ويعرض عنها، وإن صاحب المال يعرض صدقته على الناس، فيقول الذى عرض عليه: لا أرب لى فيه، فيصاب صاحب المال بالهم. وهذا يدل أيضاً على عفة الناس وبعدهم عن الجشع، لما فى صدورهم من إيمان. أهـ.

قلت: تنزيلُ الأمر على عهد عثمان بن عفان، وعمر بن عبد العزيز بعيدٌ لقوله ﷺ فى حديث عوف بن مالك رضي الله عنه السابق: **(... ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ...)**.

فلم ينقل أن أحداً ممن كان فى عهدهما أخذ المائة وظل ساخطاً أى: لا يعجبه المائة

---

(١) تقدم تخريجه، وهو عند البخارى.

(٢) أخرجه البخارى (٣٥٩٥).

(٣) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (١٤١٤)، ومسلم (١٠١٢).

(٤) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (١٤١٢)، ومسلم (١٥٧).

(٥) يعنى: الأستاذ عبد الوهاب عبد السلام طويلة فى كتابه "المسيح المنتظر ونهاية العالم" صـ ٢٢.



دينار.

وقد تكون المائة لا تعجبه لانخفاض القوة الشرائية للمال، فالرجل معه المائة دينار فيخرج ليشترى بها ما يريد فلا تكفى لشراء ما يريد، أو لقلة الموارد فتقل السلع فترتفع الأسعار فلا تكفى المائة لشراء أى شيء، أو لارتفاع البركة من الأرض كما سيحدث فى آخر الزمان.

فتنزيل أحاديث الفتن على الواقع لابد له من ضوابط(١).

خامسًا : ظهور الفتن واقتتال المسلمين:

أخبر النبى ﷺ عن فتن وحروب تقع بين المسلمين. فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال

---

(١) كثرة الأموال وفيضانها، واستغناء الناس، وظهور الغنى من أشراط الساعة كما دلت عليه الأحاديث المذكورة.

قال النووى: "وسبب عدم قبول الصدقة فى آخر الزمان، لكثرة الأموال، وظهور كنور الأرض، ووضع البركات فيها كما ثبت فى الصحيح بعد هلاك يأجوج ومأجوج، وقلة آمالهم، وعدم ادخارهم المال وكثرة الصدقات أهـ. شرح النووى لمسلم (٨/٧).

وذكر ابن التين: إنما يقع ذلك بعد نزول عيسى حين تخرج الأرض بركاتها حتى تُشبِع الرمانةُ أهل البيت ولا يبقى فى الأرض كافر. فتح البارى (٣٣١/١٣).

وذكر ابن حجر أن استغناء الناس عن المال (١) إما لاشتغال كل منهم بنفسه عند طروق الفتنة فلا يلوى على الأهل فضلاً عن المال وذلك فى زمن الدجال. (٢) وإما بحصول الأمن المُفرِط والعدل البالغ بحيث يستغنى كل أحد بما عنده عما فى يد غيره، وذلك فى زمن المهدى وعيسى بن مريم عليهما السلام. (٣) وإما عند خروج النار التى تسوقهم إلى المحشر، فلا يلتفت حينئذٍ إلى ما يقله من المال، بل يقصد نجاة نفسه ومن يقدر عليه من ولده وأهله، وهذا أظهر الاحتمالات. فتح البارى (٨٨/١٣).

قلت: رجح ابن حجر القول الثالث وهو أن السبب فى استغناء الناس عن المال هو ذهولهم وخوفهم من النار التى تسوقهم إلى المحشر.

وهذا فيه نظر؛ إذ لا فضيلة لمن يترك المال خوفاً وهروباً من النار والأظهر -والله أعلم- هو أن هذا يكون فى زمن المهدى وعيسى عليهما السلام عندما يسود الأمن والعدل وتخرج الأرض بركتها كما سيأتى فى نهاية هذا الفصل.

رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان، تكون بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة)**[1].

وكان أول فتنة ظهرت قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبقتله رضي الله عنه فتح باب الفتنة، فانتشرت الأهواء، وكثر الاختلاف، وتشعبت الآراء، وماج الناس واقتتلوا.

فلما علم الناس بذلك استرجعوا، وقال على رضي الله عنه لأولاده: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتم على الباب؟ ورفع يده فلطم الحسن، وضرب صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة، وشتم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ثم أتى منزله، وجاء الناس إليه ليبايعوه، فقال: ليس هذا إليكم، إنما هو إلى أهل بدر، فمن رضى به أهل بدر فهو الخليفة، وإن كان ففى المسجد فإن بيعتى لا تكون خفية، ولا تكون إلا عن رضى من المسلمين، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا قال: ما نرى أحق بها منك، فدخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ثم بايع الناس وذهب قوم إلى الشام فلم يبايعوه.

وطارت الأخبار بقتل الشهيد عثمان رضي الله عنه فحزن عليه المسلمون، ولا سيما أهل دمشق، وأتى البريد بثوبه بالدم، فنصب على منبر دمشق، ونعاه معاوية رضي الله عنه إلى أهلها فبكوا، وتعاقدوا على الطلب بدمه، وكانوا ستين ألفاً.

وخرجت عائشة رضي الله عنها تركب الجمل، وتنادى بالثأر لعثمان رضي الله عنه وكان معها طلحة والزبير رضى الله عنهما، واجتمع حولها الناس.

ووقع القتال أول الأمر بين على رضي الله عنه من جهة، وبين عائشة -رضى الله عنها- من جهة ثانية، فى موقعة الجمل، وانتصر على رضي الله عنه وصلى وبكى على القتلى من الطرفين. ثم وقع القتال أيضاً بين على رضي الله عنه من جهة، وبين معاوية وعمرو بن العاص رضى الله عنهما من جهة ثانية، فى معركة صفين التى انتهت بالتحكيم، واتفق الحكمان على ترك أمر الإمامة لكبار الصحابة.

ولم يكن القتال أول الأمر فى حسبانهم، ولم تكن تريده أية جهة منهم، بل كان كل

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٣٦٠٨ و٣٦٠٩ و٦٩٣٥)، ومسلم (١٥٧).

منهم حريص على نُصرة الحق والاقتصاص ممن قتل عثمان. وإنما حدث ذلك بسبب فتنة خفية دبرها المرجفون، ذهب ضحيتها قرابة تسعين ألفاً.

وتخلف جماعة من سادات الصحابة عن القتال فى الفتنة، منهم: سعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وصهيب الرومى، وأبو موسى الأشعرى ﷺ ورأوا السلامة فى العزلة وقالوا: إذا كان غزو الكفار قاتلنا.

فكل منهم مجتهد دعواه نصرة الحق، ولو علم أنه مخطىء لما تلكأ فى الرجوع عن موقفه، غير أن الصواب كان مع أمير المؤمنين على رضي الله عنه(١).

واستدل بعض أهل العلم(٢) على هذه العلامة بحديث عوف من مالك السابق بقوله ﷺ: (**... ثم فتنةٌ لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته**)(٣) وفى الاستدلال بهذا الحديث نظر؛ لأنا لا نعلم يقيناً إن كانت هذه الفتنة دخلت كل بيوت العرب أم لا. لاسيما إذا عُلم أن بعضهم فسر الفتنة المذكورة فى الحديث بالصُّوَرِ فقد دخلت كل بيت ولا سيما وهى مطبوعة على الأوراق المالية، وفسرها بعضهم بجهاز التلفاز، وفى كلا التفسيرين نظر، وأخذٌ وردٌ ليس محله ههنا.

سادسًا : خروج نار من أرض الحجاز:

أخبر النبى ﷺ عن حوادثَ طبيعيةٍ تكون من بعده، فجاءت كما أخبر، ومن ذلك النار الشديدة التى وقعت قرب المدينة المنورة(٤).

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من**

---

(١) راجع موقعة (الجمل) و(صفِّين) فى كتاب "العواصم من القواصم" صـ ٥٢-١٩٨.

(٢) يعنى الأستاذ عبد الوهاب عبد السلام طويلة فى كتابه "المسيح المنتظر" صـ ٢٢.

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

(٤) وهذا ما يشبه فى العلم الحديث ما يسمى بالبركان.

أرض الحجاز، تضيء لها أعناق الإبل ببصرى)[١].

وقد خرجت هذه النار سنة ٦٥٤هـ من جانب المدينة المنورة الشرقى على بعد مرحلة منها، كما ذكر المؤرخون وأفاضوا فى وصفها، وقد تقدمها زلازل مهولة، كان ابتداؤها يوم الأحد مستهل جُمادى الآخرة، وكانت خفيفة إلى ليلة الثلاثاء، وفى يوم الأربعاء ظهرت ظهوراً شديداً، فلما كان يوم الجمعة نصف النهار، ثار فى الجو دخان متراكم، ثم شاعت النار، وعلا ضوؤها حتى غشى الأبصار، وكانت ترى فى صورة سيل عظيم من النار إلى جهة الوادى، له دوى كدوى الرعد، وأهل المدينة يشاهدونها من دورهم.

قال ابن كثير: أخبرنى القاضى صدر الدين الحنفى قال: أخبرنى والدى صفى الدين مدرس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة الليلة التى ظهرت فيها النار، أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم فى ضوء تلك النار.

وقال القسطلانى: جاء من أخبر أنه أبصرها بتيماء وبصرى[٢].

وذكر القرطبى أنه بلغه أنها رؤيت من جبال بصرى[٣].

واستمرت هذه النار تسيل سيلاً ذريعاً فى الوادى إلى أن انطفأت فى السابع والعشرين من شهر رجب، وقد تركت الأرض من الحجر الأسود قدر ارتفاع رمح.

قال النووى -رحمه الله-: وتواتر العلم عند جميع أهل الشام وسائر البلدان، وكان ذلك سنة أربع وخمسين وستمائة[٤].

وقال ابن حجر نقلاً عن أبى شامة: أخبرنى بعض من أثق به ممن شاهدها أنه كتب

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخارى (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).
وبُصرى: مدينة بالشام، من أعمال دمشق، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً. معجم البلدان (٣٧٠/٥).

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير فى أحداث سنة ٦٥٤هـ (١٨٧/١٣-١٩٣)، والنهاية فى الفتن والملاحم (صـ ٢٠-٢١) ط دار الحديث.

(٣) انظر التذكرة للقرطبى صـ ٦٢٧.

(٤) انظر فتح البارى (٨٥/١٣).



بتيماء على ضوئها الكتب.[1] أهـ.

وتيماء[2] تبعد ٤٠٠ كم عن موضع النار.

سابعًا : قتال الترك (التتار والمغول)[3]:

أخبر النبى ﷺ بوقوع قتال كبير ومتعدد بين المسلمين وقبائل من الترك ووصفهم لأمته بدقة، ولو كُلِّفَ من رآهم بعينه أن يصفهم لما أتى بأحسن من تلك الأوصاف. وقد وقعت هذه الحروب إبان هجوم المغول والتتار على البلاد الإسلامية واجتياحهم لها.

عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: **(لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة)**[4].

قال سفيان: زاد فى رواية: **(صغار الأعين، ذُلف الأنوف)**.

وبجمع الأحاديث[5] التى وردت فى وصفهم تبين أن صفاتهم هى:

---

(١) انظر فتح البارى (١٣/٨٤-٨٥).

(٢) تيماء: بليد فى أطراف الشام، على طريق حج الشام ودمشق (معجم البلدان ٢/٧٨).

(٣) التتار: شعوب تنحدر من شرق وسط آسيا، أو من وسط سيبريا، سيطروا على كل روسيا، واكتسحوا العالم الإسلامى، ثم تمزقت دولتهم إلى شتات، ولهم جمهورية تتبع روسيا اليوم. الموسوعة العربية الميسرة (/٤٩٠).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخارى (٢٩٢٩ و٢٩٢٨ و٣٥٩٠ و٣٥٩١ و٣٥٩٢)، ومسلم (٢٩٢١).

(٥) من هذه الأحاديث:

قوله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة)** وفى رواية: **(... صغار الأعين، ذُلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة)**. [متفق عليه، وهو حديث الباب تقدم تخريجه].

قوله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، حُمرَ الوجوه، ذُلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة)**. [متفق عليه، وهو رواية من سابقه].

قوله ﷺ: **(لا تقوم حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم، حُمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، كأن وجوههم المجانُ المطرقه، نعالهم الشعر)**. [متفق عليه، وهو رواية من سابقه].



١. وجوههم كالمجان المُطْرقة، وجوههم الجحف[١]، عراض الوجوه.

٢. حُمر الوجوه[٢].

٣. صغار الأعين.

٤. ذُلْف الأنوف[٣].

٥. يلبسون الشعر.

٦. نعالهم من الشعر، ولطوله وغلظته، كأنهم يمشون فيه[٤].

وقد حدث هذا القتال فى القرن السابع الهجرى عندما اجتاح المغول والتتار البلاد الإسلامية، وعاثوا فيها مفسدين، وقد وجدوا بتلك الصفات.

قال النووى[٥] -وهو ممن عاش فى الفترة التى ظهروا فيها-: "وقد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التى ذكرها النبى ﷺ فى زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات"[٦].

---

(١) **المجانّ**: جمع مجنّ وهو الترس، **والجحف**: الترس أيضاً.

والمطرقة: من أطرق وهى التى عليت بطارق، وهو الجلد الذى يغشى المجنّ.

(٢) **حمر الوجوه**: أى بيض الوجوه، مشوبة بحمرة (شرح النووى لمسلم).

(٣) **ذُلف الأنوف**: جمع أذلف كأحمر وحُمْر ومعناه فطس الأنوف قصارها مع انبطاح، وقيل: هو غلظ فى أرنبة الأنف، وقيل تضام فيها (شرح النووى لمسلم).

(٤) **نعالهم الشعر**: المراد به طول شعورهم حتى تصير أطرافها فى أرجلهم موضع النعال، **وقيل**: المراد أن نعالهم من الشعر بأن يجعلوا نعالهم من شعر مضفور. فتح البارى (٧٠٣/٦).

(٥) انظر كلامه فى شرح النووى لمسلم (٣٢/١٨).

(٦) تنبيهات هامة:

الأول: رجح ابن حجر فى الفتح (١٢٢/٦) فى شرحه لحديث الباب أن الذين ينتعلون الشعر غير الترك، وذكر أن هذا الوصف انطبق على أصحاب بابك الخُرْمى.

قلت: لا تعارض بين أن يكون الترك ينتعلون الشعر أيضاً قال النووى -رحمه الله-: ... فقد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التى ذكرها ﷺ صغار الأعين ... ينتعلون الشعر فوجدوا بهذه الصفات فى زماننا وقاتلهم المسلمون مرات". شرح مسلم (٣٢/١٨).

الثانى: فى أصل هؤلاء الترك:



ورد فى مسند أحمد وسنن أبى داود أن هؤلاء الترك من بنى قنطوراء، قال ﷺ: **(ينزل ناسٌ من أمتى بغائط يسمونه البصرة .... فإذا كان آخر الزمان، جاء بنو قنطوراء قوم عراض الوجوه صغار الأعين...)**. [أخرجه أحمد (٢٠٣٩٩) وأبو داود (٤٢٩٨) وانظر صحيح الجامع (٨١٧٠) وقال الألبانى: حسن].

وبنوا قنطوراء اسم أبى الترك، وقيل: اسم جارية كانت للخليل عليه السلام ولدت له أولاداً جاء من نسلهم الترك، وفيه نظر؛ فإن الترك من أولاد يافث بن نوح وهو قبل الخليل بكثير، كذا ذكره بعضهم.

ويمكن دفع الإشكال بأن الجارية كانت من أولاد يافث، او المراد بالجارية بنت منسوبة للخليل؛ لكونها من بنات أولاده، وقد تزوجها واحدٌ من أولاد يافث فأتى بأبى هذا الجيل. أهـ [عون المعبود (٣٧٥/٧)].

وقال وهب بن منبه: هم بنو عم يأجوج ومأجوج لما بنى ذو القرنين السد كان بعض يأجوج ومأجوج غائبين فتُركوا لم يدخلوا مع قومهم فسموا الترك. أهـ. فتح البارى (١٢٣/٦).

والمراد بالترك: الشعوب المتعددة التى تقطن وراء جبال القفقاس، وهم قبائل من الرُحل كانت تقيم فى آسيا الوسطى بين بحر آرال وجبال التائى، نزح بعضهم شرقاً وبعضهم غرباً إلى ما وراء النهر، واستقر بعضهم فى تركستان وبعضهم فى الأناضول وهم العثمانيون، ومن الترك التتار والمغول ظهر منهم دولتان: إحداها فى آسيا الوسطى أسسها جنكيز خان، وتعرف هذه السلالة بالمغول العظماء، والدولة الثانية فى الهند اسسها رجل يدعى بابر وهو من سلالة تيمورلنك (آخر ملوك المغول العظماء) وعرفت بمغول الهند. (انظر المنجد نقلا عن المسيح المنتظر صـ ٦) بتصرف وزيادة.

الثالث: هل ظهرت هذه الآية بين يدى الساعة؟ وإن كانت ظهرت فما أحداثها التاريخية؟

قال ابن حجر –رحمه الله–: وقد ظهر مصداق هذا الخبر، وقد كان مشهوراً فى زمن الصحابة حديث **(اتركوا الترك ما تركوكم)** [أخرجه أبو داود (٤٢٩٢)، والنسائى (٣١٧٣) من حديث رجل من الصحابة، قال الألبانى: حسن، انظر صحيح الجامع (٣٣٨٤)]... وقاتل المسلمون الترك فى خلافة بنى أمية، وكان ما بينهم وبين المسلمين مسدوداً إلى أن فتح ذلك شيئاً بعد شىء، وكثر السبىُ منهم، وتنافس الملوك فيهم لما فيهم من الشدة والبأس حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم، ثم غلب الأتراك على الملك فقتلوا ابنه المتوكل ثم أولاده واحداً بعد واحد إلى أن خالط المملكة الديلم، ثم كان الملوك السامانية من الترك أيضاً فملكوا بلاد العجم، ثم غلب على تلك الممالك آل سبكتكين، ثم آل سلجوق وامتدت مملكتهم إلى العراق والشام والروم. ثم كان بقايا أتباعهم بالشام وهم آل زنكى وأتباع هؤلاء وهم بيت أيوب، واستكثر هؤلاء أيضا من الترك فغلبوهم على المملكة بالديار المصرية

ثامنًا : فتح القسطنطينية الأول:

بشَّر النبى ﷺ أمته بفتح القسطنطينية(١) عاصمة البيزنطيين، وهى مدينة بناها الملك قسطنطين، فنسبت إليه، وتعرف أيضاً بمدينة قيصر، ثم بفتح رومية(٢) عاصمة إيطاليا، ومقر بابا الكاثوليك.

عن أبى قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص -رضى الله عنهما- وسئل: أى المدينتين تفتح أولاً، القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً. قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ أى المدينتين تفتح أولاً؟ أقسطنطينية أو رومية؟، فقال رسول الله ﷺ: **(مدينة هرقل تفتح أولاً)** يعنى قسطنطينية(٣).

= والشامية والحجازية، وخرج على آل سلجوق فى المائة الخامسة الغزّ فخربوا البلاد وفتكوا فى العباد، ثم جاءت الطامة الكبرى بالتتار فكان خروج جنكيز خان [سنة ٦١٧هـ] فأُسعرت بهم الدنيا ناراً خصوصاً المشرق بأسره حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرهم، ثم كان خراب بغداد، وقتل الخليفة المستعصم آخر خلفائهم على أيديهم فى سنه ٦٥٦هـ، ثم لم تزل بقاياهم يخربون إلى أن كان آخرهم اللنك... فطرق الديار الشامية وعاث فيها، وحرق دمشق حتى صارت خاوية على عروشها، ودخل الروم والهند وما بين ذلك وطالت مدته إلى أن أخذه الله وتفرق بنوه فى البلاد، وظهر بجميع ما أوردته مصداق قوله ﷺ: **(إن بنى قنطوراء أول من سلب أمتى ملكهم)** أخرجه الطبرانى عن معاوية. أهـ. فتح البارى (٧٠٥/٦).

(١) القسطنطينية: ويقال قسطنطينة بإسقاط ياء كانت رومية، دار ملك الروم، وسميت باسمه [أى: باسم قسطنطين فهو الذى بناها] وبين عمورية وقسطنطينية ستون ميلاً، واسم اسلامبول قسطنطينية. انظر معجم البلدان (٣٤٧/٤).

(٢) رومية: هى مدينة شمالى غربى القسطنطينية، بينهما مسيرة خمسين يوماً، أو أكثر وهى اليوم بيد الإفرنج، [وهى اليوم عاصمة إيطاليا وستفتح بإذن الله]. معجم البلدان (١١٣/٣).

(٣) أخرجه أحمد (٦٦٤٥)، والدارمى (٤٨٦)، والحاكم (٨٣٠١ و٨٥٥٠ و٨٦٦٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى، وقال الهيثمى فى المجمع (٢١٩/٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبى قبيل وهو ثقة، وقال العلامة أحمد شاكر فى تعليقه على المسند (١٣١/١٠): إسناده صحيح. ووافقه الألبانى فى الصحيحة (٤).



وعن أم حرام بنت ملحان رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: **(أول جيش من أمتى يركبون البحر قد أوجبوا، وأول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم)**[١].

ولم يقل ﷺ: ينتصرون أو نحو ذلك، وإنما بشرهم بالمغفرة. وغزا المسلمون القسطنطينية فى خلافة معاوية رضي الله عنه وكان أميرهم يزيد بن معاوية، وكان فى العسكر أبو أيوب الأنصارى رضي الله عنه فاستشهد ودفن هناك[٢]، ولم يتمكن المسلمون من فتحها[٣].

عن بشر الغنوى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لتُفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)**[٤].

وقد تم فتح القسطنطينية عام ٨٥٧هـ-١٤٥٣م على يد السلطان العثمانى محمد الثانى[٥]، المعروف بالفاتح، فنال مع جنوده البشارة الكريمة من النبى ﷺ وسماها (إسلام بول) أى مدينة الإسلام.

وهذا الفتح تهيئة للفتح العظيم الآخر، قبل ظهور الدجال، كما سيأتى إن شاء الله[٦].

وهذه هى العلامات التى ظهرت وانقضت[١].

---

(١) أخرجه البخارى (٢٩٢٤) من حديث أم حرام بنت ملحان رضى الله عنها.

(٢) انظر تاريخ دمشق (٦٣/١٦-٦٥)، والاستيعاب (٤٢٥/٢)، والإصابة (٢٣٥/٢)، والبداية والنهاية (١٨٠/١١).

(٣) انظر تاريخ الطبرى (٢٣٢/٥)، والمنتظم (٢٢٤/٥)، والكامل (٤٥٨/٣).

(٤) أخرجه أحمد (١٨٩٧٧)، والبخارى فى الأوسط (١٤٨٢)، وفى الكبير (١٧٦٠)، والطبرانى فى الكبير (١٢١٦)، والحاكم (٨٣٠٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، وقال المناوى فى التيسير (٢٩٠/٢): إسناده صحيح، وقال الألبانى فى الضعيفة (٨٧٨) وفى ضعيف الجامع (٤٦٥٥): ضعيف.

(٥) هو السلطان الغازى محمد الثانى بن مراد الفاتح، من آل عثمان، الأسرة التركية الشهيرة، ولد سنة ٨٣٣هـ-١٤٢٩م، فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م -وهو ابن أربع وعشرين سنة- حيث حاصرها بما يزيد على مائتى ألف جندى، وفتحها الله على يديه، فنصر الإسلام وأعز أهله، وهزم الكفر وأذل أهله، وسماها (إسلام بول) أى: مدينة الإسلام. (انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية صـ ١٦٠، وتاريخ الدولة العثمانية صـ ١٤٩).

(٦) أى فى الحديث عن المهدى فى المبحث الرابع من هذا الفصل.



المبحث الثانى - الأمارات الصغرى التى ظهرت ولازالت تتابع[٢]:

أولاً : ظهور المتنبئين:

حذر النبى ﷺ أمته من كذابين مضللين، يدّعون النبوة، ويدْعُون إلى أهواء فاسدة أو اعتقادات باطلة.

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان ... وحتى يُبعث كذابون دجالون قريبا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله)**[٣].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **(ليكونن قبل المسيح الدجال كذابون ثلاثون أو أكثر)**[٤].

=

(١) ويضاف لهذه الأمارات التى ظهرت وانقضت أمارات أخرى منها:

ظهور أمة الاسلام:

قال ﷺ: **(أنتم والساعة كهاتين)** أخرجه أحمد (١٣٣٢١) من حديث أنس ﷺ. وهذا من العلامات التى قد ظهرت زمان بعثة النبى ﷺ. (انظر أشراط الساعة للغامدى (٢٠٤/١ ٢٠٧).

انشقاق القمر:

قال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ (القمر: ١).

وفى الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ أن أهل مكة سألوا النبى ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين.

وفيهما من حديث ابن مسعود ﷺ فى قوله تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ قال: قد انشق على عهد رسول الله ﷺ فرقتين أو فلقتين، فكان فلقة من وراء الجبل وفلقة على الجبل فقال رسول الله ﷺ: **(اللهم اشهد)**.

ومسألة انشقاق القمر من علامات الساعة الصغرى، وهذه الآية من القسم الذى ظهر وانتهى. قال الطبرى -رحمه الله- فى جامع البيان فى تفسير سورة القمر: "اقتربت: افتعلت من القرب وهذا من إنذار الله لعباده بدنو القيامة وقرب فناء الدنيا" أهـ.

(٢) انظر "المسيح المنتظر" صـ ٣١-٥٠.

(٣) تقدم تخريجه وهو متفق عليه، من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه أحمد (٥٨٠٨)، وأبو يعلى (٥٧٠٦ و٥٧٠٧) وقال العلامة أحمد شاكر فى تحقيق المسند: إسناده حسن، وقال الألبانى فى الصحيحة (١٦٨٣) بعد أن ذكر طريقين للحديث: الحديث بمجموع



ولـيس المـراد مـن كـان كـذابا ودعـا إلـى ضــلالة مـن غيـر ادعـاء النبـوة؛ فـإنهم لا يُحصون، ولا من ادعى النبوة مطلقا، بل المراد من ادعى النبوة وعُرف واتبعته جماعة.

وقد ظهر دجاجلة كثيرون ومتنبئون كذبة وأصحاب أهواء وضلالات، والمراد من قامت لهم شوكة، وكثر أتباعهم، واشتهروا بين الناس. وقد ظهر بعضهم فى زمن النبوة ثم فى عهد الصحابة رضى الله عنهم ولا يزالون يظهرون حتى عصرنا هذا. أولهم مسيلمة الكذاب باليمامة ظهر فى زمن النبى ﷺ ثم قتل فى خلافة أبى بكر ﷺ وآخرهم المسيح الدجال، وهو أشدهم فتنة. وممن ظهر فى زمن النبى ﷺ أيضاً الأسود العنسى فى اليمن، وقد قتل قبل أن يموت النبى ﷺ، وممن ظهر فى زمن الصحابة رضى الله عنهم طليحة بن خويلد الأسدى وسجاح التميمية، ثم خرج المختار بن أبى عبيد الثقفى، وغلب على الكوفة فى خلافة ابن الزبير ﷺ وأظهر فى أول أمره محبة أهل البيت، ثم ادعى النبوة، وزعم أن جبريل يأتيه. وظهر الحارث الكذاب فى خلافة عبد الملك بن مروان، فقتل، وخرج جماعة فى خلافة بنى العباس[(١)].

وممن ظهر فى عصرنا الشقى ميرزا غلام أحمد القاديانى فى الهند، فإنه ادعى النبوة والمهدوية، ثم ادعى أنه عيسى، وصدق دعوته طائفة سموا بالقاديانية، نسبة إلى قريته بالهند قاديان، وسموا بالأحمدية أيضاً نسبة إليه، لأنه سمى نفسه أحمد[(٢)].

وممن ظهر أيضاً المرزا على محمد رضا الشيرازى الذى أسس الحركة البابية سنة ١٢٦٠هـ ١٨٤٨م تحت رعاية اليهودية العالمية والاحتلال[(٣)] الروسى والإنجليزى بهدف

=

الطريقين حسن، وهو صحيح بشواهده الكثيرة.

(١) انظر فتح البارى (٧١٣/٦-٧١٤).

(٢) ينظر: "أصول وتاريخ الفرق الإسلامية" للمؤلف صـ ٧٢٧.

(٣) الأولى فى مثل هذا المقام استعمال كلمة الاحتلال وترك كلمة الاستعمار مع شيوعها وشهرتها، وذلك لأن الاستعمار معنى جميل وعمل عظيم وغاية نبيلة وقد أثنى نبىُ الله صالح على ربه وهو يذكر لقومه نعم الله عليهم ﴿... **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ (هود: ٦١).

ومن المعروف أن هدف هؤلاء المحتلين هو امتصاص دماء الناس، ونهب خيرات البلاد مع ما ينشرونه من الظلم والاستبداد والرزيلة وهذا كله لا يتوافق مع معنى الاستعمار الجميل.



تفكيك وحدة المسلمين، وأعلن أنه الباب، ولما مات قام بالأمر من بعده المزرا حسين على، الملقب بالبهاء، وسمى الحركة بالبهائية، وله كتاب اسمه الأقدس[(١)].

ثانيًا : تطاول فقراء الأعراب فى البنيان:

أخبر النبى ﷺ أن أهل البوادى وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة سوف تبسط لهم الدنيا، فيبنون أبنية متعددة الأدوار، ويتباهون فى ارتفاعها، ويتنافسون فى ذلك، فكل من بنى يريد أن يكون ارتفاع بنائه أعلى من ارتفاع الآخر.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر ... **(قال: فأخبرنى عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرنى عن أمارتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان ...)**[(٢)].

---

(١) ينظر: "أصول وتاريخ الفرق الإسلامية" للمؤلف (صـ ٧٠٩)، وانظر مصارع هؤلاء الأشقياء فى "سكب العبرات" للعفانى (١/٤٨٥-٥٠١).

(٢) أخرجه من حديث عمر بن الخطاب مسلم (١ و٣) ونحوه عند البخارى من حديث أبى هريرة (٥٠).
وقوله: **(أن تلد الأمة ربتها أو ربها)**.
قال ابن حجر: وقد اختلف العلماء قديماً وحديثاً فى معنى ذلك.
قال الخطابى: معناه اتساع الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبى ذراريهم، فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها كان الولد منها بمنزلة ربها؛ لأنه ولد سيدها. قال النووى: هو قول الأكثرين.
وفسره وكيع: أن تلد العجم العرب، وتوجه بأن الإماء يلدن الملوك فتصير الأم من جملة الرعية والملك سيد رعيته.
أن تبيع السادة أمهات الأولاد فيكبر الولد فيشتريها ولا يشعر أنها أمه (على الخلاف فى حكم بيع أمهات الأولاد).
أو يكثر العقوق فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام ويكون هو ربها مجازاً.
أو المراد بالرب المربى فيكون حقيقة، وهذا لما يحدث قرب الساعة من تداخل الأمور وانقلاب الموازين وهذا الذى رجحه ابن حجر فى الفتح (١/١٤٩) باختصار.
وقوله (العالة): جمع العائل وهو الفقير والعالة هم الفقراء. النهاية فى غريب الحديث (٣/٣٢٣).



ومن يذهب الآن إلى هذه الديار –التى قال النبى ﷺ فيها هذا الحديث– يجد أن ما أخبر به النبى ﷺ قد تحقق كما أخبر، فتجد أن الأعراب هناك قد بسطت لهم الدنيا يدها وأخذوا يتفاخرون بارتفاع منازلهم(١).

ثالثًا : انتشار الفواحش:

أخبر النبى ﷺ بوقوع فواحش تضيع منها شخصية الأمة وشهامتها وكرامتها، ومن ذلك ما يلى:

١. ظهور الشُرطة الظالمة والكاسيات العاريات:

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)**(٢).

---

(١) قال ابن رجب فى جامع العلوم والحكم (الحديث الثانى): والمراد أن أسافل الناس يصيرون رؤساءهم وتكثر أموالهم، حتى يتباهون بطول البنيان وزخرفته وإتقانه، وإذا صار الحفاة العراة رعاء الشاة وهم أهل الجهل والجفاء رؤساء الناس وأصحاب الثروة والأموال حتى يتطاولوا فى البنيان، فإنه يفسد بذلك نظام الدين والدنيا.

فإنه إذا كان رؤوس الناس من كان فقيراً عائلاً فصار ملكاً على الناس، سواء كان ملكه عاماً أو خاصاً فى بعض الأشياء فإنه لا يكاد يعطى الناس حقوقهم بل يستأثر عليهم بما استولى عليه من المال، وإذا كان مع هذا جاهلاً جافياً فسد بذلك الدين؛ لأنه لا يكون له همة فى إصلاح دين الناس، ولا تعليمهم، بل همته فى حياة المال وإكثاره، ولا يبالى بما أفسد من دين الناس، ولا بمن أضاع من أهل حاجتهم، وإذا كان ملوك الناس ورؤوسهم على هذا الحال انعكست سائر الأحوال، فصُدق الكاذب، وكُذب الصادق، وائتمن الخائن، وخون الأمين، وتكلم الجاهل وسكت العالم أو عُدم بالكلية... وهذا كله من انقلاب الحقائق فى آخر الزمان وانعكاس الأمور. أهـ (جامع العلوم والحكم صـ ٥٩-٦٠).

(٢) تقدم تخريجه وشرح مفرداته فى فتنة النساء وأخرجه مسلم.

قال النووى: هذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع ما أخبر به ﷺ.

فالصنف الأول أعوان الظلمة الذين يلازمون أدوات التعذيب، ويتفننون فيه وفيها، وقد نزعت الرحمة من قلوبهم، فإذا وقع بين أيديهم متهم أو من التبس أمره، فعلوا فيه العجائب، بل ربما أفضى بهم ما جبلوا عليه من القسوة إلى إهلاكه أو تعطيل أحد مرافق جسمه.

عن أبى أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(سيكون فى آخر الزمان شرطة، يغدون فى غضب الله، ويروحون فى سخط الله، فإياك أن تكون من بطانتهم)**[١].

وأما الصنف الثاني[٢] فهن اللائى يسترن بعض أبدانهن، ويكشفن بعضها الآخر، ابتغاء الفتنة، أو يلبسن ثياباً رقيقة ضيقة أو شفافة تصف ما تحتها، ويتكلفن فى مشيتهن، فيملن أكتافهن وأكفالهن..وقد صففن شعر رؤوسهن بأنواع من الترجيلات، بحيث تغدو رؤوسهن كأسنمة الأبعرة البختية، وذلك عن طريق تصفيفه بالوسائل والمواد الحديثة، أو وصله بشعر مستعار (الباروكة). وقد رأينا هذا كله، ولا سيما مع وجود محلات كبيرة لتصفيف شعر النساء، يقوم عليها رجال متخصصون، تدربوا فى الغرب، واستوردوا أدواتهم منهم.

---

(١) أخرجه بتمامه الطبرانى فى الكبير (٧٦١٦)، وفى مسند الشاميين (٥٤٢)، قال ابن حجر فى القول المسدد (٣٣/١): إسناد صحيح، ووافقه المناوى فى التيسير (٦٦/٢)، وأخرجه دون زيادة قوله: **(فإياك أن تكون من بطانتهم)** أحمد (٢٢٢٠٤)، والطبرانى فى الأوسط (٥٢٥١)، وفى الكبير (٨٠٠٠)، والحاكم (٨٣٤٧)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، وقال الهيثمى فى المجمع (٢٣٤/٥): رجال أحمد ثقات، وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٨٩٣) وفى صحيح الجامع (٣٦٦٦) من حديث أبى أمامة ﷺ.

ونحوه عند مسلم (٨٢٥٧) من حديث أبى هريرة بلفظ: **(يوشك -إن طالت بك مدة- أن ترى قوماً فى أيديهم مثل أذناب البقر يغدون فى غضب الله، ويروحون فى سخط الله)** وفى رواية: **(إن طالت بك مدة أوشكت أن ترى قوماً يغدون فى سخط الله، ويروحون فى لعنته. فى أيديهم مثل أذناب البقر)**.

(٢) انظر معنى "الكاسيات العاريات" فى شرح النووى لمسلم (١٦٠/١٧) وراجع تعليقى على الحديث فى فتنة النساء.



٢. التقليد الأعمى لمعاصى الأمم السابقة:

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضب لتبعتموهم**، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: **فمن؟)**(١).

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه)**(٢).

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى بأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع)** قيل له: يا رسول الله!، كفارس والروم؟ قال: **(من الناس إلا أولئك)**(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخارى (٣٤٥٦ و٧٣٢٠)، ومسلم (٦٦٩)، من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ.
قال ابن حجر: قال ابن بطال: "أعُلم ﷺ أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم قبلهم، وقد أنذر فى أحاديث كثيرة بأن الآخر شر والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وأن الدين إنما يبقى قائمًا عند خاصة من الناس.
قلت (ابن حجر): وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ وسيقع بقية ذلك! أهـ.
قلت: قال ابن حجر: إنه قد وقع معظم ذلك. وقد قال هذا فى زمانه فكيف به إذا عاش فى زماننا ورأى تهافت السفهاء على زُبالة الغرب وتقليدهم إياهم؟ وإلى الله المشتكى.

(٢) تقدم تخريجه، وصححه الألبانى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

(٣) أخرجه البخارى (٧٣١٩) من حديث أبى هريرة ﷺ.

مسألة: ما المقصود بالشبر والذراع والجحر؟ وهل المراد تقليد اليهود والنصارى وغيرهم فى الكفر أم ما دون ذلك؟

قال النووى –رحمه الله–: "والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب: التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد: الموافقة فى المعاصى والمخالفات لا فى الكفر، وهو معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ فقد وقع ما أخبر به". أهـ (١٨٩/١٦).

وقال المناوى:" ... ثم إن هذا اللفظ معناه النهى عن اتباعهم ومنعهم من الالتفات لغير دين الإسلام؛ لأن نوره قد بهر الأنوار وشريعته نسخت الشرائع". أهـ. فيض القدير (٣٣٢/٥).



٣. انتشار الزنا ودواعيه (من شرب الخمور واستماع الغناء واللهو المحرم):

عن عبد الرحمن بن غنم الأشعرى قال: حدثنى أبو عامر -أو أبو مالك- الأشعرى ﷺ والله ما كذبنى، سمع النبى ﷺ يقول: **(ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحِرَ، والحرير، والخمر، والمعازف)**[١].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(لا تقوم الساعة -أو إن من أشراط الساعة- أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويُشرب الخمر، ويفشو الزنا، ويذهب الرجال، ويبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد**، وفى رواية: **يظهر الزنا، ويقل الرجال، ويكثر النساء)**[٢].

وعن رجل من أصحاب النبى ﷺ عن النبى ﷺ: **(يشرب ناسٌ من أمتى الخمر باسم يسمونها إياه)**[٣].

=

إشكال: عبر النبى ﷺ عن الأمم المتبَعة تارة باليهود والنصارى وتارة بفارس والروم. فكيف يستقيم ذلك؟

قال ابن حجر: ووجهه أنه ﷺ لما بعث كان ملك البلاد منحصراً فى الفرس والروم وجميع ما عداهم من الأمم من تحت أيديهم.

ويحتمل أن يكون الجواب اختلف حسب المقام، فحيث عبر بفارس والروم كان هناك قرينة تتعلق بالحكم بين الناس وسياسة الرعية، وحيث قال: اليهود والنصارى كان هناك قرينة تتعلق بأمور الديانات، أصولها وفروعها. أهـ. فتح البارى (٣١٤/١٣).

(١) تقدم تخريجه وهو عند البخارى.

والحر: هو الفرج كناية عن الزنا. راجع فتنة النساء فقد ذكرت هناك تضعيف ابن حزم للحديث بأنه متقطع بين البخارى وشيخه وذكرت كذلك رد أهل العلم عليه، فراجعه.

(٢) متفق عليه، البخارى (٨١)، ومسلم (٢٦٧١) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) أخرجه من حديث عبادة بن الصامت ﷺ بلفظ: "ليستحلن طائفة من أمتى ... الحديث" أحمد (٢٢٧٦١)، وابن ماجة (٣٣٨٥)، وابن أبى الدنيا فى ذم المسكر (٨)، والبزار (٢٧٢٢٠)، والضياء فى المختارة (٢٥٦/٨) برقم (٣١١ و٣١٢ و٣١٣ و٣١٤) وحسَّن إسناده، وقال الألبانى فى الصحيحة (٩٠): صحيح. وأخرجه عن ابن محيريز عن رجل من أصحاب النبى ﷺ أحمد (١٨٠٧٣)، والنسائى فى الكبرى (٥١٦٨)، وفى المجتبى (٥٦٥٨)، وقال الألبانى فى الصحيحة



وهذه العلامات قد وجد منها شيء كثير، وهى فى ازدياد مستمر، ظهرت الحانات وبيوت اللهو، وتعددت الآلات الموسيقية وتنوعت، وكثر المغنون والمغنيات، وشُربت الخمور المتنوعة، وما أكثر أصنافها وأنواعها وأسمائها، وقامت الراقصة وسط ذلك. بل تفشى شرب المخدرات المصنفة التى تفتك بالعقول والأبدان فى مدة يسيرة، أكثر مما تفتك به المسكرات بسنين طويلة. أضف إلى ذلك فتنة التلفاز وقنواته العالمية وما يعُرض فيها من أفلام وأغان مثيرة للشهوة. فكيف لا يكثر الزنا وتنتشر الفواحش(1).

رابعًا : إضاعة الأمانة:

الأمانة والأمان معنى يحصل فى القلب، فيأمن به المرء من الردى فى الدنيا والآخرة، وحفظ الأمانة أثر كمال الإيمان، فإذا ضعف بحب الدنيا، ونقص نوره بالمعاصى، اضمحلت الأمانة وظهرت الخيانة.

عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(تُرفع الأمانة، فينام الرجل، ثم يستيقظ وقد رفعت الأمانة من قلبه، ويبقى أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة، فتقبض**

=

(٩٠): إسناد جيد رجاله كلهم ثقات، وابن محيريز اسمه عبد الله، وهو ثقة من رجال الشيخين، وصححه محققوا مسند الرسالة.

ومعنى قوله: "يسمونها بغير اسمها": يبدلون اسمها ليبدلوا بذلك حكمها، وتسمية الأشياء المحرمة بغير اسمها من أجل تغيير حكمها آفة من آفات الزمان؛ فإننا نعيش زماناً كثرت وفشت فيه الفواحشُ والخمورُ والشذوذُ فأنشأت الخمارات وبيوت الدعارة بصورة رسمية قانونية، بل نظمت هذه الفواحش وسميت بغير اسمها فأصبح الزنا والشذوذ حباً وحريةً، وصارت الخمور مشروبات روحية، وصار العرىّ تقدماً ومدنية، وصار التصوير والنحت فناً راقياً.

وعلى النقيض من ذلك فكل دعوة للرجوع إلى الحق عدُّوها رجعيةً وأصوليةً وتشدداً وحرباً للحريات وتخلفاً. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(١) وتزداد الطامة بلاءً والأمر اشتداداً إذا علمنا أن الزنا سوف يتفشى فى الطرقات وستكثر المجاهرة بالفاحشة مع قلة من ينهى عن المنكر. أخرج الهيثمى فى موارد الظمآن (١٨٨٩) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا فى الطريق تسافد الحمير)**.



الأمانة من قلبه ...) الحديث[1].

وقد ذكر النبى ﷺ أن إضاعة الأمانة من علامات الساعة، وقصد بذلك ما هو أكبر خطراً وأكثر أثراً فى الأمة.

ومن صور تضييع الأمانة:

١. إسناد الأمر إلى غير أهله:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: (بينما رسول الله ﷺ فى مجلس يحدث القوم، إذ جاء أعرابى، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ فى حديثه .. حتى إذا قضى حديثه قال: **أين السائل عن الساعة؟** قال: هأنذا يا رسول الله! قال: **إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة**، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: **إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)**[2].

فمن مظاهر إضاعة الأمانة إسناد الأمور المتعلقة بالآخرة أو بالدنيا أو بهما معاً إلى غير مستحقيها، كالقضاء والإفتاء والتدريس والإدارات والقيادات وسائر الوظائف العامة. وإنما دل ذلك على دنو الساعة لما فيه من خيانة للرعاة والرعية، ينتج عنها تفويت الحقوق وإضاعة المصلحة، مما يؤدى إلى إيغار الصدور والفتنة.

٢. تخوين الأمين وائتمان الخائن:

ومن آثار تفويض الأمور إلى غير أهلها الذين يستطيعون تسييرها بكفاءة أكثر من غيرهم، انعدام الثقة بين الناس وظهور الخداع، ولا سيما بين أصحاب المناصب.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنها ستأتى على الناس سنون خداعة، يصدق فيها الكاذب، ويُكَذَّب فيها الصادق، ويؤتمن الخائن،**

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣).

(٢) أخرجه البخارى (٥٩و٦٤٩٦).

ومعنى قوله: "وُسد الأمر إلى غير أهله.." أن الأئمة قد ائتمنهم الله على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم، فينبغى لهم تولية أهل الدين، فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التى قلدهم الله تعالى إياها. أهـ (فتح البارى ٣٤٢/١١).



ويُخَوَّن الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة؟ قال: **السفيه يتكلم فى أمر العامة)**[١].

وفى لفظ عند أحمد: **(قبل الساعة ...)** الحديث[٢].

٣. تصدر السفهاء:

وينتج عما سلف ارتفاع الأسافل على الأخيار، واسئثارهم بالأمور دونهم، فيكون أمر العامة بيد سفهائهم ولئامهم.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **(من اقتراب الساعة أن تُرفع الأشرار، ويوضع الأخيار، ويقبُح القول، ويخزن العمل، وتتلى فى القوم المثناة**، قلت: وما المثناة؟ قال: **ما كتب سوى كتاب الله)**[٣].

وذكره فى مجمع الزوائد بلفظ: **(ويحسن العمل، وتُفرى فى القوم المساءة**، قلت: وما المساءة؟ قال: **ما كتب سوى كتاب الله)**[٤].

وما أكثر الكتب والصحف والإذاعات ووسائل المعلومات المضللة اليوم.

وروى الطبرانى والضياء عن خباب مرفوعاً: **(إن بنى إسرائيل لما هلكوا قصوا)**[٥]

---

(١) أخرجه من حديث أبى هريرة ﷺ أحمد (٧٨٩٩)، وابن ماجة (٤٠٣٦)، والحاكم (٨٤٣٩ و٨٥٦٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الألبانى فى الصحيحة (١٨٨٨)، وفى صحيح الجامع (٣٦٥٠): صحيح. قلت: وفى الباب عن أنس، وعوف بن مالك رضى الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد (٨٤٤٠)، وحسنه محققو المسند ط. الرسالة.

(٣) أخرجه الدرامى (٤٧٦)، والطبرانى فى مسند الشاميين (٤٨٢)، والحاكم (٨٦٦٠ و٨٦٦١) وقال، هذا حديث صحيح الإسنادين جميعا ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، وأخرجه البيهقى فى الشعب (٥١٩٩)، وابن عساكر فى تاريخه (٣١٣/٤٦)، وقال الألبانى فى الصحيحة (٢٨٢١): صحيح.

(٤) المجمع (٣٢٦/٧)، وقال رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٣٧٠٥)، والديلمى فى الفردوس (٨٨٦)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٨٩/١): رواه الطبرانى ورجاله موثقون، وقال الألبانى فى الصحيحة (١٦٨١)، وفى صحيح الجامع (٢٠٤٥): صحيح.

قال المناوى: أى لما هلكوا بترك العمل أخلدوا إلى القص، وعولوا عليها واكتفوا بها[١].

قال الألبانى[٢]: ولينظر المؤمن العاقل فى حال كثير من المسلمين اليوم فقد أصابهم ما أصاب من قبلهم، فقد أخلد وعّاظهم إلى القصص وأعرضوا عن العلم النافع والعمل الصالح مصداقا لقوله عليه السلام: **(لتتبعن سنن من قبلكم ...)**[٣].

خامسًا : رفع العلم وظهور الجهل:

المراد بالعلم هنا علم الكتاب والسنة وما يتفرع عنهما، وهو الموروث عن الأنبياء – عليهم السلام– وبخاصة رسول الله ﷺ وكلما بعد الزمان عن عصر النبوة قل العلم وكثر الجهل بصورة عامة.

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم...)** الحديث[٤].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد)**[٥].

وعن عبد الله بن مسعود وأبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **(إن بين يدى الساعة أياماً، ينزل فيها الجهل، ويرفع العلم، ويكثر فيها الهرج)** والهرج القتل[٦].

والمراد استحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر، ولا يمنع من ذلك وجود

---

(١) فيض القدير (٢/٤٤٤).

(٢) انظر كلام الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٦٨١).

(٣) متفق عليه، وتقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخارى (١٠٣٦ و ٧١٢١).

(٥) تقدم تخريجه، وهو متفق عليه.

(٦) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٧٠٦٤)، ومسلم (٢٦٧٢).

طائفة قليلة من أهل العلم، فإنهم سيكونون مغمورين فى أولئك. ويظهر ذلك فيما يلى:

١. التماس العلم عند الأصاغر:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا)**(١).

وعن أبى أمية الجمحى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن من أشراط الساعة** -فى رواية: **ثلاثاً، إحداهن- أن يُلتمس العلم عند الأصاغر)**(٢).

وهم طلبة العلم غير المتمكنين، يُسألون فيفتون بغير علم، بل برأيهم، أنفة منهم واستكباراً عن أن يقولوا: لا نعلم. وبذلك ينتشر الشر، ويقع بين الناس التباغض، وتكثر البدع.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا"(٣).

وفى زماننا غلب اليأس على كثير من العلماء، فأصبحوا مغمورين، ونشط للدعوة

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٦١)، والطبرانى فى الكبير (٣٦١/٢٢) رقم (٩٠٨)، واللالكائى فى اعتقاد أهل السنة (١٠٢)، والدانى فى السنن الواردة فى الفتن (٤٣٥)، والبغدادى فى نصيحة أهل الحديث (٦)، وفى الجامع لأخلاق الراوى (١٥٩)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٣٥/١): فى إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف، ووافقه المناوى فى التيسير (٣٤٨/١)، والحديث صححه الألبانى فى الصحيحة (٦٩٥)، وفى صحيح الجامع (٢٢٠٧).

(٣) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٨١٥)، وعبد الرزاق فى مصنفة (٢٠٤٤٦)، والطبرانى فى الكبير (٨٥٩٠ و٨٥٩١)، والبيهقى فى المدخل (٢٧٥)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١٥٩/١)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٣٥/١): رجاله موثقون، وصححه أبو الأشبال فى جامع بيان العلم (١٠٦٠).

كثير من الشباب، غلبت عليهم الحماسة، فأصبحوا يتصدرون لمجالس التعليم والإفتاء، دون أن يرجعوا إلى العلماء، فوقعت الأخطاء.

وعن عمر رضي الله عنه قال: "فساد الناس إذا جاء العلم من قبل الصغير، استعصى عليه الكبير، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير، تابعه عليه الصغير"(١).

ومما يؤدى إلى اغترار الأصاغر وتجرئهم على الفتوى تلك الشهادات والألقاب العلمية التى تمنحها كثير من المؤسسات العلمية لخريجيها.

٢. كثرة الكتابة وانتشارها:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن بين يدى الساعة ... وظهور القلم)**(٢).

والمراد ظهور الكتابة وانتشار الكتب وما أشبهها من صحف ومجلات، وقد ظهرت فى زماننا وسائل حديثة للطباعة والنشر، فما أسرع طبعها وما أسهل نقلها غدواً وعشياً بين أقطار الأرض.

ليس المقصود ذم الكتابة مطلقاً، بل المراد ذم ما لا نفع فيه، أو ما يكتب للتفاخر وحب الظهور ممن يسمون بالكتّاب، وإنما يريدون حظ النفس. وللإمام النووى رحمه الله ضوابط فى ذلك، حيث قال فى مقدمة المجموع، باب آداب المعلم ما يلى:

ينبغى ألا يزال مجتهداً فى الاشتغال بالعلم، قراءة وإقراءً، ومطالعة وتعليقاً، ومباحثة ومذاكرة وتصنيفاً، ولا يستنكف من التعلم ممن هو دونه فى سن أو نسب أو شهرة أو دين،

---

(١) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم (٥٧٣)، والخطيب البغدادى فى نصيحة أهل الحديث (١٣)، وذكره ابن حجر فى الفتح (٣١٤/١٣) وقال: رواه قاسم بن أصبغ فى مصنفه بسند صحيح. أهـ. وحسن إسناده أبو الأشبال الزهيرى فى جامع بيان العلم (١٠٥٥ و١٠٥٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣٨٧٠)، والبخارى فى الأدب المفرد (١٠٤٩)، والحاكم فى المستدرك (٨٣٧٨)، وصححه أحمد شاكر فى تحقيق المسند (٣٣٣/٥)، وصححه الألبانى فى الصحيحه (٢٧٦٧) وصحيح الأدب المفرد (١٠٤٩).

أو فى علم آخر، بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده، وينبغى أن يعتنى بالتصنيف إذا تأهل له، ففيه يطلع على حقائق العلم ودقائقه، ويثبت معه؛ لأنه يضطره إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتحقيق والمراجعة والاطلاع على مختلف كلام الأئمة، وليحذر كل الحذر أن يشرع فى تصنيف ما لم يتأهل له؛ فإن ذلك يضره فى دينه وعلمه وعرضه، وليحذر أيضاً من إخراج تصنيفه من يده إلا بعد تهذيبه، وترداد نظره فيه وتكريره، وليحرص على إيضاح العبارة، وإيجازها، فلا يوضح إيضاحاً ينتهى إلى الركاكة، ولا يوجز إيجازاً يفضى إلى المحق والاستغلاق، وينبغى أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق إليه، والمراد ألا يكون هناك مصنف يغنى عن مصنفه فى جميع أساليبه، فإن أغنى فى بعضها فليصنف من جنسه ما يزيد فيه زيادات يحتفل بها مع ضم ما فاته من الأساليب، وليكن تصنيفه فيما يعم الانتفاع به، ويكثر الاحتياج إليه.(1) أهـ.

سادسًا : ظهور الفتن وانتشار الفساد:

أخبر النبى ﷺ أمته أن الفتن فى آخر الزمان تكثر وتتنوع، فينتشر الفساد بين العباد، وتسوء الأخلاق ويكثر الشقاق، وتتفشى العادات الذميمة، وتنقطع المروءة، وتعبد المصلحة، ويعم البلاء، فيغبط الأحياءُ الأموات(2).

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(يأتى على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه، كالقابض على الجمر)**(3).

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر**

---

(1) انظر مقدمة "المجموع شرح المهذب" للنووى صـ ٥٥ بتصرف.

(2) قال ابن حجر: قال ابن بطال: وتمنى الموت عند ظهور الفتن، إنما هومن خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله، وظهور المعاصى والمنكر. أهـ.
وليس هذا عاما فى كل أحد وإنما هو خاص بأهل الخير، وأما غيرهم فقد يكون لما يقع لأحدهم من المصيبة فى نفسه وأهله أو دنياه. فتح البارى (١٣/٨١).

(3) أخرجه الترمذى (٢٢٦٠)، وقال الألبانى: صحيح. انظر الصحيحة (٩٥٧)، وصحيح الجامع (٨٠٠٢).



الرجل، فيقول: يا ليتنى مكانه)[١].

أى: يا ليتنى ميتاً حتى أنجو من الكرب، ولا أرى ما رأيت من المحن والفتن.

وفى رواية لمسلم عنه: **(والذى نفسى بيده، لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل بالقبر، فيتمرغ عليه، ويقول يا ليتنى مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين، ما به إلا البلاء)**[٢].

وكثرة البلاء والمحن تظهر من النواحى التالية:

١. ظهور الفحش والتفحش:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش، وقطيعة الرحم وسوء المجاورة)**[٣].

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٧١١٥)، ومسلم فى الفتن (١٥٧) (٥٣).
مسألة: قال ابن حجر: قال ابن عبد البر: ظن بعضهم أن هذا الحديث معارض للنهى عن تمنى الموت، وليس كذلك، وإنما فى هذا أن هذا القدر سيكون لشدة تنزل بالناس من فساد هذا الحال فى الدين أو ضعف أو خوف ذهابه لا لضرر ينزل بالجسم. كذا قال، وكأنه يريد أن النهى عن تمنى الموت هو حيث يتعلق بضرر الجسم، وأما إذا كان يتعلق بالدين فلا. وفيه إيماء إلى أنه لو فعل ذلك بسبب الدين لكان محموداً ويؤيده ثبوت تمنى الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف، قال النووى: لا كراهة فى ذلك بل فعله خلائق من السلف منهم عمر بن الخطاب، وعيسى الغفارى، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم. أهـ. فتح البارى (٨١/١٣).

(٢) أخرجها مسلم فى الفتن (١٥٧) (٥٤) عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٦٨٦٩)، والبزار (٣٤٠٩ و٣٤١١ و٣٤١٢)، والحاكم (٨٥٦٦) وصححه، ووافقه الذهبى، ووافقهما أحمد شاكر فى تعليقه على المسند (٢٠/١)، ووافقهم الألبانى فى الصحيحة (٢٢٨٨). و(الفحش): كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصى، وكثيراً ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا، و(التفاحش): تبادل الفحش أو إظهاره.
ودل الحديث أيضاً على أن من علامات الساعة:
١. قطيعة الأرحام. ٢. سوء الجوار.
وهذان من الأشراط التى ظهرت ولم تستحكم بعد.



وقد انتشر الفحش مع بذاءة اللسان بين الناس، فأصبحوا يتحدثون فى مجالسهم بما يرتكبون من المعاصى غير مبالين، بل يتباهون بما يُستحى من ذكره. أما سوء الجوار فحدث ولا حرج.

٢. قطيعة الرحم والتسليم على الخاصة:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن بين يدى الساعة التسليم على الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وفشو القلم، وظهور شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق)**[١].

٣. كثرة القتل:

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج** قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: **القتل، القتل)**[٢].

وعن عبد الله بن مسعود وأبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **(إن بين يدى الساعة أياماً ينزل فيها الجهل، ويرفع العلم، ويكثر فيها الهرج)** والهرج القتل. وعند البخارى: **(بين يدى الساعة أيام الهرج، يزول فيها العلم، ويظهر فيها الجهل)**[٣].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان، وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويُلقى الشح، ويكثر الهرج**، قالوا: يا رسول الله!

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨٦٩ و٣٨٧٠)، والبخارى فى الأدب المفرد (١٠٤٩)، والحاكم (٧٠٤٣ و٨٣٧٨) وصححه، ووافقه الذهبى، ووافقهم أحمد شاكر فى تحقيق المسند (١٣٣/٥)، ووافقهم الألبانى فى الصحيحة (٦٤٧)، وفى تعليقه على الأدب المفرد.

ودل الحديث على أن من علامات الساعة:

١. فشو التجارة. ٢. ظهور شهادة الزور. ٣. كتمان الحق.

وهذه الثلاث من العلامات التى ظهرت ولم تستحكم بعد.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٥).

(٣) تقدم تخريجه، وهو متفق عليه.



وما الهرج؟ قال: **القتل، القتل)**[1].

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(والذى نفسى بيده، لا تذهب الدنيا حتى يأتى على الناس زمان، لا يدرى القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قُتل**، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: **الهرج، القاتل والمقتول فى النار)**[2].

وقد بدأت كثرة القتل بمقتل عثمان ﷺ واستمرت إلى زماننا، غير أن الهرج يكثر فى أماكن، ويقل فى أخرى، كما يتفاوت بين زمان وآخر، والحروب الحديثة بأسلحتها الفتاكة، ونظام التجنيد الإجبارى والطاعة العمياء خير شاهد على ذلك.

سابعًا : فشو التجارة وعدم تحرى الحلال:

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:**(إن بين يدى الساعة التسليم على الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وفشو القلم، وظهور شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق)**[3].

وقد انتشرت التجارة، وصار اهتمام الناس بجمع المال فقط، والمرأة إلى جانب زوجها، والولد إلى جانب أبيه، كل منهم يلهث وراء المال، مع كثرة المزالق، وضعف الوازع الدينى. بل أصبح شعارهم (التجارة شطارة)، وقد وقع فى براثن هذا المبدأ كثير ممن كانوا يُرون أصحاب خلق ودين، فأصبحوا يحتكرون ويكيدون، مما أدى إلى تضحية الصديق بصديقه، والقريب بقريبه، والأخ بأخيه. ولم لا ما دام همّه جمع المال وتوسعة مشاريعه ورصيده.

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ليأتين على الناس زمان، لا يبالى المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام)**[4].

---

(١) تقدم تخريجه، وهو عند البخارى.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٠٨).

(٣) تقدم تخريجه، وهو صحيح.

(٤) أخرجه البخارى (٢٠٥٩ و٢٠٨٣).



وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن، ويكثر الكذب، وتتقارب الأسواق)**[(١)].

وهذا كناية عن كثرة التجارة وفشوها، ويصدق على هذا ما وقع فى زماننا من كثرة المحلات التجارية وكثرة مكاتب الاستيراد والتصدير، وسرعة وسائل الاتصال وعقد الصفقات الشفوية والكتابية بين المدن والدول والقارات، مع سرعة وضخامة وسائل الاتصال البرية والبحرية والجوية. بحيث لا يقع تغير فى الأسعار فى مكان ما إلا ويعلم به جميع أهل الأرض، فيزيدون إن زاد، وينقصون إن نقص، بل يتواطأ بعضهم مع بعض لضرب بعض آخر عن طريق احتكار بضاعة أو طرحها بكثرة فى الأسواق، مما أدى إلى وجود متحكمين فى الاقتصاد العالمى.

ثامنًا : تقارب الزمان:

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان، وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح ...)** الحديث[(٢)].

وهل هو كناية عن قصر الأعمار أو قلة البركة؟ أو هو على الحقيقة؟

أ. اختار النووى تبعاً للقاضى عياض، وأيدهما ابن حجر أن المراد نزع البركة من كل شيء، حتى من الزمان، وأن الانتفاع باليوم يصير بقدر الانتفاع بالساعة الواحدة[(٣)].

ب. وقيل: بل هو على الحقيقة. ويشهد لذلك ما يلى:

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم**

---

(١) أصله فى الصحيحين، وبهذا اللفظ أخرجه أحمد (١٠٧٠)، وابن حبان (٦٧١٨)، والهيثمى فى الموارد (١٨٨٢)، وفى المجمع (٣٢٧/٧) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سمعان وهو ثقه. وقال الألبانى فى الصحيحة (٢٧٧٢): صحيح.

(٢) تقدم تخريجه، وهو متفق عليه.

(٣) انظر فتح البارى (١٣/١٩و٢٠).

كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة)[1].

ولعل حقيقة التقارب تظهر فى أيام الدجال، حيث تكون الخوارق كما سيأتى إن شاء الله. أما فى زماننا، فإن كثيراً من الناس يرون أن أحدهم لا يقدر أن يبلغ من العمل قدر ما كان يعمل قبل ذلك، ويشكو من ذلك، ويرى أن الوقت يمضى بسرعة، ولا يدرى ما العلة؟ ولعل السبب كثرة المخالفات والمعاصى؛ فإن البركة فى الوقت والرزق والعمر وغيرها إنما تكون بالإيمان والطاعة، ولا سيما صلة الرحم.

وينطبق أيضاً على عكس ذلك، كما نرى فى زماننا؛ فإن الإنسان بسبب تقدم وسائل النقل والاتصالات المسموعة والمرئية والمكتوبة، ليقضى فى الزمن القصير ما كان يقضيه فى أزمنة متطاولة.

تاسعًا : تداعى الأمم على الأمة الإسلامية وضعف الأمة الإسلامية[2]:

من علامات الساعة تكالب أمم الكفر على هذه الأمة، ففى الحديث عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: **(يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: **بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن**، فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ **قال: حب الدنيا وكراهية الموت)**[3].

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٩٥٦)، ونعيم بن حماد فى الفتن (١٧٩٣)، وأبو يعلى (٦٦٨٠)، وابن حبان (٦٨٤٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٥٩/٩)، وقال الهيثمى فى المجمع (٣٣١/٧): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. (قلت): وفى الباب عن أنس ﷺ رواه أحمد والترمذى وإسناده صححه الألبانى.

(٢) انظر هذه العلامة والتى تليها فى كتاب القيامة الصغرى لعمر سليمان الأشقر صـ ١٥٤-١٥٥ وصـ ١٨٥-١٨٦.

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة (٣٧٢٤٧)، وأحمد (٢٢٤٥٠)، وأبو داود (٤٢٩٠)، وابن أبى عاصم فى



وقد وقع هذا عبر التاريخ أكثر من مرة، عندما تداعت الأمم الصليبية إلى غزو هذه الأمة، ومرة أخرى عند اجتياح التتار العالم الإسلامى، ولكن هذه النبوءة تحققت فى القرن الأخير بصورة أوضح فقد اتفق الصليبيون واليهود والملاحدة على هدم الخلافة الإسلامية، ثم جَزَّأوا الديار التى كانت تحكمها، وتقاسموا ديار المسلمين فيما بينهم، وأعطوا فلسطين لليهود، وأصبح المسلمون أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام، ولا تزال قوى الشر إلى اليوم متداعية لتدمير هذه الأمة وامتصاص خيراتها، ونهب ثرواتها، وإذلال رجالها، والأمة الإسلامية خانعة ذليلة، لم تغن عنها كثرتها، غثاء كغثاء السيل، وعلتها كما أخبر الرسول ﷺ: **(حب الدنيا، وكراهية الموت)**[1].

السر فى هذا التداعى:

إن اعتصام هذه الأمة بدينها ووحدتها حاجز يقف دون مطامع أعدائها، فمهما كان مكر الأعداء وقوتهم فإنهم لن ينالوا من هذه الأمة نيلا إذا كانت متحدة، وفى الحديث الذى يرويه ثوبان أن الرسول ﷺ قال: **(وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربى قال: يا محمد، إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبى بعضهم بعضا)**[2].

عاشرًا : توقف الجزية والخراج:

= الزهد (٢٦٨)، وأبو نعيم فى الحلية (١٨٢/١)، وقال الألبانى فى الصحيحة (٩٥٨): صحيح.

(١) تقدم تخريجه فى الحاشية السابقة.

(٢) رواه مسلم (٢٨٨٩).

والمراد بالبيضة: أى جماعتهم وأصلهم، والبيضة أيضاً: العز والملك. والمراد بقوله: **(أن لا أهلكهم بسنة عامة)** أى لا أهلكهم بقحط يعمهم، بل إن وقع قحط يكون فى ناحية يسيرة، بالنسبة إلى باقى بلاد الإسلام.



كانت الجزية التى يدفعها أهل الذمة فى الدولة الإسلامية، والخراج الذى يدفعه من يستغل الأراضى التى فتحت فى الدولة الإسلامية من أهم مصادر بيت مال المسلمين، وقد أخبر الرسول ﷺ بأن ذلك سيتوقف، وسيفقدِ المسلمون بسبب ذلك موردا إسلامياً هاما، ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **(منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم)** شهد على ذلك لحم أبى هريرة ودمُه[1].

والقفيز والمد والإردب مكاييل لأهل ذلك الزمان فى تلك البلاد، وبعضها لا يزال معروفا إلى أيامنا، والدرهم والدينار أسماء للعملات المعروفة فى ذلك الوقت، ومنع تلك البلاد المذكورات فى الحديث بسبب استيلاء الكفار على تلك الديار فى بعض الأزمنة، فقد استولى الروم، ثم التتار على كثير من البلاد الإسلامية، وفى عصرنا احتل الكفار ديار الإسلام، وأذهبوا دولة الخلافة الإسلامية، وأبعدوا الشريعة الإسلامية عن الحكم. قال النووى فى تعليقه على الحديث: "الأشهر فى معناه أن العجم والروم يستولون على البلاد فى آخر الزمان، فيمنعون حصول ذلك للمسلمين، وقد روى مسلم هذا بعد ذاك بورقات عن جابر قال: "يوشك أن لا يجيء إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل العجم، يمنعون ذاك"[2]، وذكر فى منع الروم ذلك بالشام مثله، وهذا قد وجد فى زماننا فى العراق، وهو الآن موجود، **وقيل**: لأنهم يرتدون آخر الزمان، فيمنعون ما لديهم من الزكاة وغيرها، **وقيل**: معناه أن الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم فى آخر الزمان، فيمتنعون مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج، وغير ذلك" أهـ [3].

---

(1) أخرجه مسلم (٢٨٩٦).

قال النووى فى معنى **(منعت العراق)** وغيرها قولان مشهوران:

الأول: لإسلامهم فتسقط الجزيه وهذا قد وجد.

الثانى: وهو الأشهر: أن العجم والروم يستولون على البلاد فى آخر الزمان فيمنعون حصول ذلك للمسلمين (أى حصار اقتصادى).

(2) أخرجه مسلم (٢٩١٣).

(3) شرح النووى على مسلم (١٨/٢٠).



وكل هذه التعليلات لسبب منع تلك الإيرادات لخزينة الدولة الإسلامية التى ذكرها النووى وجدت، علاوة على انهيار الدولة الإسلامية التى كانت تقيم اقتصادها على الشريعة الإسلامية فإلى الله المشتكى[(١)].

---

(١) ويضاف لهذه العلامات التى ذكرها الشيخ علامات أخرى ظهرت ولا زالت تتابع منها:

١. تباهى الناس فى بناء المساجد وزخرفتها.

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد)** [أخرجه أحمد (١٤٠٥٢)، وأبو داود (٤٤٥)، والنسائى (٦٨٥) بلفظ: من أشراط الساعة أن ....، وابن ماجه (٧٣٩) وهو حديث صحيح (انظر صحيح الجامع (٧٤٢١).

وقد ظهرت هذه العلامة منذ زمن عبد الملك بن مروان فقد ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية فى أحداث سنة ٦٦هـ أن عبد الملك بن مروان بنى مسجد بيت المقدس أحسن بناء وجعل فيه قناديل الذهب والفضة وغيرها من السلاسل شيئاً كثيراً، ولم يكن على ظهر الأرض يومئذ بناءٌ أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس، والتهى الناس بذلك عن الحرمين، وافتتنوا به افتتاناً عظيماً واغتروا به إلى زماننا هذا. أهـ. البداية والنهاية (٢٨٠/٨).

ولا يزال هذا الأمر مستمراً إلى هذا الزمان بل إن شئت فقل: إن الناس قد صاروا أكثر تباهياً وزخرفة لبيوت الله. وهذا كله خلاف السنة فضلاً عن أن هذه الزخارف تصرف المرء عن الخشوع الذى هو روح الصلاة، وقد أمر النبى ﷺ عائشة رضى الله عنها أن تميط القرام الذى كانت فيه التصاوير؛ لأنها كانت تعرض له فى صلاته.

٢. ظهور الشرك فى هذه الأمة.

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذى الخلصة)** [متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦)]. وذو الخلصة صنم كانت دوس تعبدها فى الجاهلية بتبالة وهى موضع باليمن.

وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(... ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان)** [أخرجه أحمد (٢٢٤٤٨ و٢٢٥٠٥)، وأبو داود (٤٢٤٦)، والترمذى (٢٢١٩)، وابن ماجة (٣٩٥٢) وقال الألبانى: صحيح. انظر: الصحيحة (١٦٨٣)، وصحيح الجامع (١٧٧٣).

والسؤال الآن: هل وجدت هذه المظاهر الشركية أم لا؟

والجواب أن هذا مما يصعب الجزم به، ولكن بالنظر إلى التاريخ وإلى دعوات المجددين يمكن أن يقال: إن بعض هذه الشركيات قد ظهر، ولعل اضطراب إليات نساء دوس حول ذى الخلصة قد مر زمانه قبل الدعوة السلفية للإمام محمد بن عبد الوهاب ....، وأما صنم دوس فلم يعد له أثر بعد أن

قضى على بقيته من الصخر بعض المخلصين، وكذا عبادة قبائل من هذه الأمة للأصنام قد ظهرت فى عقود الجهل والشرك وزالت بدعوة الموحدين، وربما يعود قبل قيام الساعة، وأما لحاق قبائل من الأمة بالمشركين فربما كان أيام الردة فى خلافة الصديق ﷺ ولعل هذا يحدث فى آخر الزمان عند غربة أهل الإيمان (أشراط الساعة للغامدى (١/٢٢٠).

٣. كثرة الزلازل.

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، ويتقارب الزمان، وتكثر الزلازل ...)**. أخرجه البخارى (١٠٣٦).

هذه الزلازل من العلامات التى ظهرت ولا تزال تتتابع وتظهر إلى قيام الساعة، بل أثبت العلم الحديث أنه يقع فى الأرض مليون زلزال كل عام. انظر: مجلة اليمامة عدد ١٤٢٧ بتاريخ ٧/٦/١٤١٦هـ نقلاً عن أشراط الساعة (١/٣٧٣).

٤. الخضاب بالسواد.

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: **(يكون قوم فى آخر الزمان يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون الجنة)**. أخرجه أحمد (٢٤٧٠)، وأبو داود (٤٠٨)، والنسائى (٥٠٨٥) وهو صحيح. انظر صحيح الجامع (٨١٥٣).

ومما لا شك فيه بالنظر إلى الواقع فإننا نجد أن هذه العلامة ظهرت بين قطاع من الناس ليس بالقليل وصدق النبى ﷺ ومازالت هذه العلامة مستمرة إلى أن يشاء الله.

٥. كثرة الكذب.

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن، ويكثر الكذب...)** تقدم تخريجه، وهو فى الصحيحين.

وهذه العلامة ظهرت منذ أزمنة بعيدة وتفشت حتى رأينا من يُعد كل كلامه فلا يكون إلا كذبا بل وجدنا من لا يستحى أن يكذب على النبى ﷺ متعمداً بل ويكذب على رب العالمين وإنا لله وإنا اليه راجعون ولازال الأمر يتتابع إلى أن يشاء الله.

وهناك أشراط أخرى عدها بعض أهل العلم، لكنها تستند فى عدها من الأشراط إما لأحاديث صحيحةٍ غيرِ صريحةٍ، أو لأحاديث صريحةٍ غير صحيحة، من ذلك:

٦. نقض عرى الإسلام.

عن أبى أمامة الباهلى ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **(لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتفضت عروة تشبث الناس بالتى تليها، وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة)**. أخرجه أحمد (٢٢١٥٦/٢٢٢١٤)، وابن حبان (١٢٢١١) وقال الألبانى: صحيح. صحيح الجامع (٥٠٧٥)،



المبحث الثالث – العلامات التى لم تقع بعد:

أولاً : الخسف والقذف والمسخ الذى يعاقب الله به أقواماً من هذه الأمة[1]:

يقع فى هذه الأمة من أنواع البلاء الخسف والقذف والمسخ بسبب تعاطيها للذنوب والمعاصى واستعلان ذلك فيها، كشرب الخمر ولبس الرجال الحرير، وتعاطى الزنا، وأكل

=

ذكرها التويجرى فى "إتحاف الجماعة" (٧٢/٢).

وقال الغامدى: "نقض عرى الإسلام من العلامات الصغرى بين يدى الساعة ... ويدل الحديث أن الدين قد أُحكم وكمل ... ثم بدأ ينتقص وينقض ... والمراد بنقض الحكم: نبذ الإسلام أو بعضه وجعله خلف ظهورهم، والعمل بالقوانين الوضعية أهـ.

قال التويجرى: "وقد وقع مصداق هذا الحديث فى زماننا، حيث نبذ كثير من المنتسبين إلى الإسلام الحكم بالشريعة وراء ظهورهم واعتاضوا عنها بالقوانين الوضعية التى هى من حكم الطاغوت والجاهلية ... وقد نقض الأكثرون أيضاً غير ذلك من عرى الإسلام كما لا يخفى على من له أدنى علم. أهـ. انظر: أشراط الساعة (٣٩٧/٣٩٦/١), وإتحاف الجماعة (٧٣/٢).

٧. **غربة أهل الإيمان.**

عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **(إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء)**. أخرجه مسلم (١٤٥).

وعدها من أشراط الساعة مفهوم من كلام ابن تيمية فى الفتاوى (٢٩٦/١٨).

قال النووى: قال القاضى: وظاهر الحديث العموم وأن الإسلام بدأ فى آحاد من الناس وقلة ثم يلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا فى آحاد الناس" (شرح النووى لمسلم (١٤٥/٢).

٨. **أخذ الأجرة على القرآن.** انظر: أشراط الساعة (٦٢/١-٦٦).

٩. **الاعتداء فى الطهور والدعاء.** أشراط الساعة (٧٥/١-٧٩).

١٠. **ظهور تحية التلاعن [ودليلها ضعيف].** أشراط الساعة (٢٠٨/١-٢٠٩).

(١) انظر "علامات الساعة" لعمر الأشقر صـ ١٨٧-١٨٩.

و"الخسف": هو الذهاب فى الأرض، يقال: خُسف بالرجل وبالقوم إذا أخذته الأرض ودخل فيها (لسان العرب مادة خسف).

والقذف: ريح شديدة باردة، أو قذف الأرض الموتى بعد دفنهم، أو رمى أهل الأرض بالحجارة بأن تمطر عليهم والمناسب هنا: المعنى الأخير. عون المعبود (٣٧٦/٦).

والمسخ: هو قلب الخلقة من شىء إلى شىء. النهاية فى غريب الحديث (٣٢٩/٤).



الربا، ونحو ذلك من الفساد الذى يصل درجة استحلال الحرام.

ففى معجم الطبرانى الكبير بإسناد صحيح عن سهل بن سعد أن الرسول ﷺ قال: **(سيكون فى آخر الزمان خسف وقذف ومسخ، إذا ظهرت المعازف والقينات، واستحلت الخمر)**[1].

ورواه ابن ماجة عن عبد الله بلفظ: **(بين يدى الساعة مسخ، وخسف، وقذف)**[2]، ولهذا الحديث شواهد كثيرة تشهد بصحته، منها حديث عائشة عند الترمذى: **(يكون فى هذه الأمة خسف ومسخ وقذف**، قالت: قلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **نعم: إذا ظهر الخبث)**[3].

ومنها حديث عمران، وهو قريب من حديث عائشة إلا أنه قال: **(ف**قال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: **إذا ظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور)**[4] أخرجه الترمذى.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ليبيتن أقوام من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو، فيصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير)**[5].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٦٠) دون ذكر القينات والمعازف والخمر، و...، والطبرانى (٥٨١٠) بسند صحيح. انظر صحيح الجامع (٣٦٦٥).

(٢) أخرجه ابن ماجة (٤٠٥٩)، وصححه الألبانى لشواهده انظر: الصحيحة (١٧٨٧)، وصحيح الجامع (٢٨٥٦).

(٣) أخرجه الترمذى (٢١٨٥). وفيه عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب. قال الترمذى: تكلم فيه يحيى بن سعيد من قبل حفظه.

قلت: والحديث صحيح لغيره. انظر: الصحيحة (٩٨٧)، وصحيح الجامع (٨١٥٦).

(٤) أخرجه الترمذى (٢٢١٢).

فيه عبد الله بن عبد القدوس، ضعفه النسائى ويحيى بن معين وقال: رافضى خبيث.

وصححه الألبانى لشواهده. الصحيحة (٢٢٠٣)، صحيح الجامع (٤٢٧٣).

(٥) أخرجه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما الطبرانى فى الصغير (١٦٨)، وأخرجه من حديث أبى أمامة رضي الله عنه أحمد (٢٢٢٧)، والطبرانى (٨٢١٤)، والحاكم بنحوه (٨٥٧٢) وصححه، ووافقه



وروى البخارى تعليقا عن أبى عامر أو أبى مالك أن النبى ﷺ، قال: **(ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غدا، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة)**[١].

ومن الخسوف الكبيرة التى تكون قرب قيام الساعة، الخسف بجيش كامل فى آخر الزمان، فعن بقيرة امرأة القعقاع بن أبى حدرد الأسلمى، قالت: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: **(يا هؤلاء! إذا سمعتم بجيش قد خسف به قريبا؛ فقد أظلت الساعة)**[٢].

ولعل هذا الجيش الذى يخسف به قرب المدينة، ويدل على هذا قوله: "قريبا".

وقد أخبرنا الرسول ﷺ ببعض المواضع التى يقع فيها الخسف والقذف والمسخ، ففى سنن أبى داود بإسناد صحيح عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: **(يا أنس! إن الناس يمصرون أمصاراً. فإن مصراً يقال له: البصرة، فإن أنت مررت بها أو دخلتها، فإياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف، وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير)**[٣].

=

الذهبى، وحسنه الألبانى بنحوه الصحيحه (١٦٠٤)، صحيح الجامع (٥٣٥٤).

(١) تقدم تخريجه، والتعليق عليه، وذكر تضعيف ابن حزم له وتعليله بالانقطاع، والرد عليه فراجعه فى موضعه فى فتنة النساء.

(٢) حديث بُقيرة الهلالية أخرجه الحميدى فى سنده (٣٥١)، وأحمد (٢٧١٧٣ و٢٧١٧٤)، والطبرانى فى الكبير (٢٠٣/٢٤) رقم (٥٢٢ و٥٢٣)، وقال المناوى فى التيسير (١٠٨/١): إسناده حسن، ووافقه الألبانى فى الصحيحة (١٣٥٥)، وفى صحيح الجامع (٦١٨).

(٣) أخرجه أبو داود فى الفتن، باب فى ذكر البصرة (٤٢٢٩).

"**البصرة**": قال فى القاموس: بلدة معروفة ويكسر ويحرك، ويكسر الصاد، أو هو معرب "بس راه" أى: كثير الطرق وقوله: "**إياك وسباخها**" أى: احذر سباخها والسباخ هى الأرض التى تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. وقوله "**كلاءها**" اسم سوق بالبصرة.

قال السيوطى فى المرقاة: هذا الحديث أورده ابن الجوزى فى الموضوعات من غير الطريق الذى أخرجه منها المصنف، وغفل عن هذا الطريق ...

وقال الحافظ صلاح الدين العلائى: ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات... وتعلق فيه بعمار الزوبى



ثانيًا : عودة جزيرة العرب جناتٍ وأنهاراً:

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً)**(١).

وفى رواية لأحمد: **(لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق، وحتى يكثر الهرج**، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: **القتل)**(٢).

قال الألبانى –رحمه الله–(٣): وقد بدأت تباشير هذا تتحقق فى بعض الجهات من جزيرة العرب بما أفاض الله عليها من خيرات وبركات وآلات ناضحات تستنبط الماء الغزير من بطن أرض الصحراء. وهناك فكرة لمد نهر الفرات إلى جزيرة العرب كما قرأناها فى بعض الجرائد المحلية فلعلها تخرج إلى حيز الوجود، وإن غداً لناظره قريب. أهـ.

وعودتها جنات وأنهارا إما بسبب ما يقوم أهلها به من حفر الآبار، وزراعة الأرض ونحو ذلك مما هو حاصل فى زماننا، وإما بسبب تغير المناخ، فيتحول مناخها الحار إلى جو لطيف جميل، ويفجر خالقها فيها من الأنهار والعيون ما يحول جدبها خصباً، ويحيل سهولها الجرداء إلى سهول مخضرة فيحاء، وهذا هو الأظهر، فإنه يحكى حالة ترجع فيها الجزيرة إلى ما كانت عليه من قبل(٤). أو بعمل السدود التى تحبس مياه السيول فتكون =

وقال: هو متهم، وهو كما قال، لكنه لم يتفرد به عمار بل له سند آخر عند أبى داود، رجاله كلهم رجال الصحيح، وليس به إلا عدم الجزم باتصاله ... عون المعبود (٣٧٦/٦)، وجزم الألبانى بصحته؛ انظر صحيح الجامع (٧٨٥٩) وصحيح أبى داود.

(١) أخرجه مسلم فى الزكاة (١٥٧) (٦٠) عن أبى هريرة ﷺ. **المروج:** جمع مرج: وهو الفضاء، وأرض ذات كلأ ترعى فيها الدواب، وقال ابن الأثير: الأرض الواسعة ذات نبات كثير تمرج فيه الدواب، أى تخلى تسرح مختلفةً كيف شاءت. النهاية (٣١٥/٤)، القاموس المحيط مادة (مرج).

(٢) أخرجه أحمد (٨٨١٩ و٩٣٨٤)، وقال الهيثمى فى المجمع (٣٣١/٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وصححه أحمد شاكر فى تحقيق المسند (٢٢/١٧).

(٣) انظر كلامه فى السلسلة الصحيحة شرح حديث رقم (٦).

(٤) ولا ريب أن هذه البشارة ستقع، وهى من معجزاته ﷺ ودلائل نبوته، كما قال الإمام النووى فى شرح حديث معاذ أن النبى ﷺ قال له فى غزوة تبوك: **(يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما**



أنهاراً تجرى إلى الأرض الطيبة فتكون مزارع ومروجاً للدواب.

= **هاهنا قد ملىء جناناً)** أخرجه مسلم (٧٠٦).

قال: "أى: بساتين وعمراناً، وهو جمع جنة، وهو من المعجزات. أهـ.

وعلى هذا العود يدل العلم الحديث فقد أثبته علماءُ غيرِ المسلمين، ومنهم ما ذكره الشيخ عبد الحميد الزندانى فى حور دار بينه وبين البروفيسور "كورنر" [كورنر عالم ألمانى من أشهر علماء الجيولوجيا تخصص فى شبه الجزيرة العربية وإفريقيا] وقد سأله الشيخ عدة أسئلة منها:

هل كانت بلاد العرب بساتين وأنهاراً؟ فأجاب: نعم.

فقلنا: متى كان ذلك؟ قال: فى العصر الجليدى الذى مر بالأرض. إن الجليد يتراكم فى القطب المتجمد الشمالى ثم يزحف نحو الجنوب. فإذا اقترب من جزيرة العرب –قرباً نسبياً طبعاً– تغير الطقس وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد العالم بساتين وأنهاراً.

قلنا له: وهل ستعود بلاد العرب بساتين وأنهاراً.

قال: نعم هذه حقيقة علمية؛ لأن العصر الجليدى قد بدأ. فهذه الثلوج تزحف من القطب المتجمد الشمالى مرة ثانية نحو الجنوب وهى فى طريقها لتقترب من المناطق القريبة فى بلاد العرب، ثم قال: من أدلتنا على ذلك ما تسمعون عنه من العواصف الثلجية التى تضرب فى كل شتاء المدن الشمالية فى أوربا وأمريكا هذه من أدلة العلماء على ذلك ولهم أدلة كثيرة؛ إنها حقيقة علمية.

فقلنا له: إن هذا الذى تذكره أنت لم يصل إليه العلماء إلا بعد حشد طويل من الاكتشافات وبعد آلات دقيقة يسرت لهم مثل هذه الدراسات لكن قد وجدنا هذا مذكوراً على لسان محمد ﷺ الأمى من قبل (١٤٠٠ عام) وذكر الحديث ثم قال:

فقلنا له: من قال لمحمد ﷺ: إن بلاد العرب كانت بساتين وأنهاراً؟ فأجاب على الفور قال: الرومان [وهذا خطأ! إنما أخبره العليم الخبير] فقلنا من أخبره بأنها ستعود مروجاً وأنهاراً؟ قال: إن هذا لا يكون إلا بوحى من أعلى.

ويوضح هذه القضية الدكتور زغلول النجار فيقول:

وعندنا الدراسات الجيوليجية تؤكد أن الجزيرة مرت بثمان دورات مطيرة مطراً شديداً تخللها سبع دورات جفاف نحن فى الدورة السابعة وتوقع العلماء أن تتحول هذه الدورة إلى دورة أمطار أخرى، وهناك شواهد علمية كثيرة تؤكد ذلك وكان الرسول ﷺ يقول: وذكر الحديث هو شاهد صدق بنبوة هذا الرسول؛ لأنه لم يكن أحد على عهده ﷺ يدرك أن جزيرة العرب كانت فى الماضى مروجاً وأنهاراً ولم يكن أحد يتوقع أن يعود هذا مرة أخرى. انظر: أشراط الساعة للغامدى (١/٢٩٢–٢٩٤) بتصرف واختصار.

ثالثًا : انتفاخ الأهلة:

من الأدلة على اقتراب الساعة أن يرى الهلال عند بدو ظهوره كبيرا حتى يقال ساعة خروجه: إنه لليلتين أو ثلاثة، فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة)**[١]، وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من اقتراب الساعة أن يرى الهلال قبلا، فيقال: لليلتين، وأن تتخذ المساجد طرقا، وأن يظهر موت الفجأة)**[٢].

رابعًا : تكليم السباع والجماد الإنس[٣]:

روى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى، قال: "عدا الذئب على شاة، فأخذها، فطلبه الراعى، فانتزعها منه، فأقعى على ذنبه، قال: ألا تتقى الله تنزع منى رزقا ساقه الله إلى، فقال: يا عجبى ذئب مُقع على ذنبه يكلمُنى كلام الإنس، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. قال: فأقبل الراعى يسوق غنمه، حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ، فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودى بالصلاة جامعةً، ثم خرج، فقال للراعى: **(أخبرهم)** فأخبرهم، فقال رسول الله ﷺ: **(صدق، والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث**

---

(١) أخرجه من حديث أبى هريرة ﷺ الطبرانى فى الصغير (١١٥/٢) رقم (٨٧٧)، وفى الأوسط (٦٨٦٤)، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٢٩٢)، وفى مسند الشاميين (٣٣٥٦)، وأخرجه من حديث ابن مسعود ﷺ الطبرانى فى الكبير (١٠٤٥١) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٨٩٨).

(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٩٣٧٦)، وفى الصغير (١١٣٢)، والضياء فى المختارة (٣٠٦/٦) رقم (٣٢٣٧)، وقال العجلونى فى كشف الخفا عنه وعن سابقه (٣٤٨/٢): هذه الروايات بعضها يقوى بعضاً. وقال الألبانى فى صحيح الجامع (٨٥٩٩): إسناده حسن.

قلت وقوله: "**وأن يظهر موت الفجأة**" ولا شك أن هذا قد ظهر فى زماننا ظهوراً واضحاً لذا فهذا من العلامات التى ظهرت ولازالت تتتابع، وكذا قوله: "**وأن تتخذ المساجد طرقاً**".

(٣) انظر: القيامة الصغرى "علامات الساعة لعمر الأشقر" صـ ١٩٧-١٩٨.



أهله بعده)"[1].

وقد يكون هذا الذى يخبر عنه الرسول ﷺ شيئا خارقا للعادة خارجا عن المألوف، كما تشهد على الإنسان أعضاؤه يوم القيامة **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** (يس: ٦٥)، **﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾** (فصلت: ٢١)، أو هو إخبار عما يصل إليه البشر من علوم ومخترعات، يستطيعون بها فقه لغة الحيوان، وينطقون بها الجماد كما هو الحال فى المخترعات الجديدة (الراديو)، و(التلفاز)[2].

خامسًا : إنحسار الفرات عن جبل من ذهب[3]:

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(يوشك الفراتُ أن يحسر عن كنزٍ من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً)**، وفى رواية

---

(١) أخرجه أحمد (١١٨٠٩ و١١٨٥٩ و١١٨٦٢)، والترمذى (٢١٨١)، وابن حبان (٦٤٩٤)، وقال الهيثمى فى المجمع (٢٩١/٨): أحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح، وقال الألبانى فى الصحيحة (١٢٢): صحيح. **أقعى:** الإقعاء أن يلصق الرجل إليتيه بالأرض، وينصب ساقيه وفخذيه ويضع يديه على الأرض (النهاية ٨٩/٤)، **وأقعى الكلب:** جلس على إسته (القاموس مادة قعى).
"**عذبة السوط**": طرفه (لسان العرب مادة عذب). الشراك: سير النعل على ظهر القدم (لسان العرب مادة شرك).

(٢) **ملحوظة هامة:**
تكليم الحيوان للإنسان وقع فى حياة النبى ﷺ كما يدل حديث الباب، وقريب من هذا حديث الأسد مع سفينة مولى النبى ﷺ.
روى الحاكم (٤٢٥٣ و٦٥٥٠)عن محمد بن المنكدر عن سفينة قال: "ركبت البحر فى سفينة فانكسرت فركبتُ لوحاً منها فطرحت فى أَجَمةً (جزيرة) فيها أسد فلم ترعنى إلا به. فقلت: يا أبا الحارث! أنا مولى رسول الله ﷺ – فطأطأ رأسه وغمز بمنكبه شقى، فمازال يغمزنى ويهدينى إلى الطريق حتى وضعنى على الطريق فلما وضعنى همهم فظننت أنه يودعنى: قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى. وصحح نحوه الألبانى فى تحقيق المشكاة (٥٩٤٩).
واعنى بهذا: أن هذه العلامة ظهرت ولازالت تتتابع.

(٣) انظر "القيامة الصغرى" صـ ١٩٩-٢٠٠.

(يحسر عن جبل من ذهب).

وفى رواية عند مسلم: **(لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو)**[١].

ورواه مسلم عن أبى بن كعب بلفظ: **(يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب فإذا سمع به الناس ساروا إليه، فيقول من عنده: لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله، قال. فيقتتلون عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون)**[٢]. هذا لفظ مسلم وزاد فى رواية فقال أبى: **(إن رأيته فلا تقربنه)**[٣] وفى رواية أحمد: **(يا بنى إن أدركته، فلا تكونن ممن يقاتل عليه)**[٤].

ومعنى انحساره: انكشافه لذهاب مائه، كما يقول النووى[٥]، وقد يكون ذلك بسبب تحول مجراه؛ فإن هذا الكنز أو هذا الجبل مطمور بالتراب وهو غير معروف، فإذا ما تحول مجرى النهر لسبب من الأسباب ومر قريبا من هذا الجبل كشفه، والله أعلم بالصواب.

والسبب فى نهى الرسول ﷺ من حضره عن الأخذ منه لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والاقتتال وسفك الدماء.

وقد زعم بعضهم أن الفرات قد حسر على الذهب البترولى الأسود والجواب من وجوه[٦]:

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤) عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٩٥) عن أبى سعيد رضي الله عنه.

(٣) هذه الزيادة فى حديث أبى هريرة عند مسلم (٢٨٩٤).

(٤) أخرج هذه الزيادة أحمد (٨٣٧٠)، وابن حبان (٦٦٩١) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه وصححه محققو مسند الرسالة.

(٥) انظر كلامه فى شرح النووى لمسلم (١٦/١٨).

(٦) انظر هذه الوجوه فى: "إتحاف الجماعة" (٢/١٨٥-١٨٦).



أحدها: أن النبى ﷺ نص على جبل الذهب نصاً لا يحتمل التأويل فهذا تحريف للكلم عن مواضعه.

الثانى: أن البترول ليس بذهب حقيقة ولا مجازاً وتسمية بعض الناس له بذلك؛ لأنه يتحصل من ثمنه على الذهب الكثير.

الثالث: أن النبى ﷺ أخبر أن الفرات يحسر عن جبل من ذهب أى يتكشف عنه لذهاب مائه وهذا لم يكن حتى الآن.

الرابع: أن الرسول ﷺ خص الفرات وبحور البترول فى مواضع كثيرة من الأرض.

الخامس: أخبر ﷺ بالمقتلة العظيمة عنده وهذا لم يحدث حتى الآن.

السادس: أنه نهى عن الأخذ منه فلازم هذا أن الناس منهيون عن أخذ البترول وهذا معلوم البطلان بالضرورة.

سادسًا : كثرة المطر وقلة الإنبات:

ففي صحيح مسلم: (٢٩٠٤)، من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليسَتِ السَّنَةُ بأَنْ لا تُمْطَرُوا، ولَكِن السَّنَةُ أنْ تُمْطَرُوا وتُمْطَرُوا، ولا تُنْبِتُ الأرْضُ شيئًا).

ولحديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطراً عامّاً، ولا تُنبت الأرض شيئًا). (١)

في هذا الحَديثِ يُخبرُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أنَّه (ليستِ السَّنَةُ)- وهي القَحطُ والجَدبُ- ألَّا يَنزلَ المَطرُ، ولكنَّ السَّنَةَ أنْ تُمطَروا وتُمطَروا، يَعني: المرَّةَ بعدَ الأُخرَى مطرًا كثيرًا، ولا تُنبِتُ الأَرضُ شيئًا؛ لإمساكِه تَعالى لَها منَ الإنباتِ، فرُبَّ مَطر لا يَنبُتُ مِنه شيءٌ، فالقَحطُ الشَّديدُ لَيس بألَّا يُمطَرَ، بل بأنْ يُمطَرَ ولا يَنبُتَ؛ وذلك لأنَّ حُصولَ الشِّدَّةِ بعدَ تَوقُّع الرَّخاءِ وظُهور أَسبابِه أَفظَعُ ممَّا إذا كانَ اليأسُ حاصلًا مِن أوَّلِ الأمرِ .

سابعًا: ظهور المهدى:

---

(١) رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني ومحققو المسند.



ثبت عن النبى ﷺ فى غير ما حديث أن سيكون فى آخر الزمان خليفة من آل بيت الرسول ﷺ ويوافق اسمُه اسمَه واسمُ أبيه اسمَ أبى النبى ﷺ[1].

---

(١) ونظراً لأهمية هذه الأمارة فقد جعلتها مبحثاً خاصاً هو المبحث الرابع من هذا الفصل وكان حقها أن تذكر هنا مستوفاة ولكن لكثرة التفريعات والتقسيمات جعلتها مبحثاً خاصاً.

وقد اقتصر الشيخ حفظه الله على هذه العلامات الست، وهناك أمارات أخرى لم تظهربعدُ منها:

١. عودة الخلافة الراشدة:

عن حذيفة ﷺ عن النبى ﷺ قال: **(تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضا، فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبريا فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت).** أخرجه أحمد (١٨٤٣٠)، والبزار (٢٧٩٦) وصححه العراقى فى محجة القرب إلى محبة العرب (٢/١٧)، والألبانى فى الصحيحة (٥).

٢. فتح القسطنطينية الثانى:

عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: **(سمعتم بمدينة جانب منها فى البر وجانب منها فى البحر؟** قالوا: نعم يا رسول الله! قال: **لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بنى إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها الذى فى البحر ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم، فيدخلوها فيغنموا ...).** أخرجه مسلم (٢٩١٠).

وعن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: **(عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال).** أخرجه أحمد (٢٢٠٧٦ و٢٢١٧٤) وقال الألبانى: صحيح، انظر صحيح الجامع (٤٠٩٦).

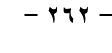
٣. فتح رومية:

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أى المدينتين تفتح أولا: أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: **(مدينة هرقل تفتح أولاً. يعنى قسطنطينية)** تقدم تخريجه وهو صحيح.

ورومية هى روما وهى عاصمة إيطاليا وهى مقر بابا الكاثوليك.

٤. قتال الملاحم:

كما فى حديث عوف بن مالك: **(اعدد ستا بين يدى الساعة ... وهدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً)** تقدم تخريجه.



٥. قتال اليهود:

عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **(لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودى: يا مسلم: هذا يهودى ورائى فاقتله)**. متفق عليه، أخرجه البخارى (٢٩٢٦) ومسلم (٢٩٢٢). ولفظه عند مسلم: **(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مُسلم! يا عبد الله! هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود)**.

٦. فتح بيت المقدس:

لحديث معاذ السابق: **(عمران بيت المقدس خراب يثرب ...)**.

وعن عبد الله بن حوالة الأزدى ﷺ قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسى أو قال: على هامتى ثم قال: **(يا ابن حوالة! إذا رأيت الخلافة نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدى هذه إلى رأسك)**. أخرجه أحمد (٢٢٥٤٠)، وأبو داود (٢٥٣٥)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٣٨).

٧. صدق رؤيا المؤمن:

عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: **(إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب)** متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٧٠١٧)، ومسلم (٢٢٦٣)، وعند أحمد (١٠٥٩٨) بلفظ: **(فى آخر الزمان ...)**.

قال ابن بطال: إذا اقتربت الساعة، وقبض أكثر العلم، ودرست معالم الديانة بالهرج والفتنة، فكان الناس على مثل الفترة محتاجين إلى مذكِّرٍ ومجدِّدٍ لما درس من الدين كما كانت الأمم تُذكَّر بالأنبياء، لكن لما كان نبينا خاتم الأنبياء وصار الزمان المذكور يشبه زمان الفترة عوضوا بما منعوا من النبوة بعده بالرؤيا الصادقة التى هى جزء من النبوة الآتية بالتبشير والإنذار" (فتح البارى ٤٢٣/١٢).

٨. خروج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه:

عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: **(لا تقوم الساعة حتى يخرج رجلٌ من قحطان يسوق الناس بعصاه)** متفق عليه، أخرجه البخارى (٣٥١٧ و٧١١٧) ومسلم (٢٩١٠). وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجلٌ من الموالى يقال له: جهجاه)** أخرجه مسلم (٢٩١١). وهل القحطانى وجهجاه هذا رجل واحد أم اثنان خلاف بين العلماء ينظر أشراط الساعة (١٩٠/١).

٩. هجر الحج قبيل قيام الساعة:

عن أبى سعيد ﷺ عن النبى ﷺ قال: **(لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت)** أخرجه البخارى (١٥٩٣).

١٠. خراب الكعبة:

المبحث الرابع - ظهور المهدى:

الكلام هنا فى ثمانية فروع:

الفرع الأول: تعريف المهدى بالمعنى اللغوى وبالمعنى الاصطلاحى.

الفرع الثانى: الأحاديث الواردة بشأن المهدى.

الفرع الثالث: مرتبة الأحاديث من الصحة.

الفرع الرابع: نصوص أهل العلم بشأن المهدى.

الفرع الخامس: شبهات وردود.

الفرع السادس: عقائد الفرق فى المهدى.

الفرع السابع: ضوابط الحكم على مدعى المهدية.

الفرع الثامن: واقعنا وانتظار المهدى.

تمهيد:

=

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **(ذو السويقتين من الحبشة يخرب بيت الله عز وجل)** متفق عليه؛ أخرجه البخارى (١٥٩١ و١٥٩٦)، ومسلم (٢٩٠٩).

وعند أحمد (٨٠٨٠) عنه بلفظ: **(فى آخر الزمان يظهر ذو السويقتين على الكعبة)** قال حسبت أنه قال: **(فيهدمها)**، وصححه محققو مسند الرسالة.

وهناك علامات أخرى مثل:

١١. كثرة الأمطار وقلة الزرع.

١٢. تمنى الموت.

١٣. بقاء شرار الخلق.

١٤. قبض أرواح المؤمنين.

١٥. خراب المدينة.

ولم استفصل فى ذكر أدلتها لضيق المقام ومن أراد الاستزادة فليراجع: صحيح البخارى ومسلم كتاب الفتن، وكتاب الصحيح المسند من أحاديث الفتن للعدوى، وكتاب أشراط الساعة فى المسند وزوائد الصحيحين للغامدى.

ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن الله تبارك وتعالى يبعث فى آخر الزمان خليفة يكون حكماً عدلاً، يلى أمر هذه الأمة وهو من آل بيت رسول الله ﷺ يوافق اسمه اسم رسول الله ﷺ واسم أبيه اسم أبى رسول الله ﷺ. يملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً وظلماً، يخرج الدجالُ فى عصره، وينزل عيسى بن مريم عليه السلام لقتل الدجال فيصلى وراءه، وهو المعروف بالمهدى أو المهدى المنتظر.

والأحاديث والآثار الواردة فى المهدى كثيرة جداً ونظراً لوجود هذه الأحاديث نشأت فى المسلمين فكرة "المهدى المنتظر" وكانت هذه الفكرة لها آثار سياسية وفكرية خطيرة فى التاريخ الإسلامى.

فمنذ القرن الأول إلى أيامنا هذه ظهر رجال كثيرون حاولوا استغلال هذه الفكرة وأرادوا تطبيقها على أنفسهم، أملاً منهم أن ينالوا هذه المرتبة العالية والدرجة الرفيعة أو طمعاً فى الوصول إلى السلطة مع تغرير العوام السذج بهذه الفكرة.

فكم من فتن قامت! وكم من دماء أريقت وحروب استمرت زمناً طويلاً!

الفرع الأول : تعريف المهدى لغة واصطلاحاً:

المطلب الأول : تعريف المهدى لغة:

اسم مفعول من "هُدِىَ"، والْهُدَى هو الرشاد، والدلالة كما فى "الصحاح"[(١)]، وفى "لسان العرب": "الهدى: ضد الضلال، وهو الرشاد، وفى الحديث: **(سنة الخلفاء الراشدين المهديين)**[(٢)].

المهدى: الذى قد هداه الله إلى الحق، قد استُعمل فى الأسماء، حتى صار كالأسماء

---

(١) "الصحاح"، للجوهرى مادة (هدى).

(٢) سيأتى تخريجه بعد حديثين.

الغالبة"[١].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(يوشك من عاش منكم أن يلقى عيسى بن مريم إماماً مهدياً، وحكماً عدلاً ...)** الحديث[٢].

وعن العرباض بن سارية ﷺ: قال رسول الله ﷺ: **(عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ...)** الحديث[٣].

قال ابن الأثير: "المهدى: الذى قد هداه الله إلى الحق، ويريد بـ "الخلفاء المهديين" أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليا رضى الله عنهم-، وإن كان عاما فى كل من سار سيرتهم"[٤].

ودعا النبى ﷺ لأبى سلمة فقال: **(اللهم! اغفر لأبى سلمة، وارفع درجته فى المهديين، واخلفه فى عقبه فى الغابرين)**[٥].

ودعا ﷺ لجرير بن عبد الله البجلى ﷺ قال: **(اللهم! ثبته، واجعله هادياً مهدياً)**[٦].

المطلب الثانى : تعريف المهدى اصطلاحاً:

هو رجلٌ اسمه محمد بن عبد الله، من أهل بيت النبى ﷺ، من ولد فاطمة رضى الله

---

(١) "لسان العرب"، مادة (هدى).

(٢) أخرجه أحمد (٩٣١٢)، ونعيم بن حماد فى الفتن (١٥٩٤)، والطبرانى فى الأوسط (١٣٠٩)، وفى الصغير (٨٤)، وقال الألبانى فى قصة المسيح الدجال (٩٨/١): إسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه محقق مسند الرسالة.

(٣) أخرجه أحمد (١٧١٨٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذى (٢٦٧٦) وقال حسن صحيح، والدارمى (٩٥)، وابن ماجة (٤٢ و٤٣)، والحاكم (٣٣٢ و٣٣٣) وصححه، ووافقه الألبانى فى الصحيحة (٢٧٣٥) وفى تعليقه على أبى داود والترمذى وابن ماجة.

(٤) النهاية فى غريب الحديث والأثر (٢٥٤/٥).

(٥) أخرجه مسلم (٩٢٠) من حديث أم سلمة رضى الله عنها.

(٦) أخرجه البخارى (٣٠٣٥ و٣٠٣٦ و٤٣٥٦ و٤٣٥٧ و٦٠٨٩ و٦٠٩٠) من حديث جرير بن عبد الله ﷺ.



عنها، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يصلحه الله فى ليلة، تملأ الأرض قبل خلافته ظلماً وجوراً، فيملؤها بعد خلافته قسطاً وعدلاً، وذلك فى آخر الزمان.

يملك سبع سنين. يسقيه الله الغيث، وتُخرج الأرض نباتها، وتكثُرُ الماشية، وتعظُمُ الأمة، وتنعم فى عهده نعمة لم تنعمها قط، يعطى المال صحاحاً، ويحثيه حثياً، لا يعده عداً.

ينزل عيسى بن مريم فيصلى وراءه، مما يستلزم أن يكون المهدى معاصراً خروج الدجال؛ لأن عيسى -عليه السلام- يقتله بعد نزوله من السماء[١].

الفرع الثانى : بعض الأحاديث الواردة فى شأن المهدى[٢]:

المطلب الأول: ذكر أحاديث فيها التصريح بلقب المهدى.

المطلب الثانى: ذكر أحاديث فيها صفة المهدى وبعض أحواله.

المطلب الثالث: ذكر أحاديث يحتمل كونها فى شأن المهدى.

المطلب الأول : ذكر الأحاديث التى فيها التصريح بلقب المهدى:

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(يخرج فى آخر أمتى المهدى، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعاً أو ثمانياً)**[٣]، يعنى حججاً.

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تمتلىء الأرض ظلماً وعدواناً، قال: ثم يخرج رجل من عترتى -أو من أهل بيتى-، يملؤها قسطا وعدلا، كما**

---

(١) المهدى صـ ٢٨.

(٢) المهدى صـ ٣٢-٤٠.

(٣) أخرجه الحاكم (٨٦٧٣) وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، ووافقهما الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٧١١).



ملئت ظلما وعدواناً)[1].

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(المهدى منى، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ**

---

(١) أخرجه أحمد (١١٢٣٩ و ١١٣٣١)، وأبو يعلى (٩٨٧)، وابن حبان (٦٨٢٣)، والحاكم (٨٦٦٩) وصححه، ووافقه الذهبى، وأبو نعيم فى الحلية (١٠١/٣)، وحكم الألبانى بتواتره عن أبى الصديق عن أبى سعيد الخدرى فى "السلسلة الصحيحة" (١٥٢٩)، وحكى عن أبى نعيم قوله عقبه: "مشهور من حديث أبى الصديق عن أبى سعيد"، ثم قال: "فإنه بقوله: "مشهور" يشير إلى كثرة الطرق عن أبى الصديق، كما تقدم، وأبو الصديق اسمه بكر بن عمرو، وهو ثقة اتفاقاً، محتج به عند الشيخين، وجميع المحدثين، فمن ضعف حديثه هذا من المتأخرين، فقد خالف سبيل المؤمنين، ولذلك لم يتمكن ابن خلدون من تضعيفه، مع شططه فى تضعيف أكثر أحاديث المهدى، بل أقر الحاكم على تصحيحه لهذه الطريق، والطريق الآتية، فمن نسب إليه أنه ضعف كل أحاديث المهدى فقد كذب عليه سهواً أو عمداً". أهـ من "السلسلة الصحيحة" (١٥٢٩).

وقوله ﷺ: **(من عترتى)** أو **(من أهل بيتى)** أو **(منى)** كما فى الحديث الأتى. اعلم أنه اختلف فى أن المهدى من بنى الحسن أو من بنى الحسين قال القارى فى المرقاة: ويمكن أن يكون جامعاً بين النسبتين الحسنين والأظهر أنه من جهة الأب حسنى ومن جهة الأم حُسينى، قياساً على ما وقع مع ولدى إبراهيم، حيث كان أنبياء بنى إسرائيل كلهم من بنى إسحاق، وإنما نُبىء من ذرية إسماعيل نبينا ﷺ، وقام مقام الكل ونعم العوض وصار خاتم الأنبياء، فكذلك لما ظهرت أكثر الأئمة وأكابر الأمة من أولاد الحسين، فناسب أن ينجبر الحسن بأن أعطى له ولد يكون خاتم الأولياء ويقوم مقام سائر الأصفياء، على أنه قد **قيل:** لما نزل الحسن ﷺ عن الخلافة الصورية كما ورد فى منقبته فى الأحاديث النبوية أعطى له لواء ولاية المرتبة القطبية، فالمناسب أن يكون من جملتها النسبة المهدوية المقارنة للنبوة العيسوية، واتفاقهما على إعلاء كلمة الملة النبوية. أهـ نقلا عن: عون المعبود (٣٤٦/٧). وانظر: "المنار المنيف" (صـ ٨٨) و"فيض القدير" (٢٧٩/٦).

قلت (السماحى): يعنى بقوله: على أنه قد قيل: لما نزل الحسن ... إلخ أن الحسن ﷺ تنحى عن الخلافة وتنازل عنها لمعاوية رضى الله عنهما حقناً لدماء المسلمين فترك الخلافة لله عز وجل فعوضه الله بأن جعل من نسله خليفة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وورد عند أبى داود (٤٢٩٠) بسند منقطع عن على ﷺ قال ونظر إلى ابنه الحسن: إن ابنى هذا سيد كما سماه النبى ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه فى الخُلُق ولا يشبهه فى الخَلْقِ ...



الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، ويملك سبع سنين)[1].

وعنه ﷺ قال: "خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، فسألنا نبى الله ﷺ فقال: **(إن فى أمتى المهدى يخرج، يعيش خمساً، أو سبعاً، أو تسعاً** -زيد العمى الشاك- قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: **سنين**، قال: **فيجىء إليه الرجل، فيقول: يا مهدى، أعطنى، أعطنى**، قال: **فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله)**"[2].

وعن على ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(المهدى منا أهل البيت يصلحه الله فى ليلة)**[3].

وقوله: **(يصلحه الله فى ليلة)** يحتمل معنين:

أحدهما: أن يكون المراد بذلك أن الله يصلحه للخلافة، أى يهيؤه لها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٥)، والحاكم فى المستدرك (٨٦٧٠) وصححه عن أبى سعيد الخدرى ﷺ. قال ابن القيم فى المنار المنيف (ص٧٤): إسناده جيد، وقال الألبانى: إسناده حسن. انظر: تخريج المشكاة (٥٤٥٤)، وصحيح الجامع (٦٧٣٦). أهـ.

وقوله: "**المهدى منى**": أى من نسلى وذريتى.

ومعنى "**أجلى الجبهة**" منحسر الشعر من مقدم رأسه، أو واسع الجبهة.

"**أقنى الأنف**": قال فى "النهاية" (١١٦/٤): "القنا فى الأنف طوله، ودقة أرنبته، مع حدب فى وسطه، يقال: رجل أقنى، وامرأة قنواء". أهـ.

قال القارى: "والمراد أنه لم يكن أفطس، فإنه مكروه الهيئة". أهـ من "المرقاة" (١٨٠/٥). وانظر: "عون المعبود" (٣٤٩/٧).

(٢) أخرجه أحمد (١١١٧٩), والترمذى (٢٢٣٢) وقال: حديث حسن, وابن ماجة (٤٠٨٣), ونعيم بن حماد فى الفتن (١٠٤٨), والحاكم (٨٦٧٥)، والدانى فى السنن الواردة فى الفتن (٥٥٠), وقال الألبانى فى تعليقه على الترمذى وابن ماجة: حديث حسن.

(٣) أخرجه أبن أبى شيبة (٣٧٦٤٤), وأحمد (٦٤٥)، وابن ماجة (٤٠٥٨), والبزار (٦٤٤), وأبو يعلى (٤٦٥)، والدانى فى السنن الواردة فى الفتن (٥٧٩), وقال المناوى فى التيسير (٤٥٨/٢): إسناده حسن, وصححه أحمد شاكر فى تعليقه على المسند (٥٨/٢)، والألبانى فى الصحيحة (٢٣٧١), وصحيح الجامع (٦٧٣٥).

والثانى: أن يكون متلبساً ببعض النقائص، فيصلحه الله، ويتوب عليه"[١]. أهـ.

وهذا المعنى هو الذى قرره الحافظ ابن كثير -رحمه الله-، حيث قال: "ومعنى قوله: **(يصلحه الله فى ليلة)**، أى: يتوب عليه، ويوفقه، ويلهمه رشده، بعد أن لم يكن كذلك"[٢]. أهـ.

وقال القارى فى المرقاة: "**(يصلحه الله فى ليلة)** أى: يصلح أمره، ويرفع قدره، فى ليلة واحدة، أو فى ساعة واحدة من الليل، حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها"[٣]. أهـ.

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(المهدى من عترتى، من ولد فاطمة)**[٤] رضى الله عنها.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم المهدى: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة)**[٥].

---

(١) انظر "الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدى المنتظر" صـ ٢٦٣ ط الثانية.

(٢) نهاية البداية والنهاية (٤٣/١).

(٣) انظر "مرقاة المفاتيح" (١٨٠/٥).

(٤) أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير (٣٤٦١٣)، وأبو داود (٤٢٧٨), وابن ماجة بنحوه (٤٠٨٧), والطبرانى فى الكبير (٢٦٧/٢٣) (رقم ٥٦٦), والحاكم (٨٦٧٢), والدانى فى السنن الواردة فى الفتن (٥٦٥). وذكره الألبانى فى السلسلة الضعيفة (٨٠) وقال: وهذا سند جيد، رجاله كلهم ثقات، وله شواهد كثيرة. أهـ. وصححه فى صحيح الجامع (٦٧٣٤).

قال العظيم آبادى:

قال الخطابى: "**العترة**: ولد الرجل لصلبه، وقد يكون العترة -أيضاً- الأقرباء، وبنو العمومة، ومنه قول أبى بكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة: "نحن عترة رسول الله ﷺ". أهـ. وقال فى "النهاية": "عترة الرجل أخص أقاربه، وعترة النبى ﷺ بنو عبد المطلب، وقيل: قريش، والمشهور المعروف أنهم الذين حُرمت عليهم الزكاة". أهـ. عون المعبود (٣٤٨/٧).

(٥) أخرج هذا الحديث دون التصريح بلفظ المهدى مسلم فى صحيحه (١٥٦), وأحمد (١٤٧٦٢ و١٥١٦٧)، أما بالتصريح بلفظ المهدى فقد ذكره ابن القيم فى المنار المنيف (ص١٤٧-١٤٨ت أبى غدة) وعزاه للحارث فى مسنده وقال: هذا إسناد جيد.

وعن محمد بن سيرين قال: "المهدى من هذه الأمة، وهو الذى يؤم عيسى بن مريم عليهما السلام"[1].

المطلب الثانى : ذكر أحاديث فيها صفة المهدى وبعض أحواله:

عن ابن مسعود ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: **(لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً منى -أو من أهل بيتى- يواطىء اسمه اسمى، واسم أبيه اسم أبى)**، زاد فى رواية: **(يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً)** وفى رواية للترمذى: **(لا تذهب -أو: لا تنقضى- الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى، يواطىء اسمه اسمى)**[2].

=

وقال صاحب الحاوى (١٣٤/٢): أخرجه أبو نعيم فى "أخبار المهدى"، وذكره السيوطى فى "العرف الوردى" (٦٥) وقال: إسناده جيد، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٢٣٦).

(١) أخرجه من كلام ابن سيرين ابن أبى شيبة (٧٦٤٩)، ونعيم بن حماد فى الفتن (١١٠٧), وقال الدكتور عبد العليم البستوى فى المهدى المنتظر (صـ ٢٢٠): إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات..

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٧٦)، والترمذى (٢٢٣٠ و٢٢٣١) وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح. وقال المباركفورى: لا شك فى أن حديث عبد الله بن مسعود الذى رواه الترمذى فى هذا الباب لا ينحط عن درجة الحسن، وله شواهد كثيرة من بين حسان وضعاف، فحديث عبد الله بن مسعود هذا مع شواهده وتوابعه صالح للاحتجاج بلا مرية. تحفة الأحوذى (٩٣/٦).
والحديث صححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٠٤)، وتخريج أحاديث المشكاة (٥٤٥٢).
وقوله ﷺ **(حتى يملك العرب):**
قال القارى: "أى ومن تبعهم من أهل الإسلام، فإن من أسلم فهو عربى... وقال الطيبى -رحمه الله: "لم يذكر العجم، وهو مراد -أيضاً-؛ لأنه إذا ملك العرب، واتفقت كلمتهم، وكانوا يداً واحدة، قهروا سائر الأمم، ويؤيده حديث أم سلمة ...". أهـ.
ويمكن أن يقال: ذكر العرب لغلبتهم فى زمنه، أو لكونهم أشرف، او هو من باب الاكتفاء، ومراده: العرب والعجم، كقوله تعالى: **﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾** أى: والبرد، والأظهر أنه اقتصر على ذكر العرب؛ لأنهم كلهم يطيعونه، بخلاف العجم، بمعنى ضد العرب، فإنه قد يقع منهم خلاف فى طاعته، والله -تعالى- أعلم". أهـ. من "مرقاة المفاتيح" (١٧٩/٥).
وقول النبى ﷺ: **(يواطىء اسمه اسمى، واسم أبيه اسم أبى)** فيكون اسمه محمد بن عبد الله، وفيه رد على الشيعة حيث يقولون: المهدى الموعود هو القائم المنتظر وهو محمد بن الحسن العسكرى.



وعنه ﷺ عن النبى ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى يلىَ رجلٌ من أهل بيتى يواطىء اسمُه اسمى)**[1].

وعن على ﷺ بلفظ: **(لو لم يبق من الدهر إلا يوم، لبعث الله رجلاً من أهل بيتى يملؤها عدلاً، كما ملئت جوراً)**، وفى لفظ **(لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لبعث الله -عز وجل- رجلاً منا، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً)**[2].

المطلب الثالث : ذكر أحاديث يحتمل كونها فى شأن المهدى:

عن الجريرى عن أبى نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فقال: "يوشك أهل العراق أن لا يُجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم، يمنعون ذلك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مُدْىٌ، قلت: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم، ثم سكت هنية، ثم قال: قال ﷺ: **(يكون فى آخر أمتى خليفة يحثى المال حثيا، لا يعده عداً)** قال: قلت لأبى نضرة، وأبى العلاء: أتريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا"[3].

وفى لفظ لمسلم من حديث أبى سعيد وجابر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: **(يكون خليفة من خلفائكم فى آخر الزمان، يحثو المال، ولا يعده)**، وفى رواية: **(يعطى الناس بغير عدد)**[4].

=

تحفة الأحوذى (٦/٩٤).

(١) أخرجه أحمد (٣٥٧١) ورواه عنه أيضاً بلفظ: **(لا تنقضى الأيام أو لا تنقضى الدنيا ...)** (٣٥٧٢ و٣٥٧٣ و٤٠٩٨ و٤٢٧٩)، وهو عند أبى داود والترمذى. (انظر الحاشية السابقة).
والحديث صححه أحمد شاكر فى تحقيق المسند (٥/١٩٦). وحسنه محققو مسند الرسالة.

(٢) أخرجه أحمد (٧٧٣)، وأبو داود (٤٢٧٧)، والبزار (٤٩٣)، وقال شمس الحق فى عون المعبود (٧/٣٤٨): سنده حسن قوى، وصححه أحمد شاكر فى تحقيق المسند (٢/١١٧)، والألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٠٥).

(٣) تقدم تخريجه، وهو فى صحيح مسلم (٢٩١٣). وحمله الهيثمى والسيوطى على المهدى، انظر المجمع (٧/٣١٦)، والحاوى (٢/١٣١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩١٣ و٢٩١٤).



عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: (عَبِث رسول الله ﷺ فى منامه، فقلنا: يا رسول الله! صنعت شيئاً فى منامك لم تكن تفعله، فقال: **العجب أن ناساً من أمتى يؤمون البيت لرجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم**، فقلنا: "يا رسول الله! إن الطريق قد يجمع الناس، قال: **نعم، فيهم المستبصر، والمجبور، وابن السبيل، يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم**)(١).

عن عبيد الله بن القبطية قال: (دخل الحارث بن أبى ربيعة، وعبد الله بن صفوان، وأنا معهما، على أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها، فسألاها عن الجيش الذى يُخسف به -وكان ذلك فى أيام ابن الزبير-، فقالت: قال رسول الله ﷺ: **يعوذ عائذ بالبيت، فَيُبْعَثُ إليه بَعْثٌ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم**، فقلت: يا رسول الله! فكيف بمن كان كارها؟، قال: **يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته**)(٢).

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٤) (واللفظ لمسلم).

وقوله: "**عبِث**" بكسر الباء، أى تحرك جسمه الشريف، أو بعضه ﷺ، وقيل: حرك أطرافه كمن يأخذ شيئاً، أو يدفعه، انظر: شرح النووى (١٨/٦-٧).

وقوله: "**يؤم البيت**": يقصده.

وقوله: "**البيداء**" المفازة، وهى الأرض الواسعة القفر، وفى رواية: "بيداء المدينة"، وفى رواية أبى يعلى عن أم سلمة -رضى الله عنها-: "**بالبيداء من ذى الحليفة**"، والبيداء أرض واسعة ملساء بين مكة والمدينة، وهى معروفة بالقرب من ذى الحليفة.

وقوله: "**المستبصر**": المستبين للأمر، القاصد له.

وقوله: "**المجبور**": المكره المقهور.

وقوله: "**مصادر**": ورد ثم صدر، أى: جاء ثم رجع، شتى: متفرقة، والمقصود: أن مهلك هذا الجيش مهلك واحد يخسف بهم جميعاً، إلا أنهم يصدرون عن الهلكة مصادر متفرقة، واحد إلى الجنة، وآخر إلى النار، على قدر أعمالهم ونياتهم". أهـ.

من "جامع الأصول" (٣/٢٧٩). وانظر: "فتح البارى" (٤/٣٩٩-٤٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٢) (٤).

وقوله: "**عائذ**": العائذ: اللاجىء إلى الشىء المحتمى به.

وقوله: "**كارها**": غير راض بما قصدوا.

وقوله: "**يبعث على نيته**": أى: يبعث فيجازيه الله عز وجل على حسب نيته.

وعن عبد الله بن صفوان عن حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **(سيعوذ بهذا البيت -يعنى الكعبة- قوم، ليست لهم منعة، ولا عدد، ولا عدة، يبعث إليهم جيش، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم)**[(١)].

وفى رواية عنه عن أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: **(ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم، وينادى أولهم آخرهم، ثم يخسف بهم، فلا يبقى إلا الشريد الذى يُخبر عنهم)**[(٢)]، فقال رجل: أشهدُ عليك أنك لم تكذب على حفصة، وأشهد على حفصة أنها لم تكذب على النبى ﷺ.

عن صفية أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **(لا ينتهى الناس عن غزو هذا البيت حتى يغزوهُ جيشٌ، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض، خسف بأولهم وآخرهم، ولم ينج أوسطهم**، قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت المُكْره منهم؟، قال: **يبعثهم الله على ما فى أنفسهم)**[(٣)].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(يُبايع لرجل بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم يأتى الحبشة فيخربونة خراباً لا يُعمَّر بعده أبداً، وهم الذين يستخرجون كنزه)**[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٣) (٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٣).

وقوله: **"ليؤمن هذا البيت"** أى: يقصدونه. شرح النووى (٦/١٨).

(٣) أخرجه ابن أبى شبية (٣٧٢٢٤), وأحمد (٢٦٩٠١ و٢٦٩٠٢), والترمذى (٢١٨٤) وقال حديث حسن صحيح , وابن ماجة (٤٠٦٤)، والنسائى (٢٨٧٩ و٢٨٨٠)، وأبو يعلى (٧٠٦٩)، وقال الألبانى فى تعليقه على الترمذى وابن ماجة والنسائى: صحيح, وانظر الصحيحة(٢٤٣٢)، وصحيح الجامع (٨١١٥).

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة (٣٧٢٤٤), وأحمد (٧٨٩٧ و٨٠٩٩ و٨٣٣٣ و٨٦٠٤), وابن حبان (٦٨٢٧), وقال أحمد شاكر فى تحقيق المسند (٢٤٥/١٥): إسناده صحيح, ووافقة الألبانى فى الصحيحة (٥٧٩).

قال البستوى: "والحديث ليس صريحا فى ذكر المهدى، وذكره غير واحد من أهل العلم فى أبواب المهدى، وفى هذا نظرٌ؛ لأن الحديث لم يذكر فيه أى صفة للمهدى، بل فيه ذكر لرجل ما يبايع له



عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذٍ، فإذا تصافُّوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سَبَوْا منا نُقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله، لا نخلى بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فيُهزم ثلثٌ لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثهم -أفضل الشهداء عند الله-، ويَفتحُ الثلث، لا يُفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم فى أهليكم"، فيخرجون -وذلك باطل-، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يُعِدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم -عليه وعلى نبينا السلام-، فأَمَّهم، فإذا رآه عدوُ الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيُريهم دمَه فى حربته)**[1].

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)**[2] وفى رواية **(وأمَّكم)**[3].

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعضٍ أُمراء، تكرمة الله هذه الأمة)**[4].

وفى رواية للإمام أحمد: **(... فإذا هم بعيسى بن مريم، فتقام الصلاة، فيُقال له:**

= بين الركن والمقام، ثم يشير الحديث إلى استحلال البيت الحرام، وفتنة تقع بين المسلمين بعد ذلك، حتى تجىء الحبشة، فتخرب الكعبة، والمعروف أن عصر المهدى، ثم عصر المسيح، يتميزان بالقسط والعدل والرخاء والأمن، والله أعلم". أهـ. المهدى صـ ٤٩.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخارى (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥) (٢٤٤) عن أبى هريرة ﷺ.

(٣) أخرجها مسلم (١٥٥) (٢٤٥).

(٤) أخرجه مسلم (١٥٦) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما.

تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم، فليصل بكم)[1].

قال العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي –رحمه الله–: "لم يُعين الإمام هنا باسمه، بل أطلق، وورد مقيداً بأنه المهدى فى أحاديث أخر، منها:

ما أخرجه أبو نعيم عن أبى سعيد، والحارث بن أبى أسامة فى مسنده، عن جابر، أن النبى ﷺ قال: **(ينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم المهدى: "تعال، صل بنا"، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمير، تكرمة الله لهذه الأمة)**[2].

قال ابن القيم بعد ذكره لحديث الحارث: "وهذا إسناد جيد"[3].

وقد بين لفيف من أئمة العلم والهدى أنه يجب حمل اللفظ المطلق الوارد فى الصحيحين على المقيد خارجهما[4].

ونقل بعضهم[5] أن صلاة عيسى خلف المهدى، وأن المهدى من هذه الأمة قد تواترت به الأخبار. قال ابن الجوزى: لو تقدم عيسى إماماً، لوقع فى النفس إشكال، ولقيل: أتُراه نائباً أو مبتدئاً شرعاً، فيصلى مأموماً لئلا يتدنس بغبار الشبهة". أهـ[6].

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٩٩٧), وقال الهيثمى فى المجمع (٣٤٤/٧): رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح، وقال محققو مسند الرسالة: إسناده على شرط مسلم.

(٢) تقدم تخريجه فى أول هذه المسألة.

(٣) تقدم نقل كلام ابن القيم فى تخريج الحديث المذكور، وانظر "نقد المنقول" صـ ١٤٨.

(٤) انظر كتاب "المهدى" لفضيلة الدكتور محمد إسماعيل المقدم –حفظه الله– (صـ ٥٤–٥٦) وقد نقل فيه نصوصاً لجمع من أهل العلم كابن الجوزى، وابن حجر، وابن كثير، وصديق حسن خان، ومحمد حبيب الله الشنقيطى، والألبانى –رحمة الله عليهم جميعا– تؤكد هذا الأصل.

(٥) فتح البارى (٥٧٠/٦).

(٦) فتح البارى (٥٧٠/٦) قال الدكتور المقدم –حفظه الله–:

فائدة .....أنكر بعضهم ما ورد من أن عيسى –عليه السلام– إذا نزل يصلى خلف المهدى صلاة الصبح، وصنف فى ذلك كتاباً، وقال فى توجيه ذلك: "إن النبى عليه السلام أجل مقاماً من أن يصلى خلف غير نبى".

وجواب هذا من أوجه:

الفرع الثالث : مرتبة أحاديث المهدى من الصحة[1]:

قال فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ما ملخصه: "أمر المهدى معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة، بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها، وتواترها تواترُ معنى؛ لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهى بحق تدل على أن هذا الشخصَ الموعودَ به أمرُه ثابت وخروجه حق، وهو محمد بن عبد الله العلوى الحسنى من ذرية الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، وهذا الإمام من رحمة الله عز وجل بالأمة فى آخر الزمان، يخرج فيقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلاً وهداية وتوفيقا وإرشاداً للناس.

=

الأول: أن صلاة عيسى خلف المهدى ثابتة فى عدة أحاديث بإخبار رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى، **﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْى يُوحَى﴾** [النجم: ٤]، وقد تقدم ذكرها.

الثانى: أن الحكمة من ذلك –كما نقلنا عن ابن الجوزى آنفاً– أن لا يتدنس عيسى –عليه السلام– بغبار الشبهة، إذ لو تقدم عيسى إماماً لوقع فى النفس إشكال، ولقيل: أتراه نائباً، أو مبتدئاً شرعاً؟

الثالث: "لا شك أن عيسى أكمل من المهدى؛ لأنه نبى الله"، إلا أن الثابت شرعاً جواز إمامة المفضول للفاضل كما حدث مع النبى ﷺ حيث صلى خلف عبد الرحمن بن عوف، وأبى بكر رضى الله عنهما.

وجزم بعض العلماء بأن عيسى يقتدى بالمهدى أولاً، ليُظهر أنه نزل تابعاً لنبينا، حاكماً بشرعه، ثم بعد ذلك يقتدى المهدى به، على أصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل، وممن ذهب إلى ذلك السعد التفتازانى، والمناوى، والكشميرى، حيث قال: "المراد به –أى: حديث جابر– أنه لا يؤم فى تلك الصلاة حتى لا يُتوهم أن الأمة المحمدية سُلبت الولاية، فبعد تقرير ذلك، فى أول مرة يكون الإمام هو عيسى عليه السلام–؛ لكونه أفضل من المهدى، فالجواب الأصلى لأمير المسلمين هو قوله: "لا، فإنها لك أقيمت"، كما عند ابن ماجه وغيره عن أبى أمامة، وبعد أن كانت أقيمت له لو تقدم عيسى –عليه السلام– أوهم عزل الأمير، بخلاف ما بعد ذلك، وهذا كإشارة نبينا ﷺ لأبى بكر رضي الله عنه، بعد ما كان شرع فى الصلاة، أن لا يتأخر، يعنى: أى فى هذه الصلاة؛ لأنها لك أقيمت، ثم ذكر قوله: **"تكرمة الله هذه الأمة"**، لفائدة زائدة، وهى أن الأمة على ولايتها، وعيسى –عليه السلام– أيضاً حينئذ منهم، لا التعليل لعدم إمامته حتى يتوهم استمرار عدمها". أهـ. انظر "المهدى" صـ ٥٦–٥٨ باختصار.

(١) انظر علامات الساعة لعمر سليمان الأشقر صـ ٢٠٨–٢١٠.

وقد اطلعت على كثير من أحاديثه فرأيتها كما قال الشوكانى وغيره، وكما قال ابن القيم وغيره: فيها الصحيح، وفيها الحسن، وفيها الضعيف المنجبر، وفيها أخبار موضوعة، ويكفينا من ذلك ما استقام سنده، سواء كان صحيحا لذاته أو لغيره، وسواء كان حسنا لذاته أو لغيره، وهكذا الأحاديث الضعيفة إذا انجبرت وشد بعضها بعضا، فإنها حجة عند أهل العلم ...، والحق أن الجمهور من أهل العلم -بل هو كالاتفاق- على ثبوت أمر المهدى، وأنه حق، وأنه سيخرج فى آخر الزمان، أما من شذ عن أهل العلم فى هذا الباب فلا يلتفت إلى كلامه فى ذلك(١).

وقد أحصى فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد عدد الصحابة الذين رووا أحاديث المهدى فبلغوا ستة وعشرين صحابيا، وأحصى كتب السنة التى أخرجت هذه الأحاديث، فبلغت ستة وثلاثين كتابا فقد أخرجه أصحاب السنن الأربعة، وأحمد فى مسنده وابن حبان فى صحيحه، والحاكم فى مستدركه وغيرهم(٢).

وقد جمع هذه الأحاديث كثير من العلماء فى مؤلفات خاصة، وبينوا طرقها وتكلموا على أسانيدها، منهم أبو بكر بن أبى خيثمة زهير بن حرب على ما ذكره ابن خلدون، ومنهم الحافظ أبو نعيم، ولخص الحافظ السيوطى ما أورده أبو نعيم فى كتابه "العرف الوردى فى أخبار المهدى" وزاد عليه، وهو مطبوع فى ضمن كتابه الحاوى للفتاوى، ومنهم الحافظ ابن كثير أفرد فى ذكر المهدى جزءا على حده كما نص عليه فى كتابه الفتن والملاحم، ومنهم ابن حجر المكى ألف كتابا سماه: "القول المختصر فى علامات المهدى المنتظر"، ومنهم المتقى الهندى صاحب كنز العمال، وملا على قارى، وسمى مؤلفه "المشرب الوردى فى مذهب المهدى"، ومنهم مرعى بن يوسف الحنبلى، والصنعانى وغيرهم(٣).

---

(١) كلام الشيخ مثبت فى كتاب: "الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة فى المهدى" لعبد المحسن بن حمد العباد، صـ ١٥٧.

(٢) "عقيدة أهل السنة والأثر فى المهدى المنتظر" لعبد المحسن بن حمد العباد وهو مطبوع مع الكتاب السابق ذكره: صـ ١٦٦-١٦٨.

(٣) المصدر السابق صـ ١٦٨.



وقد نص على صحة أحاديث المهدى جمع كبير من نقاد الحديث وأئمته منهم: الحاكم، والذهبى، وأبو نعيم، وابن العربى المالكى، والقرطبى، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، والحافظ ابن حجر العسقلانى، والسيوطى، وغيرهم[١]، ولذلك لا يلتفت لمن ضعف هذه الأحاديث أو كذب بها، ممن ليس من فرسان هذا العلم.

الفرع الرابع : نصوص أهل العلم فى إثبات حقيقة المهدى[٢]:

ذكر أبو داود السجستانى أن سفيان الثورى كان يتكلم فى بعض من خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن الملقب بالنفس الزكية، على الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور، ثم قال: وسفيان يقول: "وإن مر بك المهدى وأنت فى البيت فلا تخرج إليه حتى يجتمع الناس"[٣]، ويُفهم منه أن أمر المهدى كان شائعاً مُسلماً عندهم.

وقال الإمام الحافظ أبو جعفر العقيلى **(ت٣٢٣هـ)** فى كتابه: "الضعفاء" فى ترجمة على بن نفيل النهدى: "لا يتابع على حديثه فى المهدى، ولا يعرف إلا به، وفى المهدى أحاديث جياد من غير هذا الوجه بخلاف هذا اللفظ"[٤]. أهـ.

وقال -أيضاً- فى ترجمة زياد بن بيان الرقى: "وفى المهدى أحاديث صالحة الأسانيد: أن النبى ﷺ قال: **(يخرج منِّى رجلٌ -ويقال: من أهل بيتى- يواطىء اسمه اسمى، واسم أبيه اسم أبى)**[٥]. أهـ.

وقال الحسن بن على بن خلف أبو محمد البربهارى شيخ الحنابلة فى وقته **(ت٣٢٩هـ)**، فى كتابه "شرح السنة": "والإيمان بنزول عيسى بن مريم -عليه السلام، ينزل

---

(١) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٢٩).

(٢) هذه المسألة منقولة من كتاب "المهدى" لفضيلة الشيخ محمد إسماعيل المقدم -حفظه الله- صـ ٧٧-٩١ باختصار وتصرف وزيادة.

(٣) "حلية الأولياء" (٣١/٧).

(٤) "الضعفاء" صـ ٣٠٠، ونقله عنه الحافظ فى "تهذيب التهذيب" (٣٩١/٧-٣٩٢).

(٥) "الضعفاء" صـ ١٣٩-١٤٠ وتقدم تخريج الحديث المذكور.



فيقتل الدجال، ويتزوج، ويصلى خلف القائم من آل محمد ﷺ"[١]. أهـ.

وقال الإمام أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادى (ت٣٣٦هـ) فى جزء له جمعه فى المهدى: "يحتمل فى معنى حديث: **(يكون اثنا عشر خليفة)** أن يكون هذا بعد المهدى الذى يخرج فى آخر الزمان"[٢]. أهـ.

وعقد الإمام أبو حاتم بن حبان البستوى (ت٣٥٤هـ) فى صحيحه عدة أبواب فى ذكر المهدى، واستدل بأحاديث عديدة، منها:

– ذكر البيان بأن خروج المهدى إنما يكون بعد ظهور الظلم والجور فى الدنيا، وغلبهما على الحق والجد[٣].

– ذكر الإخبار عن وصف اسم المهدى، واسم أبيه، ضد قول من زعم أن المهدى عيسى بن مريم[٤].

– ذكر الإخبار عن وصف المدة التى تكون للمهدى فى آخر الزمان[٥].

– ذكر الموضع الذى يبايع فيه المهدى[٦].

– ذكر الخبر المصرح بأن القوم الذين يخسف بهم إنما هم القاصدون إلى المهدى فى زوال الأمر عنه[٧]. أهـ.

وقال الإمام أبو الحسن محمد بن الحسين الآبرى فى كتاب "مناقب الشافعى": "... وقد تواترت الأخبار، واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدى، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل

---

(١) "شرح السنة" صـ ٧٣.

(٢) ذكره ابن حجر نقلاً عن "كشف المشكل"، لأبى الفرج بن الجوزى، انظر: "فتح البارى"، (٢٢٦/١٣).

(٣) "الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان" (٢٣٦/١٥).

(٤) "السابق" (٢٣٦/١٥).

(٥) "السابق" (٢٣٨/١٥).

(٦) "السابق" (٢٣٩/١٥).

(٧) "السابق" (١٥٨/١٥).



الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلى عيسى خلفه"[١]. أهـ.

وقال الإمام أبو سليمان الخطابى (ت٣٨٨هـ) فى صدر كلامه على حديث أنس ابن مالك ﷺ: "**(لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، وتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة ...)**[٢]، قال: ويكون ذلك فى زمن المهدى، أو عيسى -عليهما الصلاة والسلام-، أو كليهما"[٣]. أهـ.

وقال الإمام البيهقى (ت٤٥٨هـ): "والأحاديث فى التنصيص على خروج المهدى أصح البتة إسناداً، وفيها بيان كونه من عترة النبى ﷺ"[٤].

وذكر القاضى عياض (ت٥٤٤هـ) فى كتابه: "الشفا"، فى الباب الرابع، الفصل الثالث والعشرين، جملة من الأمور المستقبلة، التى أخبر بها من لا ينطق عن الهوى ﷺ، وذكر من بينها خروج المهدى[٥].

أما الإمام السهيلى، فذكر فى باب إسلام خديجة رضى الله عنها، عند كلامه على فضائل فاطمة رضى الله عنها قوله: "ومن سؤددها -أيضاً- أن المهدى المبشر به فى آخر الزمان من ذريتها، والأحاديث الواردة فى أمر المهدى كثيرة، وقد جمعها أبو بكر بن أبى خيثمة فأكثر"[٦].أهـ.

وقال الإمام أبو السعادات بن الأثير الجزرى فى "النهاية": "المهدى الذى قد هداه الله

---

(١) وقد تناقل الأئمة هذا النص عن الآبرى، وأقروه عليه فى مختلف العصور، وممن نقله، فى سياق الاحتجاج به، وسكت عليه: الإمام ابن قيم الجوزية فى "المنار المنيف"، والحافظ ابن حجر فى "فتح البارى"، و"التهذيب"، والحافظ أبو الحجاج المزى فى "تهذيب الكمال"، فى ترجمة محمد بن خالد الجندى الصنعانى، والقرطبى فى "التذكرة"، والسخاوى فى "فتح المغيث"، والسيوطى فى "أخبار المهدى"، ومحمد بن عبد الباقى الزرقانى، ومرعى بن يوسف الحنبلى، وغيرهم.

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث فى المبحث السابق عند ذكر علامة (تقارب الزمان).

(٣) نقله عنه المباركفورى فى "تحفة الأحوذى" (٢٠٤/٦).

(٤) ذكره المزى فى "تهذيب الكمال" (٥٩٧/٦)، ألف، وابن القيم فى "المنار المنيف"، صـ ٨٣-٨٤.

(٥) "الشفا" (٢٢٣/١).

(٦) "الروض الأنف" (٢٨٠/١).

إلى الحق، وقد استعمل فى الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة، وبه سمى المهدى الذى بشر به رسول الله ﷺ أنه يجىء فى آخر الزمان"(١). أهـ، وقد عقد فى "جامع الأصول" فصلاً "فى المسيح والمهدى -عليهما السلام-"، أورد فيه جملة من أخبار المهدى(٢).

وقال الإمام محمد بن أحمد بن أبى بكر القرطبى المُفسر الشهير (ت٦٧١هـ) فى كتابه "التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة"، أثناء نقده لحديث "ولا مهدى إلا عيسى بن مريم": "منقطع، والأحاديث عن النبى ﷺ فى التنصيص على خروج المهدى من عترته من ولد فاطمة - ثابتة، أصح من هذا الحديث، فالحكم بها دونه"(٣). أهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فى "منهاج السنة النبوية": "الأحاديث التى يُحتج بها على خروج المهدى أحاديث صحيحة(٤)، رواها أبو داود، والترمذى، وأحمد، وغيرهم، من حديث ابن مسعود وغيره"(٥)، ثم ذكر شيخ الإسلام روايات ابن مسعود، وأم سلمة، وأبى سعيد، وعلى -رضى الله عنهم- جميعاً.

وقال ابن قيم الجوزية فى "المنار" بعد أن ذكر عدة أحاديث فى شأن المهدى: "وهذه الأحاديث أربعة أقسام: صحاح، وحسان، وغرائب، وموضوعه"، وقال -أيضاً-: "وقد قال رسول الله ﷺ: **(عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى)**(٦)، وقد ذهب الإمام أحمد فى إحدى الروايتين عنه، وغيره، إلى أن عمر بن عبد العزيز منهم، ولا ريب أنه كان راشداً مهدياً، ولكن ليس بالمهدى الذى يخرج آخر الزمان، فالمهدى فى جانب الخير والرشد كالدجال فى جانب الشر والضلال، وكما أن بين يدى الدجال الأكبر صاحب الخوارق دجالين كذابين، فكذلك بين يدى المهدى الأكبر مهديون راشدون(٧). أهـ.

---

(١) "النهاية فى غريب الحديث والأثر" (٥/٢٥٤).

(٢) "جامع الأصول فى أحاديث الرسول ﷺ" (١٠/٣٢٧-٣٣٢).

(٣) "التذكرة" صـ ٦٠٩.

(٤) وكذا صححها الحافظ الذهبى فى "المنتقى من منهاج الاعتدال" صـ ٥٣٤.

(٥) "منهاج السنة النبوية" (٨/٢٥٤).

(٦) تقدم تخريجه، وهو حديث العرباض بن سارية ﷺ، رواه أحمد وغيره وهو صحيح.

(٧) وقال -رحمه الله- فى "المنار" (صـ ٨٨) -أيضاً-: "أكثر الأحاديث تدل على أنه من ولد الحسن بن



وقال –أيضاً– رحمه الله فى "إغاثة اللهفان": "والمسلمون ينتظرون نزول المسيح عيسى بن مريم من السماء، لكسر الصليب، وقتل الخنزير، وقتل أعدائه من اليهود، وعباده من النصارى، وينتظرون خروج المهدى من أهل بيت النبوة، يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً"[١]. أهـ.

وقال الحافظ ابن كثير –رحمه الله– فى "نهاية البداية والنهاية" "فصل فى ذكر المهدى الذى يكون فى آخر الزمان، وهو أحد الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين. فقد نطقت به الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ أنه يكون فى آخر الدهر، وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى بن مريم كما دلت على ذلك الأحاديث"[٢]. أهـ.

وقال الحافظ ابن حجر فى "الفتح": "وقد أخرج ابن ماجه عن ثوبان رفعه، قال: **(يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة)**[٣]، فذكر الحديث فى المهدى، فهذا إن كان المراد بالكنز فإنه الكنز الذى فى حديث الباب دل على أنه إنما يقع عند ظهور المهدى،

=

على –رضى الله عنهما–، وفى كونه من ولد الحسن سر لطيف، وهو أن الحسن ﷺ ترك الخلافة لله، فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة، الحق المتضمن للعدل الذى يملأ الأرض، وهذه سنة الله فى عباده أنه من ترك لأجله شيئاً أعطاه الله، أو أعطى ذريته أفضل منه، وهذا بخلاف الحسين رضي الله عنه، فإنه حرص عليها، فلم يظفر بها، والله أعلم". أهـ، ونقل المناوى فى "الفيض"، (٢٧٩/٦) نحوه عن أبى الحسن السمهودى، (ت٩١١هـ). وانظر: "سيد البشر يتحدث عن المهدى المنتظر" صـ ٦٠-٦٣.

(١) "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان" (٣٣٢/٢).

(٢) "نهاية البداية والنهاية" (٤٣/١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤)، والحاكم (٨٤٣٢) وصححه، ووافقه الذهبى، والكنانى فى مصباح الزجاجة (٢٠٤/٤) وضعفه الألبانى فى "الضعيفة" رقم (٨٥) وفى ضعيف الجامع (٦٤٣٤) عن ثوبان رضي الله عنه ونصه: يقتتل [يُقتل] عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم، فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدى" وأخرجه أحمد (٢٢٤٤١) وغيره بلفظ: "إذا رأيتم الرايات السود ... ... " الحديث.



وذلك قبل نزول عيسى، وقبل خروج النار جزماً، والله أعلم"[١]. أهـ،

وقال الحافظ -أيضاً- فى "الفتح" أثناء شرحه لحديث **(تصدقوا فسيأتى على الناس زمان يمشى الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها)**[٢]، فذكر الحافظ احتمالات تعلق هذا الحديث بالباب الذى قبله، وهو "باب خروج النار"، فقال -رحمه الله-: "وتعلقه به من جهة الاحتمال الذى تقدم، وهو أن ذلك يقع فى الزمان الذى يستغنى فيه الناس عن المال، إما لاشتغال كل منهم بنفسه عند طروق الفتنة، فلا يلوى على الأهل فضلاً عن المال، وذلك فى زمن الدجال، وإما بحصول الأمن المفرط والعدل البالغ، بحيث يستغنى كل أحد بما عنده عما فى يد غيره، وذلك فى زمن المهدى، وعيسى بن مريم، وإما عند ظهور النار التى تسوقهم إلى المحشر.."[٣]. إلى آخر كلامه رحمه الله -تعالى-.

وهناك أقوال أخرى لأئمة آخرين وفيما ذكر كفاية.

قال الدكتور اسماعيل المقدم حفظه الله[٤]: "فهؤلاء أئمة العلم والهدى، جهابذة السنة، وصيارفة الحديث، كثر الله سوادهم، وأعلى رايتهم، قد أطبقوا على صحة الاحتجاج بالأحاديث الواردة فى شأن المهدى المنتظر".

فالواجب المتعين الرجوع فى الحكم على الحديث صحة أو ضعفاً إلى أهل الحديث أرباب هذا الشأن، وتقليدهم فى ذلك دون غيرهم ممن لم يشم رائحة هذا العلم الشريف[٥].

واعلم -رحمك الله- أن الناس لا يؤتون قط من قبل علمائهم الربانيين، ولكن يؤتون

---

(١) "فتح البارى" (٨٧/١٣).

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (١٤١١ و١٤٢٤ و٧١٢٠)، ومسلم (١٠١١) من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه.

(٣) "السابق" (٨٨/١٣).

(٤) انظر كتابه "المهدى" صـ ٩٠-٩١.

(٥) اعلم -وفقنى الله وإياك- أن قبول قول الأئمة فى تصحيح الأحاديث ليس من التقليد المذموم المعروف فى الأصول، بل هو من باب قبول رواية العدل، وقد تقرر وجوب قبول خبر الواحد والعمل به، اللهم إلا أن تظهر علة قادحة فى صحة الحديث خفيت على من صححه، أو غيرها من الموانع، انظر: "توضيح الأفكار" للصنعانى (٥٩/١ و٦٩ و١١٤-١٢٠).



من قبل أدعياء العلم، وفى الحديث عن عبد الله بن عمرو –رضى الله عنهما–: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله –تعالى– لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يَقْبِضُ العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساءَ جهالاً، فسُئِلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا)**[1].

وقال الإمام الطرطوشى –رحمه الله–: "فتدبروا هذا الحديث، فإنه يدل على أنه لا يؤتى الناس قط من قبل علمائهم، وإنما يؤتون من قبل إذا مات علماؤهم أفتى من ليس بعالم، فيؤتى الناس من قبلهم.

وقد صرف عمر ﵁ هذا المعنى تصريفاً، فقال: "ما خان أمين قط، ولكنه اؤتمن غير أمين فخان"، ونحن نقول: ما ابتدع عالم قط، ولكنه استفتى من ليس بعالم، فضل، وأضل".

وكذلك فعل ربيعة: قال مالك –رحمه الله– تعالى: "بكى ربيعة يوماً بكاءً شديداً، فقيل له: أمصيبة نزلت بك؟ فقال: لا، ولكن استفتى من لا علم عنده، وظهر فى الإسلام أمر عظيم". أهـ. كلام الطرطوشى[2].

وهذا ما حدث فى قضية المهدى، إذ تجاسرت حفنة من المتأخرين، لا كم لها، ولا كيف، إذا قورنت بأئمة أهل السنة والحديث، فى القديم والحديث، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، وسفهوا أنفسهم، إذ قدموا آراءهم وأهواءهم على أحاديث رسول الله ﷺ الثابتة، وتطاولوا على أئمة الحديث، حتى رماهم بعضهم بالغفلة والسذاجة، والبدعة والتخليط، فأحسن الله عزاءهم فى علمهم وعقلهم.

وعلى من يرى خلاف ما أطبق عليه هؤلاء أن يضعهم فى كفة، ويضع نفسه فى كفة، ثم لينظر النتيجة بعين الرضا والتسليم، ورحم الله امرءًا عرف قدر نفسه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخارى (١٠٠ و٧٣٠٧)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبى شامة صـ ٥٦، والاعتصام (١٧٣/٢) م التجارية.



الفرع الخامس : شبهات وردود(١):

الشبهة الأولى : هى شبهة فرقة "القرآنيين" الضالة، وهم يقولون: "لم يرد فى القرآن أيةُ إشارة إلى المهدى، ولا حجة فيما سوى القرآن"(٢).

والجواب:

أن هذه الدعوى بأن لا حجة فيما سوى القرآن لا تصدر من مؤمن بالله تعالى، ورسوله ﷺ، وإنما هى من شغب الملاحدة، وكيد الزنادقة الذين يريدون الكيد للإسلام، والعبث بعقول الضعاف من المسلمين.

---

(١) انظر المهدى صـ ٩٧-١٨٥ باختصار شديد.

(٢) قال الدكتور إسماعيل المقدم حفظه الله: هل فى القرآن إشارة إلى المهدى؟

حكى بعض المفسرين ما يفيد أن هناك إشارة" إلى المهدى ضمن حكايتهم وجوه تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ١١٤).

فقال إمام المفسرين ابن جرير الطبرى -رحمه الله-: "حدثنا موسى قال: حدثنا عمرو قال: حدثنا أسباط عن السدى قوله: ﴿لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ﴾، أما خزيهم فى الدنيا فإنهم إذا قام "المهدى"، وفُتِحت القسطنطينية قتلهم، فذلك الخزى، وأما العذاب العظيم فإنه عذاب جهنم الذى لا يخفف عن أهله، ولا يُقْضَى عليهم فيها فيموتوا". أهـ. جامع البيان (٥٢٥/٢) ت أحمد شاكر.

وحكى القرطبى عن قتادة والسدى: "الخزى لهم فى الدنيا قيام المهدى، وفتح عمورية، ورومية، وقسطنطينية، وغير ذلك من مدنهم، على ما ذكرناه فى كتاب "التذكرة". أهـ الجامع لأحكام القرآن (٧٩/٢).

وحكى ابن كثير عن السدى وعكرمة ووائل بن داود أنهم فسَّروا الخزى فى الدنيا بـ (خروج المهدى)، وصحَّح أن الخزى فى الدنيا أعم من ذلك كله. أهـ [تفسير ابن كثير ٢٠٤/١].

وقال الشوكانى فى تفسيره "فتح القدير": "أما خزيهم فى الدنيا، فإنه إذا قام المهدى، وفُتحت القسطنطينية، قتلهم، ذلك الخزي". أهـ. فتح القدير (١٣٢/١؛).

وقال الشيخ سيد الشبلنجى فى "نور الأبصار": "قال مقاتل بن سليمان، ومن تابعه من المفسرين، فى تفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ (الزخرف: ٦١)، قال: هو المهدى يكون فى آخر الزمان، وبعد خروجه تكون أمارات الساعة وقيامها". أهـ.

والمقصود من ذكر هاتين الآيتين الاستئناس لا الاستدلال. المهدى صـ ١٢٨-١٢٩.



فحجية السنة مما يعلم من دين الإسلام بالضرورة؛ فهى معلومة للخاص والعام، والعالم والجاهل، وقد كان هذا يغنينا، ويغنى من فى قلبه ذرة من إيمان، عن بيان أدلتها لدحض هذه الفرية. إن سنة رسول الله ﷺ لم تعدم منذ أزمان أعداءً لها، هم –لو فقهوا– أعداء للقرآن، يشككون فيها، ويحاولون فصلها عن القرآن، وقد هيأ الله من أهل العلم من يذب عنها، ويدحض شبه أعدائها، ومنهم الحافظ السيوطى –رحمه الله–، فقد ألف رسالة لطيفة سماها: "مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة"، افتتحها بعد حمد الله تعالى بقوله:

"اعلموا –يرحمْكم الله– أن من العلم كهيئة الدواء، ومن الآراء كهيئة الخلاء، لا تذكر إلا عند داعية الضرورة، وإن مما فاح ريحه فى هذا الزمان، وكان دارساً –بحمد الله– منذ أزمان، وهو أن قائلاً رافضياً زنديقاً أكثر فى كلامه أن السنة النبوية، والأحاديث المروية –زادها الله علواً وشرفاً– لا يُحتج بها، وأن الحجة فى القرآن خاصة".

إلى أن قال –رحمه الله–: "فاعلموا –رحمكم الله– أن من أنكر –كون حديث النبى ﷺ قولاً كان، أو فعلاً، بشرطه المعروف فى الأصول– حجة كفر، وخرج عن دائرة الإسلام، وحُشر مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء الله من فرق الكفرة، روى الإمام الشافعى رضي الله عنه يوماً حديثاً، وقال: "إنه صحيح"، فقال له قائل: "أتقول به يا أبا عبد الله؟"، فاضطرب، وقال: "يا هذا، أرأيتنى نصرانياً؟ أرأيتنى خارجاً من كنيسة؟ أرأيت فى وسطى زُنار[١] أروى حديثاً عن رسول الله ﷺ، ولا أقول به؟"[٢]. أهـ.

الشبهة الثانية: قولهم: إن أحاديث المهدى –وإن صحت– فهى أحاديث آحاد، وأحاديث الآحاد لا تفيد العلم، ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن العقائد والمغيبات.

جواب هذه الشبهة:

إن قولهم: "إن أحاديث المهدى –وإن صحت– فهى أحاديث آحاد"، دعوى غير

(١) الزنار: ما يربط على وسط النصارى والمجوس.

(٢) "مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة" صـ ٦، وينظر "حجية السنة"، رسالة دكتوراه، للعلامة الدكتور عبد الغنى عبد الخالق رحمه الله بتصرف.

صحيحة، فقد صرح كثير من العلماء بأن الأحاديث الواردة فى شأن المهدى متواترة تواتراً معنوياً[(١)].

أما قولهم: "إن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم"[(٢)]، فجوابه على فرض التسليم بأن أحاديث المهدى آحاد، أن حديث الآحاد حجة بنفسه فى العقائد والأحكام، ويفيد العلم، "ويُقطع بصحته إذا تلقته الأمة بالقبول، أو عملت به، وهذا ما ذهب إليه أكثر أهل الأصول، وعامة الفقهاء من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، إلا فرقة تبعت أهل الكلام"[(٣)].

وقد أفاد وأجاد الإمام الجهبذ المحقق ابن قيم الجوزية –رحمه الله– فى الانتصار للقول بأن خبر الواحد يفيد العلم فى كتابه الجليل "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"[(٤)].

الشبهة الثالثة: قولهم: نظرنا فى أحاديث المهدى فلم نجد منها حديثاً واحداً فى الصحيحين ولا يصح الاحتجاج بحديث فى غير الصحيحين إلا إذا

---

(١) سبق وقد نقل فى أول هذا المبحث أقوال جمهرة من أهل العلم أن أحاديث المهدى متواترة فراجعه فى موضعه.

(٢) راجع فى هذا الكتاب الفصل التمهيدى تحت عنوان "تنبيهات هامة، التنبيه الثامن، وقد ذكرت هناك فى الحاشية أدلة وجوب العمل بخبر الواحد فراجعه لزاماً لاستيفاء المسألة. وفيه الرد على من قال: إن خبر الواحد لا يفيد العلم.

(٣) ذكره ابن تيمية –رحمه الله– فى "المسودة" صـ (٢٤٠)، (٢٤٤).

(٤) انظر: "مختصر الصواعق المرسلة"، للشيخ محمد بن الموصلى –رحمه الله– (٢/٣٣٢–٤٣٣).
وراجع للتوسع فى هذه المسألة:
١. "إحكام الأحكام"، لابن حزم –رحمه الله– (١/١٠٧)، وما بعدها.
٢. "رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد"، للشيخ عبد العزيز بن راشد النجدى –رحمه الله–.
٣. "الحديث حجة بنفسه فى العقائد والأحكام"، للعلامة الألبانى –رحمه الله–.
٤. "أخبار الآحاد فى الحديث النبوى"، للعلامة عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين –رحمه الله–، وهو من أقوى وأجمع ما كتب فى المسألة، والله أعلم.
٥. "أصل الاعتقاد"، لفضيلة الدكتور عمر سليمان الأشقر، حفظه الله.



كان له أصل فيهما أو فى أحدهما.

وقد ردد هذه المقولة، ودندن حولها، كثير ممن أنكروا حقيقة المهدى، فمنهم الشيخ محمد رشيد رضا الذى قال: "لم يعتد الشيخان بشىء من رواياتها"[(١)]، ومنهم أحمد أمين، فقد قال: "ولم يرو البخارى ومسلم شيئاً عن أحاديث المهدى، مما يدل على عدم صحتها عندهما"[(٢)].

ومنهم سعد محمد حسن[(٣)]، وعبد الله بن زيد بن محمود رئيس المحاكم القطرية[(٤)]، الذى قال: "وهذه الأحاديث لم يأخذها البخارى ومسلم، ولم يدخلاها فى كتبهما، مع رواجها فى زمنهما، وما ذاك إلا لعدم ثباتها عندهما"[(٥)]. أهـ.

وجواب هذا من وجوه:

أحدها: أن دعوى خلو الصحيحين من حديث واحد فى شأن المهدى غير صحيحة، بل فيهما ما يشير إلى المهدى بدون ذكر لفظة "المهدى"، وقد وردت روايات صحيحة خارج الصحيحين تصرح بزيادة على ما فيهما، كما سبق ذكره[(٦)]، وزيادة الثقة مقبولة عند علماء الحديث[(٧)]، كما أنه ينبغى ألا نعزل النصوص عن شرح العلماء الراسخين، وفهمهم لها، وقد سبق ذكر من حمل أحاديث الصحيحين المشار إليها آنفاً على المهدى نفسه،

---

(١) "تفسير المنار" (٤١٦/٩)، ط. الشعب.

(٢) "ضحى الإسلام" (٢٣٧/٣).

(٣) "المهدية فى الإسلام" صـ ٧٠.

(٤) "لا مهدى ينتظر، بعد الرسول خير البشر" صـ ٣١.

(٥) "السابق" صـ ٦.

(٦) فى المسألة الثانية من هذا المبحث.

(٧) قال الحافظ فى "شرح النخبة" صـ ٣٧: "وزيادة راويهما –أى الصحيح والحسن– مقبولة ما لم تقع منافية لرواية من هو أوثق –ممن لم يذكر تلك الزيادة، لأن الزيادة إما أن تكون لا تنافى بينها، وبين رواية من لم يذكرها، فهذه تقبل مطلقاً؛ لأنها فى حكم الحديث المستقل، الذى ينفرد به الثقة، ولا يرويه عن شيخه غيره، وإما أن تكون منافية، بحيث يلزم من قبولها رد الرواية الأخرى، فهذه هى التى يقع الترجيح بينها وبين معارضها، فيقبل الراجح ويرد المرجوح". أهـ.
وانظر مقدمة صحيح ابن حبان (١٢٠/١)، و"جامع الأصول" (١٠٣/١-١٠٥).

مثل الحافظ أبى الحسن الآبرى، وحكاه عنه القرطبى، والحافظ ابن حجر، والسخاوى، والسيوطى، والزرقانى، وغيرهم، وأقروه عليه، -وإليه أيضاً- ذهب الطيبى، وأبو داود، وابن كثير، وابن القيم، وابن حجر الهيتمى، والكشميرى، ومحمد صديق خان، ومحمد بن جعفر الكتانى.

الثانى: أن أحداً من أهل العلم لم يقل إن عدم إيراد الحديث فى الصحيحين يدل على ضعفه عندهما، فقاعدة: "لا يصح الاحتجاج بحديث فى غير الصحيحين إلا إذا كان له أصل فيهما، أو فى أحدهما"، قاعدة مُحْدَثَةٌ مُبْتَدَعة"، لم يقل بها أحد من السلف، بل صرح الأئمة -بما فيهم الشيخان البخارى ومسلم- بما ينقض دعوى الاقتصار على الصحيحين من أساسها كما سنبين -إن شاء الله-(١).

ولم يزل من دأب العلماء فى جميع العصور الاحتجاج بالأحاديث الصحيحة، بل الحسنة الموجودة خارج الصحيحين، والعمل بها مطلقاً، واعتبار ما دلت عليه دون إعراض عنها، أو تعرض للحط من شأنها، والتقليل من قيمتها، ومن أمثلة ذلك فى أمور الاعتقاد:

الحديث المشتمل على العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنهم، وهو فى السنن،

---

(١) قال فى قواعد التحديث صـ ٨٢:

قسم العلماء الصحيح إلى سبع مراتب، مرتبة حسب القوة، على النحو التالى:

١. صحيح اتفق على إخراجه البخارى ومسلم.
٢. صحيح انفرد بإخراجه البخارى عن مسلم.
٣. صحيح انفرد بإخراجه مسلم عن البخارى.
٤. صحيح على شرطهما معاً ولم يخرجاه.
٥. صحيح على شرط البخارى، ولم يخرجه.
٦. صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجه.
٧. صحيح لم يخرجاه، ولم يكن على شرطهما معاً، ولا على شرط واحدٍ منهما. أهـ

وليس فى الصحيحين من هذه المراتب إلا الثلاث الأُوَل، أما الأربع الباقية، فلا وجود لها إلاَّ خارج الصحيحين، مثل موطأ مالك، وصحيح ابن حبان، وصحيح ابن خزيمة، وكتب السنن؛ أبى داود، والنسائى، والترمذى، وابن ماجة، ومسند الإمام أحمد، وغير هذا الكثير من الكتب التى صُنّفت خصيصاً لجمع أحاديث النبى ﷺ.



ومسند الإمام أحمد وغيره، وليس فى الصحيحين[1]، ومع ذلك اعتقدت الأمة موجبه، وقل أن يوجد مؤلف فى العقائد -ولو مختصراً- إلا وهو متضمن التنصيص على ذكرهم، والشهادة لهم بالجنة، بناءاً على الأحاديث الواردة فى ذلك فى غير الصحيحين.

الثالث: أن المقبول من الحديث عند المحدثين أربعة أنواع، هى: الصحيح لذاته، والصحيح لغيره، والحسن لذاته، والحسن لغيره، ومعلوم أن الحديث الصحيح موجود فى الصحيحين، وفى غيرهما، أما الحسن فوجوده فى غير الصحيحين، وقد ذكر هذه الأنواع الأربعة العلماء، ومنهم: الحافظ ابن حجر فى "شرحه نخبة الفكر"[2].

فالتشبث بقسم واحد فقط، وهو الصحيح لذاته، الموجود فى الصحيحين، بدعة مخالفة لما عليه أهل الحديث والأثر، ويترتب عليها إهدار قسم عظيم من الأخبار المقبولة عند أهل العلم.

الرابع: تنصيص أهل الحديث على أن الشيخين لم يستوعبا الصحيح: قال الحاكم أبو عبد الله -رحمه الله- تعالى- فى "المستدرك": "ثم قيض الله لكل عصر جماعة من علماء الدين، وأئمة المسلمين، يزكون رواة الأخبار، ونقلة الآثار، ليذبوا به الكذب عن وحى الملك الجبار، فمن هؤلاء الأئمة: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفى، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى -رضى الله عنهما-، صنفاً فى صحيح الأخبار كتابين،

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٢٩ و١٦٣١ و١٦٣٧ و١٦٤٤ و١٦٤٥)، وأبو داود (٤٦٣٧-٤٦٣٨)، والترمذى (٣٧٥٧)، وابن ماجة (١٣٣) من حدث سعيد بن زيد ﷺ. وصححه الألبانى فى أبى داود والترمذى وابن ماجة.

وأخرجه أحمد (١٦٧٥)، والترمذى (٣٧٥٦) من حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ. وصححه الألبانى فى الترمذى.

(٢) قال ابن حجر فى شرح نخبة الفكر صـ ٢٩:

"وخبر الآحاد بنقل عدل تام الضبط، متصل السند، غير معلل ولا شاذ، وهو الصحيح لذاته"، وهذا أول تقسيم المقبول إلى أربعة أنواع؛ لأنه إما أن يشتمل من صفات القبول على أعلاها أو لا. **الأول:** الصحيح لذاته، **والثانى:** إن وجد ما يجبر ذلك القصور، ككثرة الطرق، فهو الصحيح -أيضاً-، لكن لا لذاته، وحيث لا جبران فهو الحسن لذاته، وإن قامت قرينة ترجح جانب قبول ما يتوقف فيه، فهو الحسن -أيضاً- لكن لا لذاته". أهـ.

مهذبين، انتشر ذكرهما فى الأقطار، ولم يحكما، ولا واحد" منهما، أنه لم يصح من الحديث غير ما أخرجه"[١].

الشبهة الرابعة: **وهى احتجاجهم على تكذيب الأحاديث الصحيحة الواردة فى شأن المهدى بحديث أخرجه ابن ماجه والحاكم عن أنس ﷺ مرفوعاً: (لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدباراً، ولا الناس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدى إلا عيسى بن مريم)[٢].**

والجواب:

أن هذا الحديث تفرد به ابن ماجه دون سائر الستة، ورواه الحاكم عن أنس[٣]، وقال عقب روايته له: "إنما ذكرت هذا الحديث تعجباً، لا محتجا به فى المستدرك على الشيخين -رضى الله عنهما-"، وقال الذهبى فى الميزان[٤]: "منكر"، وضعفه البيهقى[٥]، وقال الصنعانى: "موضوع"[٦]، وممن ضعفه -أيضاً- الآبرى، والقرطبى، وابن تيمية[٧]، وابن القيم، وغيرهم[٨].

ولا يُتكلف الجواب عن الحديث حتى يكون صحيحاً، والباطل يكفى فى رده كونه

---

(١) المستدرك (٢/١).

(٢) أخرجه ابن ماجة (٤٠٣٩).

(٣) "المستدرك" (٨٣٦٣)، وكذا رواه أبو نعيم فى "الحلية"، (١٦١/٩)، والخطيب فى "تاريخ بغداد"، (٢٢٠/٤).

(٤) "ميزان الاعتدال" (٥٣٥/٣).

(٥) انظر: "تهذيب الكمال" (٥٩٧/٦)، و"ميزان الاعتدال" (٥٣٦/٣).

(٦) نقله عنه الشوكانى فى "الفوائد المجموعة" (١٢٧)، (صـ ٥١٠، ٥١١).

(٧) "منهاج السنة" (٢١١/٤).

(٨) قال الألبانى فى الضعيفة (٧٧): منكر.

باطلاً، والله أعلم.

الشبهة الخامسة: وهى قولهم: "إن من العلماء من ضعف أحاديث المهدى جميعها، وهو ابن خلدون".

والجواب بمعونة الملك الوهاب:

أن هذا الإطلاق غير صحيح، لأن الذى يظهر من كلام ابن خلدون –رحمه الله– فى مقدمة تاريخه، أنه كان متردداً فى المسألة، ولم يكن جازماً بإنكار المهدى، ولا شك أن هذا التردد –فضلا عن التكذيب الصريح– شذوذ عن الحق، ونكوب عن الجادة المطروقة.

كما أن ابن خلدون نفسه قد اعترف بسلامة بعض أحاديث المهدى من النقد، حيث قال بعد إيراد الأحاديث التى خرجها الأئمة فى شأن المهدى: "وهى كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل، والأقل منه"[(١)]. انتهى، وهذا القليل الذى يسلم من النقد لا ريب أنه يكفى للاحتجاج به، ويكون الكثير الذى لم يسلم عاضداً له ومقوياً، على أنه قد سلم الشىء الكثير، علماً بأنه قد فاته من أحاديث المهدى الشىء الكثير.

ودعوى ضعف جميع الأحاديث الواردة فى شأن المهدى، لم تنقل عن أحد من أئمة الشأن[(٢)]، وصدق وصف الضعف على بعضها لا يلزم منه سحبه على الصحيح، والحسن

---

(١) "مقدمه تاريخ ابن خلدون"، (٥٧٤/١)، ولعل من أوسع المراجع التى تناولت هذه الأحاديث بالدراسة النقدية العلمية رسالة ماجستير بعنوان: "الأحاديث الواردة فى شأن المهدى فى ميزان الجرح والتعديل"، للأستاذ عبد العليم بن عبد العظيم البستوى، تزيد على ست مئة صفحة، أنفق فى إعدادها عدة سنوات، وجمع فيها ما جاء فى هذا الموضوع من الأحاديث والآثار، ودرس أسانيدها، وبين ما قاله المحدِّثون عن أحوال رجالها، وما قاله أهل العلم فى صحتها أو ضعفها، ونقل فيها الكثير من أقوال العلماء فى تواترها، وفى ثبوتها، والاحتجاج بها، وناقش قضية المهدى من جميع جوانبها، وأشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة –رحمه الله– تعالى–، وهى موجودة بمكتبة الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز، بمكة المكرمة –حرسها الله–، وقد طبعت مؤخراً فى مجلدين، وانظر فصل "موقف غريب لابن خلدون" صـ ٤٢٣.

(٢) انظر "التاج" (٣٤١/٥).



منها، فإن الكل لا يحكم عليه بحكم البعض، وقد اعترف ابن خلدون نفسه بسلامة بعضها من النقد كما قدمنا.

وقد تصدى عدد من العلماء لابن خلدون، وصنفوا فى الرد عليه.

وقال محدث الشام، وحسنة الأيام، العلامة محمد ناصر الدين الألبانى –رحمه الله، وجعل جنة الفردوس مثواه–: "وقد أخطأ ابن خلدون خطأ واضحاً، حيث ضعف أحاديث المهدى جُلها، ولا غرابة فى ذلك، فإن الحديث ليس من صناعته.

والحق أن الأحاديث الواردة فى المهدى فيها الصحيح والحسن، وفيها الضعيف والموضوع، وتمييز ذلك ليس سهلاً إلا على المتضلع فى علم السنة، ومصطلح الحديث، فلا تعبأ بكلام من يتكلم فيما لا علم له به"[١]. أهـ.

وأخيراً نقول: عفا الله عن ابن خلدون وسامحه، لأن ما أتى به فى هذا الباب لم يوافقه عليه أحد من جهابذة المحققين وأهل الحديث، لا قبله ولا بعده، وقد فتح –بهذا– الباب لمحمد رشيد رضا، ومحمد فريد وجدى، وأحمد أمين، وعبد الله بن زيد بن محمود، وعبد الكريم الخطيب، وغيرهم ممن توكئوا على كلام ابن خلدون، وأوهموا الناس أن لهم سلفاً من العلماء فى رد أحاديث المهدى، وأنهم لم يأتوا ببدع من القول، وقابلوا كل أحاديث المهدى بالرد والاطراح، دون تفريق بين الثابت منها وغير الثابت، فالله المستعان.

الفرع السادس : عقائد الفرق الإسلامية فى المهدى[٢]:

١. أما عقيدة أهل السنة والجماعة فهى موافقة لما سقناه من الأحاديث الصحيحة، وأن المهدى حاكم صالح راشد يبعثه الله مجدداً لهذا الدين، ويعلى الله هذا الدين على يديه.

يقول ابن خلدون: "اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، أنه لابد فى آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويظهر

(١) "تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق" للربعى صـ ٤٥.

(٢) انظر: كتاب علامات الساعة لعمر الأشقر صـ ٢١٠-٢١٣.



العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولى على الممالك الإسلامية، ويسمى بالمهدى، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة فى الصحيح على أثره، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدى فى صلاته"(١).

٢. عقيدة الشيعة الإمامية الذين يعتقدون أن المهدى هو آخر أئمتهم، وهو الإمام الثانى عشر المدعو بمحمد بن الحسن العسكرى وهو عندهم من ولد الحسين بن على، لا من ولد الحسن، وهم يعتقدون أنه دخل سرداب سامراء منذ أكثر من ألف ومائة سنة وعمره خمس سنوات، ويعتقدون أنه حاضر فى الأمصار، غائب عن الأبصار، وهو المهدى الذى ينتظرون عودته، وكلامهم هذا لم يقم عليه دليل ولا برهان من عقل أو نقل، وهو مخالف لسنة الله فى البشر، ومخالف لمنطق العقول، ثم ما الداعى للغيبة إذا كان حياً، بل كان الواجب عليه أن يخرج ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر(٢).

---

(١) المقدمة، لابن خلدون: صـ ٥٥٥، ويحسن أن ننبه هنا أن ابن خلدون ضعف أكثر الأحاديث الدالة على وجوده، ولم يصب فيما ذهب إليه، ولكن لا يجوز أن يقال: إن ابن خلدون لا يقول بوجود المهدى، فإنه صحح بعض هذه الأحاديث، فقد قال بعد سياقه للأحاديث ومناقشته لها صـ٥٧٤ "وهى كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل أو الأقل منه" وهذا القليل كاف لإثبات القول به وراجع المسألة السابقة وتفصيل الرد عليه رحمه الله.

(٢) قال ابن تيمية -رحمه الله- فى منهاج السنة (٢٥٩/٨): "إن الاثنى عشرية الذين ادعوا أن هذا هو مهديهم، مهديهم اسمه محمد بن الحسن، والمهدى المنعوت الذى وصفه النبى ﷺ اسمه محمد بن عبد الله، ولهذا حذفت طائفة ذكر الأب من لفظ الرسول حتى لا يناقض ما كذبت، وطائفة حرفته، فقالت: "جده الحسين، وكنيته أبو عبد الله". أهـ.

وحكى الإمام ابن حزم رحمه الله اضطرابهم الشديد فى شأن ذلك المولود الذى لم يُخلق قط فى الفصل والنحل (١٨١/٤) ثم قال: "وكل هذا هوس، ولم يعقب الحسن المذكور لا ذكراً ولا أنثى، فهذا أول نوك [حمق] الشيعة، ومفتاح عظيماتهم، وأخفها، وإن كانت مهلكة". أهـ.

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله- فى شأن ذلك المعدوم، الموجود فى خيالاتهم الفاسدة فى المنار المنيف (صـ ١٥٢-١٥٣): "إنه الحاضر فى الأمصار، الغائب عن الأبصار، الذى ورث العصا، ويختم الفضا، دخل سرداب سامرّا طفلا صغيراً، من أكثر من خمس مئة سنة، فلم تره بعد ذلك عين، ولم يحس فيه بخبر، ولا أمر، وهم ينتظرونه كل يوم يقفون بالخيل على باب السرداب، ويصيحون به أن يخرج إليهم: "اخرج يا مولانا"، ثم يرجعون بالخيبة والحرمان، فهذا دأبهم

٣. المكذبون بوجود المهدى، وهؤلاء أفراد من الذين ينسبون لأهل السنة، ليس لهم باع طويل فى تحقيق النصوص، والكشف عن الأسانيد، وقد دحض شبهاتهم كثير من أهل العلم فى مؤلفات مستقلة، وآخرها فيما اطلعنا عليه ما كتبه فضيلة الشيخ العلامة عبد المحسن العباد فى كتابه: "الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة فى المهدى". وما كتبه فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله بن حمد التويجرى، فقد كتب مجلداً بعنوان "الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدى المنتظر".

٤. رجال من الحكام الماضين ادعوا المهدية أو ادعاها لهم أقوام، وبعض هؤلاء رجال صالحون لقب الواحد منهم بالمهدى، لا على أنه ذلك المهدى الذى أخبر عنه الرسول ﷺ، بل تفاؤلا بأن يكون من الأئمة المهديين، الذين يقولون بالحق، وبه يحكمون، ومن هؤلاء المهدى الخليفة العباسى. وبعض الذين ادعوا المهدية من الحكام أو ادعيت لهم أقوام فجرة، مثل الملحد عبيد الله بن ميمون القداح المولود عام ٢٥٩هـ والمتوفى سنة ٣٢٢هـ، وكان جده يهودياً ينسب إلى بيت مجوسى، انتسب زوراً وكذباً إلى بيت رسول الله ﷺ، وادعى أنه المهدى الذى بشر به النبى ﷺ، وملك وتغلب، واستفحل أمره، واستولت ذريته على بلاد المغرب، ومصر، والحجاز، والشام، واشتدت غربة الإسلام ومحنته ومصيبته بهم، وكانوا يدعون الألوهية، ويدعون أن للشريعة باطناً وظاهراً.

وهم ملوك الرافضة القرامطة الباطنية أعداء الدين، تستروا بالرفض والانتساب كذبا لأهل البيت[1]، ودانوا بدين الإلحاد وروجوه، ولم يزل أمرهم ظاهراً إلى أن أنقذ الله الأمة منهم بصلاح الدين الأيوبى، فاستنقذ الأمة منهم وأبادهم. ومن هؤلاء مهدى المغاربة محمد بن تومرت ولد سنة ٤٨٥هـ وتوفى سنة ٥٢٤هـ، وهو رجل كذاب ظالم متغلب، وكان قد ادعى أنه المهدى الموعود، كان يودع طائفة من أصحابه القبور، ويأمرهم بإخبار الناس أنه المهدى، ثم يردم عليهم القبور فى الليل، وهم أحياء، حتى لا يكشف أمره[2].

= ودأبه"، ثم قال: "ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بنى آدم، وضحكة يسخر منهم كل عاقل". أهـ.

(١) سموا أنفسهم: "الفاطميين" نسبة للشريفة بنت أشرف الخلق فاطمة بنت محمد ﷺ وهى منهم بريئة.

(٢) المنار المنيف فى الصحيح والضعيف لابن القيم صـ ١٥٣.



٥. مهدى الفرقة المدعوة بالكيسانية، وهم يزعمون أن المهدى هو محمد بن الحنفية وأنه حى مقيم بجبل رضوى، وأنه بين أسدين يحفظانه، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل، فزعموا أنه دخل إليه ومعه أربعون من أصحابه، ولم يوقف لهم على خبر، قالوا: وهم أحياء يرزقون، ويقولون أنه يعود بعد الغيبة، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، قالوا: وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك بن مروان، وقيل إلى يزيد بن معاوية.

فما أصغر عقول هؤلاء، وما أقل فهومهم، يصدقون ما لم يقم عليه دليل من عقل ولا نقل. أهـ.

الفرع السابع : ضوابط الحكم على مدعى المهدية[١]:

الدنيا دار امتحان، والآخرة دار ظهور النتائج، فكل سالك طريقاً تخفى عليه عاقبته، ومن ثم وجب التحرى الشديد عند نقطة تقاطع الطرق، للتأكد من أن هذا الطريق بعينه هو الذى يقود إلى الهدف، ومما يؤكد وجوب هذا التحرى أننا نعيش فى الدنيا مرة واحدة، فهى إذن فرصتنا الوحيدة للمراجعة والاستدراك، قبل أن تحل الآجال، ولات ساعة مندم:

ستعلم حين ينكشف الغبار   جواد تحت رجلك أم حمارُ[٢]

إن كثيراً من الناس يقتحمون الفتن، ويهجمون عليها ويقولون: "ما نريد إلا الخير"، وكم من مريد للخير لا يبلغه! وكم من حسن النية لا يشفع له حسن نيته! وإن النار مأهولة بكثير ممن حسنت نياتهم.

---

(١) انظر "المهدى" صـ ٥٦٩-٥٨٤ باختصار وتصرف.

(٢) البيت لبديع الزمان الهمدانى ونصه:

وقلت لما احتفلَ المِضمارُ   واحتفت الأسماع والأبصارُ

سوف ترى إذا انجلى الغبارُ   أفرسٌ تحتى أم حمارُ

وفى مجمع الأمثال (٢/٤٣٥) رقم (١٨٤٢):

سوف ترى وينجلى الغبارُ   أفرس تحتك أم حمارُ

يُضرب لمن يُنهى عن شىء فيأباه.

جاء فى تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ...﴾ الآية (الكهف: ١١٠): العمل الصالح: أخلصه وأصوبه، فإن كان العمل صواباً لكنه غير خالص، أو خالصاً لكنه غير صائب، فإنه لا يقبل[١].

ونحن هنا لا نناقش الإخلاص، لأننا لا نطلع عليه، وإنما نناقش "الصواب" بأن نحاكم السلوك الظاهر إلى كتاب الله -عز وجل- وسنة رسوله ﷺ.

إن "المخلص" غير معصوم من أن يخطىء أو يضل، وكم اصطاد الشيطان كثيراً من الضحايا "بشبكة" الإخلاص! وليس أدل على ذلك من سيرة الخوارج الذين اجتهدوا فى العبادة بصورة مبهرة، حتى قال فيهم النبى ﷺ: **(يخرج قوم من أمتى يقرءون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشىء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء، ويقرءون القرآن يحسبون أنه لهم، وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لتكلوا على العمل)**[٢].

وهم الذين قال فيهم ابن عباس رضى الله عنهما: "فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً، جباههم قرحة من السجود، وأياديهم كأنها ثفن الإبل، وعليهم قمص مرحضة مشمرين، مسهمة وجوههم من السهر"[٣]، ومع ذلك كله وصفهم النبى ﷺ بأنهم: **(يمرقون**

---

(١) ذكر أبو نعيم فى الحلية (٩٥/٨) وابن رجب فى جامع العلوم والحكم فى شرح الحديث الأول: أن الفضيل بن عياض رحمه الله قال فى قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

قال: أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا. والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة. أهـ.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخارى (٣٦١١ و٥٠٥٧ و٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث على رضي الله عنه واللفظ لمسلم.

واتفقا عليه أيضا من حديث أبى سعيد رضي الله عنه، أخرجه البخارى (٣٣٤٤ و٣٦١٠ و٤٣٥١ و٤٦٦٧ و٥٠٥٨ و٦١٦٣ و٦٩٣١ و٧٤٣٣ و٧٥٦٢)، ومسلم (١٠٦٤).

وقوله: "**لا تجاوز صلاتهم تراقيهم**" التراقى جمع ترقوة وهو العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق والمراد عدم انتفاعهم بالعبادة.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٨٦٧٨)، والطبرانى فى الكبير (١٠٥٩٨)، وانظر "تلبيس إبليس"، صـ ١٢٥.



من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود)[1].

ولقد تورط كثير من الناس فى فتن أشعل نارها مدعو المهدية، لأن عاطفتهم ركبت عقولهم، وحماستهم أخضعت فكرهم، ومن هنا مست الحاجة إلى محاولة استنباط ضوابط تحكم موقفنا من كل من يدعى المهدية مستقبلاً، أو تُدْعَى له، حتى نضع النقاط على الحروف، مستهدين فى ذلك باستقراء تجارب التاريخ البعيد والقريب، متحررين من ضغوط "الاستعجال".

وليس فى وضع هذه الضوابط قتل للآمال، ولا وأد للطموحات، ولكنها تجذبنا إلى الواقع لنحسن تقديره، ونعرف كيف ننطلق منه لأخذ الأسباب التى تحقق لنا هذه الطموحات، إذ لا يليق بالمسلم أن ينساق وراء الأمانى، فالسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وسنن الله لا تحابى أحداً، ومن نصرة الدين أن تحترم سنن الله فى الكون.

إن "المهدى" شخص واحد لا يتكرر، والتصديق بمدعى المهدية يستلزم التكذيب بالمهدى الحقيقى، ومن ثم وجب الفحص والتحرى قبل قبول دعوى المهدى، ومن لوازم هذا الفحص محاولة استقراء أحوال مدعى المهدية، واستنباط ضوابط تضبط تعاملنا مع مدعى المهدية، وكيف نميز الصادق من الكاذب، وفيما يلى محاولة لحصر هذه الضوابط:

الضابط الأول:

يجب التفريق فى مسألة المهدى بين تصديق خبر الصادق المصدوق ﷺ بشأن المهدى –وهذا واجب" على كل مسلم–، وبين الحكم على فلان بأنه المهدى على سبيل التعيين –وهذا غير ملزم لكل مسلم–، إلا أن يأتى دليل قاطع على تعيينه.

الضابط الثانى:

= "**وثفن**": جمع ثفنة، وهى ركبة الإبل، والمراد أن أيديهم قد غلظت من طول السجود، **ومرحضة**: مغسولة، **ومسهمة**: ضامرة.

(١) تقدم تخريجه قبل حديث، وهو متفق عليه من حديث على وأبى سعيد رضى الله عنهما.



جميع علامات المهدى إنما تعرف من خلال أخبار الوحى المعصوم إلى النبى ﷺ، ولا حجة فى أى مصدر آخر، سواء أكان الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة[1]، أو

---

(١) ومن الصفات الواردة فى الأحاديث الضعيفة:

أ. أنه من ولد العباس، وأن لونه لون عربى، وجسمه جسم إسرائيلى، وأن فى خده الأيمن خالاً، وأنه يقاتل على السنة، كما قاتل النبى ﷺ على الوحى.

ومنها حديث: **(من أنكر خروج المهدى، فقد كفر بما أنزل على محمد)**، وهو موضوع، كما فى "الموسوعة فى أحاديث المهدى" صـ ٨٣-٨٦.

ب. ومنها: ما نسب إلى ابن سيرين، من أن المهدى خير من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، وذهب السيوطى -رحمه الله- إلى تأويل هذا الأثر على ما أول عليه حديث **(بل أجر خمسين منكم)**، لشدة الفتن فى زمان المهدى، وتمالؤ الروم بأسرها عليه، ومحاصرة الدجال له، وليس المراد بهذا التفضيل الراجع إلى زيادة الثواب، والرتبة عند الله، فالأحاديث الصحيحة، والإجماع، على أن أبا بكر، وعمر أفضل الخلق بعد النبيين والمرسلين) أهـ. من "الحاوى"، (١٥٣/٢).

وقال السفارينى -رحمه الله-: "جاء عن ابن سيرين أن المهدى خير من أبى بكر وعمر، قد كاد يفضل على الأنبياء"، وجاء عنه -أيضاً-: لا يفضل عليه أبو بكر وعمر، وهو -وإن كان أخف من الأول-، فليس بصحيح، فإن الأمة مجتمعة على أفضليتهما عليه، بل وعلى جميع الصحابة، خلافاً للرافضة -خذلهم الله- تعالى-، بل غيرهما من الصحابة أفضل من المهدى" أهـ. من "لوامع الأنوار البهية"، (٨٤/٢). ومما يُبطل هذا الزعم ما صح عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ، قال: "كنت مع رسول الله ﷺ، إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: **(هذان سيدا كهول أهل الجنة، من الأولين، والآخرين، إلا النبيين، والمرسلين، يا على: لا تخبرهما)**، "صحيح، سنن الترمذى"، (٢٨٩٧).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله- تعالى-: "... وصار بعض الناس يدعى أن فى المتأخرين من يكون أفضل فى العلم بالله من أبى بكر، وعمر، والمهاجرين، والأنصار، إلى أمثال هذه المقالات التى يطول وصفها، مما هو باطل بالكتاب، والسنة، والإجماع" أهـ. من "مجموع الفتاوى" (٢٦٧/١٣).

جـ. ادعاء أنه معصوم لا يخطئ.

د. ادعاء أن المهدى، والسيف أخوان، وأنه "لا يكون هذا الأمر حتى يذهب تسعة أعشار الناس"، وروى المجلسى عن أبى عبد الله: "لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج، لأحب أكثرهم ألا يروه، مما يقتل من الناس، حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد، ولو كان من آل محمد، لرحم".

هـ. ادعاء أن أكثر من يقتلهم هم العرب، فسوف "يضع فيهم السيف، والذبح"، ويبدو أن مصدر هذه الفرية هو نفسه مصدر دعوى أن أمير المؤمنين علياً ﷺ قال: "إن الله خلصه -أى كسرى- من



الرؤى المنامية، أو الكشف، أو الإلهام، أو ادعاء لقيا النبى ﷺ يقظة بعد وفاته، أو لقيا الخضر -عليه السلام- أو الأولياء ... إلخ.

الضابط الثالث:

لما كان المهدى مجدداً من المجددين، لزم أن يكون مستقيماً على منهاج النبوة، متمسكاً بالعقيدة السلفية، بريئاً من البدع الردية، وإلا فإن فاقد الشىء لا يعطيه، فإذا كان مدعى المهدية منتسباً إلى إحدى الفرق الضالة الزائغة عن أهل السنة والجماعة، فإنه ينادى على نفسه بالكذب والتدليس، وإذا كان العلماء قد نبذوا من فرط فى أدب من الآداب، فكيف بمن انحرف فى أصول الدين؟

قال أبو يزيد: "قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية" وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد -فمضينا إليه، فلما خرج من بيته ودخل المسجد، رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد، ولم يسلم عليه، وقال: "هذا غير مأمون على آداب رسول الله ﷺ، فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه؟".

الضابط الرابع:

ليس فى الأحاديث الثابتة ما يدل على أن المهدى سوف يطالب الناس بالإقرار بمهديته، أو يمتحنهم على ذلك ويقهرهم، فضلاً عن تكفيرهم، واستباحة دمائهم.

إن ادعاء أن المهدى سوف يلزم الناس بالإيمان بمهديته، وأن من شك فى مهديته فقد كفر، فيه إضافة ما ليس من الدين إليه، ومعلوم أن الدين اكتمل فلا يقبل الزيادة، قال تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾** (المائدة: ٣)، أضف إلى ذلك ما يترتب على هذا الافتراء من انتهاك الحرمات، والفساد فى الأرض على يد

= النار، وإن النار محرمة عليه"!

و. ادعاء أنه سوف يهدم المسجد الحرام، والمسجد النبوى، وأن الحجر الأسود سينقل إلى الكوفة.

ز. ادعاء أنه يقيم حكم داود، وسليمان، ولا يسأل بينةً، وأنه يبايع الناس على كتاب جديد.

انظر: "لله ... ثم للتاريخ" صـ ١٠٥-١١٤.

مدعى المهدية ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٤).

إن المهدى الحقيقى لا "يتمحور" حول إثبات مهديته للآخرين، واعترافهم بها، ولا يضيف إلى شهادتى الحق الشهادة بأن "محمد بن عبد الله مهدى"، ولا يقول: "فإن شهدوا بمهديتى فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم"، وإلا أراق دماءهم، وسبى نساءهم، وسلب أموالهم، كما فعل ابن تومرت[١] والسودانى، والجونبورى، وغيرهم.

وليس التصديق بعين المهدى أو شخصه من أركان الدين كما هو الحال مع الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

قال العلامة حمود التويجرى -رحمه الله تعالى-: "إن المهدى لا يطلب الأمر لنفسه ابتداءً مدعياً أنه المهدى، كما يفعل ذلك المدعون للمهدية كذباً وزوراً، وإنما يأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه، ثم يسميه الناس بعد ذلك بالمهدى، لما يرون من صلاحه، وعدله، وإزالته للجور والظلم"[٢].

الضابط الخامس:

---

(١) وابن تومرت هذا هو الذى قال فى حق المهدى: "فالعلم به واجب، والسمع والطاعة له واجب، واتباعه والاقتداء بأفعاله واجب، والإيمان به والتصديق به واجب على الكافة، والتسليم له واجب، والرضا بحكمة واجب، والانقياد لكل ما قضى واجب، والرجوع إلى علمه واجب، واتباع سبيله واجب، والاستمساك بأمره حتم، ورفع الأمور إليه بالكلية لازم"، بل يصرح بأن طاعته، والاستسلام له، إن هى إلا طاعة الله، ورسوله ﷺ، ثم يقول: "هو أعلمهم بالله، وأقربهم إلى الله، به قامت السماوات والأرض، وبه كشف الظلمات، وبه تدفع الأباطيل، وبه تظهر المعارف، وبموافقته تنال السعادة، وبطاعته تنال البركات".
أما أولئك الذين تسول لهم أنفسهم مخالفة المهدى ومعارضته، أو الشك فى أمره، فويل لهم، لقد توعدهم ابن تومرت بالشر، والنكال، وزعم أن من ناوأ المهدى "فقد تقمع فى الردى، وليس له التطرق إلى النجاة"، ثم إن "أمر المهدى حتم، ومن خالفه يقتل، لا دفع فى هذا لدافع، ولا حيلة فيه لزائغ"، إلى أن يقول:"إن الإيمان بالمهدى واجب، وإن من شك فيه كافر، وإنه معصوم فيما دعا إليه من الحق، لا يجوز عليه الخطأ فيه" أهـ. من "دولة الإسلام فى الأندلس" بتصرف، (٤/٢٠٨-٢١٠).

(٢) "الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدى المنتظر" صـ ٣٠٢.



إن علامات المهدى المنتظر نوعان:

الأول : أمارات متشابهة، وهى الصفات المشتبهة المشتركة القابلة للتكرار فى غير المهدى الحقيقى، فيمكن أن يتصف بها بعض الناس فعلاً(١)، أو يتكلف الاتصاف بها(٢)، أو يدعى ذلك كذباً وزوراً(٣)، وهذه العلامات -وإن اجتمعت- كلها فى شخص ما-، فإنها لا تكفى لإثبات أنه صادق فى دعواه المهدية، حتى ينضم إليها **النوع الثانى**، وهى الأدلة المحكمة القاطعة بأن فلاناً بعينه هو المهدى المنتظر، وهى العلامات غير القابلة للتكرار مع غير المهدى الحقيقى، ولا يستطيع مدعى المهدية أن يفتعلها، أو يتكلف إيجادها، أو يدعى أنها وقعت بالفعل، وهى: نزول عيسى -عليه السلام- فى زمانه من السماء، واجتماعه به، وصلاته -عليه السلام- أول نزوله- خلف المهدى، ثم قتله الدجال(٤).

قال البرزنجى -رحمه الله-: "ومن العلامات التى يعرف بها المهدى أنه يجتمع بعيسى بن مريم -عليه السلام-، ويصلى عيسى خلفه"(٥). أهـ.

وقال الشيخ حمود بن عبد الله التويجرى -رحمه الله تعالى-: "من ادعى من

---

(١) كأن يكون من آل البيت، واسمه محمد بن عبد الله، وهى التسمية الغالبة على مدعى المهدية، أو يكون إماماً عادلاً، جواداً، كعمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى-.

(٢) كما فعل محمد بن يوسف الجونبورى الذى غير اسم أبيه إلى عبد الله، واسم أمه إلى آمنه، وأشاعهما فى الناس، وإمعاناً فى التكلف توجه إلى "خراسان"، "ولعله ذهب إلى "خراسان"، ليرجع منها إلى الهند بالرايات السود، حتى ينطبق عليه الحديث المروى فى ذلك، لكن حالت دون ذلك موانع، فمات وهو ينتظر دخولها"، انظر: "فرق الهند" صـ ٢٩٩.

وقال ابن كثير فى محمد بن عبد الله المهدى بن المنصور العباسى: "وإنما لقب بالمهدى رجاء أن يكون الموعود به فى الأحاديث، فلم يكن به، وإن اشتركا فى الاسم، فقد افترقا فى الفعل" أهـ. من "البداية والنهاية" (١٣/٥٤٠).

(٣) كما ادعى الملحد عبيد الله بن ميمون القداح الانتساب إلى أهل البيت بالكذب والزور، مع أن جده كان يهودياً من بيت مجوسى، وكذلك ادعى هذا النسب ابن تومرت.

(٤) وإذا ثبت أن المهدى هو الرجل الذى يخسف بالجيش الذى يقصده ببيداء من الأرض، فيكون هذا من العلامات المحكمة. انظر: السلسلة الصحيحة (١٣٥٥).

(٥) الإشاعة صـ ٩١.



المفتونين أنه المهدى المنتظر، ولم يخرج الدجال فى زمانه، فإنه دجال كذاب".

الضابط السادس:

يجب نبذ الصورة الأسطورية التى خلعها على المهدى بعض الفرق الضالة، وبعض مدعى المهدية، ونخص بالذكر الرافضة، وغلاة الصوفية، والوضّاعين الكذابين، كما يلزم الاقتصار على الصورة الواقعية لشخصيته كما أخبر بها من لا ينطق عن الهوى ﷺ، والذى وصف المهدى بأنه: "رجل من عترتى"، "رجل منا"، "خليفة من خلفائكم"، "أميرهم المهدى"، "إمامهم رجل صالح"[١] ... إلى آخر صفاته التى تبرئه من غلو الضالين، وإفراط الدجالين، وتثبت أنه -فى الحقيقة- إمام عادل، وخليفة راشد، ومجدد لشباب الدين، والمجدد قد يعمر طويلاً وينجز مهامه التجديدية، ثم يموت دون أن يدور بخلده أنه مجدد، وكذلك كان يمكن أن يقال فى حق المهدى سواء بسواء: "إنه قد يعيش ويموت دون أن يقطع بأنه المهدى"، لولا وجود العلامات القاطعة التى تجزم بصحة مهديته مما تقدم ذكره فى "الضابط الخامس".

إن قطب الرحى، ومحط الأنظار فى سيرة المهدى، إنجازاته الواقعية العملية فى خدمة الدين والأمة، قبل "لقبه"، وهذا ما فهمناه من حال علماء السلف الذين شكوا أن "فلاناً" هو المهدى، بناء على كونه إماماً عادلاً، وبناءً على ما لمسوه وعاينوه من إنجازاته على أرض الواقع[٢].

---

(١) راجع هذه الصفات فى الأحاديث المذكورة فى المسألة الثانية.

(٢) قال شيخنا المقدم حفظه الله: مثال ذلك ما قال حكيم بن سعد: لما قام سليمان -أى ابن عبد الملك الأموى- فأظهر ما أظهر، قلت لأبى يحيى: هذا المهدى الذى يذكر؟"، قال: "لا".
ومثله قول وهب بن منبه: "إن كان فى هذه الأمة مهدى، فهو عمر بن عبد العزيز"، وكذا قال سعيد ابن المسيب، ومحمد بن على فيه: "هو المهدى"، وقال إبراهيم بن ميسرة لطاووس: "عمر بن عبد العزيز المهدى؟"، قال: "كان مهدياً، وليس بذاك المهدى".
وقال خالد بن سُمَير فى حق موسى بن طلحة بن عبيد الله: "وكان فى زمانه يُرون أنه



يقول الشيخ عبد المحسن العباد -حفظه الله تعالى-: "المهدى عند أهل السنة لا يعدو كونه إماماً من أئمة المسلمين، الذين ينشرون العدل، ويطبقون شريعة الإسلام، يولد فى آخر الزمان[1]، ويتولى إمرة المسلمين، ويكون خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- من السماء فى زمانه، وهو غير معصوم"[2] ... إلخ.

ويقول الدكتور عبد الودود شلبى -حفظه الله تعالى-: "إنه ليس ضرورياً أن يعلن الرجل المختار لهذه المهمة عن نفسه.. الأنبياء والرسل هم الذين يعلنون عن دعوتهم، لأن من طبيعة "النبوة" الإعلان والإنذار، حتى لا تكون للناس على الله حجة، وطبيعة "المهدية" تختلف عن طبيعة النبوة، فالمهدية تجديد، وإحياء، وحركة، وقد لا يعرف المرشح لهذه المهدية أنه المهدى نفسه.

إن العالم سيشاهد رجلاً تمثلت فيه صفات الكمال الخلقى، وزعيماً تجسدت فيه آمال البعث والإصلاح الدينى، وقائداً تميز بصفات نادرة قلما تجتمع فى شخص عادى، وعلى ضوء ما يقوم به هذا الإمام الجليل من عمل، وبقدر ما يحققه للإسلام من عزة، وبالمقارنة بين عصرة وبين ما كان قبله من فساد، وطغيان، وظلم، وما تحقق على يديه وفى عصره من إصلاح، وصلاح، وعدل، يعرف الناس أنه الرجل المنتظر، والمهدى الذى يعم عدله جميع البشر"[3]. أهـ.

= المهدى"، فتراهم عولوا على الأعمال، دون "التمحور" حول الإقرار بمهديته، وحمل الناس عليها، وتحويلها إلى هدف مقصود لذاته، فكان الحديث عمن ظنوه مهدياً عابراً دون جلبة، ولا ضوضاء.

(١) هذا والله -تعالى- أعلم، احتراز من قول الرافضة فى شأن مهديهم الخرافى، وإن تعجب فعجب ما نقله الشعرانى عن الشيخ حسن العراقى: أنه اجتمع بالمهدى الحق، وسأله عن عمره، فقال له المهدى: "ولدت فى أواخر المئتين من الهجرة، وعمرى ست مئة سنة، وأنا من ولد الإمام الحسن العكسرى"، قال الشعرانى: "هكذا أخبرنا، والله أعلم بحقيقة الحال"، انظر: "لطائف المنن والأخلاق" (صـ ٤٨٩-٤٩٠)، وصرح فى موضع آخر بأنه سأل الكمل من مشايخ التصوف، فأجابوا بنفس ما قاله المهدى المزعوم سواء بسواء، والله المستعان على ما يصفون، انظر: "الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية" (٤/١ و٥)، (١٣٩/٢) مطبوع على هامش "طبقات الصوفية"، للشعرانى.

(٢) "الرد على من كذب بالأحاديث الواردة فى المهدى" صـ ٨-٩.

(٣) "الأصول الفكرية" صـ ٢٣٨.

ملاحظات وتحذيرات[١]:

الأولـى: قد يـدعى المهديـة بعض الصـالحين الـذين تنطبـق علـيهم بعض صـفات المهدى "المتشابهة"، كما حصل من محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، قال ابن كثير –رحمه الله–: "تلقب بالمهدى طمعاً أن يكون هو المذكور فى الأحاديث، فلم يكن به، ولا تم له ما رجاه، ولا ما تمناه، فإنا لله"[٢].

الثانية: أن الله –سبحانه وتعالى– ينصب الأدلة الواضحة على بطلان وزيف دعاوى المدعين، لكنها قد لا تظهر إلا لأولى العلم الذين اختصهم الله –سبحانه– بالبصيرة فى الدين، ولا تكاد تجد مدعياً المهدية إلا ويكون الله –سبحانه– قد هيأ له من أهل العلم، من ينقض دعواه، ويكشف زيفه.

وأحياناً يكون بطلان دعواه ظاهراً للعيان، إذ لا يستند إلى دليل سوى الهذيان، ولا يدعى دعوى إلا ويبطلها البرهان، وقد يبلغ جهله إلى حد الاستدلال بنفس الدعوى، مع أن الدعوى يستدل لها، ولا يستدل بها[٣].

---

(١) "المهدي" صـ ٥٧٩ و٥٨٤.

(٢) البداية والنهاية (٨٤/١٠). وما أثبته هو الموجود فى البداية والنهاية والأقرب والله أعلم أن يكون "تلقب بالمهدى .... فإنه لله".

(٣) ومن أمثلة ذلك أن الجونبورى قال فى تفسير قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إَمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ**﴾: "أنا أسمع من الله –سبحانه وتعالى– مباشرة بدون واسطة، يقول: إن هذه الآية نزلت فى شأنك". أهـ. من "فرق الهند"، صـ "٢٤٦".

ولما سأل علماء "هرات" الجونبورى: على أى أساس تدعى المهدية لنفسك؟

قال: "أنا أدعيها من عند نفسى! بل أدعيها بأمر من الله –سبحانه وتعالى–". أهـ. من "فرق الهند" صـ ٢٤٦.

وسئل "الجونبورى": إن اسم أبى المهدى "عبد الله"، وأنت ابن "سيدخان".

فأجاب قائلاً: أليس الله بقادر على أن يبعث ابن "سيدخان" مهدياً؟!

وأجاب مرة ثانية: "اسألوا الله لماذا بعث ابن "سيدخان" مهدياً؟!

وقال مرة ثالثة: "اذهبوا فقاتلوا الله –تعالى– لماذا بعث ابن "سيدخان". أهـ. من "فرق الهند"، صـ ٢٥٢.



الثالثة: قد يحاول أعداء الإسلام استغلال فكرة المهدية للتوصل إلى مآربهم الخبيثة ومقاصدهم الشريرة بأمة الإسلام، كما فعل اليهودى الزنديق المتمسلم عبد الله بن سبأ، والمهدى الملحد عبيد الله بن ميمون القداح، وعلى محمد الشيرازى (ت١٨٥٠م) الذى ادعى أنه "باب المهدى المنتظر"، ثم ترقى فادعى أنه "المهدى نفسه، ثم قرر –موافقة لطائفته– نسخ دين الإسلام، وشيوع المرأة، والمال، وإلغاء التكاليف، وكان يسانده، ويسلحه، الإنكليز، والروس، وبعد إعدامه سنة ١٢٦٦هـ ادعى حسين على الملقب ببهاء الله إلغاء الأديان، وأنه هو مظهر الله الحقيقى، وأن جميع الأنبياء إنما جاءوا ليبشروا به[١]، ومن المعلوم أن البهائية كانت عميلة للإنكليز والروس، وربيبة للصهيونية العالمية.

ومن هذا الصنف غلام أحمد القاديانى الذى ادعى أنه المجدد، ثم المهدى، المسيح الموعود، ثم النبى المستقل[٢]، وكان للإنكليز دور ضالع فى نصرته وتأييد دعوته.

الرابعة: لوحظ فى بعض حالات ادعاء المهدية وجود شخصية أخرى إلى جوار المتمهدى تدعمه، كعبد المؤمن مع ابن تومرت، والتعايشى مع السودانى، أو تؤثر عليه وتوجهه، وتسيطر عليه[٣]، كما حصل من الملا حسين البشروئى مع على محمد الشيرازى[٤]، وكما فعل جُهيمان العتيبى مع محمد بن عبد الله القحطانى.

---

(١) انظر: "فرق معاصرة"، (٤٠٩/١)، وما بعدها، و"الموسوعة الميسرة"، (٤١٢/١)، وما بعد و"البهائية" للشيخ محمد الدين الخطيب، و"البابية، والبهائية"، للشيخ إحسان إلهى ظهير، وانظر أصول وتاريخ الفرق الإسلامية للمؤلف صـ ٧٠٩-٧١٦

(٢) انظر: "فرق معاصرة"، (٤٨٣/٢)، "الموسوعة الميسرة"، (٤١٩/١)، و"القاديانية"، لإحسان إلهى ظهير، و"طائفة القاديانية"، للشيخ/ محمد الخضر حسين، وانظر أصول وتاريخ الفرق الإسلامية للمؤلف صـ ٧٢٧-٧٤٢.

(٣) وربما تبادل الاثنان هذاءاتهما، نتيجة "عدوى" نفسية تنتقل بالإيحاء، فتسمى عندئذ: جنون الاثنين (Folie a Deux).

(٤) على بن محمد الشيرازى مهدى البهائية، الذى زين له الأمر الملا حسين البشروئى، يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل –رحمه الله– معلقاً على طبيعة الشخصيتين: "كلا الأحمقين كان الصيد الذى يتمنى أن يصاد، لا أن ينجو من الشرك، فعثر كلاهما بمن يصطاده، عثر البشروئى بالشاب الذى غلبته المراهقة على أمره، وبمن يضع اللقمة فى جوفه، والكلمة فى فمه، والخنجر فى يده، وعثر الشاب



الخامسة: من خلال استقراء أحوال مدعى المهدية، أمكن رصد بعض حالات يبدو أن أصحابها كانوا مضطربين نفسياً(١).

فهذا "تمرتاش بن النوين": "خف عقله، فزعم أنه المهدى"(٢).

و"أحمد بن عبد الله الملثم": "حصل له انحراف مزاج، فادعى فى سنة (٦٨٩)هـ دعاوى عريضة"... إلخ، وذكر أنهم "حبسوه عند المجانين"(٣).

وربما وصف بعضهم –اعتذاراً عن دعواه المهدية أنه كان "فى حالة جذب(٤)" أو "فى غلبة الحال، ولكنه تاب عن ذلك القول فى حالة الصحو والإفاقة، كغيره من الصوفية"(٥).

=

بالشيخ الذى كان ينوء تحت ثقل عبوديته لأطماعه، وكلاهما ظن فى صاحبه أنه صيده الذى دار فى الغاب طويلاً يبحث عنه، وكلاهما خنع ذليلاً لهذا الظن، فـَلْتلْتـَهـِمُ النارُ الهشيمَ، وليؤجج الهشيمُ النارَ التى تلتهمه". أهـ. من "البهائية تاريخها وعقيدتها" صـ ٨٩–٩٠. وفيه أنه لما طُلب من "المهدى" حجة تؤيد دعواه كانت الحجة: قوله "آية المهدى أنه يكتب تفسيراً لسورة يوسف"، وأخرجه من ثوبه –وقد أعده مقدماً– وهنا: "خر البشروئى ساجداً معلنا فى صراحة أن هذا المراهق هو المهدى المنتظر، والقائم صاحب الزمان" أهـ. من السابق (صـ ٩١) بتصرف.

(١) ولا شك أن الانتباه المبكر لمثل هذه الحالات يقى الأمة شراً كثيراً، ولعل أقرب الاضطرابات لمثل هذه الحالات "الاضراب الضلالى" Delusional Disorder.
من النوع المعروف بـ "العظمة الضلالية". Delusion of Grandeur
أو "هذاء البارانويا" المسمى "جنون العظمة"، حيث يحتفظ المريض بالتفكير المنطقى، وتبقى الشخصية متماسكة، ومنتظمة نسبياً، وعلى اتصال –لا بأس به– بالواقع، ولا يصاحبها اضطرابات عقلية أخرى، ولا يحدث تغير فى السلوك العام إلا بقدر ما توحى به الأوهام، والهذيانات، فالذى يلفت النظر –هنا– هو أن المريض قد يبدو سليماً من ناحية قدرته على الاستدلال والمحاجة، غير أنه يؤسس استدلالاته على اعتقادات زائفة أو فاسدة، ومقدمات باطلة.

(٢) الدرر الكامنة (٢/٥٣).

(٣) الدرر الكامنة (١/١٩٧–٢٠٠) بتصرف.

(٤) انظر: "الكشف عن حقيقة الصوفية" صـ ٦٨٠، وما بعدها.

(٥) ومثله ما جاء فى اعتذار أبى الكلام آزاد عن دعاوى "الجونبورى" المتمهدى بأنها قد تكون (صدرت عنه فى حال "**السكر**"، و"**الاستغراق**"، و"**غلبة الأحوال**"، فهى إذن تغتفر)، كما نقله عنه فى "فرق الهند"، هامش صـ ٢٨٩، مع أن الجونبورى قال إنه تلقى أمر المهدية عن الله تعالى مباشرة بدون



وجاء فى سيرة "نظام الدين السندى" أنه ادعى أنه المهدى الموعود، "وشاع ذلك الأمر وذاع، فوضع فى البيمارستان القيمرى بالصالحية مدة، وسكن عن التخليط، وقلل من التخبيط، فأمر القاضى بإخراجه"(١) ... إلخ.

السادسة: لا تشفع الجوانب الإيجابية التى أنجزها بعض مدعى المهدية(٢) فى أن يُتجاوز -عند تقويم حركاتهم- عن أخطائهم المنهجية، وتجاوزاتهم للحدود الشرعية، فقد لوحظ أن بعض الباحثين يطلق لسانه فى مدحهم، والثناء عليهم، غاضا طرفه عن هذه السلبيات الجسيمة(٣)،

= واسطة !!، وقال: "وفى هذا الوقت أنا صحيح، ليس بى مرض، وعاقل، ليس بى جنون، ومنتبه، ليس بى غفلة، ولا إغماء، ومتأهل، لست بأعزب (؟!)، يأتينى رزقى من عند الله تعالى، ولا أحتاج إلى أحد، ولا أطلب الملك"، كما نقله عنه فى "فرق الهند" صـ ٢٣٨-٢٣٩.

(١) "المختار المصون من أعلام القرون" (١١٧٣/٢).

(٢) كابن تومرت، والسودانى، والجونبورى، وغيرهم.

(٣) إما بأن يضرب صفحاً عن ذكر السلبيات بالكلية، كما فعل فتحى يكن مع المهدى السودانى فى كتابه "الموسوعة الحركية"، (٢٢٩/١-٢٣٥)، أو بأن ينظم بعضهم فى سلك المصلحين، كما زعم الدكتور عبد المجيد النجار فى كتابه "تجربة الإصلاح فى حركات المهدى ابن تومرت"، ومما يؤسف له أن يدرج "المعهد العالمى للفكر الإسلامى" الكتاب المشار إليه ضمن سلسلة "حركات الإصلاح ومناهج التغيير"، انظر: "دولة الموحدين"، صـ ٧٠، ٣٧٣.

ومنهم من بهرته إنجازات بعض المتمهديين حتى عشا بصره عن رؤية مثالبهم الفظيعة، كما حكى عنهم الشيخ مسعود عالم الندوى فى سياق قوله: "فلا نعرف رجلاً من بين العلماء تصدى لمقاومة تيار الزندقة، والإلحاد، وانبرى لمقارعة فتن البدع، وتتبع الشهوات، والأهواء غير "السيد محمد المهدى الجونبورى" الذى ادعى أنه مهدى آخر الزمان، فالتبس أمره على الناس، وأصبح العلماء، والمؤرخون من معاصريه، والذين جاءوا من بعده فى شأنه على قسمين بين مادح، وقادح، قسم يتجنب الحكم، والقطع بشىء فى شأنه، ويفوض أمره إلى الله -تعالى-، وذلك لما جاء به، وأتباعه من مساع جليلة، وجهود مثمرة متتابعة لإصلاح ما فسد من تعاليم الدين، ومقاومة ما فشا فى المسلمين من التهافت على البدع، والمنكرات...، وقسم لم يتحرج فى تكفير "السيد محمد" وأتباعه، ولم يدخر وسعاً فى استئصال شأفتهم" أهـ. من "فرق الهند": (صـ ٢٩٠-٢٩١).

وهذا "أبو الكلام آزاد"، (ت١٩٥٨م) يكيل المدح لهم، ويطرى عليهم، ويصم العلماء الذين قاموا ضدهم بعلماء الدنيا، وعبيدها، وفقهاء السوء، ويهود هذه الأمة، ويفصل الكلام فى بيان مناقب الدعاة المهدويين، وإما صدرت عنه فى حال "السمر"، و"الاستغراق"، و"غلبة الأحوال"، فهى -إذن-



وهذا خروج عن منهج السلف فى التحذير من أهل البدع، والتنفير من مناهجهم.

السابعة: يلاحظ أن مكابرة حقائق الواقع على طريقة "عنزة ولو طارت"[١]، قاسم مشترك بين كثير من أتباع المتمهديين، الأمر الذى يعكس تلاعب الشيطان بهم، فبمجرد أن يقتل مهديهم أو يموت -دون أن يملك سبع سنين- يعز على الشيطان أن تنحسم فتنته بموته -كما هو المفترض-، فيوحى إلى أتباعه أنه لم يمت، ثم هم مغرمون -مع ذلك- بادعاء حتمية رجعته ليملأ الأرض عدلاً.

فابن سبأ ادعى مهدية أمير المؤمنين على رضي الله عنه، فلما قيل له: "إن عليا قد قتل"، قال: "إن جئتمونا بدماغه فى صرة لم نصدق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء، ويملك الأرض بحذافيرها"، وزعم أن الذى قتل شيطان تصور فى صورة على، وأنه صعد إلى السماء، وأن الرعد صوته، والبرق تبسمه[٢].

وادعت فرقة من الكيسانية أن محمد بن الحنفية حى لم يمت، وأنه فى جبل رضوى ... إلى آخر ترهاتهم[٣].

وادعى بعض الحارودية أن "النفس الزكية" حى لم يقتل، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً[٤]، فى حين زعم "المحمدية" أنه فى جبل حاجر من ناحية نجد... إلخ[٥].

الفرع الثامن[٦]: واقعنا ... وانتظار المهدى وهل ستعود الخلافة قبل ظهور

=

تغتفر، كما نقله عنه فى "فرق الهند" صـ ٢٨٩.

(١) يضرب مثلاً فى هذا السياق، وأصله أن رجلين كانا يمشيان فى الصحراء، فأبصرا شيئاً فى الأفق، فقال أحدهما: هو عنزة، وقال الآخر: إنه طائر، فلم يلبث حتى طار عالياً، فقال الثانى: ألم أقل لك إنه طائر؟ فأجابه الأول: "عنزة، ولو طارت".

(٢) الفِصَل (٤/١٨٠)، والملل والنحل (١/١٧٤).

(٣) مقالات الإسلاميين (١/٩٢)، والملل والنحل (١/١٥٠)، الفرق بين الفرق صـ ٣٦.

(٤) الفصل (٤/١٧٩).

(٥) مقالات الإسلاميين (١/٩٩)، الفرق بين الفرق صـ ٥٨، وانظر المهدى المنتظر للبستوى صـ ٢١٣-٢١٥.

(٦) انظر: " فقه أشراط الساعة" صـ ٣٢٧-٣٦٣ بتصرف.



المهدي؟

ربط بعض الناس بين الأحاديث الواردة فى أحوال آخر الزمان، وأشراط الساعة، وبين حال العالم فى زماننا هذا، ورتبوا بعضها على بعض، ليس هذا فحسب، بل بنوا على ذلك أموراً نتج عنها فتن جسيمة، وانتهاك للحرمات، المخرج من ذلك كله أن نترك الواقع نفسه يفسر لنا هذه الأحاديث، حتى لا نرجم بالغيب، أو نقفُ ما ليس لنا به علم، اقتداء بعلماء السلف الصالح الذين أدوا إلينا هذه النصوص بكل صدق وأمانة، ولم يقحموا الظنون فى تعيينها، وترتيب بعضها على بعض بمجرد الرأى.

ولئن وقع منا تردد فى: هل زماننا هو زمان ظهور المهدى؟ فلا ينبغى أن نتردد فى الجزم بأننا -سواء كان هذا زمان ظهوره أو لا- ملزمون بكافة التكاليف الشرعية: من طاعة الله، والجهاد فى سبيله، وطلب العلم، والدعوة إلى دينه، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والصبر على الأذى فى ذلك كله، وغير ذلك من الواجبات، فما يتوهمه بعض الكُسالى من أن ظهور المهدى سيكون بداية عصر الاسترخاء والدعة باطل باطل، بل النصوص تشير إلى أنه سيكون بداية للفتوح، والجهاد، والبذل فى سبيل إعلاء كلمة الله -عز وجل-.

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن: كيف سيكون حال الأمة قبل ظهور المهدى؟ وهل ستقوم الخلافة الإسلامية من جديد قبل المهدى؟

وبما أن هذا المستقبل غيب، فلا يصح محاولة استطلاعه إلا من قبل وحى الله -عز وجل- إلى رسوله ﷺ، وفى هذه المسألة نعرض اتجاهين سلكهما بعض العلماء جواباً عن هذا السؤال، استناداً إلى أحاديث رسول الله ﷺ.

المسلك الأول: ستزداد غربة الإسلام حتى يظهر المهدى -إن شاء الله-:

١. قال الشيخ محمد بشير السهسوانى الهندى -رحمه الله-: "وأما بعد قرن أتباع التابعين، فقد تغيرت الأحوال تغيراً فاحشاً، وغلبت البدع، وصارت السنة غريبة، واتخذ الناس البدعة سنة، والسنة بدعة، ولا تزال السنة فى المستقبل غريبة، إلا ما استثنى فى زمان المهدى



ﷺ، وعيسى عليه السلام، إلى أن تقوم الساعة على شرار الناس)[1]. أهـ.

٢. وسئل الشيخ عبد الله بن الصديق سؤالاً نصه: إذا كانت القيامة تقوم على المهدى وعيسى، ودين الإسلام حسب ما ذكرنا، فما معنى قوله ﷺ: **(الإسلام غريب، وكما بدأ يعود)**.

فأجاب: "تواتر عن النبى ﷺ أنه قال: **(بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ)**[2]، وهو يشير إلى وقتنا هذا؛ فإن الإسلام فيه غريب بمعنى الكلمة، وسيظل كذلك، بل ستزداد غربته، إلى أن يأتى المهدى فيظهر الإسلام، ويحيى العدل، وتزول الفتن بين المسلمين، ويبقى الحال كذلك مدة المهدى، ومدة عيسى -عليه السلام-، ثم بعد ذلك تأتى ريح طيبة تأخذ نفس كل مؤمن، فلا يبقى على الأرض من يعرف الله أو يذكره، وإنما يبقى أقوام يتهارجون كما تتهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة كما جاء فى صحيح مسلم، وغيره والله أعلم"[3]. اهـ.

وقد يُستدل لهذا المنحى بما رواه الزبير بن عدى قال: أتينا أنس بن مالك ﷺ، فشكونا إليه الحجاج، فقال: "**اصبروا، فإنه لا يأتى عليكم يوم أو زمان إلا والذى بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم**"، سمعته من نبيكم ﷺ[4].

وقد ترجم له الإمام ابن حبان -رحمه الله-: ذكر خبر أوهم من لم يحكم صناعة الحديث أن آخر الزمان على العموم يكون شراً من أوله[5]. ثم اتبعه بترجمة تدفع هذا الإيهام، فقال:

ذكر الخبر المصرح بأن خبر أنس بن مالك لم يرد بعموم خطابه على الأحوال

---

(١) "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان"، (٣٢٩).

(٢) أخرجه من حديث أبى هريرة ﷺ مسلم (١٤٥).

(٣) "المهدى المنتظر" صـ ٥١ -٥٢.

(٤) أخرجه البخارى (٧٠٦٨) عن أنس ﷺ. وانظر تعليق ابن حجر عليه فى الفتح (١٣/٢٣-٢٤).

(٥) "صحيح ابن حبان" (١٣/٢٨٣).



كلها[1].

ثم أسند إلى أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة، لملك فيها رجل من أهل بيت النبى ﷺ)**[2].

وقال الألبانى -رحمه الله- معلقاً على حديث أنس ﷺ: "هذا الحديث ينبغى أن يُفهم على ضوء الأحاديث التى تبشر بأن المستقبل للإسلام، وغيرها، مثل أحاديث المهدى، ونزول عيسى -عليه السلام-، فإنها تدل على أن هذا الحديث ليس على عمومه، بل هو من العام المخصوص، فلا يجوز إفهام الناس أنه على عمومه، فيقعوا فى اليأس الذى لا يصح أن يتصف به المؤمن: ﴿**إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (يوسف: ٨٧)"[3] أهـ.

المسلك الثانى: ستقوم بإذن الله خلافة على منهاج النبوة قبل ظهور المهدى أو على الأقل ستنهض الأمة نهضة شاملة، ولا يبقى إلا ظهور القائد.

١. قال العلامة ناصر الدين الألبانى رحمه الله فى معرض مناقشته للذين ادعوا اقتراب ظهور المهدى: "ما أظن أن هذا أوان ظهوره، فهذا مقتضى السنة الكونية، وما أحسب المهدى يقدر -خلال سبع سنين- على أن يحدث من التغيير فى العالم أكثر مما أحدثه رسول الله ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة[4]، وظنى أن المهدى سيكون رجلاً فريداً فى كل باب: فريداً فى علمه، فريداً فى ورعه، فريداً فى عبادته، فريداً فى خلقه، وأنه سيظهر، وقد تهيأ للعالم الإسلامى وضعٌ صلُح فيه أمر الأمة، وتمت فيه مرحلتا "التصفية والتربية"، ولم يبق إلا ظهور الزعيم المُصلح الذى يقوده، وهو المهدى" أهـ.

---

(١) "السابق" (٢٨٣/١٣).

(٢) أخرجه ابن حبان (٥٩٥٣).

(٣) "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (١٠/١).

(٤) وقد يجاب عن هذا الظن من شيخنا الألبانى بما قيل فى الشبهة "العقلية الثانية فراجعه لزاماً ويحمل كلام الألبانى هنا على أنه لابد من تهيئة الأرض لظهور المهدى كما سيتضح من بقية كلامه رحمه الله.



ثم حمل فضيلته على الجهال الذين يسيئون فهم عقائد الإسلام، ثم ينحرفون، ويتخبطون، نتيجة قلة علمهم، وسوء فهمهم.

وقال -أيضاً- مفصلاً ما يعنيه بمرحلتى "التصفية والتربية": "لابد اليوم من أجل استئناف الحياة الإسلامية من القيام بهذين الواجبين: "التصفية والتربية".

وأردت بالأول منهما أموراً:

الأول: تصفية العقيدة الإسلامية مما هو غريب عنها، كالشرك، وجحد الصفات الإلهية، وتأويلها، ورد الأحاديث الصحيحة؛ لتعلقها بالعقيدة ونحوها.

الثانى: تصفية الفقه الإسلامى من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة.

الثالث: تصفية كتب التفسير، والفقه، والرقائق، وغيرها، من الأحاديث الضعيفة، والموضوعه، والإسرائيليات المنكرة)، إلى أن قال -رحمه الله-: "وأما الواجب الآخر فأريد به تربية الجيل الناشىء على هذا الإسلام المصفى من كل ما ذكرنا تربية إسلامية صحيحة منذ نعومة أظفاره، ودون أى تأثر بالتربية الغربية الكافرة".

ومما لا ريب فيه أن تحقيق هذين الواجبين يتطلب جهوداً جبارة متعاونة من الجماعات الإسلامية المخلصة، التى يهمها حقاً إقامة المجتمع الإسلامى المنشود، كل فى مجالة، واختصاصه، وأما بقاؤنا راضين عن أوضاعنا، متفاخرين بكثرة عددنا، متوكلين على فضل ربنا، أو خروج المهدى، ونزول عيسى، صائحين بأن الإسلام دستورنا، جازمين بأنا سنقيم دولتنا، فذلك محال، بل وضلال لمخالفته لسنة الله الكونية، والشرعية معاً، قال تعالى: **﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** (الرعد: ١١)، وقال ﷺ: **(إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم)**[1].

---

(١) أخرجه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما: أحمد (٥٥٦٢)، وأبو دواد (٣٤٦٢)، والطبرى فى تهذيب الآثار (١٨٢)، والطبرانى فى مسند الشاميين (٢٤١٧)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/٢٠٩)، والبيهقى فى الكبرى (١٠٤٨٤)، وقال الألبانى فى الصحيحة (١١): صحيح.



من أجل ذلك قال أحد الدعاة الإسلاميين اليوم: "أقيموا دولة الإسلام فى قلوبكم تُقم لكم فى أرضكم"، وهذا كلام جميل جداً، ولكن أجمل منه: العمل به، **﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** (التوبة: ١٠٥)"[١].

وقال -رحمه الله- فى معرض رده على من زعم أن دولة الخلافة الإسلامية لن تعود قبل ظهور المهدى: "واعلم يا أخى المسلم أن كثيراً من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب فى هذا الموضوع، فمنهم من استقر فى نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدى، وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان فى قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس فى شىء من أحاديث المهدى ما يشعر بذلك مطلقاً، بل هى كلها لا تخرج عن أن النبى ﷺ بشر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات، أبرزها: أنه يحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الأنام، فهو فى الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله فى رأس كل مئة سنة، كما صح عنه ﷺ، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعى وراء طلب العلم، والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدى لا يستلزم التواكل عليه، وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله فى الأرض، بل العكس هو الصواب، فإن المهدى لن يكون أعظم سعياً من نبينا محمد ﷺ، الذى ظل ثلاثة وعشرين عاماً، وهو يعمل لتوطين دعائم الإسلام، وإقامة دولته، فماذا عسى أن يفعل المهدى لو خرج اليوم، فوجد المسلمين شيعاً وأحزاباً، وعلماءهم -إلا القليل منهم- اتخذهم الناس رءوساً، لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم، ويجمعهم فى صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا -بلا شك- يحتاج إلى زمنٍ مديدٍ الله أعلم به، فالشرع والعقل معاً يقضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدى، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج، فقد قاموا بواجبهم، والله يقول: **﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ**

= ـــ

(قلت): صحيح بمجموع طرقه، وينظر الدراية فى تخريج أحاديث الهداية لابن حجر (١٥١/٢).

والعينة: أن يبيع شيئاً من غيره بثمن مؤجل، ويسلمه إلى المشترى، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن أقل من ذلك القدر، يدفعه نقداً.

(١) "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة"، المقدمة.



وَرَسُولُهُ﴾ (التوبة: ١٠٥)"[١]. أهـ.

٢. وفى كتابهما "الجماعات الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنة" يفصل المؤلفان هذا المسلك[٢]، ويقولان ما ملخصه بتصرف وإضافات: لابد من عودة الخلافة الراشدة، واستعادة القدس قبل ظهور المهدى.

[(أ) تشير بعض الأحاديث الصحيحة إلى أن حالة الناس الدينية فى تراجع مستمر مع الزمن، ولكنه تراجع بشكل عام لا بشكل فردى، أى هو من العام المخصوص، والمخصص قوله ﷺ: **(مثل أمتى مثل المطر، لا يدرى آخره خير أم أوله؟)**[٣].

وقوله ﷺ **(لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة)**[٤]، وقوله ﷺ: **(لا يزال الله يغرس فى هذا الدين غرساً، يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة)**[٥].

ولا يرد عليه انعدام الدولة والصولة، لأنه لا يمتنع عقلاً أن تنطلق هذه الأمة انطلاقاً جديداً، حتى يتم قوله عز وجل: **﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** (التوبة: ٣٣).

ومما يؤيد ذلك قوله ﷺ: **(إن الله زوى لى الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن**

---

(١) "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٤/٤٢-٤٣).

(٢) وهما الأستاذان: سليم الهلالى، وزياد الدبيح وينظر الكتاب صـ ٤١-٥٨ بتصرف.

(٣) أخرجه من حديث أنس ﷺ: أحمد (١٢٣٤٩ و١٢٤٨٣)، والترمذى (٢٨٦٩) وقال حديث حسن، وأبو يعلى (٣٧١٧)، وأخرجه من حديث عمار ﷺ الطيالسى (٦٤٧)، وأحمد (١٨٩٠١)، والبزار (١٤١٢).

(قلت): وفى الباب عن عبد الله بن عمرو، وعمران بن حصين، وعلى، وابن عمر ﷺ.

قال ابن حجر فى الفتح (٧/٨): وهو حديث حسن له طرق قد يرتقى بها إلى الصحة. أهـ. وقال الألبانى فى الصحيحة (٢٢٨٦): صحيح.

(٤) تقدم تخريجه، وهو متفق عليه.

(٥) أخرجه من حديث أبى عنبة الخولانى: الإمام أحمد (١٧٨٢٢)، وابن ماجة (٨)، وحسنه الألبانى فى "صحيح الجامع" (٧٦٩٢)، والسلسلة الصحيحة (٢٤٢).



أمتى سيبلغ مُلْكُها ما زوى لى منها)[1] الحديث.

وقوله ﷺ: **(ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يبقى بيت مدر، ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر)**[2].

(ب) وقد وردت أحاديث يفهم منها قيام خلافة راشدة قبل خروج المهدى: منها ما رواه ابن حوالة الأزدى ﷺ، قال: وضع -رسول الله ﷺ يده على رأسى، أو على هامتى، ثم قال: **(يابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل، والبلابل، والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدى هذه من رأسك)**[3].

ومنها ما رواه معاذ بن جبل ﷺ، قال -قال رسول الله ﷺ: **(عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال)**، ثم ضرب بيده على فخذ الذى حدث أو منكبه، ثم قال: "إن هذا الحق كما أنك هنا، أو كما أنك قاعد"[4]، وفتح القسطنطينية سيتم فى زمن المهدى الذى هو فى زمن عيسى -عليه السلام-.

قالوا: وعمران بيت المقدس سيكون بالخلافة النازلة فيه، وهذا يستلزم تحرير القدس، وتحريرها يستلزم قيام الجهاد الشرعى الإسلامى ضد اليهود هناك.

---

(١) صدر حديث أخرجه مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان ﷺ.

(٢) أخرجه من حديث تميم الدارى ﷺ: أحمد (١٦٩٩٨)، والفسوى فى المعرفة (١٩٢/٢)، والطبرانى فى مسند الشاميين (٩٥١)، وابن منده فى الإيمان (١٠٨٥)، والحاكم (٨٣٢٦) وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبى، وقال الألبانى فى الصحيحة (٣): صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٥٤٠)، وأبو داود (٢٥٣٥)، والحاكم (٨٣٠٩) وصححه، وأقره الذهبى، والضياء فى المختارة (٢٧٦/٩) رقم (٢٣٨)، وقال الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٣٨) وفى تعليقه على أبى داود: صحيح. قلت وردت فى بعض روايات الحديث قوله: "الزلازل والبلابل" وفى بعضها "الزلازل والبلايا"، و"البلابل": الهموم والأحزان.

(٤) تقدم تخريجه، وقد رواه ابن أبى شيبه، وأحمد وأبو داود والطبرانى، والحاكم وصححه، وحسنه الألبانى فى تعليقه على أبى داود.

ومنها ما رواه المقداد بن الأسود ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر، ولا وبر، إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعز عزيز أو ذل ذليل، إما يعزهم الله –عز وجل–، فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم، فيدينون لها)**[1]، قالوا: وقوله ﷺ: **(فيدينون لها)** فيه إشارة إلى الجزية، وإشارة أخرى إلى أن هذا إنما يكون قبل نزول المسيح –عليه السلام–، لأنه لا يقبل الجزية من أحد.

(ج) وهذا يؤكد حتمية عودة الخلافة الإسلامية، وسيادتها على العالم كله، والخلافة لن تسقط على المسلمين فى قرطاس من السماء،ولكن للنصر أسبابه المتعددة، وقد بشر ﷺ بفتح رومية[2]، وهذا الفتح لن يتم إلا بالجهاد فى سبيل الله –عز وجل–، والصبر عليه، وبذل الأموال والأنفس، والخلافة التى يقيمها هذا الجهاد خلافة راشدة على منهاج النبوة، كما أخبر النبى ﷺ، ولذلك، فلابد أن تكون هذه الفئة سالكة طريق النجاة فى الدارين، حتى لا يطول بها السرى فى صحراء الخلافات، والفتن، وطريق السلامة من فتنة الفرقة التى تنبأ بها ﷺ فى قوله: **(فإنه من يعش بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً)** إنما يتلخص فى أمرين بينهما ﷺ: **(فعليكم بسنتى، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ)**، ثم قوله ﷺ**(وإياكم، ومحدثات الأمور)** الحديث[3].

فالطائفة المنصورة لابد أن يكون منهجها موافقاً لمنهاج النبوة، الذى هو منهج السلف الصالح، والرعيل الأول والقائم على الاتباع، وترك الابتداع؛ لأنه هو المنهج الوحيد الصحيح القادر على إعادة الخلافة فى الأرض، وهى مع ذلك تحتاج رجالاً أولى عزم وتقى، يقوم على أكتافهم هذا البعث الجديد، فلابد من تربيتهم على الكتاب، والسنة، ولابد

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٨٦٥)، وابن حبان (٦٦٩٩ و٦٧٠١)، والطبرانى فى الكبير (٢٠/٢٥٤) رقم (٦٠١)، وفى مسند الشاميين (٥٧٢)، وابن مندة فى الإيمان (١٠٨٤)، والحاكم (٨٣٢٤) وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبى، والبيهقى فى الكبرى (١٨٣٩٩)، وصححه الألبانى فى تعليقه على المشكاة (٤٢).

(٢) تقدم الحديث بذلك.

(٣) تقدم تخريجه وهو حديث العرباض بن سارية، وطرفه: (وعظنا رسول لله ﷺ موعظة ...) وهو حديث صحيح.

من علاج هذا الواقع الأليم الذى يعانى منه المسلمون فى كل مجال فى ضوء شريعة الله المصفاة من كل دخيل من الآراء، والأهواء، والبدع، فعاد الأمر إلى كلمتين: "التصفية، والتربية".

(د) والزمان هو السفر المنظور الشارح لكتاب الله المسطور، آيات سورة الإسراء تُبين أنه لابد من جولة قادمة بين المسلمين، واليهود، وقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال: **(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهود وراء الحجر، والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودى خلفى فتعالى فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود)**[1].

قال الإمام النووى تعليقاً على الحديث: "الغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال، واليهود"[2]. وفى رواية للحديث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: **(تقاتلكم يهود فتسلطون عليهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودى ورائى فاقتله)**[3].

ولئن وصف رسول الله ﷺ أولئك المجاهدين فى هذا الحديث بوصف عام هو الإسلام، فلقد وصفهم بوصف أخص، وهو كونهم "أهل السنة والجماعة"، "الطائفة المنصورة"، وذلك فيما رواه عمران بن حصين رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **(ولا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال ...)**[4]، وهذا الحديث يشير إلى أن من ضمن قتالهم قتال المسيح

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٢٢).

(٢) "شرح النووى" (٣١/١٨) ومن الجدير بالذكر أن يهود الدولة اللقيطة يكثرون الآن من زراعة هذا الشجر فى المستوطنات والحدائق وغيرها.

(٣) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (٣٥٩٣)، ومسلم (٢٩٢١).

(٤) أخرجه أحمد (١٩٩٣٤)، وأبو داود (٢٤٨٤)، وابن جرير فى تهذيب الأثار (١١٥٩)، والطبرانى فى الكبير (١١٦/١٨) رقم (٢٢٨)، والحاكم (٢٣٩٢) وصححه على شرط مسلم، وأقره الذهبى وقال الألبانى فى الصحيحة (١٩٥٩)، وفى صحيح الجامع (٧٢٩٤): صحيح.

الدجال، وأعوانه، وأعوانه أكثرهم اليهود.

وعن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من جابههم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله، وهم كذلك،** قالوا: أين هم يا رسول الله؟ قال: **ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس)**[١].

وهذا الحديث واضح الدلالة على أن القوم المقاتلين الزائدين عن بيت المقدس هم من نفس الطائفة المنصورة أهل السنة، والجماعة. وفيه تحديد لأماكن وجودهم فى آخر الزمان.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **(لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أبواب دمشق، وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس، وما حوله، ولا يضرهم خذلان من خذلهم ... ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة)**[٢].

قالوا: إن الأحاديث الشريفة تدل على حدوث قتال بين المسلمين واليهود، وانتصارهم على اليهود قبل زمن الدجال، وليس شرطاً أن تكون المعركة بين المسلمين، وبين صنف من أعدائهم واحدة فقط، فقد تتعدد المعارك، وتتكرر الفتوحات، كما حدث فى القسطنطينية. أهـ.[٣]

"لقد سقطت دولة الخلافة، وابتعد أكثر المسلمين عن القرآن رويداً رويداً، فتناولتهم السبل، وابتعدوا عن شاطىء النجاة، فاستوت بهم سفينة الحيرة على صخرة الاختلاف، وبلغ بهم الأمر إلى أنهم نبذوا كتاب ربهم وراء ظهورهم، ذابوا فى غيرهم، حتى صار من

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد فى المسند وجادة عن أبيه. (٢٢٣٧٤)، والطبرى فى تهذيب الآثار (١١٥٨)، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٢٨٨): رجاله ثقات. وقال الألبانى فى الضعيفة (٥٨٤٩): منكر بهذا التمام. قال محققو مسند الرسالة: سنده ضعيف، وهو حديث صحيح دون قوله: "قالوا: أين هم؟ ...".

(٢) أخرجه أبو يعلى (٦٤١٧)، والطبرانى فى الأوسط (٤٧)، وابن عساكر فى تاريخه (١/٢٥٥)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٦٠): رجالة ثقات. وقال الألبانى فى الضعيفة (٥٤١٩): ضعيف بهذا السياق.

(٣) ينظر فتح القسطنطينية الأخير "المسيح المنتظر ونهاية العالم" صـ ٨١.



بين المسلمين من لا تستطيع أن تميزه من الكافر لا فى المظهر فحسب، بل حتى فى الصميم من الأخلاق والأفكار والعادات.

وعلى حين غفلة من هذا المارد النائم، لملمت فلول الشرذمة المغضوب عليها قواها المبعثرة، وأعادوا الكرة على الذين نبذوا كتاب ربهم وراء ظهورهم، فأذلوهم، وأذاقوهم ألوان الخزى، والعار، وانهالت الإمدادات على أمة القردة، والخنازير من أمة الضالين، وعبدة الطاغوت، فأصبح اليهود أكثر نفيراً من المسلمين، **﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾** (الإسراء: ٦)، وهاهم رعاة الأمة -إلا من رحم الله- قد نسوا الله فأنساهم أنفسهم، حاربوا أولياء الله الداعين إلى طريق النجاة، وتبرأوا من الإسلام، وتنكروا له وأرادوا أن يُحلّقوا فى الدنيا بجناح المادة، فخذلهم جناح الإيمان، فكبكبوا على وجوههم، وتولى الله تأديبهم على يد من لا يرقبون فيهم إلاً ولا ذمة، فتراهم متخبطين فى كل قطر، أذلة فى كل وجه، يسومهم أعداء الله سوء العذاب، ويفرضون عليهم الخزى والعار، ويتخذونهم مطية رخيصة، ليصلوا عليها إلى مآربهم التوراتية، والتلمودية، ولكن لن يتم لهم ذلك ولن يجنوا ثماره بإذن الله؛ لأن الله -عز وجل- قضى -وهو أحكم الحاكمين-، ووعد -وهو-سبحانه- الذى لا يخلف الميعاد: **﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوُؤواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا . عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾** (الإسراء: ٧-٨).

أى إن عدتم للإفساد، والعلو فى الأرض عاد الله عليكم بتسليط أعدائكم عليكم، كما فعل فى الإفساد الأول، إذ قال سبحانه: **﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾** (الإسراء: ٥)، وفى المرة التالية قال تعالى: **﴿وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾** (الإسراء: ٧)، حتى تعود فلسطين المسلمة بعد أن يستيقظ المارد النائم ليص ُب ّ َ على الأمة الغضبية جام غضب الله عليهم، ويحرر الأقصى الأسير[(١)]، ويفتحه خليفة المسلمين من جديد، كما فتحه من قبل عمر الفاروق، وصلاح الدين.

---

(١) انظر للفائدة: "مجموعة الرسائل الكبرى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٥٧-٥٨).

ويقتضى هذا كلّه أن القتال فى فلسطين سيعود إسلامياً خالصاً فى سبيل الله وحده لا قومياً رغم أنف العلمانيين والقوميين وأذنابهم، ولا يقدر على ردع الشيطان اليهودى سوى نور القرآن، يحرقه ويبيده، ولن يهزم شركهم إلا توحيدُنا، ولعل تعقيب الآيات بقوله تعالى **﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِى لِلَّتِى هِى أَقْوَمُ﴾** (الإسراء: ٩)، فيه إشارة لطيفة إلى أن سلاح العودة إلى بيت المقدس، وقبلتنا الأولى هو كتاب ربنا لا غير، ويقتضى هذا -أيضاً- أن قضية فلسطين لن تحل سلمياً، ولن ينعم اليهود أبداً بالسلام الأبدى الذى يحلمون به، وإن استمرت موجات هجرتهم إلى الأرض المقدسة: **﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾** (الإسراء: ١٠٤)، فإنهم سيجتمعون لفيفاً فى أرض (الميعاد) من كل حدب، وصوب، ومن كل فج عميق يلبون نداء القدر الذى قضى الله به عليهم منذ الأزل، وإن استمر الإمداد المادى من عباد الصليب، وغيرهم، فهذا ما أخبر به عز وجل فى قوله: **﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾** (الإسراء: ٦).

والحاصل أنه لن يهدأ للمغضوب عليهم بال، ولن يقر لهم قرار -إن شاء الله-؛ لأن الله -عز وجل- قضى بمنع ذلك، أما الخريطة التى نقشوها على باب (الكنيست)[١]، فلن يكون لها وجود إلا فى عقولهم المنحطة، وقلوبهم الصلبة القاسية، كحجارة (الكنيست) التى نقشوها عليها، أو أشد قسوة.

وعودة الأقصى للمسلمين بالمثابة التى ذكرنا تستلزم قيام خلافة راشدة على منهاج النبوة، فقد قال ﷺ: **(تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت)**[٢].

---

(١) بل التى يرمز إليها علم دولتهم، الذى يحتوى خطين أزرقين أفقيين متوازيين أحدهما يشير إلى النيل، والآخر يشير إلى الفرات، بينهما أرضية تحمل نجمة داود، والتى يرمز إلى امتداد سلطان دولتهم من النيل إلى الفرات.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٤٣٠)، والبزار (٢٧٩٦) وصححه العراقى فى محجة القرب إلى محبة العرب



=

(٢/١٧)، والألبانى فى الصحيحة (٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

الفصل الثانى
أمارات الساعة الكبرى(1)

وفيه إحدى عشرة أمارة:

الأمارة الأولى: ظهور المسيح الدجال.

الأمارة الثانية: نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

الأمارة الثالثة: خروج يأجوج ومأجوج.

الأمارة الرابعة: طلوع الشمس من مغربها.

الأمارة الخامسة: خروج الدابة.

الأمارة السادسة: الدخان.

الأمارة السابعة: رفع القرآن الكريم.

الأمارة الثامنة: الريح اللينة.

الأمارة التاسعة: هدم الكعبة.

الأمارة العاشرة: ثلاثة الخسوف.

الأمارة الحادية عشرة: النار التى تسوق الناس إلى المحشر.

---

(1) يراجع كتاب المسيح المنتظر تصرف شديد.

تمهيد:

الأمـارات الكبـرى هـى التـى تقـارب قيـام السـاعة، واختلـف العلمـاء فـى عـددها وتحديـدها[1]، ويمثـل المهدى حلقـة الوصـل بـين العلامـات الصـغرى والكبـرى، فيصـح أن يقال: إن المهدى هو آخر العلامات الصغرى وأول العلامات الكبرى.

أقسام الأمارات الكبرى:

تنقسم الأمارات الكبرى إلى قسمين[2]:

1. أمارات قريبة من قيام الساعة.
2. أمارات مؤذنة بقيامها الوشيك.

تتـابع الأمـارات بعد ظهـور أولهـا: فـإذا بـدأت الأمـارات فـى الظهـور فـلا تكـاد الأمـارة تنتهى حتى تليها أختها.

عن أبـى هريـرة τ قال:قـال رسـول الله ε: **(خـروج الآيـات، بعضـا علـى أثـر بعـض، تتابعن كما تتابع الخرز فى النظام)[3].**

---

(1) والعمدة فى هذا الباب ما أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الفتن باب فى الآيات التى تكون قبل الساعة (2901)، عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال: "اطلع النبى ε علينا ونحن نتذاكر. فقال: **(ما تذاكرون؟" قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات. فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ε، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نـار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى أرض محشرهم).**

(2) قال الطيبى: الآيات أمارت للساعة إما على قربها وإما على حصولها، فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف. ومن الثانى: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التى تحشر الناس (فتح البارى 360/11).

(3) أخرجـه ابـن حبـان فـى صـحيحه (6833)، والطبرانـى فـى الأوسـط (4271)، والهيثمـى فـى مجمـع الزوائد (321/7). وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن



وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ε قال: **(الآيات خرزات منظومات فى سلك فانقطع السلك، فتبع بعضها بعضا)**[1].

وعن عبد الله بن مسعود τ أن رسول الله ε قال: **(قال عيسى بن مريم عليه السلام: ..ففيما عهد إلى ربى عز وجل أن ذلك كذلك، فإن الساعة كالحامل المتم، لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلا أو نهارا)**[2].

وسنتحدث فى الصفحات التاليات عن هذه الأمارات الكبرى التى وردت فى القرآن أو فى صحيح سنة النبى ε[3].

=

حنبل وداود الزهرانى وكلاهما ثقة. وذكره الألبانى فى صحيح الجامع الصغير (3227) وقال: صحيح.

قال المناوى فى الفيض (439/3): خروج الآيات أى: أشراط الساعة، وقوله: (تتابعن كما تتابع الخرز فى النظام) يعنى: لا يفصل بينهن فاصل طويل عرفا.

(1) أخرجه أحمد (7040) والحاكم (8461) وصححه الألبانى فى الصحيحة (1762) وصحيح الجامع الصغير (2755). وأخرجه الحاكم عن أنس (8639) وقال: صحيح على شرط مسلم.
قال المناوى فى الفيض (167/3) فيتبع بعضها بعضا: أى فيقع بعضها إثر بعض من غير فصل بزمن طويل.

(2) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (37525)، وأحمد (3556)، وأبو يعلى فى مسنده (5294)، والحاكم (3448 و8502 و8638) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه العلامة أحمد شاكر فى تعليقه على المسند.

(3) وقد اختلف العلماء فى ترتيب العلامات الكبرى من حيث الوقوع قال ابن حجر فى الفتح (361/11): "فالذى يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة فى معظم الأرض وينتهى ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوى، وينتهى ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع فى ذلك اليوم الذى تطلع فيه الشمس من المغرب". أ هـ.

الأمارة الأولى
ظهور المسيح الدجال

وفيها ثمانية فروع:

الفرع الأول: التعريف به والتحذير من فتنته.

الفرع الثانى: أوصافه وأحواله.

الفرع الثالث: مكانه وزمانه.

الفرع الرابع: ما يسبق الدجال من الشدائد، وما معه من الفتن.

الفرع الخامس: مسيرته فى الأرض.

الفرع السادس: مدة لبثه بعد خروجه.

الفرع السابع: هل الدجال هو ابن صياد؟

الفرع الثامن: سبل النجاة من فتنة الدجال.



الفرع الأول ـ التعريف به والتحذير من فتنته:

أولاً – التعريف به:

ثمة دجاجلة كثيرون فى تاريخ البشرية بعامة، وفى تاريخ الأمة الإسلامية بخاصة، غير أن الدجال الأكبر، الذى يعد خروجه من العلامات الكبرى للساعة، هو أعظم فتنة تحدث على وجه الأرض، فهو شخص يبتلى اللهُ الناسَ به، يمكّنه من خوارق كثيرة، يضل بها الناس، فيرسل معه الخصب وزهرة الدنيا، وغير ذلك مما يقع بمشيئة الله وقدرته، حتى إنه يمنحه قدرة على قتل رجل ثم إحيائه، استدراجا له وامتحانا لغيره؛ ولذلك سمى مسيح الضلالة، ثم يعجزه الله سبحانه، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ثانية ولا على غيره، ثم يبطل أمره، ويقتله مسيح الهدى عيسى بن مريم، عليه السلام.

وهو يتدرج فى دعواه، فيدعى الصلاح، فالنبوة، ثم الإلهية، ويظهر الخوارق، وقد اقتضت حكمة الله أن يكون تكذيب دعواه بحالته ونقص صورته، وعجزه عن إزالة العيب الذى فى عينيه كلتيهما؛ لتقومَ الحجةُ على العامة والخاصة بأنه كذاب.

وفتنته عظيمة جدا تدهش العقول، وتحير الألباب، مع سرعة مروره فى الأرض، فيغتر به رعاعُ الناس، وهو لا يمكث بينهم بحيث يتأملون حاله، ويطلعون على العيب الذى فيه، ولهذا حذرت الأنبياء أممها من فتنته، ولا سيما محمد ع فإنه خارج فى أمته لا محالة.

معنى المسيح الدجال:

تطلق كلمةُ (المسيح) على نبى الله عيسى بن مريم عليه السلام، وتطلق أيضا على الدجال، فإذا أريد بها مسيح الضلالة الدجال، قيدت به، وجميع الروايات والأخبار تذكر أن اسمه المسيح الدجال، أو الأعور الدجال، أو الدجال بدون إضافة، وكل هذه الأسماء تدل على صفات قامت به كما سيأتى إن شاء الله؛ أما إذا أطلق لفظ المسيح، فإنما يدل على مسيح الهدى عيسى بن مريم، عليه السلام.

وسمى هذا الكذاب مسيحًا، لأن عينه اليمنى ممسوحه مع حاجبها، فلا يبصر بها.



وقد ذكره بعضهم (المسيخ) بالخاء المعجمة وهو تصحيف كما ذكره ابن حجر[1]. وقال ابن حجر رحمه الله: "تقدم أن من قاله بالخاء المعجمة صحَّف ... وبالغ ابن العربى فقال: ضل قومٌ فرووه (المسيخ) بالخاء المعجمة، وشدد بعضهم السين؛ ليفرقوا بينه وبين المسيح عيسى ابن مريم بزعمهم، وقد فرق النبى ε بينهما بقوله فى الدجال: فدل على أن عيسى مسيح الهدى فأراد هؤلاء تعظيم المسيح فحرفوا الحديث". أهـ.[2]

والمسيح: هو الذى أحد شقى وجهه ممسوحه، لا عين له ولا حاجب، فهو فعيل بمعنى مفعول مثل جريح بمعنى مجروح.

وقيل: لأنه يمسح الأرض ويقطعها، فهو فعيل بمعنى فاعل، مثل كريم[3].

ومع اتصافه بتلك الأمور كلها، فلعل سبب إطلاق هذا اللفظ عليه مقابلته بالمسيح ابن مريم، ولهذا فرق النبى ε بينهما بقوله فى الدجال: **مسيح الضلالة**[4].

---

(1) فتح البارى (371/2).

(2) فتح البارى (101/13)

(3) ينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر (279/4)، ولسان العرب (مسح)، الكليات للكفوى (ص860)، وينظر للأهمية مفردات ألفاظ القرآن الكريم للأصفهانى (صـ 487، 488).

(4) ورد وصف النبى ε للمسيح الدجال بأنه مسيح الضلالة فى عدة أحاديث منها

حديث الفلتان بن عاصم رضى الله عنه عن النبى ε قال: **(أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأريت مسيح الضلالة فرأيت رجلين يتلاحيان فحجزت بينهما فأنسيتها فاطلبوها فى العشر الأواخر وترا، فأما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى عريض النحر كأنه عبد العزى بن قطن)** رواه ابن أبى شيبة (38472)، والبزار (3698)، والطبرانى فى الكبير (335/18) رقم (860)، وذكره الهيثمى فى المجمع (348/7) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

وذكره أيضا (3/ 178) وقال: رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح.

حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ε قال: **(خرجت إليكم وقد بينت لى ليلة القدر ومسيح الضلالة..** الحديث بنحو حيث الفلتان) رواه الطيالسى فى مسنده (2532)، وأحمد (7892)، وحسنه محققو مسند الرسالة، وإن كان سند أحمد ضعيفاً.

حديث أبى هريرة τ أيضا وفيه أن النبى ε قال: **(الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهن شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم؛ لأنه لم يكن بينى وبينه نبى... ويهلك الله فى زمانه مسيح**



ولفظ الدجال – بوزن الفعال، صيغة مبالغة – مشتق من الدجل، وهو التغطية أو الخلط، يقال: دجل البعير بالقطران؛ إذا غطاه به، والإناء بالذهب إذا طلاه به وموهه، وسمى الكذاب دجالا؛ لأنه يغطى الحق بالباطل، وجمعه دجالون ودجاجلة، ودجلة، بسكون الجيم وفتحها.

أما المسيح الكذاب فسمى دجالا؛ لما يلى:

لأنه يغطى الحق ويستره بسحره وشره، ويلبسه على الناس بادعائه وكذبه.

ولأنه يغطى الأرض بجموعه، ويضرب فى نواحيها. والدجالة: الدفعة العظيمة.

وقد أصبح هذا اللفظ علمًا عليه، فإذا أطلق لا يتبادر إلى الذهن غيره(1).

ثانيًا – التحذير من فتنته:

المسيح الدجال آخر الدجاجلة، غير أنه أعظمهم فتنة وأشدهم خطرا، بل هو ينبوع الفتن كما سلف. وقد أشار إليه القرآن الكريم فى عدة أماكن، دون أن ينص على اسمه، وقد تكفل النبى ε ببيانها والتحذير من خطره. ومن ذلك ما يلى:

قوله تعالى: **[يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ]** (الأنعام: 158)(2).

= **الضلالة الكذاب الدجال... الحديث)** أخرجه ابن أبى شيبة (38540)، وأحمد (9631)، وصححه محققو المسند.

حديث أبى هريرة τ أن النبى ε قال: **(إن الأعور الدجال مسيح الضلالة يخرج من قبل المشرق فى زمن اختلاف من الناس وفرقة...)** أخرجه ابن حبان فى صحيحه (6812)، وقوى إسناده الأرنؤوط.

(1) ينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر (96/2)، ولسان العرب مادة (دجل)، وأشراط الساعة فى مسند الإمام أحمد (438/2).

(2) أخرج ابن جرير فى تفسير هذه الآية (11076) عن عائشة رضى الله عنه عنها قالت: (إذا خرج أول الآيات طرحت الأقلام، وحبست الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال).



– عن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(ثلاث إذا خرجن، لا ينفع نفسا إيمانها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض)**[1]

– عن هشام بن عامر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ε يقول: **(ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة، خلق أكبر من الدجال)**[2].

وفى رواية لمسلم: **(أمر أكبر من الدجال)**[3].

وعند أحمد: **(فتنة أكبر من فتنة الدجال)**[1].

= قال ابن كثير رحمه الله (271/3): (فقوله تعالى: **[لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ]** أى: إذا أنشأ الكافر إيمانا يومئذ لا يقبل منه فأما من كان مؤمنا قبل ذلك فإن كان مصلحا فى عمله فهو بخير عظيم، وإن كان مخلطًا فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبة... وعليه يحمل قوله تعالى **[أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْرًا]** أى: ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملاً به قبل ذلك. أهـ.

ونقل ابن حجر عن الطيبى فى الفتح (364/11) بعد كلام طويل متين فى تحرير مذهب أهل السنة فى الآية: "والمعنى: يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا لم تكن مؤمنة من قبل ذلك إيمانها من بعد ذلك، ولا ينفع نفسا كانت مؤمنة لكن لم تعمل فى إيمانها عملا صالحا قبل ذلك ما تعمله من العمل الصالح بعد ذلك، قال: وبهذا التقرير يظهر مذهب أهل السنة فلا ينفع بعد ظهور الآية اكتساب الخير أى لإغلاق باب التوبة ورفع الصحف والحفظة، وإن كان ما سبق قبل ظهور الآية من الإيمان ينفع صاحبه فى الجملة". أهـ.

وقد اختلف المفسرون فى قوله تعالى: **[يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ]** ما المقصود ببعض آيات ربك ؟

فذهب جمهورهم إلى أنها طلوع الشمس من مغربها فقط، وذهب آخرون إلى أنها طلوع الشمس من مغربها مع بعض الآيات الأخر مثل خروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، وخروج دابة الأرض [ينظر تفسير الطبرى (8/112–120)].

(1) أخرجه مسلم (158) (249).

(2) أخرجه مسلم (2946) (126).

(3) أخرجه مسلم (2946) (127).



– عن ابن عمر τ أن رسول الله ε لما قام فى حجة الوداع، حمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر المسيح الدجال، فأطنب فى ذكره وقال: **(ما بعث الله من نبى إلا أنذره أمته، أنذره نوح والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم، فما خفى عليهم من شأنه، فليس يخفى عليكم، إن ربكم ليس بأعور، وإنه أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية...)**[2].

وفى رواية لهما فى خبر ابن صياد، قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فقام رسول الله ε فى الناس، فأثنى على الله بما هو له أهل، ثم ذكر الدجال فقال: **(إنى لأنذركموه، ما من نبى إلا قد أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكن أقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه: تعلموا أنه أعور، وأن الله ليس بأعور)**[3].

وكان وقت خروجه خافيا على الأنبياء قبل محمد ε إذ لم يذكر لهم، فحذر كل نبى قومه من فتنته، وخص نوح عليه السلام بالذكر؛ لأنه مقدم مشاهير الأنبياء.

– وعن أبى أمامه الباهلى τ قال: قال رسول الله ε: **(يا أيها الناس، إنه لم تكن فتنة فى الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم فتنة من الدجال، وإن الله عز وجل، لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم، فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج بعدى فكل حجيج نفسه، والله خليفتى على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق، فيعيث يمينا، ويعيث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا.. الحديث)**[4].

=

(1) أخرجها أحمد (16309) والطبرانى فى الكبير (174/22) رقم (453). وصححه محققو مسند الرسالة.

(2) أخرجه البخارى فى مواضع (3057 و3337 و4402 و6175 و7127).

(3) متفق عليها، أخرجها البخارى (3337 و6175 و7127) ومسلم (2931) (169).

(4) أخرجه ابن ماجة (4077)، وابن أبى عاصم فى السنة (391)، ونعيم بن حماد فى الفتن (1446)، والطبرانى فى الكبير (7644) والحاكم (8620) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبى، والحديث ضعفه الألبانى بهذا السياق فى تخريج السنة لابن أبى عاصم، وصحح أغلبه إلا قليلاً فى صحيح الجامع (7875)، وانظر ما ضعفه فيه فى ضعيف الجامع



يعتقد النصارى أن المسيح الكذاب سيظهر قبيل نهاية الأرض، ويبررون ذلك بأن حكمة الله تسمح للشر أن يتكامل أولا، وينضج إلى جميع الشرور الممكنة، حتى يجيء المسيح الصالح، ويظهر ملء محبته. ولعل من بقايا الوحى المختلط بالشوائب ما جاء فى العهد الجديد من التحذير من المسيح الدجال وفتنته، والبعد عنه.

ففى إنجيل متى: وبينما يسوع جالس فى جبل الزيتون سأله تلاميذه على انفراد: أخبرنا متى يحدث هذا الخراب؟ وما هى علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟

فأجابهم يسوع: انتبهوا لئلا يضلكم أحد، سيجيء كثير من الناس منتحلين اسمى، فيقولون: أنا هو المسيح، ويخدعون كثيرا من الناس، وستسمعون بالحروب وبأخبار الحروب، فإياكم أن تفزعوا، فهذا لابد منه، ولكنها لا تكون الآخرة، ستقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتحدث مجاعات وزلازل فى أماكن كثيرة، وهذا بدء الأوجاع(1).

وفى موضع آخر: فإذا قال لكم أحد: ها هو المسيح هنا، أو ها هو هناك، فلا تصدقوه، فسيظهر مسحاء دجالون، وأنبياء كذابون، يصنعون الآيات والعجائب العظيمة، ليضللوا – إن أمكن – حتى الذين اختارهم الله. ها أنا أنذركم، فإن قالوا لكم: ها هو فى البرية، فلا تخرجوا إلى هناك، أو ها هو فى داخل البيوت، فلا تصدقوا.(2).

الفرع الثانى - أوصاف الدجال وأحواله:

لم يرد فى اسم الدجال واسم أبيه ونسبه ومولده حديث صحيح، غير أن النبى ε ذكر كثيرا من أوصافه وأحواله، بحيث يعرفه كل من رآه أو سمع به. ومما ذكره ما يلى:

= ___

(6384)، وانظر تعليقه رحمه الله على الحديث فى مؤلفه "قصة المسيح الدجال ونزول عيس عليه السلام".

(1) متى: 24/3-8 .

(2) متى: 24/23-26.

وراجع ما قيل عن ما جاءنا عن بنى إسرائيل فى (مظاهر العبث بأشراط الساعة) فى أول هذا المصنف.



1. هو رجل من بنى آدم يهودى، عقيم لا يولد له ولد:

عن أبى سعيد الخدرى τ قال: صحبت ابن صياد[1] إلى مكة فقال لى: أما قد لقيت من الناس؟ يزعمون أنى الدجال، ألست سمعت رسول الله ε يقول: **(إنه لا يولد له، قال: قلت: بلى...)** الحديث[2].

وفى رواية ثانية: ما لكم ولى يا أصحاب محمد ε ؟ ألم يقل نبى الله: إنه يهودى، وقد أسلمت؟ وقال: **(لا يولد له، وقد ولد لي)**[3]؟

2. وهو شاب عظيم الخلقة ضخم الجسم:

عن فاطمة بنت قيس رضى الله عنها قالت: (سمعت نداء المنادى، منادى رسول الله ε، ينادى: الصلاة جامعة. فخرجت إلى المسجد. فصليت مع رسول الله ε. فكنت فى صف النساء التى تلى ظهور القوم. فلما قضى رسول الله ε صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك. فقال: **ليلزم كل إنسان مصلاه.** ثم قال: **أتدرون لم جمعتكم؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **إنى، والله! ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة. ولكن جمعتكم، لأن تميمًا الدارى، كان رجلا نصرانيا، فجاء فبايع وأسلم. وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح**

---

(1) قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم (18/38-39): "يقال له: ابن صياد وابن صائد وسمى بهما فى الأحاديث واسمه صاف، قال العلماء: وقصته مشكلة وأمره مشتبه فى أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره؟ ولا شك فى أنه دجال من الدجاجلة. قال العلماء: وظاهر الأحاديث أن النبى ε لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره وإنما أوحى إليه بصفات الدجال وكان فى ابن صياد قرائن محتملة فلذلك كان النبى ε لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره".

ومن أراد الاستزادة من خبر ابن صياد فليراجع صحيح مسلم، باب ذكر ابن صياد، من الحديث رقم (2924) وحتى الحديث رقم (2932). وينظر الفرع السابع من هذه الأمارة.

(2) أخرجه مسلم (2927) (89).

(3) أخرجها مسلم (2927) (90).

الدجال. حدثنى؛ أنه ركب فى سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام. فلعب بهم الموج شهرا فى البحر. ثم أرفؤوا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس. فجلسوا فى أقرب السفينة. فدخلوا الجزيرة: فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر. لا يدرون ما قبله من دبره. من كثرة الشعر. فقالوا: ويلك! ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم! انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير. فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سَمَّتْ لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعا. حتى دخلنا الدير. فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا. وأشده وثاقا. مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك! ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبرى. فأخبرونى ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب. ركبنا فى سفينة بحرية. فصادفنا البحر حين اغتلم. فلعب بنا الموج شهرا. ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه. فجلسنا فى أقربها. فدخلنا الجزيرة. فلقينا دابة أهلب كثير الشعر. لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقلنا: ويلك! من أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل فى الدير. فإنه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سراعا. وفزعنا منها. ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبرونى عن نخل بيسان. قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر. قال: أخبرونى عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هى كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبرونى عن عين زغر. قالوا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فى العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم. هى كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبرونى عن نبى الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه. وإنى مخبركم عنى. إنى أنا المسيح. وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج. فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة. غير مكة وطيبة فهما محرمتان على. كلتاهما. كلما أردت أن أدخل واحدة، أو واحدا منها، استقبلنى ملكٌ بيده السيف صلتا. يصدنى عنها. وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها. قالت:

قال رسول الله ε، وطعن بمخصرته فى المنبر: **هذه طيبةٌ. هذه طيبةٌ. هذه طيبةٌ**، يعنى: المدينة، **ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟** قال الناس: نعم. **فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة. ألا إنه فى بحر الشام أو بحر اليمن. لا بل من قبل المشرق، ما هو. من قبل المشرق، ما هو. من قبل المشرق، ما هو**، وأومأ بيده إلى المشرق. قالت: فحفظت هذا من رسول الله ε)[1].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ε قال: **(رأيت الدجال هجانا ضخما فيلمانيا.. أشبه بعبد العزى بن قطن رجل من خزاعة)**[2].

وعن عبادة بن الصامت τ قال: قال رسول الله ε: **(إنى حدثتكم عن الدجال حتى خشيت ألا تعقلوا، إن المسيح الدجال قصير أفحج)**[3].

قال ابن القيم: قوله: قصير، يدل على قصر قامته، وقد ورد فى حديث تميم أنه أعظم إنسان. ووجه الجمع أنه لا يبعد أن يكون قصيرا بطينا عظيم الخلقة أ هـ[4]. وورد أيضا أنه طويل القامة[5]، ولعل ذلك لعدم التناسب بين ضخامة جسمه وطوله، وهذا عيب فى خلقته، ملفت للانتباه.

---

(1) أخرجه مسلم (2942) (119).

(2) أخرجه أحمد (3546)، وأبو يعلى فى مسنده (2720)، والطبرانى فى تهذيب الآثار (408/1)، وقال بعده: وهذا خبر عندنا صحيح، وقال ابن كثير فى تفسير سورة الإسراء (22/5): إسناد صحيح، وأورده الهيثمى فى المجمع (337/7) وقال: رجال الجميع رجال الصحيح.
وقوله: (هجانا): أى أبيض فيه حمرة، وقوله: (فيلمانيا): أى عظيم الجثة.

(3) أخرجه أحمد (22816)، وأبو داود (4312) وابن أبى عاصم فى السنة (428)والبزار فى مسنده (2681)، ونعيم بن حماد فى الفتن (1454)، وابن عبد البر فى التمهيد (191/14) وقال: وهذا من أصح أحاديث الشاميين، وذكره الضياء فى المختارة (320) و(322) وقال: إسناده صحيح، وصححه الألبانى عند أبى داود.
وقوله (أفحج) هو الذى إذا مشى باعد بين رجليه كالمختتن، فهو من جملة عيوبه. [عون المعبود (390/7)].

(4) عون المعبود (390/7).

(5) لم أقف على هذا اللفظ فى أى حديث مما هو بين يدى.



3. عظيم الرأس عريض النحر:

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ε قال فى الدجال: (**... كأن رأسه أصلة، أشبه بعبد العزى بن قطن**)[1].

وعن الفتان بن عاصم τ قال: قال رسول الله ε: (**أريت ليلة القدر ثم أنسيتها، ورأيت مسيح الضلالة... وأما مسيح الضلالة، فرجل أجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى، عريض النحر، كأنه عبد العزى بن قطن**)[2].

وعن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: (**وأما مسيح الضلالة فإنه أعور العين، أجلى الجبهة، عريض النحر، فيه دفا**)[3].

4. بشرته سمراء صافية، ووجنته محمرة:

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ε قال: (**...فذهبت ألتفت، فإذا رجل أحمر جسيم**)[4].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ε قال فى الدجال: (**أعور هجانا...**

---

(1) أخرجه أحمد (2854)، والطبرانى فى الكبير (11711)، وابن حبان فى صحيحه (6796)، وقال الهيثمى فى المجمع (338/7): رجال الجميع رجال الصحيح. وصححه محققو مسند الرسالة.
(والأصلة): أخبث أنواع الأفاعى، وقيل: الحية العظيمة الضخمة القصيرة، والعرب تشبه الرأس الكثيرة الحركة برأس الحية.

(2) أخرجه ابن أبى شيبة (37458)، والبزار (3698)، والطبرانى فى الكبير (335/18) رقم (860)، وأورده الهيثمى فى المجمع (128/3) وقال: رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح، وأورده أيضا (348/7) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

(3) أخرجه الطيالسى فى مسنده (2532)، وأحمد (7892)، وصححه أحمد شاكر فى تعليقه على المسند، وحسنه محققو المسند.
النحر والمنحر: موضع القلادة فى أعلى الصدر.
الدفأ: إشراف الكاهل على الصدر.

(4) متفق عليه، أخرجه البخارى (3441 و7026) ومسلم (171).



الحديث)[1].

وعن عبد الله بن مغفل τ أن النبى ε قال عن الدجال: **(آدم جعد...)**[2].

5. شعره كثيف أجعد:

عن النواس بن سمعان τ أن النبى ε قال فى الدجال: **(إنه شاب قطط...)**[3].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ε قال: **(فذهبت ألتفت، فإذا رجل جسيم، جعد الرأس... الحديث)**[4].

عن أبى قلابة عن رجل من الصحابة رضى الله عنهم أن رسول الله ε قال: **(إن بعدكم الكذاب المضل، وإن رأسه من ورائه حبك حبك حبك... الحديث)**[5].

وعن هشام بن عامر τ أن رسول الله ε قال: **(إن رأس الدجال من ورائه حبك حبك...)**[6].

وعن ابن عباس τ فى حديثه السابق، **(كأن شعره أغصان شجرة)**[7].

---

(1) تقدم تخريجه قبل ثلاثة أحاديث، والهجان: الأبيض الذى فيه حمرة، أى: أبيض أزهر.

(2) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (4580) وقال الهيثمى فى المجمع (336/7): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجاله ثقات، وفى بعضهم ضعف لا يضر.
والأدمة: السمرة، والآدم من الناس: الأسمر، وهو من كان لونه بين البياض والسواد.

(3) أخرجه مسلم (2937).

(4) متفق عليه، وتقدم تخريجه قبل ثلاثة أحاديث.

(5) أخرجه أحمد (23207 و23534)، وقال الهيثمى فى المجمع (343/7): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وذكره الألبانى فى الصحيحة (2808)، وصححه محققو مسند الرسالة.
وقوله: "حبك حبك" أى: كثير ملتف، أو منكر من الجعودة.

(6) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (20828)، وأحمد (16304) والحاكم (8551) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأورده الهيثمى فى المجمع (343/7) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وضعفه محققو المسند لانقطاعه.

(7) تقدم تخريجه قبل خمسة أحاديث.



6. شعر ناصيته منحسر:

عن الفلتان بن عاصم τ فى حديثه السابق (... **وأما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة، ممسوح العين)**[1].

وعن أبى هريرة τ فى حديثه السابق: **(وأما مسيح الضلالة فإنه أعور العين، أجلى الجبهة)**[2].

7. عيناه معيبتان:

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ε ذكر الدجال بين ظهرانى الناس فقال: **(إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافئة)**[3].

وعنه τ أن النبى ε قال: **(فذهبت ألتفت، فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس، أعور عينه اليمنى كأن عينه عنبة طافية)**[4].

وعن حذيفة بن اليمان τ أن النبى ε قال: **(وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة...)**. وفى رواية: **(الدجال أعور العين اليسرى)**[5].

وعن النواس بن سمعان τ أن النبى ε قال: **(إنه شاب قطط عينه طافية...)**[6].

وفى رواية للترمذى: **(عينة قائمة)**[7].

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

(3) متفق عليه، أخرجه البخارى (3439، 3441)، ومسلم (169) واللفظ لمسلم.

(4) متفق عليه، أخرجه البخارى (3441 و7026)، ومسلم (171).

(5) أخرجهما مسلم (2934).

(6) أخرجه مسلم (2937).

(7) أخرجها ابن ماجة (4075)، والنسائى فى الكبرى (10783)، وصححه الألبانى فى السنن.



وعن أبى سعيد الخدرى τ قال: قال رسول الله ε: **(ما بُعث نبى يُتّبَعُ إلا قد حذر أمته الدجال، وإنى قد بين لى من أمره ما لم يبين لأحد، وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإن عينه اليمنى عوراء جاحظة، ولا تخفى، كأنها نخامة فى حائط مجصص، وعينه اليسرى كأنها كوكب دريٌّ، معه من كل لسان...)**(1).

وفى رواية: **(وإنى أعهد إليكم فيه عهدا، لم يعهده نبى إلى أمته، إن عينه اليمنى ممسوحة جاحظة لا حدقة لها، كأنها نخاعة فى حائط، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري)**(2).

وعن أبى بن كعب τ قال: ذكر الدجال عند النبى ε، أو قال: ذكر النبى ε الدجال فقال: **(إحدى عينيه، كأنها زجاجة خضراء، وتعوذوا بالله من عذاب القبر)**(3).

وعن أبى أمامة τ أن النبى ε قال عن الدجال: (... **أعور العين اليمنى، كأنها لم تخلق، وعينه الأخرى ممزوجة بالدم)**(4).

وعن سمرة بن جندب τ قال: قال رسول الله ε: **(والله، لقد رأيت مذ قمت أصلى، ما أنتم لاقون فى دنياكم وآخرتكم، وإنه لا تقم الساعة، حتى يخرج ثلاثون كذابا، آخرهم**

---

(1) أخرجه أحمد (11769)، وضعف إسناده محقق مسند الرسالة.

(2) أخرجها ابن أبى شيبة فى مصنفه (37465)، وأبو يعلى فى مسنده (1074) والحاكم (8621) وقال: تفرد به عطية بن سعد عن أبى سعيد ولم يحتج الشيخان بعطية

وقال الهيثمى فى المجمع (336/7) رواه أبو يعلى والبزار وفيه الحجاج بن أرطأة وهو مدلس وعطية ضعيف وقد وثق. أهـ. والصواب فى عطية أنه ضعيف.

(3) أخرجه أحمد (21183)، وأبو داود الطيالسى فى مسنده (544)، والضياء فى المختارة (1202)، وقال الهيثمى فى المجمع (337/7): رواه أحمد ورجاله ثقات، وصحح إسناده محقق المسند.

(4) لم أقف على هذا النص من حديث أبى أمامه ووجدته من حديث ابن عمر رضى الله عنهما، أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (1484 و1536).



الأعور الدجال ممسوح العين اليسرى، كأنها عين أبى تحيى، لشيخ من الأنصار)[1].

فعينه اليمنى مطموسة ممسوحة، كأنها عنبة طافئة – بالهمز – أى ذهب ضوءها، فلا يبصر بها، وهى ليست بناتئة – أى عالية – ولا جحراء – أى عميقة – وهذه صفة حبة العنب، إذا ذهب مائها، وبقيت القشرة، فكأنها لم تخلق.

وأما عينه اليسرى التى يرى بها، فمتقدمة خضراء، كأنها كوكب من شدة توقدها، غير أنها جاحظة، كأنها زجاجة خضراء بارزة، أو عنبة طافية –بلا همز– أى ناتئة كنتوء حب العنب من بين أخواتها، أو كأنها نخاعة فى جدار مجصص، وفيها أيضا جليدة أو لحيمة نابتة عند الموق، كأنها ممزوجة بالدم.

فهو أعور العينين معا، لأن العور هو العيب، والأعور من كل شيء: المعيب.

غير أن كل عين عوراء من وجه؛ فاليمنى عوراء حقيقة لذهابها وذهاب ضوئها، فإنها ممسوحة مطموسة، واليسرى عوراء بعيبها اللازم من كونها جاحظة، وعليها ظفرة. فكل واحدة منهما، يصح وصفها بالعور، بحقيقة العرف، أو بمعنى العور الأصلي[2].

---

(1) أخرجه أحمد (20190) وابن أبى شيبة فى مصنفه (37513)، والطبرانى فى الكبير (6797 و6798)، وابن حبان فى صحيحه (2856)، والبيهقى فى الكبرى (6154)، وضعفه محققو المسند لجهالة أحد رواته.

(2) تنبيه: من تتبع تلك الروايات، وجد أن بعضها ذكر العيب، ولم يحدد العين المعيبة، وأكثرها حدد، غير أن بعض الروايات وصفت إحدى العينين بما وصف به غيرها العين الأخرى. ولذلك شمر العلماء للتحقيق والتدقيق، وعلى رأسهم القاضى عياض والنووى فى شرح مسلم، والقرطبى فى التذكرة، والحافظ فى الفتح. ويظهر ذلك فى النواحى التالية:

أ. ورد فى بعض الروايات **(كأن عينه عنبة طافئة)** بالهمز، أى ذهب ضوءها ونورها، فلا يبصر بها، وورد فى بعضها **(طافية)**؛ بدون همز، أى ناتئة بارزة، كنتوء حبة العنب من بين أخواتها فى العنقود – يقال: طفا الشيء فوق الماء؛ أى علا ولم يرسب، وبابه عدا وسما وقد جاء فى أحاديث أنه ممسوح العين، ليست بجحراء، ولا ناتئة، بل مطموسة، وهذه صفة حبة العنب إذا سال منها ماؤها، فهى تصحح رواية الهمزة، وجاء فى أخرى أنه جاحظ العين، كأنها كوكب درى، لها حدقة جاحظة، كأنها نخاعة أو نخامة، فهى تصحح رواية ترك الهمزة أيضا. ويجمع بين الأحاديث، وتصح الروايات جميعا بأن تكون المطموسة والممسوحة والتى ليست بجحراء ولا ناتئة، هى العوراء



8. مكتوب بين عينيه كافر (ك ف ر):

عن حذيفة بن اليمان τ فى حديثه السابق: (**... مكتوب بين عينيـه كـافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**)[1].

وعن عمر بن ثابت الأنصارى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أن النبى ε قال يوم حذر الناس من الدجال: (**إنه مكتوب بين عينيـه كـافر، يقرؤه كل من كره عملـه، أو يقرؤه كل مؤمن، وقال: تعلَّموا: إنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت**)[2].

وعن أنس τ أن النبى ε قال: (**ما من نبى إلا وقد أنذر أمتـه الأعور الكذاب، ألا إنـه أعور، وإن ربكم عز وجل ليس بأعور، مكتوب بين عينيه (ك ف ر) أى (كافر)**)[3].

=

الطافئة بالهمزة وهى اليمنى، وتكون الجاحظة التى كأنها كوكب ونخاعة، هى الطافية بغير همز، وهى اليسرى.

ب. فى حديث سفينة أن بعينه اليمنى ظفرة. وفى حديث عبد الله بن مغفل (**ممسوح عين اليسار، على عينه ظفرة غليظة**). وفى حديث حذيفة (**ممسوح العين عليها ظفرة غليظة**) بدون تحديد.

قال الحافظ: وأما الظفرة، فجائز أن تكون فى كلا عينيه؛ لأنها لا تضاد الطمس ولا النتوء، وتشبيهها بالزجاجة الخضراء وبالكوكب المضىء لا ينافى ذلك، فإن كثيرا ممن يحدث فى عينه نتوء، يبقى معه الإدراك، فيكون الدجال من هذا القبيل.

وقال القرطبى: وإذا كانت الممسوحة عليها ظفرة غليظة، فالتى ليست كذلك أولى، فتتفق الأحاديث.

جـ. وقع فى حديث الفلتان بن عاصم وحديث سمرة بن جندب وحديث أبى بكرة رضى الله عنهم أنه ممسوح العين اليسرى. والطافية غير الممسوحة. وفى حديث أبى سعيد أن عينه اليمنى ممسوحة جاحظة لا حدقة لها.

وقال القارى فى المرقاة: فالجمع أن يقال: إحدى عينيه ذاهبة، والأخرى معيبة، فقوم يرونه أعور العين اليمنى، وقوم يرونه أعور العين اليسرى، للدلالة على بطلان أمره. ويحتمل أن يكون أحدهما من سهو الراوى.

[هذا التنبية منقول بنصه من حاشية كتاب "المسيح المنظر ونهاية العالم ص112–113].

(1) تقدم تخريجه وهو فى صحيح مسلم.

(2) أخرجه مسلم (169).

(3) متفق عليه، أخرجه البخارى (7131 و8408) ومسلم (2933) واللفظ لمسلم.

وهى كتابة حقيقية، جعلها الله سبحانه من جملة العلامات الدالة على كذبه، يظهرها الله لكل مسلم كاتب وغير كاتب، ويخفيها عن الكافر بسبب شقاوته وإعراضه، فإن الإدراك فى البصر يخلقه الله للعبد متى شاء، وكيف شاء، فيراه المؤمن بغير بصره، وإن كان لا يعرف الكتابة، ولا يراه الكافر، ولو كان يعرف الكتابة، كما يرى المؤمن الأدلة بعين بصيرته، ولا يراها الكافر، فيخلق الله للمؤمن الذى يكره عمل الدجال الإدراك دون تعلم، فيقرأ ما بين عينيه؛ لأن ذلك الزمن تنخرق فيه العادات.

9. أفحج الرجلين[1]:

عن عبادة بن الصامت τ فى حديثه السابق أن النبى ε قال عن الدجال: (**... إن المسيح الدجال قصير أفحج**)[2].

10. يشبه عبد العزى بن قطن:

عن ابن عمر رضى الله عنهما فى حديثه السابق (**... قلت: من هذا؟ قالوا: الدجال. وأقرب الناس به شبها ابن قطن...**)[3].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى حديثه السابق أن النبى ε قال عن الدجال: (**... أشبه بعبد العزى بن قطن، رجل من خزاعة**)[4].

وعن النواس بن سمعان τ فى حديثه السابق: (**... كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن**

---

(1) الفحج: تباعد ما بين الساقين، وقيل: هو تدانى صدور القدمين مع تباعد العقبين، وقيل: هو الاعوجاج فى الرجل مطلقا.

(2) تقدم تخريجه عند الحديث عن عظم خلق الدجال.

(3) تقدم تخريجه، وهو متفق عليه.

(4) تقدم تخريجه، وهو عند الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

...)[1].

فشبهه النبى ε للصحابة رضى الله عنهم برجل يعرفه أكثرهم، وهو عبد العزى بن قطن بن عمرو الخزاعى وقيل من بنى المصطلق من خزاعة، هلك فى الجاهلية وهو يهودى ولعله مشرك، لأن العزى اسم صنم.

ويلاحظ أن النبى ε لم يكن جازما فى تشبيهه به؛ لأنه قال: **(كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن).**

وقال ε أيضا: **(وأقرب الناس به شبها ابن قطن).**

11. يركب حمارا قوياً سريعاً:

عن جابر بن عبد الله τ أن النبى ε قال فى حديثه عن الدجال: **(... وله حمار يركبه، عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا)**[2]

وعن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(يخرج الدجال على حمار أقمر، ما بين أذنيه سبعون باعا)**[3].

وعن حذيفة بن أسيد τ أنه قال: فيه -أى الدجال- ثلاث علامات: **(هو أعور وربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن أمى وكاتب، ولا يسخِّر**

---

(1) تقدم تخريجه، وهو فى صحيح مسلم.

(2) أخرجه أحمد (14997)، والحاكم (8613) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى. وقال الهيثمى فى المجمع (344/7): رواه أحمد باسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح. وقال محققو مسند الرسالة: إسناده على شرط مسلم.

(3) أخرجه الديلمى فى الفردوس (8921)

وقوله: (أقمر): أى شديد البياض فوجهه أحسن حالا من راكبه.

والباع: طول ذراعى الإنسان وما بينهما.



من المطايا إلا الحمار، فهو رجس على رجس)[1].

12. معه شياطين تكلم الناس بكل لغة:

عن أبى سعيد τ فى حديثه السابق أن النبى ε قال فى حديثه عن الدجال: (**...معه من كل لسان، ومعه صورة الجنة خضراء يجرى فيها الماء، وصورة النار سوداء تدخن)**[2].

وعن جابر بن عبد الله τ فى حديثه السابق أن النبى ε قال: (**...ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس)**[3].

13. يتقدمه رجلان ينذران الناس:

عن أبى سعيد τ أن النبى ε قال فى حديثه عن الدجال: (**...وبين يديه رجلان ينذران أهل القرى، كلما خرجا من قرية دخل أوائله)**[4].

14. أكثر أتباعه اليهود وأخلاط الناس:

عن أنس τ قال: قال رسول الله ε: **(يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة)**[5].

فاليهود الذين ارتدوا عن الحق فلم يؤمنوا برسالة عيسى عليه السلام، ولا برسالة محمد ε بل هموا بقتلهما، سوف يتبعون الدجال عندما يخرج، ويكونون جنده؛ لأنه يأتى موافقا لأهوائهم، فيظنونه المسيح المنتظر فى آخر الزمان.

---

(1) أخرجه الحاكم (8612) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره الذهبى وقوله: (رجس) أى: نجس.

(2) تقدم تخريجه، وهو عند أحمد وفيه ضعف.

(3) تقدم تخريجه قبل ثلاثة أحاديث.

(4) تقدم تخريجه عند الحديث عن عينى الدجال المعيبتين.

(5) أخرجه مسلم (2944).



ويتبع الدجال أيضا أخلاط الناس من عجم وترك وأعراب ونساء.

عن أبى بكر الصديق τ قال: قال رسول الله ε: **(الدجال يخرج من أرض بالمشرق، يقال لها خراسان، يتبعه قوم كأن وجوههم المجان المطرقة)**[1].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: **(ينزل الدجال هذه السبخة بمرِّ قناة فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى الرجل يرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته، فيوثقها رباطا؛ مخافة أن تخرج إليه)**[2].

الفرع الثالث - مكان الدجال وزمانه:

أولاً – مكان الدجال والجهة التى يخرج منها:

يعيش الدجال الآن فى هذا العالم، محبوس فى دير بجزيرة لا يعلمها إلا الله، وعندما يحين الوقت الذى أجل الله سبحانه خروجه إليه، سوف يخرج ويظهر، وقد قدر الله لرجل نصرانى أن يصل إلى مكانة ويتحدث معه، تصديقا للنبى ε.

كما سبق فى حديث فاطمة بنت قيس فى قصة تميم الدارى حينما ورد على النبى ε وقص قصته حينما لعب الموج بسفينتهم شهرا حتى رسوا على جزيرة ولقوا هناك الجساسة والدجال[3].

ويؤخذ من الحديث أن الدجال حى يرزق، موجود الآن فى جزيرة، محبوس فى دير.

---

(1) أخرجه أحمد (12 و33) وابن ماجة (4072)، والترمذى (2237) وقال: حسن غريب، والمروزى فى مسند أبى بكر (57)، والبزار فى مسنده (47)، والحاكم فى مستدركه (8608) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبى، ووافقهما الألبانى فى صحيح المشكاة (5487) وصحيح الجامع (3404).

(2) أخرجه أحمد (5353)، والطبرانى فى الكبير (13197)، وأورده الهيثمى فى المجمع (364/7) وقال: فى الصحيح بعضه رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وصححه أحمد شاكر فى تعليقه على المسند.

(3) تقدم الحديث بطوله عند الحديث عن أوصاف الدجال وأحواله، والحديث أخرجه مسلم.



وتميم الدارى τ صحابى أسلم عام 9هـ، مع أنه كان قبل إسلامه راهب عصره، وعابد أهل فلسطين، مات سنة 40هـ.

وقد أخفى الله الجزيرة عن عيون الناس، فلا يهتدون إليها ولا يطؤونها، أو أخفى مكان الدجال عن عيونهم، فلا يرونه ولو وطئوا الجزيرة. ومن يزعم أنهم الآن مسحوا الأرض، واكتشفوا كل شبر بها، فقد تسرع فى الحكم، وعليه أن يتريث ويتعلم، فما أمر مثلث برمودا ببعيد، وأينما كانت رؤية تميم للدجال، فإنها شهادة على صدق محمد ε ومعجزة له.

وقد أفادت السنة النبوية أنه يخرج من جهة المشرق جزما، ومن بلاد خراسان[1].

وعن أبى هريرة τ أن رسول الله ε قال: **(يأتى المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة، حتى ينزل دير أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك)**[2].

وعن أبى بكر τ قال: قال رسول ε: **(الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان، يتبعه قوم كأن وجوههم المجان المطرقة)**[3].

وقد اختلفت الراويات فى تحديد المكان الذى يخرج أو يظهر منه:

عن عائشة رضى الله عنها قالت: **دخلت على رسول الله ε وأنا أبكى، فقال: ما يبكيك؟ قلت: يا رسول الله، ذكرت الدجال فبكيت، فقال: (إن يخرج وأنا فيكم كفيتموه، وإن يخرج بعدى، فإن ربكم عز وجل ليس بأعور، إنه يخرج من يهودية أصفهان، حتى**

---

(1) وخراسان كلمة مركبة، معناها مشرق الشمس، وهى بلاد واسعة جدا، تشمل مساحات كبيرة من بلاد فارس وأفغانستان وتركستان، وتمتد فى آسيا بين نهر أمودريا شمالا وشرقا، وجبال هندوكوش جنوبا، لذلك نسبت إليها بلدان كثيرة مثل بخارى وغزنة وأصفهان. وتتقاسمها اليوم أفغانستان الشمالية، وأهم مدنها هراة وبلخ، وكان يطلق على هراة اسم خراسان، كتسمية دمشق بالشام، وإيران الشرقية الشمالية، وأهم مدنها نيسابور ومشهد. أما خراسان المعروفة اليوم، فهى بلاد فارسية، تقع فى الشرق والشمال الشرقى من إيران، وهى أهم الأقاليم، أكثر سكانها من الشيعة، أما غير المسلمين، وهم قلة، فهم من نصارى الأرمن، وثمة جالية يهودية.

(2) أخرجه مسلم (1380).

(3) تقدم تخريجه قبل ثلاثة أحاديث.



يأتى المدينة، فينزل ناحيتها ولها يومئذ سبعة أبواب على كل نقب منها ملكان، فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتى الشام -مدينة فلسطين، بباب لد- ينزل عيسى بن مريم - عليه السلام- فيقتله، ويمكث عيسى فى الأرض أربعين سنة، إماماً عدلاً، وحكما مقسطاً)[1].

وعن أنس τ قال: قال رسول الله ε: **(يخرج الدجال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفا من اليهود)**[2].

وعن النواس بن سمعان τ قال: ذكر رسول الله ε الدجال ذات يوم فقال: **(إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينا، وعاث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا...)**[3].

وعن أبى بكر τ قال: **(يخرج الدجال من مرو، من يهوديتها)**[4].

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أنه قال لرجل من العراق: **(بأرضكم أرض**

---

(1) أخرجه أحمد (24511)، وأورده الهيثمى فى المجمع (338/7) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمى بن لاحق وهو ثقة، وحسن إسناده محققو مسند الرسالة.

أصبهان وأصفهان اسم واحد لبلدة فارسية معروفة فى إيران، تقع بين شيراز وطهران. قال ياقوت: مدينة أصبهان بالموضع المعروف بـ (جي)، وهو الآن يعرف بشهرستان وبالمدينة، ولما سار بختنصر، وأخذ بيت المقدس، وسبى أهلها، حمل معه يهودها، وأنزلهم أصبهان، فبنوا فى طرق مدينة (جي) محلة نزلوها، وسميت اليهودية.. فمدينة أصبهان اليوم هى اليهودية.

وقال أبو نعيم: كانت اليهودية من جملة قرى أصبهان وإنما سميت اليهودية؛ لأنها كانت تختص بسكنى اليهود، ولم تزل كذلك إلى زمن أيوب بن زياد، أمير مصر فى زمن المهدى بن منصور العباسى، فسكنها المسلمون، وبقى لليهود منها قطعة. (نقلا من حاشية المسيح المنتظر ص123).

(2) أخرجه أحمد (13368)، وأبو يعلى فى مسنده (3639)، والطبرانى فى الأوسط (4930)، وقال الهيثمى فى المجمع (338/7): رواه أحمد وأبو يعلى من رواية محمد بن مصعب عن الأوزاعى وروايته عنه جيدة وقد وثقه أحمد وغيره وضعفه جماعة وبقية رجالهما رجال الصحيح، وحسنه محققو المسند.

(3) أخرجه مسلم (2937).

(4) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (1495).ومثل هذا الحديث له حكم الرفع.



يقال لها كوتى، ذات سباخ ونخيل؟ قلنا: نعم، قال: منها يخرج الدجال)[1].

ذكرت الروايات أربعة أمكنة ارتبطت بخروج الدجال وظهوره، وهى أصبهان، وخلة بين الشام والعراق، ومرو، وكوتى. ويجمع بينها بأنه يخرج من جهة المشرق من بلاد خرسان - كما سبق - ومن مدينة مرو التى يقال لها أم خراسان لأداء مهمته وتحقيق مآربه، ثم يظهر أمره فى أصبهان، ولا سيما فى يهوديتها، حيث يخرج اليهود لاستقباله ومناصرته، ثم ينحدر على أرض إيران فالعراق، مارا بمدينة الكوت، ثم يسلك طريقا بين الشام والعراق قاصدا الحجاز، ثم الخروج على العالم أجمع ليعيث فسادا.

ثانيًا - زمان خروج الدجال:

يخرج الدجال بعد ظهور المهدى وفتحه الجزيرة العربية وفارس والروم - أى القسطنطينية وورومية - وبعد أن يسبقه من الفتن ما يسبقه كما سيأتى.

عن نافع بن عتبة τ قال: **(تغزون جزيرة العرب، فيفتحها الله، ثم فارس، فيفتحها الله، ثم تغزون الروم، فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال، فيفتحه الله).**

قال: فقال نافع: يا جابر - هو جابر بن سمرة ؛ لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم[2].

عن أبى هريرة τ فى حديثه السابق: **(لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق ... فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح الدجال قد خلفكم فى أهاليكم. فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج ...) الحديث**[3].

وعنه τ فى حديثه السابق: **(سمعتم بمدينة جانب منها فى البر، وجانب منها فى**

---

(1) أورده الهيثمى فى المجمع (350/7) وقال: رواه الطبرانى ورجاله ثقات. ومرو مدينة فى قلب خراسان و(كوتي) هى مدينة الكوت، تقع على نهر دجلة، جنوب بغداد شرقى الكوفة والنجف.

(2) أخرجه مسلم (2900).

(3) أخرجه مسلم (2897).



البحر... فبينما هم يتقاسمون المغانم، إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج. فيتركون كل شيء ويرجعون)[1].

وعن عبد الله بن مسعود τ فى حديثه السابق: **(إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث... فبينما هم كذلك، إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ: إن الدجال قد خلفهم فى ذراريهم، فيرفضون ما بأيديهم ويقبلون...)**[2].

وعن معاذ بن جبل τ أن رسول الله ε قال: **(عمران بيت المقس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال)**، ثم ضرب بيده على فخذ الذى حدثه –أو منكبه – ثم قال: **(إن هذا لحق كما أنك قاعد ههنا، كما أنك قاعد)** يعنى معاذ بن جبل[3].

فقد جعل النبى ε كل واحدة عين ما بعدها، وعبر بها عنها.

الفرع الرابع - ما يسبق الدجال من الشدائد وما معه من الفتن:

أولاً – ما يسبق الدجال من الشدائد:

فتنة الدجال أعظم الفتن وأخطرها على دين الناس، منذ خلق الله آدم إلى قيام السياعة، حتى يبتلى المؤمنون بأنواع من الفتن والبلاء والمحن قبل خروجه وبعده؛ من ذلك ما يلى:

1. يأتى على حين جدب وقحط وجوع:

عن أبى أمامة τ قال: قال رسول الله ε: (...**وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد؛ يأمر الله السماء فى السنة الأولى أن تحبس ثلث**

---

(1) أخرجه مسلم (2920).

(2) أخرجه مسلم (2899).

(3) أخرجه ابن أبى شيبه فى مصنفه (37209و37477) وأحمد (22076 و22174)، وأبو داود (42949)، والحاكم (8297) وصححه ووافقه الألبانى فى المشكاة (5424) وفى صحيح الجامع (4096).

مطرها، ويأمر الأرض، فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء فى السنة الثانية، فتحبس ثلثى مطرها، ويأمر الأرض، فتحبس ثلثى نباتها، ثم يأمر السماء فى السنة الثالثة، فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض، فتحبس نباتها كلها، فلا تنبت خضراء، فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت، إلا ما شاء الله. قيل: فما يعيش الناس فى ذلك الزمان؟ قال: التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد، ويجرى ذلك عليهم مجرى الطعام)[1].

وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضى الله عنها قالت: كنا مع النبى ε فى بيته فقال: **(إذا كان قبل خروج الدجال بثلاث سنين، حبست السماء ثلث قطرها، وحبست الأرض ثلث نباتها، فإذا كانت السنة الثانية، حبست السماء ثلثى قطرها، وحبست الأرض ثلثى نباتها، فإذا كانت السنة الثالثة، حبست السماء قطرها كله، وحبست الأرض نباتها كله، فلا يبقى ذو خف ولا ظلف إلا هلك)**[2].

وعنها رضى الله عنها قالت: سمعت النبى ε يقول: **(يجزئ المؤمنين يومئذ من الجوع ما يجزئ أهل السماء من التسبيح والتقديس)**[3].

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ε ذكر جهدا يكون بين يدى الدجال، فقالوا: أى المال خير يومئذ؟ قال: **(غلام شديد يسقى أهله الماء، وأما الطعام فليس)**. قالوا: فما طعام المؤمنين؟ قال: **(التسبيح والتكبير والتهليل)**. قالت عائشة رضى الله عنها: فأين العرب يومئذ؟ قال: **(العرب يومئذ قليل)**[4].

---

(1) تقدم تخريجه، وهو عند ابن ماجه، والحاكم وصححه ووافقه الذهبى، وصحح الألبانى معظمه بشواهده وضعف بعضه.

(2) أخرجه أحمد (27609)، وضعفه محققو المسند لضعف شهر بن حوشب.

(3) أخرجه عبد الرازق فى مصنفه (20821)، وإسحاق بن راهويه فى مسنده (2289)، وأحمد (27620) والطبرانى فى الكبير (158/24) رقم (404)، ونعيم فى الفتن (1514) وقال الهيثمى فى المجمع (345/7): وفيه شهر بن حوشب وفيه ضعف وقد وثق. قلت: والصواب أن شهر ضعيف.

(4) أخرجه أبو يعلى (4670) وأحمد (24514 و24988)، وقال الهيثمى فى المجمع (335/7): ورجاله رجال الصحيح، والحديث ضعفه محققو مسند الرسالة لانقطاعه وفيه على بن زيد وهو ضعيف.



2. يخرج والناس فى غفلة وجهل:

عن جابر بن عبد الله τ قال: قال رسول الله ε: **(يخرج الدجال فى خفة من الدين، وإدبار من العلم)**[1]. أى: فى حال ضعف من الدين وقلة أهله.

وعن الصعب بن جثامة τ قال: سمعت رسول الله ε يقول: **(لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره على المنابر)**[2].

وعن الفضل الليثى قال: كنت بالكوفة، فقيل: خرج الدجال، فأتينا حذيفة ابن أسيد τ فقلت: هذا الدجال قد خرج، فقال حذيفة: **(إن الدجال لو خرج فى زمانكم لرمته الصبيان بالخزف، لكنه يخرج فى نقص من الناس، وخفه من الدين، وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، وتطوى له الأرض طى فروة الكبش)**[3].

أى: يخرج إبان عيب فى الناس، ويأتى موارد المياه حتى يكثر الناس.

ثانيًا – ما مع الدجال من فتن:

قدر العزيز العليم بحكمته ابتلاء الناس بالدجال فاستدرجه بأن أقدره على أشياء وخوارق مذهلة تدهش العقول، وتحير الألباب، ففى زمانه تنخرق العادات وتحدث أمور عظيمة، مؤذنة بنهاية العالم وقيام الساعة، وهو ما يستميل به ضعاف العقول والإيمان فإنه يحمل فى وجهه ما يدل على أنه مبطل فى دعواه فكلا عينيه معيب، وأسوأ حال من يراه من ذووى العقول أنه يعلم أنه لم يكن ليسوِّى خلق غيره ويحسنه، ولا يدفع النقص عن

---

(1) تقدم تخريجه، وقد رواه أحمد، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبى والهيثمى.

(2) أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند (16718)، والطبرانى فى مسند الشاميين (992)، والديلمى فى الفردوس (7831)، وقال الهيثمى فى المجمع (335/7): رواه عبد الله بن أحمد من رواية بقية عن صفوان وهى صحيحة كما قال ابن معين وبقية رجاله ثقات. وقال محققو المسند: فيه انقطاع؛ لأن راشد بن سعد لم يدرك الصعب بن جثامة.

(3) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (20827)، والحاكم (8612) وصححه ووافقه الذهبى. والحديث له حكم الرفع.

نفسه، ومن أهم تلك الفتن التى معه ما يلى:

1. النعم التى تكون معه فى تلك المجاعة:

عن النواس بن سمعان τ قال: ذكر النبى ε **الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه فى طائفة النخل قال (فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درًّا، وأسبغه ضروعا، وأمده خواصر ثم يأتى على القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين، ليس فى أيديهم شىء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل)**[1].

وعند الترمذى: **(فيأتى القوم، فيدعوهم فيكذبوه ويردون عليه قوله، فينصرف عنهم فتتبعه أموالهم، ويصبحون ليس فى أيديهم شىء، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويصدقونه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت فتروح سارحتهم كأطول ما كانت درًّا، وأمده خواصر وأدره ضروعا، ثم يأتى الخربة فيقول لها: أخرجى كنوزك فينصرف عنها، فتتبعه كيعاسيب النحل)**[2].

وعن حذيفة بن اليمان τ قال سمعت رسول الله ε يقول: **(إن مع الدجال إذا خرج ماء وناراً، فأما الذى يرى الناس أنه نار، فماء بارد، وأما الذى يرى الناس أنه ماء فنار تحرق، فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يرى أنه نار فإنه ماء عذب بارد)**[3].

ولمسلم عنه أن النبى ε قال: **(لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض، والآخر رأى العين نار تأجج، فإما أدركنَّ أحد فليأت الذى**

---

(1) أخرجه مسلم (2937).

وقوله: (يعاسب) جمع يعسوب، وهو فحل النحل ورئيسها، فمتى طار تبعته. وقوله: (سارحتهم) أى: ماشيتهم، وقوله: (درًّا) أى: لبنا، وقوله: (ممحلين) الممحل الذى أجدبت أرضه وقحطت.

(2) أخرجه أحمد (17666)، الترمذى (2240)، وصححه محققو المسند.

(3) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (3450 و7130)، ومسلم (2934 و2935).

يراه نارا، وليغمِّض، ثم ليطأطئ رأسه، فليشرب منه، فإنه ماء بارد)[1].

وعن أبى أمامة τ قال: قال رسول الله ε: **(وإن من فتنته أن معه جنة ونارا، فناره جنة، وجنته نار، فمن ابتلى بناره، فليستعذ بالله، وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاماً.. وإن من فتنته أن يمر بالحى فيكذبوه، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت، وإن من فتنته أن يمر بالحى فيصدقونه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه، وأمده خواصر، وأدره ضروعا)**[2].

هل ما معه من جنة ونار حقيقة أم تخيل؟

أ. ذهب بعض العلماء –ومنهم ابن حبان فى صحيحه– إلى أن ما معه من صورة الجنة والنار إنما هو تخيل وتمويه، وليس حقيقة، واحتجوا بما يلى:

عن عمران بن حصين τ قال: قال رسول الله ε: **(من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما – أو لما – يبعث به من الشبهات)**[3].

حديث حذيفة بن اليمان τ السابق: **(فأما الذى يرى الناس أنه نار فماء بارد، وأما الذى يرى الناس أنه ماء فنار تحرق، فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يرى أنه نار؛ فإنه ماء عذب بارد)**[4].

---

(1) أخرجه مسلم (2934).

(2) تقدم تخريجه، وهو عند ابن ماجه، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبى، وصحح الألبانى بعضه وضعف بعضه.

(3) أخرجه ابن أبى شيبة (37439)، وأحمد (19888 و19982)، والطبرانى فى الكبير (220/18) رقم (550)، وأبو داود (4319)، والبزار فى مسنده (3590)، والحاكم (8615)، وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الألبانى فى المشكاة (5488)، وفى صحيح الجامع (6301).

(4) تقدم تخريجه قريبا، وهو فى الصحيحين.



وفى رواية لمسلم: **(أحدهما رأى العين ماء أبيض، والآخر رأى العين نار تتأجج)**(1).

حديث أبى هريرة τ: (... **وإنه يجىء بمثال الجنة والنار، فالتى يقول إنها الجنة هى النار)**(2). فالباء زائدة، والمعنى: يأتى بصورتيهما معه فى نظر الناس فيسير معه مثلاهما ويصحبه مشكلاهما.

حديث أبى سعيد الخدرى τ قال (... **ومعه صورة الجنة خضراء يجرى فيها الماء، وصورة النار سوداء تدخن)**(3).

عن المغيرة بن شعبة τ قال: ما سأل أحد رسول الله ε عن الدجال أكثر مما سألته، وإنه قال لى: **(ما يضرك منه ؟)** قلت: إنهم يقولون: إن معه جبل خبز ونهر ماء، قال: **(هو أهون على الله من ذلك)**(4).

قال ابن حبان: فمعناه أنه أهون على الله من أن يكون معه ما يجرى حقيقة، بل يرى ذلك أنه ماء وليس بماء حقيقة، أى أن ما ظهر من فتنته ليس له حقيقة، وإنما تخييل منه وشعوذة كما يفعل السحرة(5).

ب. وذهب آخرون –منهم ابن العربي– إلى أنها حقيقة، يخلقها الله سبحانه، ويجريها على يديه، ويقدره عليها ابتلاء للعباد، وليس خيالات ولا تمويهات، يلبس بها على الناس.

ورأوا أن النصوص على ظاهرها امتحانا من الله لعباده بدليل الأحاديث الأخرى التى تذكر ذلك ولا تشير إلى أنها شبهات.

وحملوا قوله ε فى حديث المغيرة τ: **(هو أهون على الله من ذلك)** على أنه أهون على الله من أن يخاف منه أو يضلل الله به من يحبه، أو يجعله آية على صدقه. قال

---

(1) تقدم تخريجها وهى عند مسلم (2934).

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (3338)، ومسلم (2936).

(3) أخرجه أحمد (11769)، وقال الهيثمى فى المجمع (346/7) وفيه: مجالد بن سعيد وثقه النسائى فى رواية، وقال فى أخرى: ليس بالقوى، وضعفه جماعة. أهـ. وهو ضعيف.

(4) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (7122)، ومسلم (2152 و2939).

(5) ينظر فتح البارى (100/13).



القاضى عياض: معناه: أهون من أن يجعل الله ما على يديه مضللا للمؤمنين.

وقال ابن العربى: وكيف يُرد بحديث محتمل ما ثبت فى غيره من الأحاديث الصحيحة[1] ؟.

موازنة:

قال الحافظ فى الفتح: وهذا كله يرجع إلى اختلاف المرئى بالنسبة إلى الآتى:

فإما أن يكون الدجال ساحرا فيخيل الشيء بصورة عكسه.

وإما أن يجعل الله باطن الجنة التى يسخرها للدجال ناراً، وباطن النار جنه. قال وهذا هو الراجح.

وإما أن يكون ذلك كناية عن النعمة والرحمة بالجنة، وعن المحنة والنقمة بالنار، فمن أطاعه فأنعم عليه بجنته، يؤول أمره إلى دخول نار الآخرة، وبالعكس.

ويحتمل أن يكون لكل من جملة المحنة والفتنة، فيرى الناظر إلى ذلك من دهشته النار، فيظنها جنة، وبالعكس[2].

وقال النووى فى شرح مسلم: [قال العلماء:] هذا من جملة فتنته امتحن الله به عباده، ليحق الحق، ويبطل الباطل، ثم يفضحه[3].

وقال ابن القيم: قوله ε: **(سيجده ماء)** أى فى الحقيقة أو بالقلب، بحسب المآل –ويظهر والله أعلم– أن الله سبحانه يقلب حقيقتهما فى حق المؤمن والكافر، فينعكسان عليهما فإنه فى زمن الدجال تنخرق العادات، وتحدث أمور عظيمة[4].

وقال ابن كثير فى النهاية: والذى يظهر من الأحاديث المتقدمة أن الدجال يمتحن الله

---

(1) ينظر فتح البارى (100/13).
(2) ينظر فتح البارى (107/13) .
(3) شرح النووى لمسلم (50/18).
(4) لم أقف عليه.



به عباده بما يخلقه من الخوارق المشاهدة فى زمانه وهذا كله ليس بمخرقة بل له حقيقة امتحن الله به عباده فى ذلك الزمان(1).

2. تدرجه فى دعواه:

يخرج الدجال فيظهر أولا فى صورة ملك من الملوك الجبابرة ثم يدعِّى النبوة ثم يدعِّى الربوبية مع أن حاله يكذبه.

عن أبى أمامة τ قال: قال رسول الله ε: **(فإنى سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبى قبلى، إنه يبدأ فيقول: أنا نبى، ولا نبى بعدى، ثم يثنى فيقول: أنا ربكم، ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور)**(2).

3. قتله الشاب المؤمن ثم إحياؤه:

عن أبى سعيد الخدرى τ قال: قال رسول الله ε **(يأتى الدجال، وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهى إلى بعض السباخ التى بالمدينة فيخرج إليه يومئذ رجل، هو خير الناس -أو من خير الناس- فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته، هل تشكون فى الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت قط أشدَّ بصيرة منى اليوم، فيقول الدجال: أقتله، ولا يسلط عليه)**(3).

ولمسلم: **(يخرج الدجال، فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالح، مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد؟ فقال: أعمد إلى هذا الذى خرج فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه؟ قال فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس**

---

(1) النهاية فى الفتن (84/1).

(2) تقدم تخريجه، وهو عند ابن ماجة، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى، وصحح الألبانى بعضه وضعف بعضه.

(3) متفق عليه، أخرجه البخارى (1882 و7132)، ومسلم (2938).

و(سباخ المدينة): السباخ: هى الأرض التى لا تنبت المرعى.



هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ε "فيأمر الدجال به فيشج -وفى رواية: فيشبح- فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضربا قال: فيقول أما تؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب قال: فيؤمر به فيؤشر بالمئشار، من مفرقه، حتى يفرق بين رجليه" قال: "ثم يمشى الدجال بين القطعتين" قال: "ثم يقول له: قم فيستوى قائما" قال: "ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة" قال: "ثم يقول: أيها الناس، إنه لا يُفعل بعدى بأحد من الناس" قال: "فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا، فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذ بيديه ورجليه، فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقى به فى الجنة". فقال رسول الله ε (هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين)[1].

وإنما أقدره الله سبحانه على قتل الشاب ثم إحيائه فتنة للناس، فإن عندهم ما يدل على أنه مبطل فى دعواه، ألا وهو نقص الذات، ولا سيما العور فى عينيه، والفحج فى رجليه، ولو كان إلها حقا لأزال ذلك عن نفسه.

تنبيه: لا يسلط الدجال بالقتل والإحياء إلا على ذلك الشاب مرة واحدة، وما ورد عن حذيفة τ أن مع الدجال رجالا يقتلهم ثم يحييهم، فإنما هم شياطين، وقتله إياهم ثم إحياؤه لهم، إنما هو فى رأى العين، لا على الحقيقة. ويشهد لذلك ما يلى:

عن أبى أمامة τ فى حديثه السابق: (...**وإن من فتنته أن يقول للأعرابى: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك، أتشهد أنى ربك؟...**)[2].

وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ε فى بيتى، فذكر الدجال فقال: (**إن من أشد فتنته أنه يأتى الأعرابى، فيقول: أرأيت إن أحييت إبلك، ألست تعلم أنى ربك؟ فيقول: نعم. قال: فتتمثل له الشياطين نحو إبله، كأحسن ما تكون**

(1) أخرجها مسلم (2938) (113) وقوله (مسالح) المسالح جمع مسلحة وهم قوم معهم سلاح، وقوله: (فيشبح): أى: يمد على بطنه وقوله: (وشجوه) الشج: الجرح فى الرأس أو الوجه، وقوله: (ترقوته): الترقوة: العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق.

(2) تقدم ذكره قبل حديثين.

ضروعا، وأعظمه أسنمة، ويأتى الرجل، وقد مات أبوه ومات أخوه، فيقول: أرأيتَ إن أحييت لك أباك وأخاك، ألست تعلم أنى ربك؟ فيقول: بلى، فتتمثل له الشياطين نحو أبيه وأخيه)[1].

4. سرعة تنقله فى الأرض:

ومما أقدره الله عليه سرعة التنقل فى الأرض لتعم فتنته فهو يجوب الأرض كلها بسرعة عظيمة فى أربعين يوما، يأخذ البلاد بلداً بلداً، وإقليماً إقليماً وحصناً حصناً.

ففى حديث فاطمة بنت قيس رضى الله عنها – السابق أن الدجال قال لتميم τ: **(وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة)**[2].

وعن النواس بن سمعان τ فى حديثه السابق: (... **إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاًً، يا عباد الله فاثبتوا)** قلنا يا رسول الله وما لبثه فى الأرض؟ قال: **(أربعون يومًا)** قلنا: يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض ؟ قال: **(كالغيث استدبرته الريح)**[3].

الفرع الخامس - مسيرة الدجال فى الأرض والمدن التى يمنع من دخولها:

يخرج الدجال من جهة المشرق، من بلاد خراسان، فيتبعه أقوام كأن وجوههم المجان

---

(1) تقدم تخريجه، وقد رواه عبد الرزاق وأحمد والطبرانى فى الكبير ونعيم بن حماد فى الفتن، وفيه شهر بن حوشب، وفيه مقال، ووثقه بعضهم.

(2) تقدم تخريجه، وهو حديثها فى قصة تميم الدارى مع الجساسة والدجال، وقد رواه مسلم.

(3) تقدم تخريجه، ورواه مسلم.

المطرقة[1]. يعنى الترك.

ثم يكون بدء ظهوره من يهودية أصفهان حيث يخرج سبعون ألف يهودى مطيلس[2] لاستقباله ومناصرته، ثم ينحدر على أرض إيران فالعراق، وبعد خروجه من الخلة التى بين الشام والعراق، يتجه مسرعاً نحو الحجاز للاستيلاء على مكة والمدينة، ثم الخروج للعالم.

عن النواس بن سمعان τ –فى حديثه السابق–: **(... إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا)**[3].

والعيث: أشد الفساد مع الإسراع فيه. يقال عاث يعيث. والمعنى يبعث سراياه يمينا وشمالاً لتفسد فى الأرض. ويحاول جاهدا اقتحام المدينة غير أن الملائكة تمنعه من دخولها، ثم تصرف وجهه قبل الشام حتى يأتيها.

ما من مكان إلا سيطئوه الدجال، غير أربعة مكة والمدينة والقدس والطور.

ففى حديث فاطمة بنت قيس رضى الله عنها – السابق أن الدجال قال لتميم τ: **(فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، فهما محرمتان على كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة –أو واحدًا– منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتا، يصدنى عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها)**. قالت: قال رسول الله ε وطعن بمخصرته فى المنبر: **(هذه طيبة هذه طيبة –يعنى المدينة– ألا هل كنت حدثتكم عن ذلك؟ فقال الناس: نعم...) الحديث**[4].

وعن أنس τ قال: قال رسول الله ε: **(ليس من بلد إلا سيطئوه الدجال، إلا مكة**

---

(1) المجانّ، جمع مِجَنّ وهو الترس؛ لأنه يوارى حامله، والمطرَّقة: أى التى طرق عليها، والمقصود به هنا الترك.

(2) مطيلس: أى عليهم الطيلسان.

(3) تقدم تخريجه وهو فى صحيح مسلم.

(4) تقدم تخريجه بطوله وهو فى صحيح مسلم، وقوله: (صلتا): أى سلولا من غمده مهيئا للضرب، (أنقابها): جمع نقب، وهو طريق فى الجبل ويجمع على نقاب.



والمدينة، وليس من نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافِّين تحرسها...) الحديث[1].

وعن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال).**[2].

وعن أبى بكرة τ قال: **(لا يدخل المدينة رعبُ المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبوب، على كل باب ملكان)**[3].

وعنه τ: قال أكثر الناس فى شأن مسيلمة، فقال النبى ε: **(إنه كذاب من ثلاثين كذابا قبل الدجال، وإن ليس من بلد إلا يدخله رعب الدجال، إلا المدينة، على كل نقب من أنقابها ملكان، يذبان رعب المسيح)**[4].

وعن جنادة بن أبى أمية الأزدى قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبى ε فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله ε يذكر الدجال، ولا تحدثنا عن غيره، وإن كنت مصدقا. قال: خطبنا رسول الله ε فقال: (... **وإنه يمكث فى الأرض أربعين صباحا، يبلغ فيا كل منهل، ولا يقرب أربعة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، ومسجد الأقصى)**[5]... الحديث.

وأخرجه نعيم بن حماد فى الفتن بلفظ: **(إن الدجال يبلغ كل منهم إلا أربعة مساجد:**

---

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (1881 و7124 و7134 و7473)، ومسلم (2943).

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (1880 و5731 و7133)، ومسلم (1379).

(3) أخرجه البخارى (1879 و7125 و7126).

(4) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (20823)، وأحمد (20444 و20482)، وابن حبان فى صحيحه (6652) والطبرانى فى مسند الشاميين (3216)، والحاكم (8624، 8625)، وقال الهيثمى فى المجمع (332/7): رواه أحمد والطبرانى وأحد أسانيد أحمد والطبرانى رجاله رجال الصحيح. وضعفه محققو المسند ط. الرسالة.

(5) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (37506)، وأحمد (23139 و23733 و23735)، وقال الهيثمى فى المجمع (343/7): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.



مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد طور سيناء، ومسجد الأقصى)[1].

وعن سمرة بن جندب τ قال: قال رسول الله ε: **(.. وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرمين وبيت المقدس)**[2]...الحديث.

منزل الدجال بناحية المدينة:

يحاول الدجال اقتحام المدينة، غير أن الملائكة تصده عنها، وتمنعه من دخولها -كما سلف- فينزل مع عسكره بضاحيتها الشمالية خلف جبل أحد، وتمتد مخيماته فى السباخ التى هناك شرقا وغربا، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة، ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه، وأكثر ما يخرج إليه النساء، فتخلص المدينة من خبثها، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص.

وعن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(يأتى المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة، حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهناك يهلك)**[3].

وعن محجن بن الأدرع τ أن رسول الله ε خطب يوما فقال: **(يوم الخلاص، وما يوم الخلاص؟!)** -ثلاثا- فقيل له: وما يوم الخلاص؟ قال: **(يجىء الدجال، فيصعد أحدا، فينظر إلى أهل المدينة، فيقول لأصحابه: ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد، ثم يأتى المدينة، فيجد بكل نقب من نقابها ملكا مصلتا سيفه، فيأتى سبخة الجرف، فيضرب رواقه، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة، ولا**

---

(1) الفتن (1578).

(2) أخرجه ابن أبى شيبه فى مصنفه (37513)، وأحمد (20190)، وابن خزيمة فى صحيحه (1397)، وابن حبان فى صحيحه (354)، والطبرانى فى الكبير (6797، 6798، 6799)، والحاكم (1230) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقى فى الكبرى (6154)، وقال الهيثمى فى المجمع (341/7): رجال أحمد رجال الصحيح غير ثعلبة بن عباد وثقة بن حبان. أهـ. وضعف الحديث الألبانى فى تعليقه على ابن خزيمة، والأرنؤوط فى تعليقه على ابن حبان، ومحققو مسند الرسالة لجهالة ثعلبة بن عباد.

(3) أخرجه مسلم (1380).



فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه، فذلك يوم الخلاص)[1].

الفرع السادس - مدة لبث الدجال بعد خروجه:

ورد أن الدجال يمكث فى الأرض بعد خروجه أربعين يوما، يوم منها يعادل سنة، ويوم يعادل شهرا، وآخر يعادل أسبوعا، وسائر أيامه كأيامنا.

ففى حديث فاطمة بنت قيس رضى الله عنها أن الدجال قال لتميم τ "فأخرج فأسير فى الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة.."[2]...الحديث.

وفى حديث النواس بن سمعان τ قلنا: يا رسول الله، وما لبثه فى الأرض؟ قال: **(أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله، فذاك اليوم الذى كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره...)** الحديث[3].

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص τ قال: قال رسول الله ε: **(يخرج الدجال فى أمتى، فيمكث أربعين، فيبعث الله عيسى بن مريم، كأنه عروة بن مسعود الثقفى، فيطلبه، فيهلك)**.

وفى رواية: قال عبد الله: لا أدرى أربعين يوما، أو أربعين شهرا، أو أربعين عاما[4].

وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ε: **(يمكث الدجال فى الأرض أربعين سنة، السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كاضطرام**

---

(1) أخرجه أحمد (18996)، والحاكم (8631) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الهيثمى فى المجمع (308/3): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وضعفه محققو مسند الرسالة لانقطاعه؛ فعبد الله بن شقيق لم يسمع من محجن بن الأدرع.

(2) تقدم تخريجه وهو فى صحيح مسلم.

(3) تقدم تخريجه وهو فى صحيح مسلم.

(4) أخرجه مسلم (2940).



السعفة فى النـار)[1]. وزاد عبد الرزاق فى روايتـه: **(واليـوم كالسـاعة، والسـاعة كاضـطرام السعفة)**[2].

حـديث أبـى أمامـة τ **(وإن أيامــه أربعـون سـنة، السـنة كنصـف السـنة، والسـنة كالشـهر، والسـنة كالجمعـة، وآخـر أيامـه كالشـررة، يصـبح أحـدكم علـى بـاب المدينـة فـلا يبلـغ بابها الآخر حتى يمسى. فقيل: يا رسول الله، كيف نصلى فى تلك الأيام القصار؟ قال: تقدرون فيها الصلاة، كما تقدرونها فى هذه الأيام الطوال...** الحديث)[3].

مسلك العلماء فى اختلاف الروايات وحقيقة تلك الأيام:

للعلماء فى اختلاف تلك الروايات، وفى حقيقة تلك الأيام ثلاثة مسالك:

أ. ذهـب أكثـرهم إلـى التـرجيح: فحديث أبـى أمامـة τ: **(وآخـر أيامـه كالشـررة)** علـى صحته، فيه مقال، وهو يخالف حديث النواس الذى رواه مسلم وغيره، وهو صحيح كامل الصحة، لا كلام فى سنده، فيقدم على حديث أبى أمامه عند ابن ماجه، ولفظ الحديث فى مستدرك الحاكم يبين أن رواية ابن ماجه، وقع فيها اشتباه.

قـالوا: والحـديث علـى ظـاهرة، وهـذه الأيـام الثلاثـة طويلـة علـى القدر المـذكور فـى الحديث، يدل عليه قولـه ε: **(وسـائر أيامـه كأيـامكم)**. فامتداد الأيام الثلاثة على حقيقتـه، ولا امتنا ع فيه؛ لأن الله تعالى قادر على أن يزيد فى كل جزء من أجزاء اليوم الأول، حتـى يصير مقدار سنة، خارقا للعادة، كما يزيد فى أجزاء ساعة من ساعات اليوم[4].

قـال ابـن العربـى: "إن عاقبـة الشـمس والقمـر التكـوير، وآخـرة السـماوات والأرض الانفطار والتدمير، فكما يعدمها خالقها فلا تسير، يجوز أن يبطئها عن سرعتها، وينقص

---

(1) أخرجـه إسحاق بن راهويـه فى مسنده (2292)، وأحمد (27612، 27641) ومدار الحديث علـى شهر بن حوشب وفيه مقال ووثقه بعضهم.

(2) أخرجها عبد الرزاق فى مصنفه (20822)، وفيه شهر بن حوشب.

(3) تقدم تخريجه، وصححه الحاكم والذهبى، وصحح الألبانى بعضه وضعف بعضه.

(4) ينظر مرقاة المفاتيح (195/5).

من حركتها، فما كانت تقطعه فى يوم، تقطعه فى جمعة، ثم فى شهر، ثم فى سنة، أو يعكسه" وعليه، فإن لبث الدجال فى الأرض بعد خروجه سنة وشهران وعشرة أيام، ولعل الإسراع فى آخر الأيام نسبى والله أعلم.[1].

ب. **وذهب بعضهم إلى الجمع والتوفيق**:، وطريقة الجمع أن أيام الدجال أربعون سنة، وسميت السنين أياما مجازا، كما يقال أيام ابن الزبير، وأيام بنى أمية، وهكذا، ثم إن أول أيام السنة الأولى كسنة، وثانيها كشهر، وثالثها كجمعة، وباقى أيامه فى تلك السنة كأيامنا، ثم تتناقص أيام السنة الثانية، حتى تكون السنة كنصف السنة، وهكذا إلى أن تكون السنة كشهر، والشهر كجمعة، والجمعة كيوم، حتى يكون آخر أيامه كالشررة، يصبح أحدهم على باب المدينة، فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى، فتكون سنته الأولى مشتملة على مقدار سنتين من سنيننا، وتكون سنُّوه الأخيرة مقدار سنة من سنيننا.

قالوا: ويقرب هذا الجمع ما أخرجه نعيم بن حماد عن ابن مسعود τ مرفوعا أن الدجال يقول: **(أنا رب العالمين، وهذه الشمس تجرى بإذنى، أفتريدون أن أحبسها؟ فيحبس الشمس، حتى يجعل اليوم كالشهر، والجمعة كالسنة، ويقول: أتريدون أن أسيرها؟ فيجعل اليوم كالساعة)**[2].

وقد ورد من حديث أنس τ فى أشراط الساعة: **(حتى يقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة من النار)**[3].

جـ. **وذهب بعض آخر إلى أن هذه الأيام الطوال ليست على ظاهرها**، وإنما هى محمولة على المعنى المجازى، أى يهجم عليكم غم عظيم لشدة البلاء، وأيام البلاء يظنها

---

(1) الإشاعة فى أشراط الساعة صـ 130.

(2) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (1527). وقال السيوطى فى الدر المنثور (398/3): أخرجه نعيم بن حماد والحاكم وضعفه.

(3) أخرجه الترمذى (3232)، والطبرانى فى الأوسط (8904)، وقال الهيثمى فى المجمع: رواه الطبرانى فى الأوسط عن شيخه المقدام بن داود وهو ضعيف، وقد قيل: إنه وثق وبقيه رجاله وثقوا. والحديث صححه الألبانى فى الترمذى.



الإنسان طويلة، ثم يتناقص ذلك الغم فى اليوم الثانى، ثم يتناقص فى اليوم الثالث، ثم يعتاد البلاء[1].

واحتجوا بما يلى:

1. حديث أسماء رضى الله عنها السابق: **(يمكث الدجال فى الأرض أربعين سنة...)** الحديث. فذكر أربعين سنة، وإنما هى أربعون سنة فى الشدة والبلاء، وإلا فمكثه أربعون يوما[2].
2. حديث فاطمة فى قصة تميم رضى الله عنها: **(فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة)** فهو يؤكد أن مكثه فى الأرض أربعون يوما عادية، لكن لشدة الهول والبلاء والفتنة بخروجه، يكون اليوم الأول على الناس كسنة، والثانى كشهر، والثالث كأسبوع، ثم يألف الناس الحدث، وتذهب عنهم شدة الصدمة[3].
3. حديث أبى أمامة τ السابق: **(وإن أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والسنة كالجمعة...)**[4]... الحديث. فهذه الرواية يمكن الجمع بينها وبين الروايات الصحيحة التى تذكر أن مكثه أربعون يوما، بأن المراد أربعون سنة فى الشدة، وهى أربعون يوما فى المدة.
4. وإن حملها على الظاهر، يقتضى أن يكون هناك ليل طويل، يقابل هذه السنة فى مكان آخر من الأرض، والمعروف أن هذه الحالة لا تكون إلا عند طلوع الشمس من مغربها[5].

قال بعضهم: التحقيق أن الدجال؛ لما يأتى به من تمويهات وشبهات، يسلب بها عقول الناس، فيحسبون أن الليل لم يمد عليهم ستره، وأن الشمس لا تطوى عنهم

---

(1) التذكرة (800/2).

(2) تقدم تخريجه.

(3) تقدم تخريجه وهو عند مسلم.

(4) تقدم تخريجه.

(5) ينظر: المسيح المنتظر ونهاية العالم صـ 153.



ضياءها، فيتحيرون بهذه المتاهات، فيقدرون لكل صلاة قدرها[1].

موازنة:

وهذا القول يرده قول الصحابة τ: أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: **(لا، اقدروا له قدره)** أى قدروا الأوقات للصلوات، وصلوا فيه أكثر من خمس صلوات. ولو كان فهمهم خطأ لردهم النبى ε إلى الصواب، ووضح لهم حقيقة تلك الأيام[2].

تقدير أوقات الصلاة فى الأيام غير العادية: وقوله ε: **(اقدروا له)** معناه أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينها وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، فإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح، ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب، وهكذا حتى ينقضى ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة، كلها مؤداة فى وقتها، وأما اليوم الثانى الذى كشهر، والثالث الذى كجمعة، فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول.

وهذا حكم فقهى للحالات التى تكون فيها الأيام غير عادية، كأيام القطب الشمالى والجنوبى، حيث يكون النهار ستة أشهر، والليل ستة أشهر. وكذلك الأيام القصار، الحكم فيها حكم صاحب الشرع، فالأوقات عند الإشكال تصلى بالتقدير والتحرى.

ولولا هذا الحديث، ووكلنا إلى اجتهادنا، لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس، عند الأوقات المعروفة فى غيره من الأيام، لأن سبب وجوب كل صلاة إنما هو وقتها المقدر والمعلم بحدث، كطلوع الفجر ودلوك الشمس وغروبها وغير ذلك. وهذا لا يتصور إلا بتحقيق تعدد الأيام والليالى على وجه الحقيقة، وهو مفقود فى ذلك اليوم ومثله[3].

---

(1) مرقاة المفاتيح (195/5).

(2) التذكرة صـ 771.

(3) التذكرة صـ 770.



الفرع السابع ـ هل الدجال هو ابن صياد؟[1]:

قال النووى رحمه الله: يقال لـه ابن صياد وابن صائد وسمى بهما فى هذه الأحاديث واسمه صاف، قال العلماء: وقصته مشكلة وأمره مشتبه فى أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره، ولاشك فى أنه دجال من الدجاجلة"[2].

وقد ورد فى شأن ابن صياد عدة أحاديث توضح كيف كانت قصته منها ما يلى:

عن عبد الله قال: كنا نمشى مع النبى ε فمر بابن صياد. فقال لـه رسول الله ε: **(قد خبأت لك خبيئا)** فقال: دخ. فقال رسول الله ε: **(اخسأ. فلن تعدو قدرك)** فقال عمر: يا رسول الله! دعنى فأضرب عنقه. فقال رسول الله ε: **(دعه. فإن يكن الذى تخاف، لن تستطيع قتله)**[3].

عن عبد الله بن عمر؛ أن عمر بن الخطاب. انطلق مع رسول الله ε فى رهط قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أطم بنى مغالة. وقد قارب ابن صياد، يومئذ، الحلم. فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ε ظهره بيده. ثم قال رسول الله ε لابن صياد **(أتشهد أنى رسول الله؟)** فنظر إليه ابن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأميين. فقال ابن صياد لرسول الله ε: أتشهد أنى رسول الله؟ فرفضه رسول الله ε وقال: **(آمنت بالله وبرسله)**. ثم قال لـه رسول الله ε: **(ماذا ترى؟)** قال ابن صياد: يأتينى صادق وكاذب.

---

(1) قال ابن كثير فى النهاية: كان ابن صياد من يهود المدينة، ولقبه عبد الله، ويقال لـه: صاف، ولـه ولد اسمه عمارة بن عبد الله، من سادات التابعين، روى عنه مالك وغيره، والصحيح أن الدجال غير ابن صياد، وأن ابن صياد كان دجالا، ثم تاب فأظهر الإسلام، والله أعلم بضميره وسريرته. [انظر النهاية فى الفتن 88/1]

(2) شرح النووى على مسلم (38/18).

(3) أخرجه مسلم (2924)، وأخرجه البخارى من حديث ابن عمر (6618).

وقوله: (الدخ) هى لغة فى الدخان والمقصود آية الدخان: وهو قوله تعالى: **[فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ]** (الدخان: 10).



فقال لـه رسول الله ع: **(خلط عليك الأمر)**. ثم قال لـه رسول الله ع: **(إنـى قد خبَّأت لك خبيئـا) فقال ابن صياد (هو الدخ)** فقال لـه رسول الله ع: **(اخسأ. فلـن تعدو قدرك)** فقال عمر بن الخطاب: ذرنى يا رسول الله أضرب عنقه. فقال لـه رسول الله ع: **(إن يكنـه فلن تسلط عليه. وإن لم يكنه فلا خير لك فى قتله)**[1].

وقال سالم: سمعت عبد الله بن عمر يقول: "انطلق بعد ذلك رسول الله ع وأبى بن كعب الأنصارى إلى النخل التى فيها ابن صياد. حتى إذا دخل رسول الله ع النخل، طفق يتقى بجذوع النخل. وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئا، قبل أن يراه ابن صياد. فرآه رسول الله ع وهو مضطجع على فراش فى قطيفة، له فيها زمزمة.

فرأت أم ابـن صـياد رسـول الله ع وهـو يتقـى بجـذوع النخـل. فقالـت لابـن صـياد: يـا صـاف (وهو اسم ابن صياد) هذا محمد. فثار ابن صياد. فقال رسول الله ع: **(لـو تَرَكَتْـهُ بَيَّنَ)**[2].

وعن أبى سعيد قال: لقيه رسول الله ع وأبو بكر وعمر فى بعض طرق المدينة. فقال له رسول الله ع: **(أتشـهد أنـى رسـول الله؟)** فقال هو: أتشهد أنـى رسول الله؟ فقال: رسول الله ع: **(آمنت بـالله وملائكتـه وكتبـه. مـا ترى؟)** قال: أرى عرشًا على الماء. فقال رسول الله ع: **(ترى عرش إبليس علـى البحر. ومـا ترى؟)** قال: أرى صادقين وكاذبا أو كاذبين وصادقا. فقال رسول الله ع: **(لبس عليه. دعوه)**[3].

---

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (1354 و3055 و6173) ومسلم (2930).
وقوله (أطم) أى: حصن، وقوله: (فرفض) أى: ترك سؤاله الإسلام ليأسه منه حينئذ. ورويت فرفصه ومعناه واضح، ورويت فرصة أى: ضغطه حتى ضم بعضه إلى بعض.

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (1355 و2638 و3303 و3056 و6174)، ومسلم (2931).
وقولـه: (يختل) أى: يخدع ابن صياد ويستغفله. وقولـه: (زمزمـة): صوت خفى لا يفهم أو لا يكاد يفهم، وقوله: (لو تركته بيَّن) قال أبى بن كعب فى رواية لمسلم من هذا الحديث: أى: لو تركته أمه بيَّنَ أمره.

(3) أخرجه مسلم (2925) وقوله: (لُبس عليه) بضم اللام وتخفيف الباء أى: خلط عليه أمره.



وعن أبى سعيد الخدرى قال: صحبت ابن صائد إلى مكة. فقال لى: أما قد لقيت من الناس. يزعمون أنى الدجال. ألستَ سمعت رسول الله ε يقول: **(إنه لا يولد له ؟)** قال: قلت: بلى. قال: فقد ولد لى. أو ليس سمعت رسول الله ε يقول: **(لا يدخل المدينة ولا مكة ؟)** قلت: بلى. قال: فقد ولدت بالمدينة. وهذا أنا أريد مكة. قال: ثم قال لى فى آخر قوله: أما، والله! إنى لأعلم مولده ومكانه وأين هو. قال: فلَبَسنى.

وعنه τ قال: قال لى ابن صائد، وأخذتنى منه ذمامة: هذا عذرت الناس. مالى ولكم؟ يا أصحاب محمد! ألم يقل نبى الله ε: **(إنه يهودي)** وقد أسلمت. قال: **(ولا يولد له)** وقد ولد لى. وقال: **(إن الله قد حرم عليه مكة)** وقد حججت.

قال: فما زال حتى كاد أن يأخذَ فِيَّ قولُه. قال: فقال له: أما، والله! إنى لأعلم الآن حيث هو، وأعرف أباه وأمه، قال: وقيل له: أيسرك أنك ذاك الرجل؟ قال: فقال: لو عرض على ما كرهت.

وعنه τ قال: قال: خرجنا حجاجا أو عمارا ومعنا ابن صائد. قال فنزلنا منزلا. فتفرق الناس وبقيت أنا وهو. فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه. قال وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعى. فقلت: إن الحر شديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة. قال ففعل. قال فرفعت لنا غنم. فانطلق فجاء بعس. فقال: اشرب. أبا سعيد! فقلت: إن الحر شديد واللبن حار. ما بى إلا أنى أكره أن أشرب عن يده –أو قال: آخذ عن يده– فقال: أبا سعيد! لقد هممت أن آخذ حبلا فأعلقه بشجرة ثم أختنق مما يقول لى الناس، يا أبا سعيد! من خفى عليه حديث رسول الله ε ما خفى عليكم، معشر الأنصار! ألستَ من أعلم الناس بحديث رسول الله ε؟ أليس قد قال رسول الله ε: **(هو كافر)** وأنا مسلم؟ أوليس قد قال رسول الله ε: **(هو عقيم لا يولد له)** وقد تركت ولدى بالمدينة؟ أو ليس قد قال رسول الله ε: **(لا يدخل المدينة ولا مكة)** وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة؟

قال أبو سعيد الخدرى: حتى كدت أن أعذره. ثم قال: أما، والله! إنى لأعرفه وأعرف

مولده وأين هو الآن، قال أبو سعيد: قلت له: تبًّا لك سائر اليوم[1].

وعن نافع، قال: لقى ابن عمر ابن صائد فى بعض طرق المدينة. فقال له قولا أغضبه. فانتفخ حتى ملأ السكة. فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها. فقالت له: رحمك الله! ما أردت من ابن صائد؟ أما علمت أن رسول الله ε قال **(إنما يخرج من غضبه يغضبها)**؟

وفى رواية عنه، قال: كان نافع يقول: ابنَ صياد، قال: قال ابن عمر: لقيته مرتين. قال فلقيته فقلت لبعضهم: هل تحدثون أنه هو؟ قال: لا. والله! قال: قلت: كذبتنى. والله! لقد أخبرنى بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالا وولدا. فكذلك هو زعموا اليوم. قال فتحدثنا ثم فارقته. قال فلقيته لقية أخرى وقد نفرت عينه. قال فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدرى.قال قلت: لا تدرى وهى فى رأسك؟ قال: إن شاء الله خلقها فى عصاك هذه. قال فنخر كأشد نخير حمار سمعت. قال فزعم بعض أصحابى أنى ضربته بعصا كانت معى حتى تكسرت. وأما أنا، فوالله! ما شعرت.

قال: وجاء حتى دخل على أم المؤمنين. فحدثها فقالت: ما تريد إليه؟ ألم تعلم أنه قد قال **(إن أول ما يبعثُهُ على الناس غضبٌ يغضبه)**[2].

عن محمد بن المنكدر، قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله؛ أن ابن صائد الدجالُ. فقلت: أتحلف بالله؟ قال: إنى سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبى ε. فلم

---

(1) أخرج الروايا الثلاث مسلم (2927).

قوله: (فلبسني): أى: جعلنى ألتبس فى أمره، قوله (فأخذتنى منه ذمامة) هو ذمامة بذال معجمة مفتوحة ثم ميم مخففة أى حياء وإشفاق من الذم واللوم. قوله: (حتى كاد أن يأخذَ فِيَّ قولُه) هو بتشديد (فى) وقوله مرفوع وهو فاعل يأخذ أى: يؤثِّر فى وأصدقه فى دعواه. قوله: (فجاء بعس) هو بضم العين وهو القدح الكبير وجمعه عساس بكسر العين وأعساس.

وقوله: (تبا لك سائر اليوم) أى: خسرانا وهلاكا لك فى باقى اليوم وهو منصوب بفعل مضمر متروك الإظهار.

(2) أخرجه مسلم (2932).

ينكره النبى ε[1].

قال النووى رحمه الله: (قال العلماء: "وظاهر الأحاديث أن النبى ε لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره وإنما أوحى إليه بصفات الدجال وكان فى ابن صياد قرائن محتملة فلذلك كان النبى ε لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره، ولهذا قال لعمر τ: إن يكن هو فلن تستطيع قتله. وأما احتجاجه هو بأنه مسلم والدجال كافر وبأنه لا يولد للدجال وقد ولد له هو، وأن لا يدخل مكة والمدينة وأن ابن صياد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة فلا دلالة له فيه، لأن النبى ε إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه فى الأرض ومن اشتباه قصته وكونه أحد الدجاجلة الكذابين. قوله ε: **(أتشهد أنى رسول الله)** ودعواه أنه يأتيه صادق وكاذب، وأنه يرى عرشا فوق الماء، وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال وأنه يعرف موضعه. وقوله: إنى لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن وانتفاخه حتى ملأ السكة. وأما إظهاره الإسلام وحجه وجهاده وإقلاعه عما كان عليه فليس بصريح فى أنه غير الدجال".

قال الخطابى: واختلف السلف فى أمره بعد كبره فروى عنه أنه تاب من ذلك القول ومات بالمدينة وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس وقيل لهم اشهدوا، قال: كان ابن عمر وجابر فيما روى عنهما يحلفان أن ابن صياد هو الدجال لا يشكان فيه فقيل لجابر: إنه أسلم فقال وإن أسلم، فقيل: إنه دخل مكة وكان فى المدينة، فقال: وإن دخل..

قال البيهقى: فى كتابه البعث والنشور: اختلف الناس فى أمر ابن صياد اختلافا كثيرا هل هو الدجال؟ قال: ومن ذهب إلى أنه غيره احتج بحديث تميم الدارى فى قصة الجساسة الذى ذكره مسلم بعد هذا، قال: ويحوز أن توافق صفة ابن صياد صفة الدجال

---

(1) أخرجه مسلم (2929).

قال النووى فى شرح مسلم (45/18): استدل به جماعة على جواز اليمين بالظن وأنه لا يشترط فيها اليقين وهذا متفق عليه عند أصحابنا، حتى لو رأى بخط أبيه الميت أن له عند زيد كذا وغلب على ظنه أنه خطه ولم يتيقن جاز الحلف على استحقاقه.

كما ثبت فى الصحيح أن أشبه الناس بالدجال عبد العزى بن قطن وليس كما قال، وكان أمر ابن صياد فتنة ابتلى الله تعالى بها عباده فعصم الله تعالى منها المسلمين ووقاهم شرها، قال: وليس فى حديث جابر أكثر من سكوت النبى ε لقول عمر فيحتمل أنه ε كان كالمتوقف فى أمره ثم جاءه البيان أنه غيره كما صرح به فى حديث تميم، هذا كلام البيهقى وقد اختار أنه غيره، وقد قدمنا أنه صح عن عمر وعن ابن عمر وجابر رضى الله عنهم أنه الدجال والله أعلم)[1].

قال الخطابى: اختلف الناس فى أمر ابن صياد اختلافا شديدا، وأشكل عليهم أمره والذى عندى أن هذه القصة – أى امتحان النبى ε لابن صياد بما سأله له من آية الدخان. ثم قال له: اخسأ، فلن تعدو قدرك – إنما جرت معه أيام مهادنته ε اليهود وحلفاءهم، وكان ابن صياد منهم أو دخيلا فى جملتهم، وكان يبلغ رسول الله ε خبره وما يدعيه من الكهانة، ويتعاطاه من الغيب، فامتحنه بذلك. وقد اختلفت الروايات فى كفره، وفيما كان من شأنه بعد كبره، فروى أنه تاب عن ذلك القول، ثم مات بالمدينة، وروى غير ذلك، وأنه فقد يوم الحرة، فلم يجدوه. فكان فتنة امتحن الله به المؤمنين، كما امتحن قوم موسى عليه السلام بالعجل[2].

وقال ابن كثير: "والصحيح أن الدجال غير ابن صياد، وأن ابن صياد كان دجالا ثم تاب فأظهر الإسلام، والله أعلم بضميره وسريرته"[3].

الفرع الثامن - سبل النجاة من فتنة الدجال:

تكون العصمة من فتنته باتباع الطرق التالية التى علمنا إياها رسول الله ε:

1. التسلح بالإيمان، والتمسك بالإسلام، والتزود بالتقوى، والإكثار من ذكر الله؛ تهليلا وتسبيحا وتكبيرا واستغفارا، فإنه قوت المسلم فى تلك الشدة، وحماية له منه.

---

(1) ينظر شرح النووى لمسلم (39/18).

(2) انظر التذكرة (صـ 778، 790، 891).

(3) النهاية فى الفتن (88/1).



عن أسماء بنت عميس رضى الله عنها فى حديثها الطويل عن النبى ε أنه قال: **(إن الله يعصم المؤمنين يومئذ بما عصم به الملائكة من التسبيح)**[1].

2. التعوذ من فتنته دائما، وبخاصة الدعاء الذى كان يقوله النبى ε آخر كل صلاة، وأمر أمته بالدعاء به والمحافظة عليه.

عن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(إذا تشهد أحدكم، فليستعذ بالله من أربع؛ يقول: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، وفتنة المحيا وفتنة الممات، وفتنة المسيح الدجال)**[2].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ε كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم سورة من القرآن، **(قولوا: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات)**[3].

فمن استعاذ بالله أعاذه ووقاه.

وعن أبى قلابة عن رجل من الصحابة رضى الله عنهم أن رسول الله ε قال: **(...وإنه سيقول أنا ربكم، فمن قال: لست بربنا، ولكن ربنا الله، عليه توكلنا، وإليه أنبنا، نعوذ بالله من شرك، لم يكن له عليه سلطان)**[4].

3. حفظ سورة الكهف، أو عشر آيات من أولها أو من آخرها.

---

(1) أخرجه الطبرانى فى الكبير (157/24) (رقم 402).
وقال الهيثمى فى المجمع (346/7): رواه الطبرانى وفيه راو لم يسم وبقية رجاله رجال الصحيح.

(2) أخرجه مسلم (588).

(3) أخرجه مسلم (590).

(4) أخرجه عن رجل من الصحابة أحمد (23207 و23534)، ونعيم بن حماد فى الفتن (1449)، وقال الهيثمى فى المجمع (343/7): رجاله رجال الصحيح، وصححه الألبانى فى الصحيحة (2808) ومحققو مسند الرسالة.
وأخرجه عن أبى قلابة عن هشام بن عامر عبد الرزاق فى مصنفه (20828)، وأحمد (16304)، والحاكم (8551) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الهيثمى فى المجمع (342/7): رجاله رجال الصحيح.



عن أبى الدرداء τ قال: قال رسول الله ε: **(من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال).**

وفى رواية: **(من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال)**[1].

فعلى المسلم أن يحرص على حفظها كلها أو على قراءتها وترديدها، لاسيما يوم الجمعة.

4. السكنى بإحدى المدن التى يمنع من دخولها إن استطاع ذلك، وهى مكة والمدينة والمسجد الأقصى ومسجد الطور كما سلف.

5. الابتعاد عنه والفرار من أمامه. فمن سمع بظهوره، ولم يستطع أن يلجأ إلى إحدى تلك المكن، فليفر من أمامه ولينأ عنه، مع لزوم الذكر والدعاء، فإنه لا يضره بإذن الله.

عن عمران بن حصين τ أن رسول الله ε قال: **(من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه، وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما – أو لما – يبعث به من الشبهات)**[2].

وعن أم شريك رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله ε يقول: **(ليفرن الناس من الدجال فى الجبال)**[3].

6. من لم يستطع الفرار منه، وأصبح أسيرا لديه أو ابتلى بلقائه، فليستعن بالله، وليقرأ عليه فواتح سورة الكهف وسورة الفاتحة، فلن يضره بإذن الله.

عن النواس بن سمعان τ فى حديثه السابق: **(... فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف)**[4].

وعن جبير بن نفير عن أبيه τ أن رسول الله ε ذكر الدجال فقال: **(فمن لقيه منكم،**

---

(1) أخرجه مسلم (809).

(2) تقدم تخريجه، وقد رواه أحمد وغيره وصححه الحاكم والذهبى والألبانى.

(3) أخرجه مسلم (2945).

(4) تقدم تخريجه، وهو فى صحيح مسلم.



فليقرأ عليه بفاتحة الكتاب)[1].

7. فإذا واجهه وجادله، فليتذكر أن النبى ε أخبر عنه وحذر منه، ووصفه بالعيب فى عينيه وجسمه، فهى معجزة للنبى ε يراها الآن رأى العين، ثم ليتفل فى وجهه، فإذا ألقاه فى ناره، فليغمض عينيه، وليستعن بالله، تكن عليه برداً وسلاماً.

عن أبى أمامة τ فى حديثه السابق: **(فمن ابتلى بناره، فليستغث بالله، وليقرأ فواتح سورة الكهف، فتكون عليه بردا، وسلاما، كما كانت النار على إبراهيم بردا وسلاما)**. وفى رواية عند الطبرانى: **(من لقيه منكم فليتفل فى وجهه)**. وعند نعيم بن حماد فى الفتن: **(فمن لقيه منكم فليتفل فى وجهه، وليقرأ عليه فواتح سورة الكهف)**[2].

---

(1) قال الهيثمى فى المجمع (350/7): رواه الطبرانى وفيه عبد الله بن صالح، وقد وثق وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات، وعند الحاكم (8614) من حديثه: **(فليقرأ بفاتحة الكهف)** وصححه ووافقه الذهبى.

(2) تقدم تخرجيه فى أول الحديث عن الدجال وقد رواه ابن ماجه والطبرانى ونعيم بن حماد وغيرهم وصححه الحاكم وأقره الذهبى وصحح أكثره الألبانى بشواهده.

الأمارة الثانية
نزول عيسى بن مريم عليه السلام

وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: أدله نزوله من الكتاب والسنة.

الفرع الثانى: صفات المسيح عليه السلام.

الفرع الثالث: وقت نزوله ومكانه.

الفرع الرابع: أعمال المسيح عليه السلام بعد نزوله.

الفرع الخامس: موت المسيح عليه السلام.



الفرع الأول ـ أدلة نزوله من الكتاب والسنة:

يعتقد المسلمون أن عيسى عليه السلام رفعه الله إلى السماء، وسوف ينزل فى آخر الزمان، ويحكم بشريعة محمد ε مع اتصافه بالنبوة، وسوف يقتل الدجال ويدعو إلى الإسلام.

ونزوله عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة المتواترة تواترا معنويا. ومن ذلك ما يلى:

1. قال تعالى: **[وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ {54} إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ]** (آل عمران: 54، 55).

أشارت الآية إلى أنه معصوم من القتل الذى أراده له اليهود، وصرحت بأنه سيرفع إلى السماء، وأشارت إلى نزوله على الأرض ووفاته فيها.

2. وقال سبحانه: **[وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا]** [النساء: 159).

أى إن من أهل الكتاب، من سيؤمن بعيسى عليه السلام إيمانا صحيحا بعد نزوله من السماء فى آخر الزمان قبل موته[1]. فهو الآن لم يمت، بل رفع إلى السماء، وسينزل

(1) اختلف المفسرون فى عود هذا الضمير: ذهب بعضهم –ومنهم ابن كثير واختاره الطبري– إلى أنه يعود إلى عيسى عليه السلام فيكون المعنى: لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بعيسى قبل موت عيسى، عندما ينزل قرب قيام الساعة. وقد جاءت بذلك أحاديث صحيحة. وذهب بعض آخر وهو اختيار الزمخشرى وأبى السعود والجلال فى الجلالين إلى أن الضمير يعود إلى أهل الكتاب، ويؤيده قراءة أبى رضى الله عنه "قبل موتهم"، أى ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليدرك حقيقة عيسى قبل موته، وأنه عبد الله ورسوله، فلا تخرج روحه حتى يؤمن به. فهذا فهم، وذاك فهم، وكلاهما يدل على أنه لم يقتل، وقد رفع إلى السماء، وسوف ينزل بإذن الله. ينظر تفسير هذه الآية عند ابن كثير، وانظر النهاية لابن كثير (93/1، 94، 114).

وروى السيوطى فى الدر المنثور (734/2) عن محمد بن الحنيفة أنه قال: ليس من أهل الكتاب أحد إلا أتته الملائكة يضربون وجهه ودبره، ثم يقال: يا عدو الله، إن عيسى روح الله وكلمته كذبت الله



بأمر الله فى آخر الزمان ويؤمن به أهل الكتاب قبل أن يموت.

عن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(والذى نفسى بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها. ثم يقول أبو هريرة τ:اقرؤوا إن شئتم: [وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ] ... الآية)**[1].

وعن ابن عباس τ قال: قبل موت عيسى عليه السلام[2].

وأخرج ابن جرير أيضا عنه أنه قال: يعنى أنه سيدركه أناس من أهل الكتاب حين يبعث، فيؤمنون به[3].

وعن قتادة قال: إذا نزل آمنت به الأديان كلها، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أنه قد بلغ رسالة ربه، وأقر على نفسه بالعبودية[4].

وعن الحسن قال: قبل موت عيسى، إن الله رفع عيسى، وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاما، يؤمن به البر والفاجر[5]. أهـ[6]

3. وقال جل جلاله: **[إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ**

=

وزعمت أنه الله، إن عيسى لم يمت، وإنه رفع إلى السماء، وهو نازل قبل أن تقوم الساعة. فلا يبقى يهودى ولا نصرانى إلا أمن به.

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (2222 و2476 و3448 و3449)، ومسلم (155).

(2) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره "جامع البيان" (18/6)، وابن أبى حاتم فى تفسيره (6254)، والضياء فى المختارة (250)، وصححه الحافظ فى الفتح (568/6).

(3) جامع البيان (19/6).

(4) أخرجه ابن جرير فى جامع البيان (19/6)، والسيوطى فى الدر المنثور (734/2).

(5) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (6251).

(6) قال ابن جرير فى تفسيره بعد ذكره أدلة كل قول مما سبق (21/6). وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال: تأويل ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن بعيسى قبل موت عيسى. أ هـ وقال ابن كثير فى تفسيره (577/1): "وهو القول الحق" وقال أيضا (578/1): "ولا شك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآية...."



الْمَسِيحُ عيسى بن مريم وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ {45} وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ] (آل عمران: 45، 46).

4. وقال جل شأنه: **[إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عيسى بن مريم اذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلاً]** (المائدة: 110).

أشارت الآيتان إلى نزوله، وذلك بذكرهما أنه يكلم الناس بالدعوة إلى الله، وهو كهل، قد رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة على الصحيح، والكهولة فوق هذه السن[(1)].

روى ابن جرير عن أبى زيد قال: كلمهم عيسى عليه السلام فى المهد، وسيكلمهم إذا قتل الدجال، وهو يومئذ كهل[(2)].

5. وقال تقدست أسماؤه: **[وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ {57} وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ {58} إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِى إِسْرَائِيلَ {59} وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِى الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ {60} وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ]** (الزخرف: 57–61).

أى إن نزوله علامة على قرب الساعة، لأن الله سبحانه، ينزله قبلها.

عن ابن عباس τ قال: خروج عيسى قبل يوم القيامة[(3)].

وفى رواية: نزول عيسى[(4)].

---

(1) الكهل من جاوز الثلاثين وخطه الشيب، وقيل: من جاوز الأربعين.

(2) جامع البيان (272/3).

(3) أخرجه ابن أبى شيبه فى مصنفه (31874)، وأحمد (2921). والطبرى فى تفسيره (90/25)، وابن أبى حاتم فى تفسيره (18518)، والطبرانى فى الكبير (12740)، والحاكم (3003، 3675) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أهـ. وحسن إسناده محققو مسند الرسالة.

(4) أخرجها ابن جرير فى تفسيره (90/25)، وابن أبى حاتم (1758).



عن قتادة قال: نزول عيسى علم للساعة[1].

6. عن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم حكما مقسطا، وإماما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد)**[2].

7. وعن جابر بن عبد الله τ قال: قال رسول الله ε: **(لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة، فينزل عيسى، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة)**[3].

8. وعن حذيفة بن أسيد الغفارى τ فى حديثه السابق: **(إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة ونزول عيسى بن مريم ..)** الحديث[4].

9. وعن جبير بن نفير قال: قال رسول الله ε: **(ليدركن الدجال قوما مثلكم أو خيرا منكم، ولن يخزى الله أمة أنا أولها، وعيسى بن مريم آخرها)**[5].

الفرع الثانى - صفات المسيح عليه السلام:

عن أبى هريرة τ أن رسول الله ε قال عن المسيح عليه السلام: **(ليس بينى وبينه نبى، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع، إلى الحمرة والبياض، ينزل بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام..)**

---

(1) أخرجها ابن جرير فى تفسيره (91/25)، وأبو عمرو الدانى فى السنن الواردة فى الفتن (692).

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (2222 و2476 و3448 و3449)، ومسلم (155).

(3) أخرجه مسلم (156).

(4) تقدم تخريجه، هو عند مسلم (2901).

(5) أخرجه الحاكم (4351) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبى: مرسل وهو خبر منكر. قال الحافظ فى الفتح (9/7): وقد روى ابن أبى شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير أحد التابعين بإسناد حسن قال: قال رسول الله ε: **(ليدركن المسيح أقواما إنهم لمثلكم أو خير -ثلاثا- ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها)**. وضعفه الألبانى فى الضعيفة (4372).



الحديث[1].

وعنه τ قال: قال رسول الله ε: **(الأنبياء إخوة لعلات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم؛ لأنه لم يكن بينى وبينه نبى، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع، إلى الحمرة والبياض، سبط، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، بين ممصرتين..)** الحديث[2].

وعنه τ قال فى ذكر ليلة أسرى به: **(... ولقيت عيسى)**. ونعته فقال: **(ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس)**[3].

وعن النواس بن سمعان τ فى حديثه السابق عن الدجال: **(... فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء، شرقى دمشق، بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطا رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ... الحديث)**[4].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ε قال: **(ورأيت عيسى بن مريم، مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس... الحديث)**[5].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ε قال: **(رأيت عيسى وموسى**

---

(1) أخرجه أبو داود (4324). وقال الألبانى فى تعليقه عليه: صحيح.

وقوله: "مربوع": هو الرجل بين الرجلين فى القامة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحقير، وقوله: "ممصرتين" هى الثياب التى فيها صفرة خفيفة.

(2) أخرجه ابن أبى شيبه (37526)، وعبد الرزاق (20845) وأحمد (9259 و9630)، وابن حبان (6814 و6821) والحديث صححه العلامة أحمد شاكر فى تعليقه على المسند، وقال ابن كثير فى النهاية (96/1): إسناده جيد قوى.

(3) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (3394 و3437 و4709)، ومسلم (168).

وقوله (ديماس) أى: حمام.

(4) تقدم تخريجه مرارا وهو فى صحيح مسلم.

(5) متفق عليه: أخرجه البخارى (3239 و3396)، ومسلم (165).



وإبراهيم، فأما عيسى، فأحمر جعد عريض الصدر...) الحديث[1].

وعنه رضى الله عنهما أن رسول الله ε قال: **(بينما أنا نائم أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر، يهادى بين رجلين، ينطف -أو يهراق- رأسه ماء، فقلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم، ثم ذهبت ألتفت..)** الحديث[2].

وفى رواية لهما: قال: ذكر رسول الله ε يوما بين ظهرانى الناس المسيح الدجال... وقال: **(أرانى الليلة فى المنام عند الكعبة، فإذا رجل آدم، كأحسن ما ترى من أدم الرجال، تضرب لمته منكبيه، رجل الشعر، يقطر رأسه ماء، واضعا يديه على منكبى رجلين، هو بينهما يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح ابن مريم...)** الحديث.

وفى رواية لهما: **(أرانى الليلة عند الكعبة، فرأيت رجلا آدم، كأحسن ما أنت راءٍ من أدم الرجال، سبط ينطف)**.

زاد فى رواية: **(له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم[3]،. قد رجلها، فهى تقطر ماء، متكئا على رجلين أو على عواتق رجلين يطوف بالبيت، فسألت: من هذا؟ فقيل: هذا المسيح ابن مريم)**.

وفى رواية: **(لمته بين منكبيه، رَجِلُ الشعر، يقطر رأسُه ماءً)**[4].

وعن جابر بن عبد الله τ أن رسول الله ε قال: **(عرض على الأنبياء.. ورأيت عيسى بن مريم، فإذا أقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود... الحديث)**[5].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ε قال: **(يخرج**

---

(1) أخرجه البخارى (3438)، ومسلم (169)، واللفظ للبخارى.

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (3441 و7026 و7128) ومسلم (171).

(3) اللُّمم: جمع لمة وهو الشعر المجاوز شحمة الأذن.

(4) تنظر هذه الروايات فى الصحيحين كما فى الحاشية قبل السابقة.

(5) أخرجه مسلم (167).



الدجال فى أمتى.. فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم، كأنه عروة بن مسعود [الثقفي]، فيطلبه فيهلكه... الحديث)[1].

وكان عروة بن مسعود مشهورًا بجمال الطلعة والنظافة وحسن الهيئة.

ومن خلال تلك الأحاديث تتبين صفاته التالية:

1. ينزل واضعا كفيه على أجنحة ملكين.
2. ينزل لابسا ثوبين، إزارا ورداء، يميل لونهما إلى الصفرة. وهما المهرودتان أو الممصرتان.
3. قامته معتدلة، فهو مربوع، ليس بالطويل ولا بالقصير.
4. لون بشرته أبيض مشرَّب بحمرة.
5. شعر رأسه ناعم مسترسل، تملأ لمته ما بين منكبيه، وقد سرحها، فظهر حسنها.
6. ينزل فى غاية من النظافة، كأنه خرج من حمام، يقطر رأسه وإن لم يصبه بلل، فإذا طأطأه قطر منه الماء، وإذا رفعه تحدر منه مثل حبات اللؤلؤ.
7. عريض الصدر، وهذا من كمال الأجسام.
8. وهو شاب ابن ثلاث وثلاثين، وهى السنة التى رفعه الله عندها.
9. شبهه النبى ε لأصحابه بعروة بن مسعود ذى البهاء والحسن.

الفرع الثالث ـ وقت نزوله ومكانه:

أولاً – وقت نزوله:

إذا أوشكت أيام الدجال على الانقضاء، نزل عيسى عليه السلام بأمر الله إلى الأرض، عند صلاة الفجر، إبان الإقامة، فيصلى تلك الصلاة خلف المهدى، تكرمة الله

---

(1) أخرجه مسلم (172).



هذه الأمة، ثم يتسلم الأمر منه، ويصبح المهدى من أصحابه وخواصه المقربين، نظرا لشرف النبوة، ويعملان معا على محاربة مسيح الضلالة وإعلاء كلمة الله.

عن جابر بن عبد الله τ قال: قال رسول الله ε: **(لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى، فيقول أميرهم: تعال، صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة)**[1].

وعن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(كيف أنت إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟)**[2].

أى: كيف يكون فرحكم وسروركم بلقاء هذا النبى الكريم، وتكرمه الله لكم؟

ثانيًا – مكان نزوله:

اتفقت الروايات على أنه ينزل فى بلاد الشام، واختلفت فى تحديد المكان.

أ. فقد وردت روايات صحيحة أنه ينزل فى دمشق، منها ما يلى:

1. عن النواس بن سمعان τ فى حديثه السابق عن الدجال: (... **فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق، بين مهرودتين...**) الحديث[3].

2. عن أوس بن أوس الثقفى τ قال: قال رسول الله ε: **(ينزل عيسى بن مريم، عند المنارة البيضاء، شرقى دمشق)**[4].

3. عن كعب الأحبار قال: يهبط المسيح عند القنطرة البيضاء، على باب دمشق

---

(1) أخرجه مسلم (156).

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (3449)، ومسلم (155).

(3) تقدم تخريجه مرارا وهو فى صحيح مسلم (2937).

(4) أخرجه الطبرانى فى الكبير (590)، والخطيب البغدادى فى تالى تلخيص المتشابه (308)، وتمام الرازى فى الفوائد (1058).

وأورده المناوى فى الفيض (465/5) ورمز لحسنه، وقال: قال الهيثمى رجاله ثقات.



الشرقى، تحمله غمامة، واضعا يديه على منكبى ملكين، عليه ريطتان، مؤتزر إحداهما، مرتد الأخرى، إذا أكب رأسه قطر من الجمال[1].

ب. ووردت روايات أنه ينزل فى القدس، ومنها ما يلى:

1. عن سمرة بن جندب τ فى حديثه عن الدجال: (**... وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس، وإنه يحصر المؤمنين فى بيت المقدس، فيتزلزلون زلزالا شديدا، فيصبح فيهم عيسى بن مريم، فيهزمه الله وجنوده...**) الحديث[2].

2. أثر حذيفة بن أسيد τ السابق عن الدجال: (**... فيرد كل منهل، وتطوى له الأرض طى فروة الكبش، حتى يأتى المدينة... ثم جبل إيلياء، فيحاصر عصابة من المسلمين، فيقول الذى عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم ... الأثر**)[3].

3. عن أم شريك رضى الله عنها فى حديثها السابق أن النبى ε قال : (**ليفرن الناس من الدجال**)، قلت: يا رسول الله ε، فأين العرب يومئذ؟ قال: (**هم قليل**)[4].

وأخرجه ابن ماجه من حديث أبى أمامة τ بزيادة فى رواية: فقالت: أم شريك بنت

---

(1) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (1590)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (229/1).
وأخرجه لكن من حديث نافع بن كيسان وله صحبة، وابن عبد البر فى الاستيعاب (1491/4)، وابن قانع فى معجم الصحابة (141/3)، والديلمى فى الفردوس (8960)، وابن حجر فى الإصابة (412/6).

(2) تقدم تخريجه، وضعفه الألبانى وغيره لجهالة ثعلبة بن عباد أحد رواته.

(3) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (20827)، والحاكم (8612)، وصححه ووافقه الذهبى. والحديث له حكم الرفع.
وإيلياء: هى القدس.

(4) تقدم تخريجه وهو فى صحيح مسلم (2945).



أبى العكر. يا رسول الله، فأين العرب يومئذ؟ قال: **(هم يومئذ قليل، وجلهم ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح، فبينما قد تقدم يصلى بهم الصبح، إذ نزل عيسى بن مريم، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشى القهقهرى، ليتقدم عيسى، فيضع يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فصل، فإنها لك أقيمت، فيصلى بهم إمامهم...)** الحديث[1].

وعند نعيم بن حماد فى الفتن عن أبى أمامة الباهلى τ قال: ذكر رسول الله ε الدجال، فقالت أم شريك: فأين المسلمون يومئذ يا رسول الله؟ قال: **(ببيت المقدس، يخرج حتى يحاصرهم، وإمام المسلمين يومئذ رجل صالح، فيقال: صل الصبح، فإذا كبر ودخل فيها، نزل عيسى بن مريم، فإذا رآه ذلك الرجل عرفه فرجع يمشى القهقهرى، فيتقدم عيسى، فيضع يده بين كتفيه، ثم يقول: صل، فإنما أقيمت لك، فيصلى عيسى وراءه...)** الحديث[2].

4. وعن جابر τ فى حديثه السابق: **(يخرج الدجال فى خفة من الدين وإدبار من العلم. فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهد جهدا شديدا، ثم ينزل عيسى بن مريم من السحر، فيقول: يا أيها الناس، ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جني)** وعند الحاكم: **(يقول رجل: إلى متى هذا الحصار؟ اخرجوا إلى هذا العدو حتى يحكم الله بيننا فينطلقون، فإذا هم بعيسى بن مريم، فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم، فإذا صلوا الصبح خرجوا إليه...)** الحديث[3].

---

(1) تقدم تخريجه، ورواه ابن ماجة وصححه الحاكم والذهبى، وصحح أكثره الألبانى وضعف بعضه.

(2) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن مطولاً (1589) ومختصرًا (1572).

(3) تقدم تخريجه، وقد رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبى والهيثمى.



ج. ووردت روايات تفيد أنه ينزل ببطن الأردن على ثنية أفيق[1]. ومنها ما يلي:

1. عن حذيفة بن اليمان τ: (... **وإنه يطلع من آخر أمره على بطن الأردن، على ثنية أفيق، وكل أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ببطن الأردن، وإنه يقتل من المسلمين ثلثا، ويهزم ثلثا، ويبقى ثلث، فيحجز بينهم الليل، فيقول بعض المؤمنين لبعض: ما تنتظرون؟ ألا تريدون أن تلحقوا بإخوانكم في مرضاة ربكم؟ من كان عنده فضل طعام فليعد به على أخيه، وصلوا حين ينفجر الفجر، وعجلوا الصلاة، ثم أقبلوا على عدوكم. قال: فلما قاموا يصلون نزل عيسى، وإمامهم يصلى بهم، فلما انصرف قال هكذا: فرجوا بيني وبين عدو الله. قال: فيذوب كما يذوب الملح في الماء ...**) الحديث[2].

2. عن عثمان بن أبى العاص τ قال سمعت رسول الله ε يقول: (**يكون للمسلمين ثلاثة أمصار: مصر بملتقى البحرين، ومصر بالحيرة، ومصر بالشام، فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيخرج الدجال في أعراض الناس، فيهزم من قبل المشرق، فأول مصر يرده المصر الذى بملتقى البحرين، فيصير أهله ثلاث فرق، فرقة تبقى تقول: نشامه.، ننظر ما هو؟ وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذى يليهم. ومع الدجال سبعون ألفا، عليهم السيجان، وأكثر تبعه من اليهود والنساء، ثم يأتى المصر الذى يليه، فيصير أهله ثلاث فرق؛ فرقة تقول: نشامه، ننظر ما هو؟ وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذى يلهم بغربى الشام، وينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق فيبعثون سرحا لهم، فيصاب سرحهم، فيشتد ذلك عليهم، ويصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد، حتى إن**

---

(1) الثنية: العقبة، وهى المرتفع من الأرض، وأفيق قرية من حوران بطريق غور الأردن، وهى عقبة طويلة نحو ميلين (معجم البلدان فيق) وفى المنجد: فيق بلدة سورية هى أفاقا القديمة. ومركز قضاء فيق محافظة درعا.

(2) أخرجه ابن منده فى الإيمان (1033)، والحاكم (8507) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الذهبى: هذا إسناد صالح. وقال ابن كثير فى النهاية (93/1): وفيه سياق غريب وأشياء منكرة.

أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله فبينما هم كذلك، إذ نادى مناد من السحر: يا أيها الناس أتاكم الغوث -ثلاثا- فيقول بعضهم لبعض: إن هذا لصوت رجل شبعان. وينزل عيسى بن مريم عند صلاة الفجر، فيقول أميرهم، يا روح الله تقدم صل، فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض، فيتقدم أميرهم فيصلى، فإذا قضى صلاته أخذ حربته وذهب لنحو الدجال...)[1] الحديث.

3. عن نهيك بن صريم السكونى قال: قال رسول الله ε **(لتقاتلن المشركين، حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن، أنتم شرقى النهر وهم غربيه)** قال: ولا أدرى أين الأردن اليوم[2].

موازنة:

لا ريب أن المسيح -عليه السلام- ينزل حيث يكون المهدى، فيصلى الفجر خلفه، فأين يكون المهدي؟ أفى دمشق؟ أم فى القدس؟ أم ببطن الأردن فى عقبة أفيق؟

المشهور وعليه أكثر العلماء أنه ينزل على المنارة الشرقية بدمشق، ويكون المهدى قد جمع كثيرا من الناس لقتال الدجال[3].

وثمة احتمال كبيرٌ أن يكون نزوله فى القدس، فالأحاديث فى ذلك بعضها صحيح صريح.

ثم إن القدس ستكون عاصمة المهدى قبل نزول عيسى -عليه السلام-.

---

(1) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (37478)، وأحمد (17931)، والطبرانى فى الكبير (8392) والحاكم (8473) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأورده الهيثمى فى المجمع (342/7) وقال: وفيه على بن زيد وفيه ضعف، وقد وثق وبقية رجالهما رجال الصحيح. أهـ. قلت: على بن زيد ضعيف.

وقوله: (نشامة) أى: نتطلع إليه لنعرفه.

(2) ذكره الديلمى فى الفردوس (706) وقال الهيثمى فى المجمع (349/7): رواه الطبرانى والبزار، ورجال البزار ثقات.

(3) وقد رجح ذلك ابن كثير فى النهاية (98/1).

واجتهد ابن كثير فى جمع الأحاديث والجمع بينها فقال (يكون نزول مسيح الهدى فى أيام مسيح الضلالة على المنارة الشرقية بدمشق، فيجتمع إليه المؤمنون، فيسير بهم قاصدا نحو الدجال، وقد توجه نحو بيت المقدس، فيدركهم عند عقبة أفيق، فينهزم الدجال منه، فيلحقه عيسى عند مدينة باب لد، فيقتله بحربته وهو داخل إليها، ويقول: **(إن لى فيك ضربة لن تفوتني)**. وإذا واجهه الدجال ينماع كما يذوب الملح فى الماء، فيتداركه عيسى فيقتله بالحربة عند باب لد، فتكون وفاته هناك، كما دلت الأحاديث الصحيحة من غير وجه[1].

الفرع الرابع - أعمال المسيح بعد نزوله:

ينزل عيسى –عليه السلام– من السماء على المهدى ومن معه من المسلمين على المنارة البيضاء شرقى دمشق على القول المشهور، ينزل والصلاة تقام، فيصلى خلف المهدى. وما إن ينتهوا من الصلاة حتى يلتف حوله المسلمون، فيقول عيسى –عليه السلام–: اخرجوا بنا إلى عدو الله. ثم تتوالى أعماله على النحو التالى:

أولاً – مطاردة الدجال وقتله:

يظهر الدجال من جهة المشرق، من بلاد خرسان، فيمر بأصبهان حيث يتبعه كثير من اليهود، فيكونون جنده وأعوانه، ثم يسلك طريقا بين الشام والعراق، مسرعا نحو الحجاز، قاصدا الاستيلاء على مكة والمدينة، ويحاول جاهدا اقتحامها، ولاسيما المدينة، غير أن الملائكة تصده عنهما، فينزل مع عسكره فى ضاحية المدينة، ويضرب قبته، فيخرج إليه شرار أهلها ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، فيحاصر المسلمين فيها. عن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(يأتى المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة، حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك)**[2].

---

(1) ينظر كلامه فى النهاية (89/1).

(2) أخرجه مسلم (1380).



وعن عائشة رضى الله عنها فى حديثها عن الدجال: **(إنه يخرج من يهودية أصفهان، حتى يأتى المدينة، فينزل ناحيتها ... فيخرج إليه شرار أهلها، حتى يأتى الشام -مدينة فلسطين بباب لد- وينزل عيسى بن مريم فيقتله)**(1).

يخرج الدجال إلى العالم أجمع، فيعيث فسادا أينما حل ويسير سيرا حثيثا فى الأرض، فتعم فتنته ويكثر أتباعه ويظهر على الأرض كلها، فلا ينجو منه إلا قلة من المؤمنين، يفرون نحو الجبال أو البوادى، غير أن أكثرهم ببلاد الشام، وهم فى شدة وبؤس. ثم إن الدجال يطلع من آخر أمره على بلاد الشام، فيحاصر المسلمين حول دمشق، وببطن الأردن عند عقبة أفيق وفى القدس وغير ذلك من المناطق حصارا شديدا، فيعدون أنفسهم للقتال، وإذا بالفرج يأتى.

عن سمرة بن جندب τ فى حديثه عن الدجال: **(..وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس، وإنه يحصر المسلمين فى بيت المقدس، فيتزلزلون زلزالاً شديدا، فيصبح عيسى بن مريم فيهم، فيهزمه الله وجنوده ...)**(2).

وعن حذيفة بن أسيد τ فى حديثه عن الدجال: .. **(فيرد كل منهل، وتطوى له الأرض طى فروة الكبش، حتى يأتى المدينة.. ثم جبل إيلياء، فيحاصر عصابة من المسلمين، فيقول الذى عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون، ومعهم عيسى بن مريم، فيقتل الدجال، ويهزم أصحابه ...)** الحديث(3).

وعن عثمان بن أبى العاص τ فى حديثه عن الدجال: **(وينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق، فيبعثون سرحا لهم، فيصاب سرحهم، فيشتد ذلك عليهم، ويصيبهم مجاعة**

---

(1) أخرجه أحمد (24511)، وقال الهيثمى فى المجمع (338/7): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمى بن لاحق وهو ثقة. أهـ. وحسنه محققو مسند الرسالة وضعفه الألبانى وغيره.

(2) تقدم تخريجه، وأخرجه ابن أبى شيبه وابن حبان والحاكم وصححه وغيرهم. وضعفه الألبانى وغيره.

(3) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (202827) والحاكم (8612) وصححه ووافقه الذهبى، والحديث له حكم الرفع.



شديدة وجهد شديد، حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله، فبينما هم كذلك، إذ نادى مناد من السحر: يا أيها الناس أتاكم الغوث -ثلاثا- فيقول بعضهم لبعض: إن هذا لصوت رجل شبعان. وينزل عيسى بن مريم عند صلاة الفجر.. فإذا قضى صلاته أخذ حربته، فيذهب نحو الدجال، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص، فيضع حربته فيذهب بين ثندوتيه، فيقتله، وينهزم أصحابه..) الحديث[1].

وعندما يعلم الدجال بنزول عيسى عليه السلام يفر هاربا نحو فلسطين، فيتتبعه عيسى ويدركه عند باب اللد الشرقى، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء، غير أن عيسى يعاجله بطعنة من حربته فيقتله، ويرى المسلمين دمه فيها

عن أبى هريرة τ فى حديثه عن الدجال: .. **(فبينما هم يعدون للقتال، ويسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله بيده، فيريهم دمه فى حربته)**[2].

والحديث فيه اختصار وطى يوضحه ما بعده.

عن أبى أمامة τ فى حديثه عن الدجال: **(... فإذا انصرف، قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون -وفى رواية: فيفتح- ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودى، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء، وينطلق هاربا، ويقول عيسى: إن لى فيك ضربة، لا تسبقنى بها، فيدركه عند باب اللد الشرقى فيقتله، فيهزم الله جنوده ...)** الحديث[3].

وعن النواس بن سمعان τ فى حديثه عن الدجال:.. **(فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا**

---

(1) تقدم تخريجه، وقد رواه ابن أبى شيبه، وأحمد، والطبرانى فى الكبير والحاكم وصححه، وقال الهيثمى فى المجمع (342/7): وفيه على بن زيد وفيه ضعف وقد وثق وبقية رجالهما رجال الصحيح.

(2) أخرجه مسلم (2897).

(3) تقدم تخريجه، وهو عند ابن ماجة والطبرانى وغيرهم، وصححه الحاكم والذهبى، وصحح أكثره الألبانى وضعف بعضه.



مات، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد، فيقتله، ثم يأتى ابنَ مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة)[1].

وعند أبى داود: **(ثم ينزل عيسى عند المنارة البيضاء شرقى دمشق، فيدركه عند باب لد فيقتله)**[2].

وعن مُجمع بن جارية الأنصارى τ قال: سمعت رسول الله ε يقول: **(ليقتلن ابن مريم الدجال بباب لد)**[3].

ثانيًا – القضاء على اليهود:

بعد مقتل الدجال، يعلم أتباعه أنه ليس ربا، فيهربون ويختبئون، ولاسيما اليهود، غير أن ما اختبؤوا خلفه ينطقه الله عز وجل، فيدل عليهم، ولا يجد يهودى ملجأ، فتتطهر الأرض من شرورهم، وتعلو كلمة الله فى الأرض، فلا يبقى إلا دين الإسلام.

عن أبى أمامة τ فى حديثه السابق: (... **فيدركه عند باب اللد الشرقى فيقتله، فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة، إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد الله، هذا يهودى، تعال فاقتله**..) الحديث[4].

عن جابر بن عبد الله τ فى حديثه السابق: (... **فإذا صلى الصبح خرجوا إليه، فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح فى الماء، فيمشى إليه فيقتله، حتى إن**

---

(1) تقدم تخريجه وهو فى صحيح مسلم (2937).

(2) أخرجه أبو داود (4321)، وصححه الألبانى فى تعليقه عليه.

(3) أخرجه ابن أبى شيبه فى مصنفه (37534)، وعبد الرزاق فى مصنفه (20835)، والحميدى فى مسنده (828)، وأحمد (15504 و15505 و15506 و15507)، والترمذى (2244)، والطبرانى فى الكبير (443/19) رقم (1075 و1076)، وابن حبان فى صحيحه (6811)، والهيثمى فى موارد الظمآن (1901). وقال الألبانى فى صحيح الجامع (5462): صحيح.

(4) تقدم تخريجه قبل ثلاثة أحاديث.

والغرقد: نوع من شجر الشوك معروف بفلسطين قرب بيت المقدس، يزرعه اليهود اليوم بكثرة للزينة.



الشجر والحجر ينادى: يا روح الله، هذا يهودى، فلا يترك ممن كان معه أحدا إلا قتله)[1].

وعن أبى هريرة τ أن النبى ε قال: (**ينزل عيسى بن مريم، فإذا رآه الدجال، ذاب كما تذوب الشحمة، فيقتل الدجال ويفرق اليهود، فيقتلون، حتى إن الحجر يقول: يا عبد الله المسلم، هذا يهودى، فتعال فاقتله.**)[2].

وعن حذيفة بن اليمان τ فى حديثه عن الدجال: (... **فلما قاموا يصلون نزل عيسى بن مريم أمامهم، فصلى بهم، فلما انصرف قال: هكذا، أفرجوا بينى وبين عدو الله.. ويسلط الله عليهم المسلمين، فيقتلونهم، حتى إن الشجر والحجر لينادى: يا عبد الله يا عبد الرحمن يا مسلم، هذا يهودى فاقتله، فيفنيهم الله تعالى، ويظهر المسلمون، فيكسرون الصليب، ويقتلون الخنزير، ويضعون الجزية ..**) الحديث[3].

وعن سمرة بن جندب τ فى حديثه عن الدجال: (... **فيصبح فيهم عيسى بن مريم، فيهزمه الله وجنوده، حتى إن جذم الحائط وأصل الشجرة لينادى: يا مؤمن هذا كافر يستتر بى، فتعال فاقتله، ولن يكون ذلك حتى تروا أمورا يتفاقم شأنها فى أنفسكم، تساءلون بينكم: هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرا؟ وحتى تزول جبال عن مراسيها، ثم على إثر ذلك القبض، وأشار بيده)**[4].

ثالثًا - الحكم بالشريعة الإسلامية:

ينزل عيسى -عليه السلام- من السماء بأمر الله ووصف النبوة قائم فيه، غير أنه يكون تابعا لشريعة محمد ε وحاكما من حكام هذه الأمة ومجددا لأمر دينها. فإن محمدا

---

(1) أخرجه أحمد (14997)، والحاكم (8613) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، وقال الهيثمى فى المجمع (344/7): رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.

(2) متفق عليه، أخرجه البخارى (2926)، ومسلم (2922).

(3) أخرجه الحاكم (8507) وقال: على شرط مسلم ولم يخرجاه، ونعيم بن حماد فى الفتن (1951).

(4) تقدم تخريجه، وقد أخرجه ابن أبى شيبة وأحمد والطبرانى والحاكم وصححه وضعفه الألبانى وغيره.

ε خاتم الأنبياء، وشريعته خاتمة الشرائع، وقد أخذ الله سبحانه العهد والميثاق على جميع الأنبياء أن يتبعوا محمدا ε وينصروه، إن بعث وهم أحياء وهم بدورهم أخذوا الميثاق من أممهم.

قال تعالى **[وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ]** (آل عمران: 81).

ولذلك ينزل عيسى –عليه السلام– من السماء، وقد علمه الله كل ما يحتاج إليه من أمر هذه الشريعة للحكم بين الناس. فما إن تنتهى صلاة الفجر، حتى يجتمع إليه المسلمون، ويحكمونه على أنفسهم، فيكون حكما مقسطا، يحكم بكتاب الله وسنة رسوله ε غير أنه يكسر الصليب –شعار النصارى المزيف– ويقتل الخنزير –رمز النصرانية المحرفة– ويضع الجزية إبطالا لجميع الأديان، فلا يقبل من أحد إلا الإسلام، وآنذاك يكون الدين كله لله.

عن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(كيف أنت إذ نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟)**[1].

قيل: معنى "إمامكم منكم" أن عيسى منكم، فوضع الاسم المظهر موضع الاسم المضمر، تعظيما له، وتربية للمهابة فى النفوس.

وفى رواية "فأمكم منكم" قال ابن أبى ذؤيب للوليد بن مسلم راوى الحديث: تدرى ما "أمكم منكم"؟ قلت: تخبرنى. قال: فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم ε[2].

وعند أبى داود أن رسول الله ε قال: **(ليس بينى وبينه –يعنى عيسى– نبى، وإنه نازل .. فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله فى**

---

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (3449)، ومسلم (155) (244).

(2) أخرجهما مسلم (155) (246).



زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال..) الحديث[1].

وعن عبد الله بن مغفل τ قال: قال رسول الله ε: **(يلبث- أى الدجال- فيكم ما شاء الله، ثم ينزل عيسى بن مريم مصدقا بمحمد ε على ملته، إماما وهاديا، وحكما وعدلا، فيقتل الدجال)**[2].

رابعًا - حجه وزيارته مسجد النبى ε:

بعد مقتل الدجال وهلاك يأجوج ومأجوج، يحج عيسى -عليه السلام- البيت الحرام، مارا بالمدينة المنورة.

عن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(والذى نفسى بيده، ليهلن ابن مريم بفج الروحاء، حاجا أو معتمرًا، أو ليثنيهما)**[3].

وعنه τ أن رسول الله ε قال: **(ينزل عيسى بن مريم، فيقتل الخنزير، ويمحو الصليب، ويجمع له الصلاة، ويعطى المال حتى لا يقبل، ويضع الخراج، وينزل الروحاء، فيحج منها أو يعتمر، أو يجمعهما.)**[4].

وعنه τ قال: **(ليهبطن ابن مريم حكماً عدلا، وإماماً مقسطاً، وليسلكن فجاً فجاً،**

---

(1) أخرجه من حديث أبى هريرة τ ابن أبى شيبة (37526)، وعبد الرزاق (20845)، وأحمد (9259 و9630)، وأبو داود (4324)، وابن حبان (6814 و6821)، والحديث صححه العلامة أحمد شاكر فى تعليقه على المسند، والألبانى فى تعليقه على السنن، وفى صحيح الجامع (5389).

(2) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (4580) وقال الهيثمى فى المجمع (336/6): أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجاله ثقات وفى بعضهم ضعف لا يضر.

(3) أخرجه مسلم (1252)

قال النووى: (186/8): وأما فج الروحاء فبفتح الفاء وتشديد الجيم. قال الحافظ أبو بكر الحارثى: هو بين مكة والمدينة وكان طريق رسول الله ε إلى بدر ومكة عام الفتح وعام حجة الوداع.

(4) أخرجه أحمد (7890)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (494/47)، وصححه محققو مسند الرسالة على شرط مسلم.

وقوله: تجمع له الصلاة: أى: يصير هو الإمام فى الصلاة.



حاجاًّ أو معتمراً، وليأتين قبرى حتى يسلم على، ولأردن عليه).

قال أبو هريرة τ: أى بنى أخى، إذا رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام[1].

خامسًا – انتشار الأمن وظهور البركات:

بعد أن تضع الحرب أوزارها، بعد مقتل الدجال ويأجوج ومأجوج، يعيش الناس فى نعمة لم ينعموا بمثلها قط، حيث تنزل عليهم بركات دينية ودنيوية، فترفع الشحناء والبغضاء والضغينة من صدور الناس، وينزع السم من ذوات السموم، وتصبح الأسود وديعة، وتُنْزِلُ السماءُ خيرها، وتُخرج الأرض بركتها، ويعم الخير، فليس من ثمة من يقبل الصدقة.

عن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتُتركن القلاص، فلا يُسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليُدعَوُنَّ إلى المال، فلا يقبله أحد)**[2].

وفى رواية: **(ويفيض المال حتى لا يقبله أحد)**[3].

زاد فى رواية: **(حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها)**[4].

وفى رواية أحمد عنه τ: **(ينزل ابن مريم إماما عادلا، وحكما مقسطا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويرجع السلم، ويتخذ السيوف مناجل، ويذهب حمة كل ذات حمة، وينزل من السماء رزقها، وتخرج من الأرض بركتها، حتى يلعب الصبى بالثعبان ولا يضره، وترعى**

---

(1) أخرجه الحاكم (4162) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة. وقال الذهبى: إسناده صالح، وهو غريب. وقال الألبانى فى الضعيفة (1450): منكر بهذا التمام.

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (2222 و2476 و2448 و3449)، ومسلم (155) (243).

(3) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (222) ومسلم (155) (242).

والقلاص: جمع قلوص وهو الناقة من الإبل، والإبل هى أشرف أموال العرب والمعنى: يزهد الناس فيها؛ لكثرة الأموال، وقلة الآمال: لعلمهم بقرب الساعة.

(4) أخرجهما مسلم (155) (242).



الغنم الذئب ولا يضرها، ويرعى الأسد البقرة فلا يضرها)[1].

وفى رواية أخرى لأحمد وأبى داود عنه: **(الأنبياء إخوة علات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وإنى أولى الناس بعيسى بن مريم؛ لأنه لم يكن بينى وبينه نبى، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه.. فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، فيمكث أربعين سنة)** وفى بعض الروايات: **(ما شاء الله أن يمكث- ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون.)**[2].

وعنه τ قال سمعت رسول الله ε يقول: **(والذى نفسى بيده، لينزلن عيسى بن مريم إماما مقسطا وحكما عدلا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليصلحن ذات البين، وليذهبن الشحناء، وليعرضن المال، فلا يقبله، ثم لئن قام على قبرى وقال: يا محمد لأجيبنه)**[3].

وعن النواس بن سمعان τ فى حديثه السابق: **(.. ثم يقال للأرض: أنبتى ثمرتك، وردى بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك فى الرسل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس)**[4].

---

(1) أخرجها أحمد (10266)، وذكرها ابن كثير فى النهاية (156/1 الحديث) وقال بعدها: تفرد به أحمد وإسناده جيد قوى صالح، وقال محققو مسند الرسالة: إسناده محتمل التحسين.

(2) تقدم تخريجه قبل ثمانى أحاديث.

(3) أخرجه أبو يعلى فى مسنده (6584)، وقال الهيثمى فى المجمع (211/8): هو فى الصحيح باختصاره، رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. وصححه حسين سليم أسد فى تعليقه على أبى يعلى.

(4) تقدم تخريجه مراراً وهو فى صحيح مسلم (2937).

(وقحف الرمانة) أى: قشرها، و(الرِّسل) أى: اللبن، و(اللقحة) أى: الناقة ذات اللبن، و(العصابة من الناس) أى: الجماعة من الناس ولم يبلغوا أربعين، و(الفئام) أى: الجماعة الكبيرة من الناس. وهى



وعند الترمذى: ثم يقال للأرض: (**أخرجى ثمرتك، وردى بركتك، فيومئذ تأكل العصابة الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك فى الرسل، حتى إن الفئام من الناس ليكتفون باللقحة من الإبل، وإن القبيلة ليكتفون باللقحة من البقر، وإن الفخذ ليكتفون باللقحة من الغنم.**)(1).

وعن أبى أمامة الباهلى τ أن رسول الله ε قال: (... **فيكون عيسى بن مريم فى أمتى حكما عدلا مقسطا، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل ذات حمة، حتى يدخل الوليد يده فى الحية فلا تضره، وتقود الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها، وتُملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور الفضة، تنبت باتها بعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب: فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال ويكون الفرس بالدريهمات**). قالوا: يا رسول الله، وما يرخص الفرس؟ قال: (**لا تركب لحرب أبدا**). قيل له: فما يغلى الثور؟ قال: (**تحرث الأرض كلها**)(2).

الفرع الخامس - موت المسيح عليه السلام:

أولاً – مدة لبثه بعد نزوله:

يمكث المسيح –عليه السلام– بعد نزوله إلى الأرض أربعين سنة، ويتزوج، ثم يتوفاه

=

أكبر من العصابة، و(الفخذ من الناس): أى: الجماعة الأقارب دون البطن بكثرتهم والبطن دون القبيلة.

(1) أخرجه الترمذى (2240)، وصححه الألبانى فى الترمذى، وفى الصحيحة (481).

(2) تقدم تخريجه، وهو عند ابن ماجه والطبرانى والحاكم وصححه ووافقه الذهبى وصحح الألبانى بعضه وضعف بعضه.

و(فاثور الفضة) أى: الإناء الذى تخزن فيه المجوهرات.



الله سبحانه، فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه.

عن أبى هريرة τ فى حديثه السابق: (... **ثم يمكث فى الأرض أربعين سنة، ثم يُتوفى ويصلى عليه المسلمون**)[1].

وأخرجه الطبرانى فى الأوسط وابن عساكر ونعيم بن حماد بلفظ: **(ينزل عيسى بن مريم، فيمكث فى الناس أربعين سنة، لو يقول لبطحاء :سيلى عسلا لسالت.)**[2].

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ε قال: **(يخرج الدجال، فينزل عيسى فيقتله، ثم يمكث أربعين سنة إماما عدلا، وحكما مقسطًا)**[3].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص τ أن رسول الله ε قال: **(يخرج الدجال فى أمتى .. فيبعث الله عيسى بن مريم..فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة)**[4].

قال ابن كثير فى النهاية فى الفتن والملاحم: وكلا الروايتين صحيحة، وهذا مشكل، اللهم إلا أن يحمل هذا السبع على مدة إقامته بعد نزوله، وتلك مضافا إلى مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثا وثلاثين سنة على المشهور والله أعلم. أهـ. وبناء على ذلك يكون الترتيب فى الأحاديث ذكرى لا زمني[5].

وقال البيهقى: يحتمل أن يكون قوله فى حديث ابن عمرو: **(ثم يلبث الناس سبع**

---

(1) تقدم تخريجه، وهو فى مصنف ابن أبى شيبه، ومسند أحمد وغيرهما. وجود ابن كثير إسناده وصححه أحمد شاكر فى تعليقه على المسند.

(2) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (1623). وقال السيوطى فى الدر المنثور (743/2): رواه أحمد فى الزهد.

(3) أخرجه ابن أبى شيبة (3474)، وأحمد (24511)، وابن حبان فى صحيحه (6822)، والدانى فى السنن الواردة فى الفتن (687)، والهيثمى فى موارد الظمآن (1905)، وقال فى المجمع (338/7): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمى بن لاحق وهو ثقة. أهـ. وحسن إسناده محققو مسند الرسالة.

(4) أخرجه مسلم (2940).

(5) النهاية فى الفتن والملاحم (1639/1).

سنين) أى بعد وفاته، فلا يكون مخالفا للأول، فترجح عندى هذا التأويل؛ لأن الحديث ليس نصا فى الإخبار عن مدة لبث عيسى، وذاك نص فيها؛ لأن ثم ما يؤيد هذا التأويل، وكذا قوله: **(يلبث الناس بعده)**، فيتجه، إلى أن الضمير فيه لعيسى، لأنه أقرب مذكور، ولأنه لم يرد فى ذلك سوى الحديث المحتمل، ولا ثانى له، وورد مكث عيسى أربعين سنة فى عدة أحاديث من طرق مختلفة.. فهذه الأحاديث المتعددة وغيرها، أولى من ذلك الحديث المحتمل اهـ.

قال السيوطى: رأيت البيهقى اعتمد أن مكثه فى الأرض أربعون سنة، معتمدا ما أفاده أحمد فى روايته بلفظ **(ثم يمكث)** أى بعد الدجال، وهذا هو المرجح؛ لأن زيادة الثقة يحتج بها، ولأنهم يأخذون بروايات الأكثر، ويقدمونها على رواية الأقل: لما فيها من زيادة العلم، لأنه مثبت؛ والمثبت يقدم اهـ.(1).

ثانيًا – وفاته ودفنه:

ثم يتوفى عيسى –عليه السلام– بالمدينة المنورة، ويدفن فيها بجانب النبى ε وصاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما.

عن عبد الله بن سلام τ قال: نجد فى التوراة أن عيسى بن مريم عليه السلام يدفن مع محمد ε.

قال أبو مودود أحد رواته: وقد بقى فى البيت موضع قبر عيسى بن مريم(2).

وعنه τ أنه قال: مكتوب فى التوراة صفة محمد ε يدفن معه(3).

وعنه τ أنه قال: يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله ε وصاحبيه، فيكون قبره

---

(1) نقلا عن المسيح المنتظر ونهاية العالم (صـ 246 الحاشية).

(2) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (1621)، والترمذى (3617).

(3) أخرجه الترمذى فى سننه (3617)، وضعفه الألبانى هو وسابقه.



رابعا[1].

ثالثًا – من يخلفه:

عن أبى هريرة τ أن رسول الله ε قال: **(ينزل عيسى بن مريم، فيقتل الدجال، ويموت، فيستخلفون بأمره رجلا من بنى تميم، يقال له المقعد، فإذا مات المقعد، لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال)**[2].

---

(1) أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير (263/1) وابن عبد البر فى التمهيد (202/14)، والمزى فى تهذيب الكمال (394/19)، وذكره الحافظ فى الفتح (320/13)، والعينى فى عمدة القارى (57/25)، والهيثمى فى المجمع (206/8) وعزاه الثلاثة للطبرانى، وقال الهيثمى: وفيه عثمان بن الضحاك وثقه ابن حبان وضعفه أبو داود، وانظر التاريخ الكبير للبخارى (263/1).

(2) لم أقف على سنده، وذكره صاحب المسيح المنتظر ونهاية العالم (صـ 248) وعزاه لأبى الشيخ.



الأمارة الثالثة
خروج يأجوج ومأجوج

وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: التعريف بهم.

الفرع الثانى: الأدلة على خروجهم.

الفرع الثالث: مكان وجودهم وأوصافهم.

الفرع الرابع: زمان خروجهم.

الفرع الخامس: فتنتهم وهلاكهم.



الفرع الأول - التعريف بهم:

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان عند الأكثر، منعا من الصرف للعلمية والعجمة. وقيل هما اسمان عربيان يهمزان ولا يهمزان، وأكثر القراءة بدون همزة، وقرأ عاصم بالهمزة الساكنة فيهما. واختلف فى اشتقاقهما: فقيل: من أجت النار أجيجا، وأجيج النار التهابها وحرارتها، وسموا بذلك لكثرتهم وشدتهم.

وقيل من الآجة، وهى الاختلاط، وقيل: من الآج، وهو سرعة العدو. وقيل من الأجاج، وهو الماء الشديد الملوحة. وقيل من ماج، بمعنى اضطرب، وهما على وزن يفعول ومفعول. ويؤيد هذا قوله تعالى**[وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ]**، وذلك عند خروجهم من السد وزحفهم، وجميع ذلك مناسب لحالهم[1].

وقد تحدث العلامة الهندى أبو الكلام أزاد فى بحثه (يسألونك عن ذى القرنين) فقال: إن كلمتى يأجوج ومأجوج تبدوان كأنهما عبريتان، ولكنهما فى أصلهما قد لا تكونان عبريتين، بل كلمتان أجنبيتان اتخذتا الصورة العبرية، فهما تنطقان باليونانى (غاغ، GOG) و(ماغاغ، MAGOG)، وقد ذكرتا بهذا الشكل فى الترجمة السبعينية للتوراة، وراجتا بالشكل نفسه فى سائر اللغات الأوربية. اهـ[2].

ويأجوج ومأجوج اسمان لأمتين عظيمتين من ذرية آدم، من ولد يافث بن نوح.

عن سمرة بن جندب τ قال: قال رسول الله ε: **(ولد نوح ثلاثة، سام وحام ويافث)**[3].

---

(1) ينظر المصباح المنير للفيومى.

(2) نقلا عن المسيح المنتظر ونهاية العالم صـ 225 من الحاشية.

(3) أخرجه أحمد (20126)، وابن أبى حاتم (1829) والطبرانى فى الكبير (6871 و6872 و6873)، والحاكم (4006) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، وقال الهيثمى فى المجمع (193/1): رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله موثوقون، وضعفه محققو مسند الرسالة، وذكره الألبانى فى شرح الحديث (3683) وقال: منقطع الإسناد.

قال المؤرخون[1]: أولاد نوح من الذكور ثلاثة؛ سام وحام ويافث، فسام أبو العرب والفرس والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة، ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج. ونقل ابن عبد البر الإجماع على أنه من ولد يافث بن نوح، وقال النووى: عند أكثر العلماء.

وتحقيقات العلماء منصبة على أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم، من ولد يافث بن نوح، ويدخل فى ذرية يافث الترك والجنس الآرى والجنس الصينى. فعلى هذا سكان الصين والهند وشعوب شرق آسيا أكثرهم من ولد يافث.

وتطلق كلمة الترك على القاطنين وراء جبال تركستان، فلا ترتبط بسكان آسيا الصغرى فقط فأهل الصين واليابان ومنغوليا ومن شابههم من أهل تلك المناطق.

وقد دل على أنهم من ذرية آدم ما يلى:

عن أبى سعيد الخدرى τ قال: قال رسول الله عليه وسلم: **(يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم، قم فابعث بعث النار. قال فيقول: لبيك وسعديك والخير فى يديك، يا رب وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فحينئذ يشيب المولود، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد)**. قال فيقولون: وأيُّنا ذلك الواحد؟ فقال رسول الله ε: **(تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج، ومنكم واحد)**، فقال الناس: الله أكبر[2].

وفى رواية ثانية قال: **(فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرجل؟ فقال أبشروا؛ فإن من يأجوج ومأجوج، ألفا، ومنكم رجل)**[3].

وفى رواية أخرى: **(يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول لبيك وسعديك، والخير فى يديك، فينادى بصوت فيقول: ابعث بعث النار** –وفى رواية: **أخرج بعث النار– فيقول رب كم؟ قال وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، وواحد فى الجنة. فيومئذ**

(1) ينظر المسيح المنتظر ونهاية العالم صـ 225.

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (3348)، ومسلم (222).

(3) أخرجها البخارى (6530).



يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد). قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: **(أبشروا، فإن فى يأجوج ومأجوج لكم فداء، فإن منكم رجلا، ومن يأجوج ومأجوج ألف)**(1).

وعن عمران بن حصين τ أن رسول الله ε قال: **(.. فو الذى نفسى بيده، إنكم لمع خليقتين ما كانتا فى شيء إلا كثرتاه؛ يأجوج ومأجوج، ومن مات من بنى آدم، ومن بنى إبليس)**(2).

وعن عبد الله بن عمرو ψ قال: قال رسول الله ε: **(.. ثم يقال: أيها الناس هلموا إلى ربكم [وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ]، ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين –وفى رواية: وتسعة وتسعون– قال: فذاك –وفى رواية:– فيومئذ يجعل الولدان شيبًا، وذلك يوم يكشف عن ساق)**(3).

وعنه τ أن رسول الله ε قال: **(إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وإنهم لو أرسلوا إلى الناس لأفسدوا عليهم معايشهم، ولن يموت منهم أحد إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا. وإن من ورائهم ثلاث أمم تاويل وتاريس ومنسك)**(4).

الفرع الثانى - الأدلة على خروجهم:

---

(1) أخرجها البخارى (4741).

(2) أخرجه الطيالسى فى مسنده (835)، وأحمد (19915)، والترمذى (3169) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (11340)، والحاكم (2917، 3450) وقال: حديث صحيح الإسناد، ووافقه محققو مسند الرسالة.

(3) تقدم تخريجه، وهو فى صحيح مسلم (2940).

(4) أخرجه الطيالسى فى مسنده (2282)، وعبد الرزاق فى مصنفه (20811)، ونعيم بن حماد فى الفتن (1656)، وأخرج نحوه الطبرانى فى تفسيره (88/17)، وذكره ابن كثير فى تفسيره (107/3) فى آخر الكهف وعزاه للطيالسى وقال: غريب بل منكر ضعيف، وأورده الهيثمى فى المجمع (6/8) وعزاه للطبرانى فى الكبير والأوسط وقال: رجاله موثوقون، وأورده السيوطى فى الدر المنثور (457/5) وقال: أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر، والطبرانى، والبيهقى فى البعث، وابن مردويه، وابن عساكر، وقال الألبانى فى الضعيفة (4142): منكر.

1. قال سبحانه: [**حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا . قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا . قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا . آتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا . فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا . قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا . وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**] (الكهف: 93-99).

كان السؤال عن ذى القرنين، والسائل هم اليهود، أو قريش بتحريض من اليهود، وكان السؤال امتحانا، فيكون الجواب الصحيح من أعلام النبوة ومعجزاتها، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان الجواب معروفا لدى السائل، أو لدى الدافع إلى السائل، وبالجواب الصحيح تقوم الحجة برسالة محمد ε.

وقد فسر المفسرون مجيء وعد الله بمجيء يوم القيامة، أى قربه. ودكاء، أى منهدما.

2. وقال سبحانه: [**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ . وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِى شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ**] (الأنبياء: 96-97).

فالسد قائم إلى أن يأتى الوقت المحدد لزحفهم، عند دنو الساعة، فإذا جاء ذلك الوقت اندك السد، وخرجوا بسرعة عظيمة وجمع كبير، لا يقف أمامهم أحد، فماجو فى الناس، وعاثوا فى الأرض فسادا.

3. عن عبد الله بن مسعود τ أنه ذكر خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم، وقتله الدجال. قال: ثم يخرج يأجوج ومأجوج، فيموجون فى الأرض، فيفسدون فيها، ثم قرأ عبد الله: [**وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ...**] الآية[1].

---

(1) أخرجه ابن أبى شيبة (37637)، ونعيم بن حماد فى الفتن (1645) والطبرى فى تفسيره (90/17)، والطبرانى فى الكبير (9761)، والحاكم (8519) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى،



4. عن حذيفة بن أسيد τ فى حديثه السابق: (... **إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات؛ فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم- عليه السلام- يأجوج ومأجوج..**) الحديث[1].

والحد الذى لا اختلاف فيه: أن مجيئهم إلى بلاد الشام فى زمن عيسى -عليه السلام- وما يحدث لهم هو من أشراط الساعة.

الفرع الثالث - مكان وجودهم وأوصافهم:

أولاً - مكان وجودهم:

ذكرت الآيات فى سورة الكهف أنهم خلف السد العظيم الغليظ الذى بناه ذو القرنين قديما من حديد ونحاس بين جبلين عظيمين، للحد من شرورهم ولإفسادهم فى الأرض، وهذا السد يمنعهم من الخروج واجتياح الأرض بصورة جماعية جرارة، إلى أن يأذن الله، فإذا أذن الله وتم ذلك، كان علامة كبرى من علامات الساعة. ومكان السد غير معروف بالتحديد؛ إذ لم يحدده الكتاب ولا السنة؛ لأن المراد من ذلك الاعتبار. غير أن بعض العلماء اجتهدوا فى معرفة مكانه.

عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أنه قال: هو فى منقطع بلاد الترك، مما يلى أرمينيا وأذربيجان[2].

ذكر العلامة جمال الدين القاسمى "أن بعض المحققين قال: كان يوجد وراء جبل من جبال القوقاز، والمعروف عند العرب بجبل قاف، فى إقليم داغستان، قبيلتان، تسمى إحداهما (آقوق)، والثانية (ماقوق)، فعربهما العرب باسم يأجوج ومأجوج، وهما معروفتان عند كثير من الأمم، وورد ذكرهما فى كتب أهل الكتاب، ومنهما تناسل كثير من أمم

=

وأبو عمر الدانى فى السنن الواردة فى الفتن (667).

(1) تقدم تخريجه وهو فى صحيح مسلم (2901).

(2) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (16/16).



الشمال والشرق فى روسيا وآسيا"[1].

وقال أبو الأعلى المودودى فى تفسير سورة الكهف: الأقرب إلى الصواب أن يأجوج ومأجوج هم قبائل روسيا وشمال الصين المعروفة بأسماء التتار والمغول والهون والسيبث وغير ذلك، وكانت تُغِيرُ على الدول المتحضرة من قديم الزمان[2].

وجاء فى سفر حِزْقِيَال: يا ابن آدم، اجعل وجهك على جوج، أرض ماجوج، رئيس روش ماشك وتوبال، وتنبأ عليه[3].

وقل: هكذا قال السيد الرب: هأنذا عليك ياجوج رئيس روش ماشك وتوبال[4].

وأنت يا ابن آدم، تنبأ على جوج، وقل: هكذا قال السيد الرب: هأنذا عليك ياجوج رئيس روش ماشك وتوبال[5].

فدل على أنهم يسكنون فى روسيا وموسكو وتوبال.

قال المؤرخ اليهودى بوسيفوس:هم الشيث الذين سكنوا شمال وشرق البحر الأسود.

وقال العالم النصرانى جيروم: إن يأجوج ومأجوج سكنوا شمال قرب بحر الخزر. وفى تلك المنطقة يوجد بين بحر الخزر والبحر الأسود سلسلة جبال القوقاز الشاهقة التى تفصل الشمال عن الجنوب، ويوجد بين تلك الجبال مضيق يصل بين الشمال والجنوب، فلم يكن هناك منفذ للمهاجمين من الشمال سوى هذا المضيق، ، فبنى ذو القرنين فيه سدا حديديا، أخذ به الطريق على المغيرين. ويسمى هذا المضيق فى أيامنا بمضيق دربال، ويشار إلى موضعه فى الأطالس الحاضرة، بين وادى كيوكز وبين طفليس، وعليه جدار حديدى من قديم الأزمان، تنطبق عليه الأوصاف التى وصف بها القرآن سد ذى القرنين.

---

(1) ينظر تفسيره محاسن التأويل، تفسير سورة الكهف.

(2) ينظر تفسيره لسورة الكهف.

(3) سفر حزقيال (38/2).

(4) سفر حزقيال (38/3).

(5) سفر حزقيال (39/1).



والمعروف أن استحكامات دربند ودربال بنيت جنوب القفقاز اتقاء لهجماتهم. والله أعلم[1].

وصفوة القول: لقد تضافرت الشواهد التاريخية على أن مسكنهم فى أقصى الشرق، وعلى أنهم لم يكونوا إلا قبائل همجية بدوية من السهول الشمالية الشرقية، أما الجزم بالمكان، أو من هم الذين انصبت عليهم النصوص القرآنية، وجعلت خروجهم ومجيئهم إلى بلاد الشام من علامات الساعة، فأمر غيبى لا يعلمه إلا الله، والأسلم التسليم والتفويض.

ثانيًا – أوصافهم:

عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته– رضى الله عنها– قالت: خطب رسول الله ε وهو عاصب أصبعه من لدغة عقرب، فقال: **(إنكم تقولون: لا عدو لكم، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدوا حتى يخرج يأجوج ومأجوج، عراض الوجوه، صغار العيون، صهب، من كل حدب ينسلون، كأن وجوههم المجان المطرقة).**

وفى رواية: **(شهب الشعاف)**[2].

فهم يشبهون أبناء جنسهم من الترك والمغول، وجوهم كالمجان المطرقة، لاستدارتها وكثرة اللحم فيها، وهم كثيرو العدد أقوياء، لا طاقة لأحد بقتالهم[3].

---

(1) ينظر المسيح المنتظر ونهاية العالم صـ 229–230.

(2) أخرجه أحمد (22385)، والطبرانى فى الآحاد والمثانى (3419)، وقال الهيثمى فى المجمع (6/8): رواه أحمد والطبرانى ورجالهما رجال الصحيح.

وقوله: (صهب) الصهبة مختصة بالشعر وهى حمرة يعلوها سواد، وهى كالشُّقرة. وقوله (شهب الشعاف): الشَهب: بياض مختلط بسواد، الشعاف: أعالى الرأس والمعنى: ذؤابة رؤوسهم فيها بياض مختلط بسواد.

(3) قال ابن كثير فى النهاية (170/1الحديث): وهم يشبهون الناس كأبناء جنسهم من الأتراك المخرمة عيونهم الزلف أنوفهم، الصهب شعورهم على أشكالهم وألوانهم ومن زعم أن منهم الطويل كالنخلة السحوق، ومنهم القصير، ومنهم من له أذنان يتغطى بإحداهما ويتوطأ بالأخرى، فقد تكلف ما لا علم له به، وقال مالا دليل عليه". أهـ. وقد ذكر الألبانى فى صفة طولهم حديثين فى الضعيفة (4142 و4143) وقال: موضوعان.

الفرع الرابع - زمان خروجهم:

بعد أن يقتل مسيحُ الهدى مسيح الضلالة، ويقضى على اليهود، وفتنتهم، يأذن الله بخروج يأجوج ومأجوج خروجا جماعيا، فيصبح السد المنيع دكا، ويخرجون سراعا، فيفسدون فى الأرض، ولما كان محمد ε خاتم الأنبياء، فإن تهدم السد أصبح قريبا نسبيا.

عن زينب بنت جحش– رضى الله عنها– أن رسول الله ε دخل عليها –وفى رواية: استيقظ يوما فزعا– يقول: **(ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بأصبعه الإبهام والتى تليها. قالت زينب: فقلت: يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم؛ إذا كثر الخبث)**(1).

والمراد كثرة الفسوق والفجور. وقيل: المراد به الزنا خاصة.

وعن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد بيده تسعين)**(2).

وذلك بأن جعل طرف سبابته اليمنى فى أصل الإبهام وضمهما محكما، بحيث انطوت عقدة إبهامهما حتى صارت كالحية المطوقة.

وعن أبى هريرة τ أن رسول الله ε قال: **(إن يأجوج ومأجوج يحفران كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذى عليهم: ارجعوا فسنحفره غدا، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس؛ حفروا حتى كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذى عليهم: ارجعوا، فسنحفره غدا إن شاء الله، واستثنوا، فيعودون إليه كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم فى حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع إليهم بالدم، فيقولون:**

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (3346 و3598 و7095 و7135)، ومسلم (2880).
(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (33347، 7136)، ومسلم (2881).



قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء)[1].

الفرع الخامس - فتنتهم وهلاكهم:

فتنتهم عامة وشرهم مستطير، أعدادهم عظيمة كالنمل أو الجراد المنتشر، لا يقدر أحد على دفعهم؛ ولذلك ينحاز المسلمون إلى مدنهم وحصونهم، وينحاز عيسى -عليه السلام- ومن معه بأمر الله إلى جبل الطور، ثم يهلكهم الله سبحانه دفعة واحدة بأبسط شيء.

عن النواس بن سمعان τ فى حديثه السابق: (.. **فبينما هو كذلك، إذ أوحى الله -عز وجل- إلى عيسى بن مريم -عليه السلام- إنى قد أخرجت عبادا لى، لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبى الله عيسى -عليه السلام- وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم، فيصبحون فرسى، كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابُه إلى الأرض، فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل مطرًا، لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة، ثم يقال للأرض: أنبتى ثمرتك ..**) الحديث[2].

---

(1) أخرجه أحمد (10640)، وابن ماجة (4080)، وابن جرير فى تفسيره (21/16)، وأبو يعلى فى مسنده (6436)، وابن حبان فى صحيحه (6829)، والحاكم (8501) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى، والدانى فى السنن الواردة فى الفتن (666)، والهيثمى فى الموارد (1908)، وقال البوصيرى فى مصباح الزجاجة (201/4): إسناده صحيح رجاله ثقات، وقال ابن حجر فى الفتح (116/13): كلهم يرويه عن قتادة ورجاله رجال الصحيح إلا أن قتادة مدلس وقد صرح قتادة بأنه سمعه من أبى رافع. والحديث صححه الألبانى فى الصحيحة (1735) وفى صحيح الجامع (2276).

(2) تقدم تخريجه وهو فى صحيح مسلم (2937) (110).



وفى رواية لمسلم نحوه، وزاد بعد قوله: **(لقد كان بهذه مرة ماء: ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر- وهو جبل بيت المقدس- فيقولون: لقد قتلنا من فى الأرض، هلم فلنقتل من فى السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماء)**[1].

وعند الترمذى: **(لقد كان بهذه مرة ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من فى الأرض، فهلم فلنقتل من فى السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم محمرًّا دما، ويحاصر عيسى بن مريم وأصحابُه، حتى يكون رأس الثور يومئذ خيرًا لهم من مائة دينار لأحدكم اليوم.. قال: فيرغب عيسى إلى الله وأصحابه، فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم بالمَهْبَل، ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين، ويرسل الله عليهم مطرا، لا يكن منه بيت وبر ولا مدر، فيغسل الأرض، فيتركها كالزلقة. ثم يقال للأرض: أخرجى ثمرتك، وردى بركتك..)** الحديث[2].

وعند ابن ماجة: **(سيوقد المسلمون من قسى يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين)**[3].

وعن أبى سعيد الخدرى τ قال: قال رسول الله ε: **(تفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس، كما قال الله عز وجل[وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ] فيغشَون الأرض، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض، حتى إن بعضهم ليمر بالنهر، فيشربون ما فيه، حتى يتركوه يبسا، حتى إن**

=

(النغف): دود يكون فى أنوف الإبل والغنم، واحدها نغفة، (فرسى): هلكى مفردها فريس، (الزهم): الزهمة الريحة المنتنة، (البخت): صنف من الإبل غلاظ الأعناق عظام الأجسام، (ببيت مدر): ببيت من طين قد استحجر. (كالزلقة): بالفاء وبالقاف: أى كالمرآة فى صفائها، وجمعها زلف.

(1) أخرجها مسلم (2937) (111)، (نشابهم): سهامهم.

(2) أخرجها الترمذى (2240)، وصححها الألبانى.

(3) أخرجها ابن ماجه (4076)، والديلمى فى الفردوس (3463)، وقال الألبانى: صحيح كما فى السنن والصحيحة (1940)، وصحيح الجامع (3673).



من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان ههنا ماء مرة، حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا فى حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقى أهل السماء، قال: ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمى بها إلى السماء، فترجع إليه مخضبة دما، للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك، إذ بعث الله دودا فى أعناقهم، كنغف الجراد الذى يخرج فى أعناقهم، فيصبحون موتى، لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: ألا رجل يشرى نفسه، فينظر ما فعل هذا العدو؟ قال: فيتجرد منهم رجل محتسبا لنفسه، قد وطنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى، بعضهم على بعض، فينادى: يا معشر المسلمين، ألا أبشروا، فإن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لهم رَعْى إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء من النبات أصابته قط)[1].

وعن عبد الله بن مسعود τ أنه ذكر خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وقتله الدجال قال: ثم يخرج يأجوج ومأجوج، فيموجون فى الأرض، فيفسدون فيها، ثم قرأ عبد الله**[وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ]**، ثم بعث الله عليهم دابة النغف، فتدخل فى أسماعهم ومناخرهم، فيموتون منها، فتنتن الأرض منهم، فيجأر أهل الأرض إلى الله، فيرسل ماء، فيطهر الأرض منهم...[2].

حديث حذيفة بن اليمان مرفوعا، قال أبو حازم: قال عبد الله بن عمرو –رضى الله عنهما–:.. **(ويظهر المسلمون، فيكسرون الصليب، ويقتلون الخنزير، ويضعون الجزية، فبينما هم كذلك، إذ أخرج الله يأجوج ومأجوج، فيشرب أولهم البحيرة، ويجيء آخرهم وقد انتشفوه، فما يدعون فيه قطرة، فيقولون: قد كان ههنا أثر ماء، فيجيء نبى الله وأصحابه وراءه حتى يدخلوا مدينة من مدائن فلسطين يقال لها لد، فيقولون: ظهرنا**

---

(1) أخرجه أحمد (11749)، وابن ماجة (4079) وابن جرير فى تفسيره (21/16)، (90/17)، وابن حبان (6830)، والحاكم مختصرا (2966)، ومطولا (8504) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى ووافقهما البوصيرى فى مصباح الزجاجة، وقال الألبانى: فى الصحيحة (1793)، وفى صحيح الجامع (2973): حسن.

(2) تقدم تخريجه، وهو عند أبى شيبة والحاكم وصححه ووافقه الذهبى.

على من فى الأرض، فتعالوا نقاتل من فى السماء، فيدعو الله نبيه عند ذلك، فيبعث قرحة فى حلوقهم، فلا يبقى منهم بشر، فتؤذى ريحُهم المسلمين، فيدعو عيسى عليهم، فيرسل الله عليهم ريحا، فتقذفهم فى البحر أجمعين)[1].

---

(1) أخرجه ابن منده فى الإيمان (1033)، والحاكم (8507) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وورد الحديث مختصرا فى صحيح مسلم (2934).

الأمارة الرابعة
طلوع الشمس من مغربها

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: أدلة طلوعها من المغرب.

الفرع الثانى: مدة بقائها على تلك الحالة.

الفرع الثالث: طى الدواوين بعد طلوع الشمس من مغربها، والحكمة من إغلاق باب التوبة.

الفرع الرابع: الزمن الباقى لقيام الساعة.

الفرع الأول ـ أدلة طلوع الشمس من المغرب:

اقتضت حكمة الله فى نظام الكون أن تطلع الشمس من جهة المشرق، وأن تغيب من جهة المغرب كل يوم، وشاءت حكمته البالغة أن يجعلها عند فساد الناس فى آخر الزمن، وعصيانهم أوامر الله، وتبديلهم دين الحق، أن يجعلها تطلع من جهة المغرب، بعكس نظامها الحالى، لتكون آية عظيمة دالة على قرب قيام الساعة، يراها كل من يكون فى ذلك الوقت، وآنئذ تتكشف لهم الحقائق، ويشاهدون من الأهوال ما يلوى أعناقهم، ولذلك لا يقبل الإيمان ممن لم يكن آمن من قبل، كما لا تقبل توبة العاصى، فيندمون ويتحسرون، ولات ساعة ندم.

ومن الأدلة على طلوع الشمس من المغرب ما يلى:

1. قال تعالى: **[هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَـأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَـةُ أَوْ يَـأْتِى رَبُّـكَ أَوْ يَـأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَـعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ]** (الأنعام: 158).

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن المراد ببعض الآيات هنا هو طلوع الشمس من مغربها ومنها ما يلى:

أ. عن أبى سعيد الخدرى τ أن النبى ε قال فى الآية:

[يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ]: (طلوع الشمس من مغربها)[1].

ب. وعن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس، آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا)**[2].

---

(1) أخرجه ابن أبى شيبة (37597)، وأحمد (11284)، وعبد بن حميد فى مسنده (902)، وأبو يعلى (1353)، والطبرى فى تفسيره (97/8)، وابن أبى حاتم فى تفسيره (8141)، والترمذى (3071) وقال حسن غريب. وقال عنه الألبانى فى تعليقه على الترمذى: صحيح.

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (4636 و6506)، ومسلم (157).



وفى رواية: **(فإذا رآها الناس آمن من عليها)**[1].

جـ. وعن صفوان بن عسال τ أن رسول الله ε قال: **(إن لله عز وجل بالمغرب بابًا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة: لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله، وذلك قوله تعالى: [يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ...] الآية)**[2].

2. وعن أبى هريرة τ أن رسول الله ε قال: **(بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدجال، والدابة، وخويصة أحدكم، وأمر العامة)**[3].

3. وعنه τ أن رسول الله ε قال: **(ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض)**[4].

4. وعن حذيفة بن أسيد الغفارى τ قال: قال رسول الله ε: **(إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم، وثلاثة خسوف، خسفًا بالمشرق، وخسفًا بالمغرب، وخسفًا بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا)**[5].

5. وعن أبى ذر τ أن رسول الله ε قال يوما: **(أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **إن هذه تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش، فتخر**

---

(1) أخرجها البخارى (4635).

(2) أخرجه أحمد (18118) والترمذى (3535 و3536)، وابن جرير فى تفسيره (99/8)، وابن خزيمة فى صحيحه (193)، والطبرانى فى الكبير (7352 و3753 و7359 و7383 و7360 و7388)، والدارقطنى (15)، والبيهقى فى الكبرى (1252)، والمنذرى فى الترغيب (4742 و4743)، والضياء فى المختارة (33/8) وما بعدها رقم (24 و29 و30 و31) وقال: إسناده حسن، وحسنه الألبانى فى السنن.

(3) أخرجه مسلم (2947).

(4) أخرجه مسلم (158).

(5) تقدم تخريجه وهو فى صحيح مسلم (2901).



ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعى، ارجعى من حيث جئت، فترجع طالعة من مطلعها، ثم تجرى لا يستنكر الناس منها شيئا، حتى تنتهى إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعى، أصبحت طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها، أتدرون متى ذاكم؟ حين لا ينفع نفسا إيمانها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا)[1].

وعنه عند البخارى: **(أتدرى أين تذهب هذه الشمس إذا غربت؟** قلت:لا، قال: **إنها تنتهى فتسجد تحت العرش، ثم تستأذن، فيوشك أن يقال لها: ارجعى من حيث جئت، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا)**[2].

الفرع الثانى - مدة بقائها على تلك الحالة:

وطلوع الشمس العكسى إنما يكون مرة واحدة فى يوم واحد، ثم تعود الشمس كما كانت، فتطلع من المشرق إلى أن تقوم الساعة.

1. عن عبد الله بن أوفى τ قال: سمعت رسول الله ε يقول: **(ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليال من لياليكم هذه، فإذا كان ذلك عرفها المتنفلون، يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ثم ينام، ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام، فبينما هم كذلك، صاح الناس بعضهم فى بعض، فقالوا: ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد، فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها، حتى إذا صارت فى وسط السماء، رجعت وطلعت من مطلعها، قال: فحينئذ لا ينفع نفسا إيمانها)**[3].

2. وعن عبد الله بن مسعود τ نحوه، وفيه: **(ويفزع المتهجدون، وينادى الرجل تلك الليلة جاره، يا فلان ما شأننا الليلة؟ لقد نمتُ حتى شبعتُ، وصليتُ حتى أعييتُ؟ ثم**

---

(1) أخرجه مسلم (159) (250).

(2) أخرجه البخارى (3199 و4802 و4803 و7424 و7433).

(3) ذكره ابن كثير فى النهاية (184/1) وفى تفسير الأنعام [آية: 158] وعزاه لابن مردويه فى تفسيره وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس فى شيء من الكتب الستة.



يقال لها: اطلعى من حيث غربت، فذلك يوم لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا)[1].

3. وعن حذيفة τ قال: سألت رسول الله ε: ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال: **(تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين، فيتنبه الذين كانوا يصلون فيها، يعملون كما كانوا يعملون قبلها، والنجوم لا ترى، قد باتت مكانها، يرقدون ثم يقومون فيصلون، ثم يرقدون ثم يقومون فيصلون، ثم يرقدون ثم يقومون، يتطاول الليل، فيفزع الناس ولا يصبحون، فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها، إذ طلعت من مغربها، فإذا رآها الناس آمنوا، ولا ينفعهم إيمانهم)**[2].

4. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص τ نحوه، وفيه: **(قدر ليلتين أو ثلاث فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون، ويعملون كما كانوا، ولا يرون إلا قد قامت النجوم مكانها، ثم يرقدون ثم يقومون، ثم يقضون صلاتهم، والليل كأنه لم ينقض، فيضجعون، حتى إذا استيقظوا والليل مكانه، حتى يتطاول عليهم الليل، فإذا رأوا ذلك، خافوا أن يكون ذلك بين يدى أمر عظيم، فيفزع الناس، وهاج بعضهم فى بعض، فقالوا: ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد، فإذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس، فبينما هم ينظرون طلوعها من المشرق، إذ هى طالعة عليهم من مغربها، فيصبح الناس ضجة واحدة، حتى إذا صارت فى وسط السماء، رجعت وطلعت من مطلعها)**[3].

---

(1) ذكره ابن كثير فى النهاية (185/1) وعزاه للبيهقى فى البعث والنشور، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (396/3) وعزاه لأبى الشيخ فى العظمة وللبيهقى.

(2) ذكره ابن كثير فى النهاية (184/1) وعزاه لابن مردوية فى تفسيره، وذكره السفارينى فى لوامع الأنوار (138/2)، وذكره السيوطى فى اللالئ المصنوعة (59/1) شاهدا لقصة طول الليل عند طلوع الشمس من مغربها.

(3) ذكره السفارينى فى لوامع الأنوار (138/2). وعزاه للبيهقى.

الفرع الثالث - طى الدواوين بعد طلوع الشمس من مغربها، والحكمة من إغلاق باب التوبة:

أولاً – طى الدواوين بعد طلوع الشمس من مغربها:

دلت الآية والأحاديث الثابتة الصحاح والحسان على أن باب التوبة مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها لا يقبل الإيمان من الكافر، ولا التوبة من العاصى، بل تطوى الدواوين، فلا يكتب بعد ذلك عمل، لكن تشهد عليهم أجسادهم، ومن ذلك ما يلى:

1. عن أبى موسى τ قال: قال رسول الله ε: **(إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها)**[1].

2. عن عبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان وعبد الله بن عمرو ومالك بن يخامر رضى الله عنهم أن النبى ε قال: **(الهجرة خصلتان: إحداهما أن تهجر السيئات، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه، وكفى الناس العمل)**[2].

3. عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ε عشية من العشيات فقال: **(يا عباد الله توبوا إلى الله – مرات – فإنكم توشكون أن تروا الشمس من مغربها، فإذا فعلت ذلك، حبست التوبة، وطوى العمل، وختم الإيمان...)** الحديث[3].

---

(1) أخرجه مسلم (2759).

(2) أخرجه أحمد (1671)، والطحاوى فى مشكل الآثار (2635)، والبزار (1054)، والبيهقى فى شعب الإيمان (7215). وقال الهيثمى فى المجمع (251/5): رجال أحمد ثقات. أهـ. وحسن إسناده محققو مسند الرسالة.

(3) أخرجه ابن جرير (117/8)، وابن أبى حاتم فى تفسير الأنعام: 158، وأورده السيوطى فى الدر المنثور (391/3) وعزاه لابن مردويه وابن أبى حاتم. والحديث مسلسل بالضعفاء من أسرة واحدة فهم من أسرة محمد بن سعد العوفى وهو ضعيف عن ابن عباس.



4. وعن أنس τ أن الدواوين تطوى، والأقلام تجف، ولا يزاد فى حسنة، ولا ينقص من سيئة[1].

5. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: إذا خرجت أول الآيات – تعنى طلوع الشمس من المغرب – طرحت الأقلام، وطويت الصحف، وخلصت الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال[2].

6. وعن عبد الله بن مسعود τ أنه قال: **(التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها)**[3].

لا يقبل إيمان كافر ولا توبة عاص: من لم يكن إيمانه متحققا، لا ينفعه تجديد الإيمان إذا طلعت الشمس من مغربها ولا ينفعه فعل بر البتة؛ لأنه فقد الإيمان الذى هو الأساس.

ومن تحقق اتصافه بالإيمان من قبل، واستمر إلى طلوع الشمس من مغربها:

فإما أن يكون مقيما على المعاصى، ولم يكسب فى إيمانه خيرا، فهذا ينفعه الإيمان السابق المجرد عن الأعمال فى أصل النجاة، فلا يخلد فى النار إذا دخلها بذنوبه.

وإما أن يكون مؤمنا تائبا عن المعاصى كاسبا فى إيمانه خيرا ما استطاع، فهذا ينفعه إيمانه السابق فى نجاته، وتنفعه أعماله السابقة الصالحة فى درجاته، وينفعه ما يعمله بعد ذلك من الحسنات التى سبق منه مثلها.

وإما أن يكون مؤمنا خلاطًا، فهذا ينفعه إيمانه السابق فى أصل نجاته، وينفعه ما قدمه

---

(1) ذكره السفارينى فى لوامع الأنوار (142/2) وعزاه لابن مردويه وغيره.

(2) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (1798 و1819 و1822)، وعبد الرزاق فى تفسيره فى تفسير الأنعام: 158 رقم (852)، وابن جرير فى تفسيره (120/8)، وذكر الحافظ فى الفتح (363/11) وعزاه لعبد بن حميد والطبرى وقال: إسناده صحيح، ومثله فعل السفارينى فى لوامع الأنوار (142/2).

(3) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره (843)، وسعيد بن منصور فى سننه (116/5)، والطبرى فى تفسيره (118/8).

من الحسنات فى درجاته، لكن لا تنفعه توبته من الأعمال السيئة، ولا تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك، ما لم يكن عملها من قبل واستمر على عملها من نحو صلاة وقراءة وذكر.

فلا ينفع الإيمان المحدث فى ذلك اليوم لمن كان كافرا، ولا التوبة المحدثة للمؤمن المقيم على المعاصى، ولا تقبل منه حسنة يعملها بعد ذلك، ولا التوبة المحدثة لمن كان خلاطا، ولا أعمال البر المحدثة لمن لم يكن يعملها من قبل.

والضابط فى ذلك أن كل بر محدث بسبب رؤية آية الطلوع، ولم يسبق من صاحبه مثله، لا ينفعه، سواء كان من الأصول أو الفروع، وكل بر سابق كان صاحبه يعمل به قبل رؤية الآية ينفعه.

ثانيًا - الحكمة من إغلاق باب التوبة:

وإنما كان كذلك لأن هذه الآية من أكبر أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على دنوها فعومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة. قال تعالى: **[فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ {84} فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ]** (غافر: 84-85).

وذلك لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم فى حال من حضره الموت فى انقطاع الدواعى إلى المعاصى، لإيقانهم بدنو يوم القيامة، كمن حضره الموت.

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ع قال: **(إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)**[1].

---

(1) أخرجه أحمد (6160 و6408)، والترمذى (3537) وقال حسن غريب، وابن ماجه (4253)، وأبو يعلى فى مسنده (5609 و5717)، والطبرانى فى مسند الشاميين (194 و3519)، وابن حبان فى صحيحه (628)، والبيهقى فى الشعب (7063)، والحاكم (7659) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى، وقال الألبانى فى السنن وفى صحيح الجامع (1903): حسن ووافقه الأرناؤوط فى تحقيق المسند.

الفرع الرابع - الزمن الباقى لقيام الساعة:

طلوع الشمس من مغربها هو العلامة الأولى لتغير أحوال الكون، ولاسيما العالم العلوى، وهو قريب جدا من قيام الساعة؛ ولذلك يغلق باب التوبة، وتخرج الدابة.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ε يقول: **(إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبا)**[1].

وعنه τ أنه قال: **(يبقى شرار الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة)**[2].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى حديثه السابق فقال أبى بن كعب τ: **(فكيف بالشمس والناس بعد ذلك قال: تكسى الشمس الضوء، وتطلع كما كانت تطلع، ويقبل الناس على الدنيا، فلو نتج رجل مهراً لم يركبه حتى تقوم الساعة)**[3].

وجمع العلماء بين الروايات بأن المدة مائة وعشرون سنة، لكنها تمر مرًا سريعاً كمقدار عشرين ومائة شهر.

تنبيه: عدم قبول التوبة والدخول فى الإسلام محمول على من بلغته الدعوة، وكان عاقلاً بالغاً واختار الكفر، ثم ظهرت الآية: لأنه فى حكم من انكشف له الغيب كالمحتضر.

= وقوله: (يغرغر) أى: تبلغ روحه حلقومه.

(1) أخرجه مسلم (2941).

(2) أخرجه موقوفا ابن أبى شيبة فى مصنفه (38755)، وقال ابن حجر فى الفتح (361/11): رفع هذا لا يثبت، وقد أخرجه عبد بن حميد فى تفسيره بسند جيد عن عبد الله بن عمرو مرفوعا.

(3) تقدم تخريجه قبل ستة أحاديث، وهو ضعيف.

الأمارة الخامسة
خروج الدابة

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: أدلة خروجها.

الفرع الثانى: صفتها والمكان الذى تخرج منه.

الفرع الثالث: عملها عند خروجها.



الفرع الأول ـ أدلة خروجها:

ومن علامات الساعة بعد طلوع الشمس من مغربها، وإغلاق باب التوبة أن يخلق الله سبحانه دابة تخالف ما عهده البشر من الدواب، فهى تخرج من الأرض وهى تعقل وتنطق فهى تخاطب الناس مميزة المؤمن من الكافر، تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة، وليقع للناس العلم بأنها آية من عند الله.

ومن أدلة خروجها:

1. **قال تعالى: [وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ] (النمل: 82).**

أى إذا وجب الوعيد على الناس بسبب فسادهم وتماديهم فى العصيان والطغيان، وتبديلهم الدين الحق، أخرجنا لهم دابة من جوف الأرض، تكلمهم وتناظرهم على خلاف العادة، ليعلموا أن الساعة أزفت، وأن العذاب أصبح وشيكاً

2. عن أبى هريرة τ فى حديثه السابق: **(بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدجال، والدابة)**[1].

3. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فى حديثه السابق: **(إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريباً)**[2].

أى أول الآيات التى ليست مألوفة وهى مخالفة للعادات المستقرة فهى أولى الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها أولى الآيات السماوية[3].

4. وعن حذيفة بن أسيد τ فى حديثه السابق: اطلع النبى ε ونحن نتذاكر الساعة

---

(1) تقدم تخريجه وهو فى صحيح مسلم (2947).

(2) تقدم تخريجه وهو فى صحيح مسلم (2941).

(3) قال ابن حجر فى الفتح (11/ 361): قال الحاكم أبو عبد الله: الذى يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ثم تخرج الدابة فى ذلك اليوم أو الذى يقرب منه.



فقال: **(إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها)**[1].

5. وعن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً؛ طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض)**[2].

الفرع الثانى - صفتها والمكان الذى تخرج فيه:

أولاً – صفتها:

هى دابة عظيمة ذات قوائم، لها زغب وريش.

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: هى دابة ذات زغب وريش: لها أربع قوائم تخرج من أودية تهامة[3].

ثانيًا – المكان الذى تخرج منه:

اختلفت الأقوال فى مكان خروجها:

أ. أكثر الأقوال تذكر أنها تخرج من الحرم المكى من غير تحديد.

عن حذيفة بن أسيد τ أن رسول الله ε قال: **(تخرج الدابة من أعظم المساجد فبينما هم كذلك إذا رَنت الأرض فبينما الناس هم كذلك إذ تصدعت).**

---

(1) تقدم تخريجه وهو فى صحيح مسلم (2901).

(2) تقدم تخريجه وهو فى صحيح مسلم (158).

(3) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (1862)، وعبد الرزاق فى تفسيره سورة النمل (2107)، والفاكهى فى أخبار مكة (2347)، وابن أبى حاتم فى تفسيره (16602)، والدانى فى السنن الواردة فى الفتن (700)، والسيوطى فى الدر المنثور (381/6) وعزاه لسعيد بن منصور، ونعيم، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى البعث والنشور.
وقوله: (زغب) أى: عليها زغب وهو صغار الريش أول ما يطلع.



قال ابن عيينة: تخرج تسير حين يسير الإمام من جمع، وإنما جعل أى الإمام سابقاً ليخبر الناس أن الدابة لم تخرج)[1].

ب. وقيل: تخرج من صدع بالصفا.

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: تخرج الدابة من صدع فى الصفا، كجرى الفرس، ثلاثة أيام، لا يخرج ثلثها[2].

قالوا: تخرج ليلة جمع[3] والناس سائرون إلى منى، فيتصدع الصفا، فتخرج منه.

جـ. وقيل: لها ثلاث خرجات، فتخرج مرة فى بعض البوادى، ثم تختفى، ثم تخرج فى بعض القرى، ثم تظهر فى المسجد الحرام.

عن حذيفة بن أسيد الغفارى τ قال: ذكر رسول الله ε الدابة فقال: **(لها ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج خرجة من أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية –يعنى مكة– ثم تكمن زمنا طويلا، ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك، فيعلو ذكرها فى أهل البادية، ويدخل ذكرها بالقرية)**، قال رسول الله ε: **(بينما الناس فى أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهى ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب ...)** الحديث[4].

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه τ قال: ذهب بى رسول الله ε إلى موضع بالبادية قريب من مكة، فإذا أرض يابسة، حولها رمل، فقال رسول الله ε: **(تخرج الدابة من هذا**

---

(1) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (1635) وقال الهيثمى فى المجمع (313/7): رجاله ثقات.

(2) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (38442)، ونعيم بن حماد فى الفتن (1859)، وابن أبى حاتم فى تفسره (17359).

(3) أى: ليلة مزدلفة.

(4) أخرجه الطيالسى فى مسنده (1165)، وابن جرير فى تفسيره (16/20) بنحوه، والحاكم (8490) وصححه، وقال الذهبى: طلحة بن عمرو الحضرمى ضعفوه وتركه أحمد. أهـ.، وابن أبى حاتم (17351)، والطبرانى فى الكبير (3035)، وابن حجر فى المطالب العالية (4487)، وأورده الهيثمى فى المجمع (15/8) وقال: رواه الطبرانى وفيه طلحة بن عمرو وهو متروك.



الموضع فإذا فتر فى شبر)[1].

عن ابن عباس رضى الله عنهما فى أثره السابق فى صفتها... تخرج فى بعض أودية تهامة[2].

الفرع الثالث - عملها عند خروجها:

أولاً – تكلم الناس أنهم كانوا بآيات الله لا يؤمنون:

واختلف العلماء فى المراد من التكليم[3]:

---

(1) أخرجه أحمد (23023)، وابن ماجه (4067) وقال البوصيرى فى مصباح الزجاجة: هذا إسناد ضعيف؛ لأن خالد بن عبيد قال عنه البخارى: فى حديثه نظر، وقال ابن حبان والحاكم: يحدث عن أنس بأحاديث موضوعة. أ. هـ. وقال الألبانى: فى تعليقه على هذا الحديث فى سنن ابن ماجة: ضعيف جدا.

(قلت): ووقع فى رواية ابن ماجة بعده: "قال ابن بريدة: فحججت بعد ذلك بسنين، فأرانا عصا له، فإذا هو بعصاى هذه هكذا وهكذا"

قال ابن كثير فى النهاية (178/1 الحديث): يعنى أنه كلما مضى وقت يتسع حتى يكون وقت خروجها. والله أعلم.

(2) تقدم تخريجه قبل خمسة أحاديث.

(3) اختلف القراء فى قراءة هذه الآية **[أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ]** (النمل: 82).

قرأ الجمهور ومعهم العشرة "تُكَلِّمُهُم" من الكلام ويؤيد هذه القراءة وهذا المعنى دليلان

الأول: أنها فى قراءة أبى بن كعب "تنبئهم".

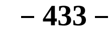
الثانى: أنها فى قراءة ابن مسعود "تكلمهم بأن الناس..." الآية.

قرأ ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والجحدرى وأبو زرعة "تَكْلِمُهُم" أى تجرحهم من التكليم فى الجرح والوسم. ويؤيد هذه القراءة بهذا المعنى دليلان

الأول: ما روى عن بعض القراء "تجرّحهم".

الثانى: قراءة ابن مسعود "تكلمهم بأن" أى بسبب كفرهم وعدم يقينهم.

[ينظر "مختصر الشواذ (صـ 122)، المحتسب لابن جنى (190/2) تفسير الطبرى (18/20)، المحرر الوجيز (271/4)، والقرطبى فى تفسيره (181/13)].



أ. ذهب بعضهم إلى أنها تكلمهم كلاما يفهمونه، وتخاطبهم مخاطبة، ويؤيد ذلك قراءة أبى بن كعب (تنبئهم).

ب. وذهب آخرون إلى أنها تجرحهم، وتسمهم على خراطيمهم. من الكَلْم، وهو الجرح.

ويؤيد ذلك قراءة مروية عن ابن عباس (تكلمهم) بفتح التاء وسكون الكاف.

ثانيًا – تسم الناس على أنوفهم بالإيمان أو الكفر:

فالمؤمن يضيء منها والكافر يظلم، فيصبح ذلك فيهم وصفا ظاهرا وعلامة دائمة، يتميز بها بعضهم عن بعض.

عن أبى أمامة τ أن رسول الله قال: **(تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يعمرون وفى رواية يُغمرون فيكم، حتى يشترى الرجل الدابة وفى رواية البعير فيقال: ممن اشتريت؟ فيقول: من الرجل المخطم، وفى رواية: من أحد المخطمين)**[1].

وعن أبى هريرة τ أن رسول الله ε قال: **(تخرج الدابة، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، فتخطم الكافر قال عفان: أنف الكافر بالخاتم، وتجلو وجه المؤمن بالعصا، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون على خوانهم، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر)**[2].

وعن حذيفة بن أسيد τ فى حديث سابق: (... **فارفض الناس عنها شتى ومعًا،**

---

(1) أخرجه أحمد (22362) والبخارى فى تاريخه (2071)، وقال الهيثمى فى المجمع (14/8): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية وهو ثقة.
وقال الألبانى فى الصحيحة (322)، وفى صحيح الجامع (2927): صحيح.

(2) أخرجه أحمد (7924 و10366)، والترمذى (3187) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (4066)، ونعيم بن حماد فى الفتن (1861)، والحاكم (8494) وسكت عنه هو والذهبى، وصححه أحمد شاكر فى تعليقه على المسند، وضعفه الألبانى فى الضعيفة لأجل أوس بن خالد وهو منكر الحديث، وعلى بن زيد بن جدعان ضعيف. ينظر الضعيفة (1108).

وبقيت عصابة المؤمنين، وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها مثل الكوكب الدرى، وولت فى الأرض لا يدركها طالب، ولا ينجو منها هارب، حتى إن الرجل ليتعوذ، فتأتيه من خلف، فتقول: يا فلان تصلي؟ فيقبل عليها فتسمه فى وجهه، ثم تنطلق، ويشترك الناس فى الأموال ويصطحبون فى الأمصار، يعرف المؤمن من الكافر، حتى أن المؤمن ليقول: يا كافر اقضنى حقى، وحتى إن الكافر ليقول: يا مؤمن اقضنى حقي)[1].

---

(1) تقدم تخريجه قبل أربعة أحاديث وسنده ضعيف جداً.

الأمارة السادسة
الدخان

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أدلة ظهوره.

الفرع الثانى: مدة بقائه وتأثيره على الناس.



الفرع الأول ـ أدلة ظهوره:

من علامات الساعة الكبرى ظهور الدخان الذى يملأ الأرض كلها، فتصبح كبيت أوقد فيه، وهو إنذار للكافرين ببدء حلول العذاب ونزول النقمة بهم.

ومن أدلة ظهوره:

1. قال تعالى: **[فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ {10} يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ {11} رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ {12} أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ]** (الدخان:10-13).

2. عن حذيفة بن أسيد الغفارى τ فى حديثه السابق: **(إنها -أى الساعة- لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة ...)** الحديث[1].

3. وعن أبى هريرة τ فى حديثه السابق: **(بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدجال ...)** الحديث[2].

4. وعن عقبة بن عامر τ أن رسول الله ε قال: **(يطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوداء من قبل المغرب، مثل الترس، فلا تزال ترتفع فى السماء وتنتشر حتى تملأ السماء، ثم ينادى مناد: أيها الناس، أتى أمر الله فلا تستعجلوه..)**[3].

5. عن عبد الله بن أبى مليكه قال: غدوت على ابن عباس رضى الله عنهما ذات يوم فقال: ما نمتُ الليلة حتى أصبحتُ، قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب،

---

(1) تقدم تخريجه مرارا وهو فى صحيح مسلم (2901).

(2) تقدم تخريجه مرارا وهو فى صحيح مسلم (2947).

(3) أخرجه الطبرانى فى الكبير (325/17) (رقم 899)، والحاكم (8622) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، وذكره المنذرى فى الترغيب (5411) وقال: إسناده جيد رواته ثقات مشهورون، وأورده الهيثمى فى المجمع (331/10) وقال: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله مولى المغيرة وهو ثقة. أهـ.، وضعفه الألبانى فى الضعيفة (5009) وفى ضعيف الترغيب (2083).



فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت[1].

الفرع الثانى - مدة بقائه، وتأثيره على الناس:

أولاً – مدة بقائه:

يخرج الدخان قبل قيام الساعة، ويمكث أربعين يوما، ثم تأتى ريح لينة لطيفة، تقبض أرواح المؤمنين جميعا، وتخلف النفوس الكافرة، تمهيدا لقيام الساعة كما سيأتى.

عن حذيفة بن اليمان τ أن رسول الله ε قال: **(إن من أشراط الساعة دخانا يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث فى الأرض أربعين يوما، فأما المؤمن، فيصيبه منه شبه الزكام، وأما الكافر، فيكون بمنزلة السكران، يخرج الدخان من فيه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره)**[2].

ثانيًا – تأثيره على الناس:

يراه المؤمنون فلا يضرهم، وإنما يصيبهم منه ما يشبه الزكام، ويضايق الكفار والمنافقين، فيدخل فى منافذهم فينتفخون حتى يخرج من كل مسمع منهم.

عن أبى مالك الأشعرى τ قال: قال رسول الله ε: **(إن ربكم أنذركم ثلاثا: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر، فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية**

---

(1) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره (206/3)، والطبرى فى تفسيره (113/25)، والحاكم (8419) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه ابن كثير فى تفسيره (140/4)، والسيوطى فى الدر المنثور (407/7).

(2) أخرجه ابن جرير فى تفسيره (114/25). وقال الألبانى فى الضعيفة (6550): موضوع بهذا التمام. فائدة: كان ابن مسعود رضى الله عنه يرى أن آية الدخان قد مضت والحديث مخرج فى الصحيحين [البخارى (4820 و4821 و4822 و4823 و4824)، ومسلم (2798)] وورد عن على وحذيفة وابن عمر والحسن وغيرهم أن آية الدخان لم تأت بعد ينظر [شرح النووى لمسلم (27/18)، وفتح البارى (436/8)، وتفسير ابن كثير لسورة الدخان].



الدابة، والثالثة الدجال)[1].

وعن على τ قال: آية الدخان لم تمض بعد، يأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام، وينفخ الكافر حتى ينفذ[2].

---

(1) أخرجه ابن جرير (114/25)، والطبرانى فى الكبير (2440)، وفى مسند الشاميين (1663)، وقال ابن كثير فى التفسير (140/4): وهذا إسناد جيد، ووافقه السيوطى فى الدر المنثور (408/7)، وقال الألبانى فى الضعيفة (1510): هذه زيادة منكرة.

(2) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره (206/3)، وابن أبى حاتم (18534).




الأمارة السابعة
رفع القرآن الكريم

يرفع القرآن الكريم من المصاحف، ثم من الصدور لأعجل زمن، أما رفعه من المصاحف، فيكون بأخذه منها ليلا، فيبيتون ثم يصبحون، وليس فيه حرف مكتوب، وأما أخذه من الصدور، فيكون بترك تذاكره والعمل بما فيه ونسيانه.

أدلة رفعه:

عن حذيفة بن اليمان τ قال: قال رسول الله ε: **(يَدْرُسُ الإسلام كما يَدْرُسُ وشى الثوب، حتى لا يُدرَى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليُسْرَى على كتاب الله فى ليلة، فلا يبقى فى الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، يقولون: لا إله إلا الله، فنحن نقولها)**. فقال صلة بن زفر لحذيفة τ ما تغنى عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة τ ثم ردها عليه ثلاثا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة τ ثم أقبل عليه فى الثالثة فقال: يا صلة تنجيهم من النار. ثلاثا)[1].

---

(1) أخرجه ابن ماجه (4049)، والبزار مختصرا (2838) ونعيم بن حماد فى الفتن (1665) والحاكم (8460 و8636) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى، وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (2028). وقال البوصيرى فى تعليقه على ابن ماجة: إسناده صحيح رجاله ثقات، وقال ابن حجر فى الفتح (19/13): سنده قوى، ووافقهم الألبانى فى الصحيحة (87).

وقوله **(يدرس الإسلام)** أى يهلك ويزول أثره كما يزول الثوب إذا كان عتيقا.

فائدة: قال الألبانى رحمة الله فى الصحيحة (86/1) تعليقا على حديث حذيفة: "وفى هذا الحديث نبأ خطير، وهو أنه سوف يأتى يوم على الإسلام يُمحى أثره، وعلى القرآن فيرفع فلا يبقى منه ولا آية واحدة، وذلك لا يكون قطعاً إلا بعد أن يسيطر الإسلام على الكرة الأرضية جميعها، وتكون كلمته فيها هى العليا.. وما رَفْعُ القرآن الكريم فى آخر الزمان إلا تمهيدا لإقامة الساعة على شرار الخلق الذين لا يعرفون شيئا من الإسلام البتة حتى ولا توحيده.



وعن عبد الله بن مسعود τ أنه قال: **(لينزعن القرآن من بين أظهركم، يسرى عليه ليلا، فيذهب من أجواف الرجال، فلا يبقى فى الأرض منه شيء)**[1].

وهذا يدل على أن القرآن يسرى عليه النسيان فى المصاحف والصدور.

=

وفى الحديث إشارة إلى عظمة القرآن، وأن وجوده بين المسلمين هو السبب لبقاء دينهم ورسوخ بنيانه وما ذلك إلا بتدارسه وتدبره وتفهمه، ولذلك تعهد الله تبارك وتعالى بحفظه، إلى أن يأذن الله برفعه". أهـ.

(1) أخرجه بهذا اللفظ عبد الرزاق فى مصنفه (5981) والطبرانى فى الكبير (8700)، وبنحوه أخرجه ابن المبارك فى الزهد (803) والدارقطنى فى السنن (3341) وسعيد بن منصور فى سننه (97)، والطبرى فى التفسير (158/15)، والدانى فى السنن الواردة فى الفتن (269)، وأورد الحديث باللفظ المثبت الهيثمى فى المجمع (330/7) وقال: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة، أ هـ وقال الحافظ فى الفتح (19/13): سنده صحيح لكنه موقوف.



الأمارة الثامنة
الريح اللينة

بعد انتهاء أربعين الدخان، يرسل الله سبحانه ريحا لينة من قبل الشام واليمن، تقبض أرواح المؤمنين جميعا، حتى أولئك الذين يقولون: **(لا إله إلا الله)** تقليدا لآبائهم، ولا تخلف إلا الكفرة، تمهيدًا ليوم الساعة.

ومن أدلة خروجها:

عن النواس بن سمعان τ فى حديثه السابق: **(... فبينما هم كذلك، إذ بعث الله ريحا طيبا، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة)**[1].

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فى حديثه السابق: **(... ثم يرسل الله عز وجل، ريحا باردة، من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه)**[2].

وفى رواية: **(ثم يبعث الله ريحا كريح المسك، مسها مس الحرير، فلا تترك نفسا فى قلبها مثقال حبة من إيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة)**[3].

عن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(إن الله يبعث ريحا من اليمن، ألين من الحرير، فلا تدع أحدا فى قلبه مثقال حبة** -وفى رواية:- **مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته)**[4].

---

(1) تقدم تخريجه، وهو عند مسلم (2937).

(2) تقدم تخريجه، وهو عند مسلم (2940) (116).

(3) أخرجها مسلم (1924).

(4) أخرجه مسلم (117).



وعن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ε يقول: **(لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبَدَ اللات والعزى)** قلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله تعالى: **[هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ]** أن ذلك تام؟ قال: **(إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا طيبة، فتتوفى كلَّ من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم)**[1].

(1) أخرجه مسلم (2907).



الأمارة التاسعة

هدم الكعبة

اختلف العلماء فى الزمن الذى تهدم فيه الكعبة، والظاهر من الأحاديث أن هدمها يكون بعد رفع القرآن من المصاحف وصدور الناس وبعد هبوب الريح اللينة التى تقبض روح كل مؤمن، حيث ينقطع الحاج ولا يبقى فى الأرض أحد يقول: الله الله.

ومن علامات الساعة الكبرى فى آخر الزمان، حين لا يبقى على الأرض أحد يقول: الله، أن يخرج رجل من الحبشة، يسيل بجيشه سيل النمل، يخرب الكعبة المشرفة، فيجردها من كسوتها ويسلبها حليها، وينقضها حجرا حجرا، ولا تعمر بعد ذلك أبدا.

عن أبى هريرة τ أن رسول الله ε قال: **(يُبايَعُ لرجل بين الركن والمقام، ولن يستحل هذا البيت إلا أهله، فإذا استحلوه، فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تأتى الحبشة، فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا، وهم الذين يستخرجون كنزه)**[1].

ففى زمن الفيل لم يستحل البيتُ أهله، فمنعه الله منهم، أما فى آخر الزمان وبعد استحلال أهلِه له مرارًا، فإن الله سبحانه يمكن الحبشة منه، ولا يحبسهم عنه كما حبس أصحاف الفيل عقوبة لهم، ولقرب قيام الساعة بعد فناء أهل الحق، فسلطهم على تخريبها لئلا تبقى معطلة بعدما كانت مهابة مبجلة.

عن أبى سعيد τ قال: قال رسول الله ε: **(لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت)**[2].

---

(1) أخرجه ابن الجعد فى مسنده (2810)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (37244)، وأحمد (8099 و8333 و8604)، وابن حبان (7827) والحاكم (8395) وقال: صحيح، والهيثمى فى موارد الظمآن (1030) وفى المجمع (298/3): وقال: فى الصحيح بعضه رواه أحمد ورجاله ثقات. وصححه أحمد شاكر فى تعليقه على المسند، ووافقهم الألبانى وصححه فى الصحيحة (579 و2743).

(2) أخرجه البخارى تعليقا (1593) مجزوما به، وأما وصله فقد أخرجه أبو يعلى (991)، وابن حبان (6750)، والحاكم (8397)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والهيثمى فى الموارد

صفات الهادم:

1. عن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة)**[1].

2. عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ε يقول: **(يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حليها، ويجردها من كسوتها، ولكأنى أنظر إليه أصيلعا أفيدعا، يضرب عليها بمساحيه ومعوله)**[2].

وأخرج الأزرقى عنه: يجيش البحر عن فئة من السودان، ثم يسيلون سيل النمل، حتى ينتهى إلى الكعبة، فيخربونها، والذى نفسى بيده، لكأنى أنظر إلى صفته فى كتاب الله تعالى، أفيحج أُصيلع أفيدع، قائما بمسحاته أو معوله[3].

وأخرج نعيم بن حماد فى الفتن عنه τ موقوفا: كأنى أنظر إلى حبشى [أقدع] حمش الساقين، جالسا على الكعبة بمسحاته، وهى تهدم[4].

3. عن ابن عباس τ قال: سمعت رسول الله ε يقول: **(كأنى أنظر إليه، أسود أفحج، يقلعها حجرا حجرا، يعنى الكعبة)**[5].

= (1884) وقال الألبانى فى الصحيحة (2430)، وفى صحيح الجامع (7419): صحيح. وينظر تحفة الأشراف (4108) وتغليق التعليق (67/3).

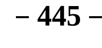
(1) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (1591 و1596)، ومسلم (2909).
(ذو السويقتين) تصغير الساق وصغر لأن الغالب على سوق الحبشة الدقة.

(2) أخرجه بتمامه أحمد (7053)، وأخرج عجزه ابن أبى شيبة (372228)، وعبد الرزاق فى مصنفه (9179، 9180)، ونعيم بن حماد فى الفتن (1873)، وقال ابن كثير فى النهاية (172/1): هذا إسناد قوى، والحديث صححه أحمد شاكر فى تعليقه على المسند وقال محققوا الرسالة: بعضه مرفوع صحيح، وبعضه يروى موقوفا ومرفوعاً والموقوف أصح، وانظر الصحيحة (2743).

(3) أخرجه الأزرقى فى تاريخ مكة (218/1)، قال التويجرى فى اتحاف الجماعة (212/2): رجاله رجال الصحيح.

(4) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (1885 و1900).

(5) أخرجه البخارى (1595).



4. عن على τ أنه قال: استكثروا من الطواف بهذا البيت، فكأنى برجل أصلع أصمع حمش الساقين، معه مسحاة يهدمها[1].

ومن تلك الأحاديث يتبين أن النبى ε عرَّفه ووصفه بما يلى:

سماه (ذا السويقتين) بالتصغير لصغر ساقيه وضعفهما ودقتهما من ناحية، وللتحقير من ناحية ثانية. ومعلوم أن عامة الحبشة فى سيقانهم دقة وحموشة.

ونسبه إلى الحبشة، وهم نوع معروف من السودان، يقال: إنهم من ولد حبش بن كوش بن حام، فهو أسود البشرة. فكأن النبى ε قال: **(يخرب الكعبة ضعيف من هذه الطائفة).**

وصفه بأنه (أصيلع) تصغير أصلع، وهو من انحسر الشعر عن رأسه.

ووصفه بأنه (أفيدع) تصغير أفدع، والفدع بفتح الدال اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل، حتى ينقلب الكف أو القدم، أو هو اعوجاج فى المفاصل، لأنها زالت عن موضعها، وأكثر ما يكون فى الأرساغ، ولذلك فسره بعض العلماء بأنه زيغ بين القدم وبين عظم الساق، وفسره آخرون باعوجاج فى اليد.

ووصفه بأنه (أفيحج) تصغير أفحج، وهو البعيد ما بين الساقين: وقيل: المتباعد الفخذين. وقيل: هو تدانى صدور القدمين وتباعد العقبين.

ووصفه بأنه (أصمع) أى صغير الأذنين.

---

(1) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (1874).



الأمارة العاشرة
ثلاثة خسوف

يحدث قبيل قيام الساعة ثلاثة خسوفات عظيمة، تكون عامة، وفى أماكن واسعة من الأرض، ليست كالخسوفات المتفرقة والمتباعدة التى تقتصر على أماكن محددة، كالتى نسمع عنها.

عن حذيفة بن أسيد الغفارى τ فى حديثه السابق: **(إنها -أى الساعة- لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان... وثلاثة خسوف؛ خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار، تطرد الناس إلى محشرهم)**[1].

وعن أبى داود: **(لن تكون -أو لن تقوم- حتى يكون قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة... والدخان وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن من قعر عدن ...)**[2].

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ε يقول: **(سيكون بعدى خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف فى جزيرة العرب.** قلت: يا رسول الله، أيخسف بالأرض وفيها الصالحون؟ قال: **إذا أكثر أهلها الخبث)**[3].

---

(1) تقدم تخريجه وهو فى صحيح مسلم (2901).

(2) أخرجه ابن أبى شيبة (37542)، وأحمد (16188)، وأبو داود (4311)، والترمذى (2183)، وابن ماجه (4055)، والنسائى فى الكبرى (11380)، والطبرانى فى الكبير (3028 و3029 و3031 و3034)، وابن حبان فى صحيحه (6843)، وصححه الألبانى فى السنن، وقال محققو مسند الرسالة: إسناده صحيح لكن اختلف فى وقفه ورفعه.

(3) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (766/2) رقم (3637)، وقال الهيثمى فى المجمع (11/8): فى الصحيح بعضه رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين وضعفه غيره وبقية رجاله ثقات.



الأمارة الحادية عشرة
النار التى تسوق الناس إلى أرض المحشر

وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: أدلة خروجها ومكانه.

الفرع الثانى: صفة هذا الحشر.

الفرع الثالث: زمن خروجها

الفرع الرابع: الشام ملاذ المؤمنين عند الفتن.

الفرع الخامس: حال المدينة بعد خروج النار.



الفرع الأول - أدلة خروجها ومكانه:

بعد ثلاثة الخسوفات، ولدى اقتراب النفخة، تخرج من اليمن نار عظيمة هائلة، ثم تنتشر فى الأرض، تسوق الناس أمامها من كل جانب، حتى تضطرهم إلى أرض المحشر بالشام.

ومن أدلة خروجها ومكانه:

1. عن حذيفة بن أسيد الغفارى τ فى حديثه السابق: (**... وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**)(1).

وفى رواية أخرى لمسلم: **(تخرج من قعر عدن، ترحل الناس)**(2).

2. عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ε: **(ستخرج نار من حضرموت -أو من بحر حضرموت- قبل القيامة، تحشر الناس**، قالوا: يا رسول الله ε، فما تأمرنا؟ قال: **عليكم بالشام)**(3).

3. عن أنس τ قال: بلغ عبدَ الله بن سلام τ مَقْدمُ رسول الله ε فأتاه وقال: إنى سائلك عن ثلاث، ولا يعلمهن إلا نبى؛ ما أول أشراط الساعة؟... فقال رسول الله ε: **(خبرنى بهن جبريل آنفا... أما أول أشراط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب... قال: أشهد أنك رسول الله)**(4).

4. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ε: **(تبعث نار على أهل المشرق، فتحشرهم إلى المغرب، تبيت معم حيث باتوا، وتقيل معهم**

---

(1) تقدم تخريجه مرارا وهو فى صحيح مسلم (2901) (39).

(2) أخرجها مسلم (2901) (40).

(3) أخرجه أحمد (4536)، وأبو يعلى (5551) والترمذى (2217) وقال: حسن غريب صحيح، وصححه الألبانى فى تعليقه على الترمذى، وفى صحيح الجامع (3609) وصححه محققو المسند ط. الرسالة.

(4) أخرجه البخارى (3392 و2911 و3938 و4480).



حيث قالوا، يكون لها ما سقط منهم وتخلف، وتسوقهم سوق الجمل الكسير)[1].

5. عن رافع بن بشير السُلمى عن أبيه τ قال: قال رسول الله ε: **(يوشك أن تخرج نار من حبس سيل، تسير سير الإبل البطيئة، تسير النهار، وتقيم الليل، تغدو وتروح، فيقال: غدت النار أيها الناس فاغدوا، قالت النار أيها الناس قيلوا، راحت النار أيها الناس روحوا، من أدركته أكلته)**[2].

ففى بعض الروايات أنها تخرج من اليمن، وهى دولة تقع جنوب الجزيرة العربية.

وفى بعضها من عدن، وهى مدينة ساحلية معروفة باليمن مشهورة. والبحر الذى خلفها يسمى خليج عدن أو بحر حضرموت.

وفى رواية من حضرموت أو من بحر حضرموت. فحضرموت اسم لمنطقة واسعة، وعدن اسم لمدينة.

وفى بعضها من قعر عدن. وفى حضرموت واد يقال له برهوت، فيه بئر يتصاعد منه لهيب الزفت، وهو فى قعر عدن. والعامة تسميه وادى النار.

وورد أنها تخرج من حبس سيل، وهو قريب من المدينة المنورة، فالخطاب هنا لأهل المدينة خاصة.

ويتبين من تلك الروايات أن ابتداء خروجها من اليمن، من قعر عدن، من واد يقال له برهوت، فإذا خرجت انتشرت فى الأرض كلِّها، وقبل أن تصل المدينة، تمر بحبس

---

(1) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (8092)، والحاكم (8647) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى وقال الهيثمى فى المجمع (12/8): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجاله ثقات، وأورده المتقى الهندى فى كنز العمال (38893) وعزاه للدارقطنى فى الأفراد، والطبرانى فى الكبير. وقال الألبانى: ضعيف ينظر تضعيف الألبانى له وحجته فى ذلك فى الضعيفة (6915).

(2) أخرجه أحمد (15696)، وأبو يعلى (934)، وابن حبان (6840)، والطبرانى فى الكبير (1229)، والحاكم (8367) وقال الذهبى عقبه: رافع بن بشر السلمى مجهول، والهيثمى فى الموارد (1892)، وقال الهيثمى فى المجمع (12/8): رواه أحمد والطبرانى، ورجال أحمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة. وقال الألبانى فى الضعيفة (6914): ضعيف ومرسل.



سيل، ومنه تنسكب فى المدينة، ثم تأخذ ناحية المشرق، فيكون حشرها لأهله أولا.

الفرع الثانى - صفة هذا الحشر:

عن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(يُحْشَرُ الناس على ثلاث طرائق؛ راغبين وراهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا)**[1].

وعند أحمد: **(يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف؛ صنف مشاة، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم**، قالوا: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: **إن الذى أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك)**[2].

وعن حذيفة بن أسيد الغفارى τ قال: قام أبو ذر τ فقال: يا بنى غفار، قولوا ولا تختلفوا، فإن الصادق المصدوق حدثنى: **(أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج، فوجا راكبين طاعمين كاسين، وفوجا يمشون ويسعون، وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم، وتحشرهم إلى النار)**. فقال قائل منهم: هذان قد عرفناهما، فما بال الذين يمشون ويسعون، قال: يُلقى الله الآفة على الظهر، حتى لا يبقى ظهر، حتى إن الرجل ليكون له الحديقة المعجبة، فيعطيها بالشارف ذات القِتْبِ، فلا يقدر عليها[3].

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخارى (6522)، ومسلم (2861).

(2) أخرجه أحمد (8632)، والترمذى (3142) وقال: حديث حسن، والطبرى فى تفسيره (12/19)، والمنذرى فى الترغيب (5426)، والخطيب فى مشكاة المصابيح (5546)، وضعفه الألبانى فى تعليقه على الترمذى والمشكاة وضعيف الجامع الصغير (6417)، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف والحديث حسن لغيره.

(3) أخرجه ابن أبى شيبة (34396)، وأحمد (21494)، والبزار (3891) والنسائى فى الكبرى (2213)، وفى المجتبى (2086)، والطبرانى فى الأوسط (8437)، والحاكم (3389، 8685) وقال: صحيح الإسناد، وقال الذهبى: على شرط مسلم ولكنه منكر. وأورده المنذرى فى الترغيب (5428) وسكت



عن بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده τ قال: سمعت رسول الله ε يقول: **(إنكم محشورون رجالا وركبانا، وتجرون على وجوهكم ههنا، وأومأ بيده نحو الشام).** قال ابن أبى بكير: فأشار بيده إلى الشام فقال: إلى ههنا تحشرون[1].

أفادت الأحاديث أن الناس ثلاثة أصناف أو جماعات:

أ. صنف يحشرون راغبين طاعمين كاسين راكبين.

ب. وصنف ثان: يمشون تارة ويركبون أخرى، يعتقبون البعير الواحد من قلة الظهر.

جـ. وصنف ثالث وهم بقية الناس تحشرهم النار، فتحيط بهم من ورائهم تسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف منهم أكلته.

الفرع الثالث - زمن خروجها:

إذا أراد الله سبحانه زوال وفناء الدنيا، أخرج تلك النار من قعر عدن، تسوق الناس إلى أرض المحشر بالشام تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا حتى يجتمع الخلق كلهم بالمحشر الإنس والجن والدواب وخشاش الأرض، وهى آخر الآيات الكبرى من حيث ما ذكر معها من الآيات التى يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا، وهى أول الآيات المؤذنة بانقلاب الكون وقيام الساعة، من حيث إنه لا يبقى شيء، بعدها من أمور الناس، بل يقع بانتهائها النفخ فى الصور، وقيام الساعة.

وقد اختلف العلماء فى زمن وقوع هذا الحشر:

فذهب بعضهم إلى أنه يكون يوم القيامة ومن هؤلاء الحكيم الترمذى، والخطيب، والحليمى، والبيهقى، والغزالى.

= عنه، وقال الألبانى: ضعيف فى ضعيف الجامع (1801) وفى السنن، وقال محققو المسند: إسناده قوى.

(1) أخرجه ابن أبى شيبة (34407)، وأحمد (20043 و20062) والطبرانى فى الكبير (409/19) رقم (974 و975). والحاكم (8686) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، ووافقهما الألبانى فى صحيح الجامع (2302).



وذهب آخرون إلى أنه يكون فى آخر الزمان قبل قيام الساعة وممن قال بهذا القول: القرطبى، والخطابى، والقاضى عياض، وابن كثير، وابن حجر وغيرهم.

قال ابن كثير فى النهاية (بعد ذكره جملة من الأحاديث): فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين فى آخر الدنيا من أقطارها إلى محلة الحشر، وهى فى أرض الشام، وأنهم يكونون على أصناف ثلاث: فقسم يحشرون طاعمين كاسين راكبين، وقسم يمشون تارة ويركبون أخرى، يعتقبون البعير الواحد من قلة الظهر، وتحشر بقيتهم النار التى تخرج من قعر عدن، فتحيط بهم من ورائهم تسوقهم من كل جانب، ومن تخلف منهم أكلته.. وهذا كله مما يدل على أن هذا فى آخر الدنيا. حيث الأكل والشرب والركوب على الظهر المستوى وغيره، وحيث يهلك المتخلفون منهم بالنار، ولو كان بعد نفخة البعث، لم يبق موت ولا ظهر يسرى، ولا أكل ولا شرب، ولا لبس فى العرصات.

ثم قال رادا على البيهقى: وكيف يصح ما ادعاه فى تفسير الآية بالحديث، وفيه إن منهم اثنين على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير، وقد جاء التصريح بأن ذلك من قلة الظهر؟! هذا لا يلتئم مع هذا. تلك نجائب من الجنة يركبها المؤمنون من العرصات إلى الجنات على غير هذه الصفة[1].

واختار الحافظ أيضا أنه يتعين كون ذلك فى الدنيا، لما وقع فيه أنه الظهر يقل لما يلقى عليه من الآفة، وأن الرجل يشترى الشارف الواحد بالحديقة المعجِبةَ (أى: تُعجبُ الناظرين إليها)، فإن ذلك ظاهر جدا فى أنه من أحوال الدنيا[2].

الفرع الرابع - الشام ملاذ المؤمنين عند الفتن:

يكون الأمن والإيمان حين تقع الفتن آخر الزمان فى بلاد الشام.

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ε يقول: **(ستكون هجرة بعد هجرة، ينحاز الناس إلى مُهاجَرِ إبراهيم، لا يبقى فى الأرض إلا شرار أهلها،**

(1) النهاية فى الفتن والملاحم (1/241-242).
(2) فتح البارى (11/389).



تلفظهم أرضوهم، تَقْذَرُهم نَفْسُ الله، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلف منهم)[1].

وعنه عند أبى داود: **(ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى فى كل أرض إذ ذاك شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تقذرهم نفس الله عز وجل، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير)**[2].

وروى الحاكم عنه: **(ليأتين على الناس زمان لا يبقى على الأرض مؤمن إلا لحق بالشام)**[3].

عن أبى أمامة τ قال: قال رسول الله ε: **(لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على عدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتى أمر الله وهم كذلك**، قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: **فى بيت المقدس وأكناف بيت المقدس)**[4].

---

(1) أخرجه الطيالسى فى مسنده (2293)، وعبد الرزاق فى مصنفه (20790)، وأحمد فى المسند 06871 و6952)، ونعيم بن حماد فى الفتن (1765)، والطبرانى فى الأوسط (7691)، وفى مسند الشاميين (2761) والحاكم (8497) وسكت عنه. وصححه الألبانى لغيره فى الصحيحة (3202). قلت: صححه بشواهده وإلا ففيه شهر بن حوشب وهو ضعيف.

(2) أخرجه أبو داود (2482) وقال الألبانى فى تعليقه على أبى داود: ضعيف ثم صححه لشواهده فى الصحيحة (3203).

(3) أخرجه ابن المبارك فى الجهاد (193)، وابن أبى شيبة (19445)، والحاكم (8413) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبى. أ هـ قلت: موقوف على ابن عمرو ومثل هذا لا يكون إلا عن توقيف من النبى ε.

(4) أخرجه أحمد (22374) والطبرى فى تهذيب الآثار (1158)، والطبرانى (7643) دون قوله: وأكناف بيت المقدس، وقال الهيثمى فى المجمع (288/7): رواه عبد الله وجادة عن خط أبيه والطبرانى ورجاله ثقات، وقال الألبانى فى الضعيفة (5849): منكر بهذا التمام وقال: "قال الهيثمى: "ورجاله ثقات" كذا قال! وعمدته توثيق ابن حبان للحضرمي! وقد سبق بيان ما فيه، فلا يشكلن عليك الأمر. واعلم أننى إنما أخرجت الحديث هنا لجهالة إسناده ونكارة الاستثناء الذى فيه وإلا؛ فالشطر الأول صحيح بل متواتر، وقد رواه جمع كبير من الصحابة، وخرجت أحاديث بعضهم فى "الصحيحة" تحت عنوان: (الطائفة المنصورة)؛ فانظر الأحاديث (1955-1962).



عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فى حديثه السابق: **(ستخرج نار من حضرموت قبل القيامة**، قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: **عليكم بالشام)**(1).

عن أبى الدرداء τ أن رسول الله ε قال: **(ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام)**(2).

عن زيد بن ثابت τ قال: كنا يوما عند رسول الله ε نؤلف القرآن من الرقاع، فقال: **(طوبى للشام**، فقلت: لم ذلك يا رسول الله؟ قال: **لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليها)**(3).

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده τ قال: قلت: يا رسول الله، أين تأمرني؟ قال: **(ههنا، ونحا بيده نحو الشام)**(4).

عن معاوية بن قرة τ عن أبيه τ قال: قال رسول الله ε: **(إذا فسد أهل الشام فلا خير لكم ولا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة)**(5).

---

(1) تقدم تخريجه قريبا، وقد أخرجه أحمد وأبو يعلى والترمذى وصححه ووافقه الألبانى.

(2) أخرجه أحمد (21781)، والديلمى فى الفردوس (2219) والمنذرى فى الترغيب (4675) وقال: رواه أحمد ورواته رواة الصحيح، وأورده الهيثمى فى المجمع (289/7) وعزاه للبزار وقال: رجاله رجال الصحيح. وصححه الحافظ فى الفتح (420/12)، ووافقهم الألبانى فى تعليقه على الترغيب رقم (3094).

(3) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (19448 و32466) وفى مسنده (139)، وأحمد (21646 و21647). والترمذى (3954) وقال: حسن غريب، وابن حبان (7304)، والطبرانى فى الكبير (4933 و4934) والحاكم (2900 و2901) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى، وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (231)، والمنذرى فى الترغيب (4680) وقال: إسناده صحيح، ووافقه الهيثمى فى المجمع (60/10)، ووافقهم الألبانى فى الصحيحة (502) وفى صحيح الجامع (3920).

(4) تقدم تخريجه قبل ستة أحاديث.

(5) أخرجه الطيالسى فى المسند (1076)، وابن أبى شيبة مختصراً (32460)، وأحمد (15635)، وأبو بكر الشيبانى فى الآحاد والمثانى (1101)، والترمذى (2192) وقال: حسن صحيح، وابن حبان مختصرا (7302)، ومثله الطبرانى فى الكبير (27/19) رقم (56).



الفرع الخامس ـ حال المدينة بعد خروج النار:

أخبر النبى ε أن المدينة سيمتد فيها العمران، وتتوسع مساحتها، وفى آخر الزمان يتركها أهلُها بسبب النار، فتنتابها الوحوش.

عن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ε: **(تبلغ المساكن إهاب –أو يهاب–)** قال زهير: قلت لسهيل: فكم ذلك من المدينة؟ قال كذا وكذا ميلا[1].

وعنه τ أن رسول الله ε قال: **(إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها)**[2].

وهذا فى سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة. ثم تضطر النارُ أهلها إلى الخروج فيتركونها على خير ما كانت عليه.

عن أبى هريرة τ قال سمعت رسول الله ε يقول: **(يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافى، وآخر من يحشر)** وعند مسلم: **(من يساق – راعيان من مزينة، يريدان المدينة، ينعقان بغنمهما، فيجدانها ملئت وحوشا، حتى إذا بلغا ثنية الوداع، خرا على وجوههما)**[3].

وعن عمر بن الخطاب τ قال: سمعت رسول الله ε يقول: **(ليسيرن الراكب بجنبات المدينة، ثم ليقولن: لقد كان فى هذا حاضر من المسلمين)**[4].

وعن عوف بن مالك τ قال: دخل رسول الله ε المسجد ثم نظر إلينا فقال: **(أما والله**

=

وقال الألبانى: صحيح، ينظر الصحيحة (403)، وصحيح الجامع (702).

(1) أخرجه مسلم (2903).

(2) متفق عليه؛ أخرجه البخارى (1876)، ومسلم (147).

(3) متفق عليه، أخرجه البخارى (1874)، ومسلم (1389).

(4) أخرجه أحمد (124)، وقال الهيثمى فى المجمع (15/4): رواه أحمد وإسناده حسن، ووافقه المتقى الهندى فى كنز العمال (34925)، وقال محققو مسند الرسالة: الحديث حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف.

ليدعنها أهلها مذللة أربعين عاما للعوافى، أتدرون ما العوافي؟ الطير والسباع)[1].

ويجمع بين الأحاديث بأن الفتن تعم الدنيا كلها عند خروج المهدى، ويبقى أهل المدينة معه، فيأرز الإيمان إلى المدينة؛ لأن أهلها هم المؤمنون الكاملون التابعون للخليفة الحق، ثم يخرجون معه إلى الجهاد. وعند مجيء الدجال إليها ومكوثه خارجها، ترجف بأهلها فتنفى خبثها، وترميه إلى الدجال، فلا يبقى فيها إلا المؤمنون المخلصون، ثم يهاجر كثير منهم إلى بيت المقدس ببلاد الشام، حيث إمامهم المهدى، ثم نزول عيسى عليه السلام ومن بقى منهم تقبض روحه الريح اللطيفة الباردة. وبموتهم تخرب المدينة؛ لأنه ليس فيها إلا المؤمنون، بخلاف غيرها، فإن فيها الكافرين، فتبقى عامرة بشرار الناس. وهذا إنما يكون فى آخر الزمان عند انقراض الدنيا.

خروج النار هو آخر الآيات الكبرى، وهى أول الآيات المؤذنة بانقلاب الكون وقيام الساعة، من حيث لا يبقى شىء بعدها من أمور الدنيا بل يقع بانتهائها النفخ فى الصور وقيام الساعة وما فيه من مواقف وأهوال.

المحتويات

الصفحة

---

(1) أخرجه أحمد (24022)، وابن حبان فى صحيحه (6774)، والطبرانى فى الكبير (55/18) رقم (99)، والحاكم (3126 و8310) وصححه، ووافقه الذهبى، والبيهقى فى الكبرى (7318)، والهيثمى فى الموارد (837)، وذكره الحافظ فى الفتح (108/4) وعزاه لعمر بن شبة وصحح إسناده.

قلت (السماحى): الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، ولا يفوتنى أن أشكر كل من مد إلى يد العون، أو بذل لى النصح لإخراج هذا الكتاب بهذه الصورة المشرقة. وبعد فما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من تقصير فمنى ومن الشيطان والله عز وجل ورسوله منه براء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الصفحة

الفصل الأول : فتنة النساء ------------------------- [61-92]

الصفحة



الفصل الثانى : فتنة المال ------------------------- [93-116]

الفصل الثالث : فتنة التفرق والاختلاف ------------------ [117-198]

الصفحة



الصفحة



الصفحة

الصفحة

الصفحة